جامعـــــــة دمشـــــــق
كلية الآداب والعلوم الانسانية
قســـــم التـــــاريـــــخ

الجيش الروماني البري في الفترة الإمبراطورية
٣١ ق.م. ـ ٢٨٤ م

رسالة أعدت لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالب

بـــديــع العـمـر

إشراف

أ.د عبد المجيد حمدان

العام الدراسي ١٤٣١هـ \ ٢٠١٠ م

شكر وتقدير

الحمد لله والشكر له الذي أنعم عليّ بأن حظيت هذه الرسالة بإشراف أستاذ فاضل جليل:

الأستاذ الدكتور: عبدالمجيد حمدان، أستاذ تاريخ الرومان في جامعة دمشق الذي تفضلّ وشرفني بالموافقة على قبول الإشراف على هذه الرسالة، فغمرني بعطفه، ولم يبخل عليّ من وقته الثمين، وقدم لي النصح السديد والتوجيه والإرشاد طيلة فترة إعداد هذه الرسالة، وبذلك كان له الأثر الكبير في ظهورها بهذه الصورة، فلسيادته جزيل الشكل وعظيم الامتنان لهذه الرعاية الكريمة، وأتقدم إليه بعظيم التقدير والإعزاز عرفاناً بالجميل ووفاءً بفضله الذي سيبقى معي ما حييت وأسأل الله تعالى أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن ينعم عليه بوافر الصحة والعافية.

كما أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى لجنة الحكم متمثلة بالأساتذة:

الأستاذ الدكتور: محمد الزين، أستاذ التاريخ الهلنستي في جامعة دمشق.

الأستاذ الدكتور: مفيد رائف العابد، أستاذ التاريخ اليوناني في جامعة دمشق.

كما أتقدم بخالص الشكر **للأستاذ الدكتور: جهاد عبود**، أستاذ تاريخ سورية القديم في جامعة دمشق لتفضله رغم مشاغله الكثيرة بتقديم النصح والإرشاد في إعداد هذه الرسالة.

كما أتقدم بالشكر الخاص إلى الأخ الذي لم تلده أمي:

مدرس اللغة الإنكليزية: حسان محمد بهاء الدين حساني لما له من عظيم الفضل وكثير الامتنان ولما بذله من جهد ووقت كبيرين لإنجاز هذا البحث، وأرجو من الله أن يجعل هذا العمل في صحائف حسناته وأن يبارك له في عمره ويجزيه عني خير الجزاء.

الإهداء

إلى:

والدي......ووالدتي......

زوجتي وأبنائي......

إخوتي......

أهديهم هذا العمل خالصاً إلى وجهه تعالى سائلاً الله عز وجل أن يساعدني على إيفاء ولو جزءاً يسيراً من حنانهم وعطفهم الذي حبوني به أثناء إعداد هذه الرسالة.

وإلى

أصدقائي وزملائي في سورية وخارجها لما قدموه لي من عونٍ ومساندة.



جعل القائد الروماني ماريوس من النسر أهم راية من رايات الفرقة, وكانت تصنع هذه الرايات في البداية من الفضة إلا أنها أصبحت فيما بعد تطلى بالذهب, وقد رمز النسر إلى فخر فرق الجيش الروماني وهويتها الواحدة.

فهرس المحتويات

الصفحة

Abbreviations:

ACRA: A Companion to the Roman Army.

JRS: Journal of Roman Studies.

CAH: Cambridge Ancient History.

CHGRW: Cambridge History of Greek and Roman Warfare.

المقدمة

مرت روما خلال تاريخها الطويل في ثلاثة مراحل جوهرية اصطلح الباحثون المعاصرون على تسمية كل مرحلة منها باسم يتوافق ونظام الحكم السائد فيها، فكانت الفترة الممتدة منذ تأسيس روما في روما سنة ٧٥٣ق.م حتى عام ٥٠٩ق.م يطلق عليها مرحلة العصر الملكي، في حين أطلق على الفترة الممتدة بين عامي ٥٠٩- ٣١ق.م اسم المرحلة الجمهورية، أما المرحلة الثالثة فبدأت سنة ٣١ق.م بعد أن استطاع أوكتافيان وضع حد للحروب الأهلية الطاحنة بين قادة الجيوش الرومانية، واستمرت هذه الفترة حتى سقوط روما في ٤٧٦م بأيدي البرابرة.

وقد استطاع أوكتافيان بعد تسلمه السلطة تأسيس نظام حكم جديد معتمداً بشكل أساسي على النظام السائد في العصر الجمهوري من حيث المناصب والمجالس التشريعية، إلا أنه اتخذ لنفسه منصباً جديداً بعيداً من نظام الحكم الجمهوري يجمع فيه السلطات السياسية والقضائية والعسكرية، وقد اصطلح على تسميته منصب " **المواطن الأول** "، أو بعبارة أخرى منصب رئيس الدولة **(Princeps Civitatis)**. ونظراً لوجود سلطة قيادة عسكرية مطلقة فإنها أصبحت أخطر صفة ملازمة لشخصية رئيس الدولة الجديد، وقد اتفق المؤرخون أن يطلقوا على العصر الذي بدأه أغسطس إمبراطوراً سنة ٢٧ق.م. مصطلح العصر الإمبراطوري، ولكن التغييرات التي طرأت على هذا العصر خلال تاريخه الطويل والتي غيرت من شخصية الإمبراطورية تغييراً جوهرياً دفعت الباحثين إلى تقسيم الإمبراطورية زمنياً إلى مرحلتين:

١- **المرحلة الأولى:** وهي المرحلة الممتدة منذ إعلان الإمبراطورية سنة ٢٧ق.م وحتى عام ٢٨٤م، وقد أطلق على هذه الفترة مصطلح البرنسبيت **(Principate)**، أي الفترة المتقدمة والعليا، لأنها شهدت فترة حكم أباطرة أقوياء قائمين على رأس السلطة، وكذلك لأن الإمبراطورية شهدت في هذه المرحلة أوج قوتها واتساعها.

٢- **المرحلة الثانية** : وهي المرحلة الممتدة بين عامي ٢٨٤ -٤٧٦م، وقد اصطلح على تسميتها اسم دومينيت **"Dominate"** أي الفترة المتأخرة التي بدأت بحكم الإمبراطور دوقلسيان الذي أعاد تنظيم الإمبراطورية.

شكلت المرحلة التاريخية التي عاشتها الإمبراطورية الرومانية مرحلة حاسمة في تاريخ العالم القديم، فمن حيث التوسع شهدت الإمبراطورية امتداداً واسعاً جداً جعلها من أضخم الإمبراطوريات في العالم القديم، ومن حيث الأحداث شهدت هذه المرحلة حروباً متلاحقة وسلماً، وصف في بعض الأحيان بالسلم الدائم، وتعزز هذا الوضع بالعديد من

الإجراءات القانونية، فشهدت الإمبراطورية تطوراً لم يكن معروفاً في العالم القديم هو الاعتراف بحق المواطن، فالمواطن الروماني لم يعد تابعاً لإقليم معين أو أسرة محددة أو لمنتصر، بل أصبح مواطناً رومانياً يتمتع بالحقوق المدنية والقانونية الممنوحة لجميع أفراد الإمبراطورية .

وبالرغم من التأثيرات التي لا نستطيع إنكارها، فإن الإمبراطورية الرومانية لا يمكن أن تقارن بمملكة هيلينية ذات طابع شخصي، أو ما نطلق عليه اليوم أنظمة الحكم الشخصية الفردية، ولا نستطيع أن نطلق عليها دولةً إقليمية قومية، ولا يتطابق وصفها بالملكية والدكتاتورية الشخصية. وهذا يجعل من الإمبراطورية الرومانية بُنية يصعب تصنيفها تاريخياً ولا تتساوى بُنيتها مع أي نموذج من نماذج الحكم التي نعرفها، فهي تجمع بين القيم الأرستقراطية التقليدية والحقوق القانونية للشعب مصدر السلطة. ومن حيث جغرافيتها جمعت الإمبراطورية الرومانية مزيجاً من الحواضر والشعوب التي انصهرت فيها، وبذلك تشكلت شبكة من المجتمعات انسكبت جميعها في بوتقة المجتمع الروماني لتؤلف مجتمعاً تراتبياً متشابكاً ثقافياً .

ولم يكن للجانب العسكري أثر ثانوي في تاريخ روما، بل شكَلت الحروب موقعاً مركزياً في تاريخها وتاريخ جميع دول العالم القديم، فموقع روما في وسط جغرافي مليء بالشعوب والقبائل القوية دفع بها إلى استخدام القوة للذود عن كيانها ووجودها، وعلى فترة امتدت لأجيال سفكت روما خلالها الكثير من الدماء وأبدت شجاعةً وتصميماً في مواجه خصومها في إيطاليا، ظهرت لديها بوادر التخطيط للمحافظة على مصالحها، ووجب عليها زيادة قوتها بقدر ما كانت توسع نفوذها، وهذا دفعها إلى تشكيل جيش مهمته تأمين الحماية للسلطة ومواجهة الأخطار التي يمكن أن تواجهها نتيجة توسعها، وكانت الحروب ضد قرطاجة قد عبَرت عن طموحات الرومان في التوسع. وكذلك عبَرت عن رفض الرومان بقبول منافس يؤثر على مصالحها، وإن الحروب الطويلة مع قرطاجة ، والتي انتهت بالقضاء على الدولة الفينيقية وتدمير قرطاجة سنة ١٤٦ق.م وتأسيس الإقليم الإفريقي، أكسب روما خبرة عسكرية كبيرة أنتجت جيشاً لا يقهر، وحررت مخاوف وطاقات روما التوسعية التي أدت إلى قيام قوة عسكرية رومانية هائلة لا تقهر استطاعت تدريجياً أن تواجه الممالك الهلنستية العظيمة في الشرق، وأن تهزمها وتسيطر عليها الواحدة تلو الأخرى .

إذاً فقوة روما لم تكن نتيجة سياسية فقط، بل كانت بفعل قوة السلاح الناتج عن العزم والتصميم الّذان أبداهما الرومان، والذين لم يلينا أبداً طوال تاريخ روما. ومن هنا يأتي دور مصدر قوة الجيش الروماني، فاعتماد روما على مواطنيها للدفاع عنها على خلاف الممالك

والدول الأخرى، كان عاملاً جوهرياً في قوة جيشها الذي كان بمنزلة الحلقة الرئيسة في وجودها وتوسعها. وإن التقدير الكبير لأهمية الجيش والرؤيا الواضحة ذات الهدف البعيد هي التي جعلت الرومان يهتمون بالناحية العسكرية، إذ أدى هذا الاهتمام إلى تشكيل أعظم جيش منظم عرفه العالم القديم، وخصوصاً بعد إصلاحات أغسطس التي جعلت منه محترماً يتمتع بكامل صفات الجيوش المعاصرة .

إشكالية البحث:

إن دراسة تاريخ الإمبراطوريات هو أمر شيّق ، وإن كان تاريخها في أغلب الأحيان ينتهي بأحداث كارثية محزنة، فدراسة تاريخ أي إمبراطورية يحتم على الباحث دراسة نظامها العسكري باعتباره السور الحصين الذي يزود ويدفع عنها الأخطار وبالوقت نفسه يمثل الذراع القوية التي تنفذ سياسة الدولة العليا ومصالحها، وإن دراسة التاريخ العسكري للإمبراطورية الرومانية يُمثّل دراسة حلقة من سلسلة حلقات طويلة للتاريخ العسكري العالمي لكن ما يميز تاريخ روما عسكرياً هو الشمولية التي ضمها الجيش الروماني الإمبراطوري.

ومن هنا فإن تاريخ روما عسكرياً يطرح إشكاليات كبيرة أمام الباحثين، وتنبع هذه الإشكاليات من طبيعة هذا النظام والتركيبة البنيوية له، وخصوصاً في العصر الإمبراطوري الذي جمع مزيجاً من الشعوب والأعراق، انخرط معظمها في تكوين جيش روما. فكان هذا المزيج مجالاً واسعاً للبحث أبدى فيه الباحثين المعاصرين الكثير من الآراء والنظريات حول تنظيم العلاقات الداخلية للإمبراطورية، وبدوره سيتطرق البحث إلى دراسة هذه الإشكالية وغيرها في إطار دراسة الجيش الروماني الإمبراطوري مثيراً العديد من التساؤلات التي **يمكن أن نذكر منها ما يأتي:**

- ما هي الدوافع التي جعلت روما تهتم بالجيش وتعطيه الأولوية على كل شيء ؟
- ما هي التطورات التي طرأت على الجيش الروماني حتى بلغ درجة الاحتراف في الفترة الإمبراطورية، وهل كانت هذه التطورات التي مر بها الجيش الروماني جذرية أم كانت تتمة لتطورات سابقة ؟
- هل كانت هنالك بنية جديدة لوحدات الجيش تختلف عن بنية وحدات الجيش السابقة وهل كان هناك نظام تجنيد جديد يتلافى نواقص الأنظمة القديمة ؟
- كيف كانت سياسة روما في نشر قواتها خلال الفترة الإمبراطورية، وهل كان للعوامل المادية والاجتماعية والسياسية أثر في هذا النشر ؟

- ما الأسس التي ارتكزت عليها روما للتوفيق بين قسمي الجيش(جنود الفرق وجنود الوحدات المساعدة)، وكيف كانت الأسس التي اعتمدت عليها روما في تعين ضباط وقادة الجيش وترقيتهم ؟
- هل اعتمد الجيش الروماني نظاماً موحداً في لباس الجيش وتسليحه أم كان هنالك نماذج متنوعة وفقاً لانتماءات الجنود القبليَة ؟
- كيف كان يخطط الرومان لتكتيكاتهم الحربية، وهل استطاعوا التميز في وضعها وتنفيذها، وما هي الاعتبارات التي كانت تؤخذ لديهم عند وضعهم لخططهم الحربية؟
- هل عرف الرومان فن حرب الحصار ، وما دورهم في تطويره؟
- كيف كانت طبيعة الإمدادات اللوجستية للجيش الروماني، وهل استطاعوا التغلب على مشاكل إمداد الجيوش في ميدان القتال في الأماكن البعيدة من مركز الإمبراطورية؟
- هل امتلك الجيش الروماني نظاماً داخلياً (مالياً وإدارياً) يُنظِم شؤون جنوده أثناء الخدمة وبعد التسريح من الجيش؟

ولذلك تدفعنا هذه التساؤلات للبحث في أعماق التركيبة البنيوية للجيش الروماني ومحاولة إيجاد إجابات موضوعية وحلول تعكس حقيقة دور الجيش الروماني في تاريخ روما الحضاري. معتمداً في ذلك على مجموعة من المصادر والمراجع والدراسات الحديثة للإحاطة بمختلف جوانب البحث.

وتقع الدراسة في تمهيد وأربعة فصول:

التمهيد:

ويتضمن الحديث عن الوسط الجغرافي ودوره الكبير في نشأة روما، كما يتحدث عن مراحل توسع روما زمنياً و جغرافياً مقسَماً إيَاها على مرحلتين:

- المرحلة الأولى: السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية (٥٠٩– ٢٦٤ ق.م)
- المرحلة الثانية : التوسع خارج أراضي شبه الجزيرة الإيطالية (٢٦٤–٣١ ق.م)

وكذلك يتحدث عن دوافع روما التوسعية موضحاً طبيعة هذه الدوافع، والمراحل التي مرَ بها تشكَل الجيش منذ تأسيس روما حتى العصر الإمبراطوري.

الفصل الأول:

يتضمن الحديث عن بنية الجيش الروماني الإمبراطوري وتنظيمه والتطورات والتعديلات التي طرأت عليه في بداية تنظيمه، وذلك من خلال دراسة نظام تجنيده ونشر وتوزيع قواته ودراسة التسلسل الهرمي لقيادته وكذلك راياته وشعاراته.

الفصل الثاني:

ويتضمن الحديث عن لباس الجنود وتجهيزاتهم ، موضحاً دور هذه التجهيزات تكتيكياً والتغيرات والتأثيرات التي طرأت عليها خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإمبراطورية، كما تضمن البحث دراسة المجانيق ومطلقات السهام الرومانية ومعدات حرب الحصار محاولاً تقديم وصف تاريخي لها، إضافة إلى التعديلات التي أدخلها الرومان عليها للتناسب وطبيعة تركيبة جيوشهم .

الفصل الثالث:

ويتضمن دراسة المعركة البرية للجيش الروماني وأنواع التكتيكات التي استخدمها وطورها الجيش وفقاً للحالة التي واجهها ، وكذلك محاولة إيضاح طريقة تنظيم القوات في خط المعركة والأسس التي اعتمد عليها الرومان في شن عملياتهم الحربية، ودور كل عنصر من عناصر الجيش في نجاح تكتيك ما. وكذلك تحدثنا عن فن حرب الحصار عند الرومان وطريقة ممارسته وأسلوبهم فيه، محاولين من خلال ذكر الأمثلة تقديم صورة وصفية شبه واقعية لسير عمليات الحصار عند الرومان. كما تطرقنا في هذا الفصل إلى دراسة الإمدادات اللوجستية للجيش الروماني في الحرب وطريقة تنظيم هذه الإمدادات وآلية عملها مبينين دورها الكبير في نجاح الجيش الروماني سواء في الحملة أو الحصار.

الفصل الرابع:

يتضمن الحديث عن النظام الداخلي الناظم لهذا الجيش، وذلك من خلال دراسة المعايير التي انتهجها الرومان في اختيار المجندين في فروع الجيش المختلفة، وكذلك من خلال دراسة مراحل التدريب التي مر بها المجند منذ تطوعه في الجيش وحتى تسريحه، كما أننا تكلمنا في هذا الفصل عن رواتب الجنود محاولين إظهار نسبة الزيادات التي طرأت عليها خلال حكم الأباطرة المتلاحقين للإمبراطورية، وكذلك قدمنا صورة عن النظام الضابط للجيش من خلال دراستنا عن نظام العقوبات والمكافآت للجنود. ومن ثم انتقلنا إلى دراسة المرافق الصحية والخدمات الطبية التي تميز بها الجيش الروماني. وفي نهاية الفصل تحدثنا عن آلية تسريح الجنود في مختلف فروع الجيش والامتيازات التي حصل عليها جنود هذه الفروع وفقاً لطبيعة الفرع الذي كان يخدم به الجندي.

أهمية اختيار البحث:

تأتي أهمية البحث من كونه يلقي الضوء على جانب هام من جوانب الإمبراطورية الذي يُعد ركناً أساسياً في وجودها وازدهارها، ومما يُعمِّق هذه الأهمية ندرة الدراسات العربية التي

تناولت هذا الموضوع بشكل منهجي متخصص. ولذلك كان لابد من دراسة شاملة ودقيقة تغطي هذا الجانب الهام من جوانب الإمبراطورية.

وهناك أهمية أخرى تكمن في إظهار الدور الحضاري للجيش الروماني، فبالرغم من أن الجيش كان وسيلة مهمتها الحرب والقتال وطلب الأعداء ودفعهم ، إلا أنه في الواقع مارس دوراً كبيراً في البناء والإعمار الحضاري للإمبراطورية، ولعل هذا التجاذب بين الإعمار والبناء من جهة، والحرب والقتال من جهة أخرى، يكسب هذا البحث أهمية كبيرة تُضاف إلى الأهمية السابقة.

وكذلك يمكن للبحث في الجيش الروماني إظهار دوره في مختلف نواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للإمبراطورية، فدراسته يمكن أن تُقدم صورة عن الحياة الاقتصادية ومستوى الإنفاق الفردي للمواطنين الرومان، ويمكن أن توضح دراسته طبيعة الحياة الاجتماعية في هذه الفترة من خلال ما تظهره من التمازج والاختلاط بين أفراد الجيش على اختلاف أجناسهم وعروقهم، ومن ثم إيضاح التأثيرات الناتجة عن هذا التمازج كونهم يدافعون عن شعار واحد هو وحدة الإمبراطورية الرومانية، ومن الناحية السياسية يمكن لهذا البحث أن يُبيِّن طبيعة دور الجيش في سياسة الإمبراطورية، وفي إقصاء وتعيين الأباطرة.

أسباب اختيار البحث وأهدافه:

إن ندرة الدراسات العربية التي تناولت تنظيم الجيش الروماني دفعتني إلى اختيار هذا البحث رغم صعوبته، فمعظم الدراسات العربية التي تناولت دراسة الحضارة اليونانية اقتصرت على النواحي السياسية والأثرية لهذه الحضارة " أبنية ، مسارح ، معابد ، مدن ..."، وعندما تطرقوا إلى الجانب العسكري اقتصروا على الحروب والمعارك التي خاضتها روما من دون التطرق إلى التنظيم العسكري للجيش.

وكذلك رغبتي في تقديم الجديد عن تاريخ روما بشكل عام، وتاريخها العسكري بشكل خاص، وإضافة إلى ذلك رغبتي في إثراء التاريخ العسكري العالمي بدراسة جديدة عن بنية وتنظيم جيش كان له أثر كبير في العالم القديم.

ويسعى البحث ليكون حلقة في سلسلة الدراسات العلمية المتخصصة التي درست الحضارة الرومانية عبر تاريخها الطويل، فالبحث يدرس واحداً من أهم المرتكزات التي ساهمت في الحفاظ على سلامة هذه الإمبراطورية واستمرارها لقرون طوال، فأعمال الجيش الجديدة من الناحيتين الحربية والعمرانية خدمت الإمبراطورية في حماية حدودها وخدمة مصالحها التوسعية والعمرانية.

ولن يكون هدف البحث الجمع فحسب ، بل يحاول أن يكون مرجعاً مهماً عن تاريخ روما عسكرياً، ويقدِم الأفكار العلمية والأكاديمية وفق منهج صحيح، كما أنه يهدف إلى سد

ثغرة في مكتباتنا عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية لم تلق اهتماماً كبيراً من الباحثين والمؤرخين العرب. ذلك أن دراسة تاريخ الإمبراطوريات تقودنا نحو الاستفادة من دروس التاريخ القديم في مسائل معاصرة.

منهجية البحث:

سوف تعتمد دراستي في هذا البحث على المنهج العلمي التاريخي بشقيه الوصفي والتحليلي في دراسة الأصول والوثائق التاريخية والمصادر المادية والكتابية من أجل الوصول إلى النتائج الصحية، ثم مقارنة هذه النتائج مع غيرها وصولاً إلى الحقيقة التاريخية المبتغاة، والمشار إليها في أهداف البحث. كما ستقوم الدراسة بتقصي المعلومات من مصادرها، واختيار النصوص الأكثر دقة ووصفاً لموضوع البحث، واستخلاص المادة العلمية المطلوبة وتحليلها تحليلاً علمياً دقيقاً، وسيعتمد هذا البحث على المصادر الآتية:

أولاً : المصادر الأثرية:

وتتمثل بالمنحوتات واللوحات الجدارية المنقوشة والنقود اللواتي ستكون في مقدمة المصادر الأثرية التي سأعتمد عليها في بحثي، إضافة إلى النقوش التي تشكل المادة العلمية الحقيقية من خلال ما تتضمنه من معلومات قيمة، وحاول البحث من خلال دراسة المصادر الأثرية المتعلقة بموضوع الدراسة أن يتوصل إلى الحقيقة التاريخية المنشودة. ويُضاف إلى ما سبق الاطلاع على تقارير البعثات الأثرية وطنية كانت أم أجنبية للتعرف على آخر المكتشفات الحديثة التي لها صلة بهذا البحث.

ثانياً : المصادر الأدبية:

التي تذكر المعلومات المهمة بخصوص موضوع بحثي، والتي كتبها عدد من المؤرخين المعاصرين للإمبراطورية الرومانية، ثم أخذ عنهم معظم المؤرخين في وقتنا الحاضر، ونذكر منهم:

أ- **ليڤيوس (Livius):** هو مؤرخ روماني عاش بين عامي ٥٩ق.م-١٧م،في مدينة باتافيوم (Patavium) حالياً (Padua) في شمال إيطاليا، لكن ربما أمضى معظم حياته في روما، ويشتهر حالياً بين المؤرخين المعاصرين باسم ليڤي (Livy)، ويعتبر من أفضل كتاب الحوليات إن لم يكن أعظمهم على الإطلاق، وكتب تاريخ روما منذ تأسيسها حتى سنة ٩ ق.م في مائة واثنا وأربعون كتاباً تحت اسم (ab Urbe Condita). وصلنا منها خمس وثلاثون كتاباً فقط هي من (١-١٠) التي تتحدث عن تاريخ روما من البداية حتى سنة ٢٩٣ ق.م، ثم الكتب من (٢١-٤٥) التي تروي تاريخ روما بين عامي (٢١٨-١٦٧ق.م)، أما الكتب الأخرى فلم تصل إلينا منها سوى مخطوطة تتضمن جزءاً من الكتاب رقم ٩١، وكذلك فقرات وردت ضمن

مؤلفات كتّاب آخرين أو على شكل مختصرات (Periochae) وضعت بعد عصره، وتعتبر على جانب كبير من الأهمية لأنها تحتوي على ملخص لجميع كتبه ما عدا الكتابين ذوات الأرقام (١٣٦–١٣٧)، وكذلك وصلنا موجز يُعرف الآن بموجز البهنسا نسبة إلى مكان اكتشافه، ويتضمن تلخيصاً للكتب من رقم (٣٧–٤٠) ومن رقم (٤٨–٥٥)، ويعتبر تاريخ ليڤيوس المصدر الأساسي الذي نقل عنه مؤرخون آخرون مثل ڤيكتور.[١]

ب– بوليبيوس (Polybius): هو مؤرخ يوناني عاش بين عامي (٢٠٠–١٢٠ق.م) وأرّخ لروما، ويعتبر تاريخه المكتوب باليونانية أوثق مصدر عن تاريخ الجمهورية الرومانية منذ بداية الحرب البونية الثانية حتى منتصف القرن الثاني. بعد معركة بيدنا (Pydna) بين الرومان والمقدونيين بحوالي عامين (١٦٦ق.م) نُقل بوليبيوس كرهينة مع ألف من أبناء وطنه إلى روما، حيث قضى عدة سنوات في روما درس خلالها أخلاق الرومان ونظمهم وتعرف على أقطابهم وبخاصة على سيكيبيو اميليانوس الذي رافقه في حملاته على أفريقيا بين عامي (١٤٧–١٤٦ق.م) وكذلك إلى اسبانيا سنة ١٥١ق.م، وزار معه مناطق أخرى منها موريتانيا، وربما شهد حصار نومانثيا سنة ١٣٤/١٣٣ق.م، ومات متأثراً بجراحه بعد سقوطه عن صهوة جواده سنة ١٢٠ق.م. إلى جانب كتابه في الحركات العسكرية وآخر عن الحرب في نومانثيا، كتب بوليبيوس تاريخاً عاماً في أربعين كتاباً معالجاً فيه الفترة الممتدة بين عامي (٢٢٠–١٤٤ق.م)، والكتب الخمسة الأولى وصلتنا كاملة، في حين أن الكتب الباقية (٦–٤٠) وصلتنا على شكل شذرات وبعضها الآخر ورد منها مقتطفات ضمن مؤلفات ليڤيوس وديودور الصقلي وأبيانوس وبلوتارخوس.[٢]

---

[١] – لمزيد من المعلومات راجع:

– أحمد علي، عبد اللطيف: مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠، ص١٥.

–Mellor, Ronald: The Roman Historians, Routledge, 1999, pp.49-63.

–www.en.wikipedia.org/wiki/livy

' –Livy".Microsoft®student 2009 [DVD]. Redmond, WA: Microsoft Corporation, 2008.

[٢] ـ لمزيد من المعلومات راجع:

ـ أحمد علي، عبد اللطيف: مصادر التاريخ الروماني، المرجع السابق، ص٥٥.

جـ- فيجيتيوس (Vegetius): وهو مؤرخ من أواخر الفترة الإمبراطورية، ولا يعرف شيء عن حياته سوى ما يخبرنا به في كتابيه الباقيين، والذي يحمل الأول اسم "الموجز" (Epitoma rei militaris)، وأحياناً يشار إليه بـ (De Re Militari)، وكان عمله الأقل شهرة يدعى "الدليل إلى الطب البيطري" (Digesta Artis Mulomedicinae). هناك أجماع بأنه كتب مؤلفاته في القسم الغربي من الإمبراطورية بين عامي (٤٣٠-٤٣٥م)، وفي كتابه "الموجز" يركز بصورة رئيسة على المنظمة العسكرية وكيفية التصرف إزاء حالات معينة في الحرب، ويبين كيف يجب تنظيم وتحصين المعسكر، وكذلك كيفية تدريب القوات وطريقة التعامل مع القوات المفتقرة إلى الانضباط، ويشير إلى طريقة إدارة المعركة والمسير وتنظيم التشكيلات والعديد من الوسائل والطرق الأخرى الهادفة إلى تعزيز التنظيم وشجاعة الفرقة، ويعتبر هذا العمل بمثابة الكتيب القديم الوحيد حول الأعراف والتقاليد العسكرية الذي بقي بحالة سليمة، إلا أن البعض يشككون بهذا بحجة أنه لم يكن مؤرخاً ولا جندياً وأن عمله عبارة عن تجميع غير دقيق، لكن يقول فيجيتيوس بأنه أعتمد في كتاباته على المصادر القديمة مثل فرونتينوس (Frontiuns) وكاتو الكبير (Cato the Elder). ومع ذلك يظل فيجيتيوس مصدراً مهماً بخصوص الجيش الروماني في بداية الفترة الإمبراطورية.[١]

د- يوسيفوس فلافيوس (Josephus Flavius): وهو مؤرخ يهودي عاش بين عامي ٣٧-١٠١م، واسمه الأصلي يوسف بن متياس (Joseph Ben Matthias)، ساند ثورة اليهود ضد الرومان سنة ٦٧م، وكان قائداً من قوات الثورة اليهودية، حيث دافع عن مدينة جوتاباتا (Jotapata) ضد فسبسيان، إلا أن الأخير انتصر عليه ودخل المدينة وانتهى الأمر بيوسيفوس أسيراً بيده، لكنه حرره بعد ذلك. وصاحب يوسيفوس الجيش الروماني في حصاره للقدس عام ٧٠م، ثم عاد مع تيتوس إلى روما بعد انتصاره على اليهود وعاش في نعيم الإمبراطورية الرومانية التي منحته حقوق المواطنة الرومانية. كتب باللغة اليونانية القديمة أربعة مؤلفات

" -Polybius". Microsoft® student 2009 [DVD]. Redmond, WA: Microsoft Corporation, 2008.

[١] - . لمزيد من المعلومات راجع: - www.en.wikipedia.org/wiki/ Vegetius

شهيرة هي: "الحرب اليهودية" (The Jewish War) و"آثار اليهود"(Jewish Antiquities) و"سيرة ذاتية" (The Life of Josephus Flavius) و"ضد أبيون" (Against Apion).[1]

هـ- تاكيتوس (Tacitus): هو مؤرخ لاتيني اسمه (Publius Cornelius Tacitus) ولد عام ٥٥/٥٦م، وعاش حتى عام ١٢٠م في بلاد الغال، وتواجد في روما أواخر عام ٧٥م، وتزوج من ابنة القنصل يوليوس أغريكولا (Julius Agricola) الذي أصبح حاكم بريطانيا في نفس العام، وفي أوائل عام ٩٨م نشر أول كتاباته التي يحكي فيها عن حياة أغريكولا تحت عنوان "De Vita Iulu Agricola"، وصدر له في نفس العام كتاب تحت اسم جرمانيا "Germania" الذي يتناول فيه الجرمان وحياتهم، ومن كتاباته أيضاً كتاب "التاريخ" (Histories) الذي يحكي عن تاريخ الإمبراطورية منذ عهد غالبا وحتى عهد دومتيان (٦٨-٩٦م)، وأيضاً كتابه "الحوليات" (Annals) الذي يؤرخ للفترة من موت أغسطس وحتى عهد نيرون.[2]

و- سترابو (Strabo): هو مؤرخ وجغرافي إغريقي عاش في الفترة بين عامي (٦٣؟ق.م-٢٤؟م)، وأبحر مع حملة أليوس جاللوس (Aleius Gallus) - حاكم مصر بين عامي (٢٦-٢٤ ق.م) - إلى اليمن، ولاحقاً أمضى عدة سنوات في روما. لا يعرف المؤرخون سوى القليل عن حياته، لكنه يقول أنه سافر من أرمينيا في الشرق إلى سردينيا في الغرب ومن البحر الأسود في الشمال إلى حدود أثيوبيا في الجنوب، وولد سترابو في أسرة غنية في بونتوس، وانتقل إلى روما سنة ٤٤ق.م وأقام هناك ودرس وكتب حتى عام ٣١ق.م على

---

[1] - للمزيد من المعلومات راجع:

قاسم، عبير عبد المحسن: العمارة الرومانية بين الواقع والخيال، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، ٢٠٠٧م، ص٢١٣.

[2] - . للمزيد من المعلومات راجع:

- قاسم، عبير عبد المحسن: العمارة الرومانية بين الواقع والخيال، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، ٢٠٠٧، ص٢٧.

- العبادي، مصطفى : الإمبراطورية الرومانية " النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية " ، دار النهضة العربية، بيروت، ب.ت، ص ٢٠

-Mellor, Ronald: The Roman Historians, Routledge, 1999, p.78

الأقل، وبعد تنقلاته العديدة في أرجاء الإمبراطورية عاد إلى روما نحو سنة ٢٠ق.م، وأكثر ما أشتهر به سترابو هو مؤلفه "الجغرافية" (Geographica)، والذي لم يبقى منه سوى القليل جداً.

ز- **ديو كاسيوس (Dio Cassius)**: هو مؤرخ روماني وسياسي ولد في نيكايا (Nicaea) في بيثينيا، واسمه الكامل (Dio Cassius Cocceianus). عاش في الفترة بين عامي (١٥٠-٢٣٥م)، وشغل منصباً حكومياً في روما في عهدي الأباطرة كومودوس وبيرتيناكس وسبتيموس سيفيروس والكسندر سيفيروس، وعين في عامي ٢٢٠و٢٢٩م في منصب القنصل. أيضاً سنة ٢٠٥م عين حاكماً لأفريقيا وبانونيا، وأجلّه الكسندر سيفيروس أجلالاً كبيراً، وبعد تقدمه في العمر عاد إلى مسقط رأسه حيث مات، أكثر ما أشتهر به هو كتابته لتاريخ روما في ثمانين كتاباً باللغة الإغريقية تحت عنوان (Historia Romana)، لكن فقط ثمانية عشر كتاباً منها بقي حتى اليوم وشذرات من بعض الكتب الأخرى وخلاصات كتبها كتاب آخرون، وتعتبر هذه الكتب ذات قيمة كبيرة اليوم لأن المؤرخين المعاصرين يعتمدون عليها كمادة مصدرية ونص أصلي، وتأتي أهميتها من معالجتها لتاريخ السنين الأخيرة من الفترة الجمهورية وأوائل الفترة الإمبراطورية.[١]

حـ- **أريان (Arrian)**: هو مؤرخ روماني من عرق إغريقي ولد في نيكوميديا (Nicomedia) عاصمة إقليم بيثينيا (Bithynia) الواقعة اليوم في شمال غرب تركيا، واسمه الكامل لوسيوس فلافيوس أريانوس (Lucius Flavius Arrianus). درس الفلسفة في أبيروس (Epirus) في اليونان وفي نفس الوقت دخل في خدمة الإمبراطورية كمستشار صغير لحاكم آكيا (Achaea) جنوب اليونان حالياً، وأصبح صديقاً مقرباً للإمبراطور هدريان، وخدم لاحقاً في بلاد الغال وعلى حدود الدانوب، وربما كان في بايتكا وبارثيا قبل أن

---

[١] - للمزيد من المعلومات راجع:

- العبادي، مصطفى : الإمبراطورية الرومانية " النظام الإمبراطوري ومصر الرومانية " ، المرجع السابق ، ص ٢٥ .

- www.en.wikipedia.org/wiki/Cassius_Dio

-"Dio Cassius". Microsoft® student 2009 [DVD]. Redmond, WA: Microsoft Corporation, 2008

يشغل منصب القنصل سنة ١٢٩ أو ١٣٠م، وسنة ١٣١م تم تعينه حاكماً لإقليم كبادوكيا وقائداً للفرق الرومانية على الحدود مع أرمينيا. سنة ١٣٥م تعرضت كبادوكيا لخطر اجتياح القبائل البدوية التي يطلق عليها اسم "الآلاني" (Alani)، والتي واجهها وصدها أريان بقوته. لاحقاً كتب كتيباً عسكرياً – كتب أريان جميع مؤلفاته باللغة الإغريقية – يدعى (Ektaxis Kata Alanōn) فصّل فيه المعركة ضد الآلانيين، وأيضاً كتب مؤلفاً أخراً وصف فيه كيف ينظم الفرق والوحدات المساعدة التي تحت تصرفه بعنوان (Technē Taktikē)، وكتب أيضاً خطاباً موجهاً إلى الإمبراطور هدريان – بعد جولة تفقدية إلى ساحل البحر الأسود – تحت عنوان "إبحار حول البحر الأسود" (Periplus Ponti Euxini)، وكتب أيضاً مؤلفاً أخراً تحت اسم "حملة الأسكندر" (Anabasis of Alexander)، ولا يجب الخلط بينه وبين القائد العسكري والمؤلف الأثيني أكزينوفون (Xenophon) الذي عاش في القرن الرابع قبل الميلاد، والذي كان أفضل أعماله وأشهرها يحمل العنوان (Anabasis) أيضاً. على العموم يعتبر أريان أحد أفضل المصادر وأول من بدأ بالتركيز على التاريخ من منظور عسكري.[١]

ط- هيجينيوس (Hyginus): هو مؤرخ لاتيني عاش بين عامي (٦٤ق.م -١٧م)، وليس واضحاً أن كان من سكان اسبانيا أو الإسكندرية المحليين، وكان عبداً أعتقه أغسطس وعينه مشرفاً على مكتبة القصر (Palatine) . كان هيجينيوس كاتباً وافر الإنتاج وشملت أعماله أطروحات ودراسات في الطبوغرافية والسير الذاتية والتعليقات على المؤرخين والشعراء ومنهم الشاعر فرجيل (Virgil)، لكن للأسف فقدت معظم مؤلفاته ولا يوجد الآن سوى مؤلفين باسم هيجينيوس هما مجموعة من القصص (Fabulae) وعلم الفلك الشعري (Poetical Astrolomy).[٢]

ي- هيروديان (Herodian): هو مؤرخ روماني عاش بين عامي (١٧٠-٢٤٠م) ويُعرف بـ هيروديانوس السوري (Herodian of Syrian)، وكان موظفاً حكومياً صغيراً في الإمبراطورية، ووضع تاريخاً زاهياً باللغة الإغريقية حول الإمبراطورية بعنوان "تاريخ الإمبراطورية منذ موت ماركوس"، وتألف من ثمانية كتب تغطي الفترة بين عامي (١٨٠-

---

[١]- للمزيد من المعلومات راجع: www.en.wikipedia.org/wiki/Arrian

[٢]- للمزيد من المعلومات راجع: www.en.wikipedia.org/wiki/Hyginus

٢٣٨م)، ولا يعتبر عمله موثوقاً كلياً بالرغم من أن تقريره الموضوعي نسبياً عن إيلاغابالوس (Elagabalus) يعتبر أكثر نفعاً من تقرير كاسيوس ديو. كان إغريقياً ربما من أنطاكيا، ويبدو انه عاش لفترة طويلة من الزمن في روما، ومن خلال ما تبقى من عمله نستنتج أنه كان ما يزال حياً خلال عهد غورديان الثالث (Gordianus III) الذي أعتلى العرش سنة ٢٣٨م، وبعد ذلك لا يعرف شيء عن حياته. كتب هيروديان أن الأحداث التي وصفها وقعت خلال فترة حياته، وبالرغم من الأخطاء النادرة في التسلسل التاريخي والجغرافية، إلا أن عمله صادقاً بشكل عام وغير متحيز وموضوعي.[١]

ك- أوناساندروس (Onesandros): هو فيلسوف ومؤرخ إغريقي عاش في القرن الأول الميلادي وكتب تعليقاً على كتاب "الجمهورية" (Republic) لأفلاطون إلا أنه مفقود، ولا نملك الآن إلا كتاباً له بعنوان (Strategikos) وهو عمل قصير لكن شامل عن واجبات القائد العسكري أهداه إلى حاكم بريطانيا (Quintus Veranius Nepos) سنة ٤٩م، ويحتوي هذا العمل أحد أهم المقالات في المسائل العسكرية القديمة ويقدم معلومات لا تقدمها الأعمال القديمة الأخرى عن التكتيكات العسكرية وخصوصاً فيما يتعلق باستخدام المشاة الخفيفي التسلح في المعركة.[٢]

ل- فرونتينوس (Frontinus): كان أحد أبرز الرومان الأرستقراطيين، وعاش في الفترة بين عامي (٤٠-١٠٣م)، وعُيّن كقاض سنة ٧٠م وأرسل بعدها كحاكم إلى بريطانيا، وسنة ٩٥م عُيّن وكيلاً على مياه القنوات في روما من قبل الإمبراطور نيرفا، وأشهر مؤلفاته مجموعة مقالات فنية تعالج قنوات المياه في روما بعنوان "عن القنوات" (De aquaeductu)، وكتب أيضاً مقالة نظرية في العلوم العسكرية، لكنها الآن مفقودة، وعمله الباقي حتى الآن والمتعلق بالمسائل العسكرية هو"الحيل"(Strategemata) وهو مجموعة من الخدع والحيل استمدها من تاريخ الإغريق والرومان ليستخدمها القادة العسكريين.[٣]

---

[١] - . للمزيد من المعلومات راجع: www.en.wikipedia.org/wiki/Herodian

[٢] - . للمزيد من المعلومات راجع: www.en.wikipedia.org/wiki/Onesandros

[٣] - للمزيد من المعلومات راجع: www.en.wikipedia.org/wiki/Frontinus

وبالإضافة إلى ذلك اعتمد البحث على مجموعة من المراجع الأجنبية الحديثة المعتمدة في كتابتها على المصادر التاريخية الصحيحة، وكتبها عدد من المؤرخين المعاصرين ممن يشهد لهم بالمصداقية والأمانة العلمية، ونذكر منهم المؤرخين بيشوب وكولستون(Bishop M.C & Coulston) الذين ألفا كتاباً مشتركاً بعنوان " Roman Military Equipment from the Punic Wars to the Fall of Rome" والذي تحدثا فيه عن تجهيزات الجيش الروماني والتطورات التي طرأت عليها خلال الحروب البونية وطوال الفترة الإمبراطورية، ولذلك شكل هذا المرجع مورداً هاماً اعتمد عليه البحث بشكل كبير. ونذكر أيضاً المؤرخ برايان كامبل (Brian Campbell) الذي كتب ثلاث مؤلفات عن الإمبراطورية الرومانية هي: " The Emperor and the Roman Army 31 BC-AD 235" و " The Roman Army 31 BC-AD 337" و " War and Society in Imperial Rome31 BC–AD284 " تحدث فيها عن تاريخ الإمبراطورية السياسي والعسكري والإجتماعي. ونذكر أيضاً دونكان كامبل (Duncan Campbell) الذي ألف ثلاثة كتب هي: " Greek and Roman Artillery 399 BC-AD 363" و " Greek and Roman Siege Machinery 399 BC-AD 363 " و " Siege Warfare in the Roman World 146 BC-AD 378 " وقد أفرد هذه الكتب للحديث عن آلات الحصار من حيث تاريخ نشأتها وتطورها التاريخي وهذا ما جعلها مادةً علمية بالغة الأهمية بالنسبة لهذا البحث. ونذكر أيضاً تشيزمان (Cheesman, G .L) الذي يعد من أشهر الباحثين في التاريخين الكلاسيكي والروماني، ونذكر من كتبه التي اعتمد عليها البحث " The Auxilia of The Roman Imperial Army ". ونذكر أيضاً المؤرخ نيك فيلدز (Nic Fields) الذي ألف كثيراً من الكتب عن الإمبراطورية الرومانية نذكر من أهمها "Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193" و " The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117"، ونذكر أيضاً المؤرخ روس كاوان (Ross Cowan) الذي تحدث عن تكتيكات الجيش الروماني بعنوان "Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313 " وتحدث في كتاب آخر عن فرق الجيش الروماني بعنوان "Roman Legionary 58 BC-AD 69 " وكذلك نذكر المؤرخة سارة أليس فانج (Sara Elise Phang) التي كان لها باع طويل في دراسة الإمبراطورية

الرومانية، ومن أهم مؤلفاتها التي اعتمد عليها البحث كتابها "Roman Military Service " عن الخدمة في الجيش الروماني، وكتابها الآخر " The Marriage of Roman Soldiers 13 BC-AD 235" الذي تحدثت فيه عن زواج الجنود الرومان.

وفي هذا السياق لابد لنا من ذكر مؤلفات المستشار التاريخي أدريان غولدزورثي الذي يعتبر من أهم من كتب عن الإمبراطورية الرومانية في التاريخ الحديث، فكانت مؤلفاته شاملة وتناولت المواضيع من جميع جوانبها، وبذلك أغنت البحث وأمدته بمادة علمية غنية وأعطته رونقاً خاصاً، ونذكر من هذه المؤلفات "The Complete Roman Army " و " The Roman Army at War " و "Roman Warfare ". ولابد أيضاً من ذكر المؤرخ بول هولدر (Paul Holder) الذي ألف عدداً من الكتب نذكر منها " The Auxilia from Augustus to Trajan" حيث تحدث فيه عن الوحدات المساعدة في العصر الإمبراطوري بشكل فريد. وهناك أيضاً المؤرخ لورنس كيبي (Lawrence Keppie) مؤلف كتاب " The Making of the Roman Army" يتحدث فيه عن تركيبة الجيش الروماني. ونذكر أيضاً المؤرخ يان لي بوهيك (Yann Le Bohec) الذي يعتبر كتابه " The Imperial Roman Army " من أهم الكتب التي تحدثت عن الجيش الروماني في الفترة قيد الدراسة. وأيضاً لابد من ذكر المؤرخ والباحث العسكري إدوارد لوتواك مؤلف الكتاب الشهير " The Grand Strategy of the Roman Empire" ويتحدث فيه عن سياسة روما العسكرية واستراتيجتها. وهناك أيضاً المؤرخ جوناثن روث (Jonathan Roth) مؤلف كتاب " The Logistics of the Roman Army at War 264 B.C. - A.D. 235 " الذي يتحدث فيه عن إمدادات الجيش الروماني في الحرب، وتأتي أهمية هذا الكتاب من كونه يدرس جانباً هاماً ودقيق فيما يتعلق بالجيش الروماني. وأيضاً نذكر مايكل سيمكنز (Michael Simkins) الذي ألف كتابين تحدث فيهما عن تجهيزات الجيش الروماني منذ في الفترة الممتدة بين حكم قيصر وحكم قسطنطين. وبالإضافة إلى ما تقدم نذكر المؤرخ غراهام ويبستر مؤلف الكتاب المهم بعنوان "The Roman Imperial Army " تحدث فيه عن التاريخين السياسي والعسكري للإمبراطورية الرومانية.

تمهيـد

أولاً: مراحل توسع روما

١- المرحلة الأولى: السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية (٥٠٩- ٢٦٤ ق.م)

٢- المرحلة الثانية: التوسع خارج أراضي شبه الجزيرة الإيطالية (٢٦٤-٣١ ق.م)

أ- الطور الأول

ب- الطور الثاني

ج- الطور الثالث

ثانياً: دوافع روما التوسعية

١- دافع الوجود

٢- دافع الطمع وحب السيطرة

٣- حب الثروة والمناصب

ثالثاً: مراحل تشكيل الجيش الروماني

١- مرحلة العصر الملكي (٧٥٣-٥٠٩ ق.م)

٢- مرحلة العصر الجمهوري (٥٠٩-٣١ ق.م)

٣- مرحلة العصر الإمبراطوري (٣١ ق٠م-٢٨٤م)



التمثال الشهير للإمبراطور أغسطس الذي عثر عليه في Prima Porta
ويصوره التمثال بهيئة قائد عسكري. ويظهر في النقش على درعه رجل
بارثي يعيد أحد الرايات الرومانية التي وقعت بيد البارثيين خلال حملة
القائد الروماني كراسوس على بارثيا.

تمهيد

يتناول التمهيد الإطار الجغرافي لروما ودوره في نشأتها، ومن ثم المراحل التي مرت بها الدولة الرومانية حتى وصلت إلى مرحلة الإمبراطورية.

تأثرت مدينة روما كغيرها من المدن الأخرى من حيث نشأتها بطبيعة أرضها وأهمية موقعها، بين بحر الأدرياتيك في الشرق والتيراني في الغرب، وامتدادها من جبال الألب شمالاً إلى مضيق مسينا جنوباً، حيث تبلغ مساحة شبه الجزيرة الإيطالية ٣٠٠ ألف كم٢، ويبلغ طولها بين مضيق سان غوتار في جبال الألب شمالاً ومضيق مسينا جنوباً حوالي ١٠٠٠ كم، ويبلغ عرضها الوسطي بين عامي ١٤٠ـــ١٦٠ كم، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار انبساطها في قلب البحر المتوسط وشطره إلى قسمين غربي وشرقي نرى الأهمية الإستراتيجية والمميزة للموقع الذي احتلته شبه الجزيرة الإيطالية، والذي جعل منها صلة الوصل بين غرب المتوسط وشرقه من جهة وشمال أوروبا عن طريق ممرات جبال الألب وشمال قارة أفريقيا من جهة أخرى.

ولتوضيح الطبيعة الجغرافية لهذه المساحة من الأرض لابد لنا من الحديث عن بعض الصفات الجغرافية التي تميزت بها شبه الجزيرة الإيطالية وهي:

- تشكّل جبال الأبنين العمود الفقري لشبه الجزيرة الإيطالية، فبعد أن تنفصل عن جبال البروفانس في الشمال تتجه جنوباً في وسط شبه الجزيرة حتى أقصى جنوب إيطاليا مؤلفة سلاسل جبلية متوازية صغيرة تعزل السهول التي تحدثها هنا وهناك عن بعضها بأودية ضيقة.

- تعتبر سواحل إيطاليا شبه مستقيمة، ولذلك نجد أن سواحل أترووريا واللاتيوم وكمبانيا تُسهّل قدوم الملاحين والتجار من مناطق حوض البحر المتوسط مثل القرطاجيين والإغريق وتساعد على إقامتهم فيها.

- تعتبر الأراضي الإيطالية من الأراضي الخصبة الصالحة للزراعة، فالكتّاب اللاتينيون تغنوا بخصب أرض بلادهم منذ القدم، و نستطيع القول بأن أغلب سهول شبه جزيرة إيطاليا تخترقها الأنهار ومن هذه السهول في شمال شبه الجزيرة سهل البو الذي يرويه النهر المسمى باسمه، وفي جهة الشرق لا يوجد إلا سهل واحد مهم، وهو سهل أبوليا الذي يجتازه نهر الأوفيد. أما

السهول الغربية فهي من أهم أراضي شبه الجزيرة الإيطالية، وفيها وقعت الأحداث الأولى في التاريخ الروماني، حيث تمتاز بمناخها المعتدل شتاءً والحار صيفاً، وتهطل عليها الأمطار بغزارة في الربيع والخريف، وهذه السهول من الشمال إلى الجنوب هي :

- سهل أتروريا الذي يجتازه نهر الآرنو.

- سهل اللاتيوم الذي يخترقه نهر التيبر وأخيراً سهل كمبانيا، وتزرع في هذه السهول الحبوب كالقمح والشعير وأيضاً الكروم والزيتون وغيرها.

تأسست مدينة روما سنة ٧٥٣ ق.م في سهل اللاتيوم على ضفاف نهر التيبر وأسسها كما تزعم الأسطورة والروايات الملك الأسطوري رومولوس، وإن وقوع اللاتيوم وسط شبه جزيرة إيطاليا وتعرضه لتأثيرات البحر التيراني الحضارية واتصاله مع مناطق البحر الأدياريتيكي بمسالك سهلة كطريقي سالاريا (Via Salaria) وفاليريا (Via Valeria) ومركزه كبحر طبيعي يربط شمال إيطاليا بجنوبها، كل ذلك سيقوده للقيام بدور حاسم في تقرير مصير شبه الجزيرة الإيطالية.

أما مدينة روما فقد نشأت في وسط هذا السهل في منطقة سهلة الاتصال مع مختلف المناطق المجاورة والبعيدة من شبه الجزيرة الإيطالية، لاسيما مع أكبر إقليمين ازدهرت في ربوعهما حضارات رفيعة منذ القرن السابع قبل الميلاد وهما أتروريا واليونان. أيضاً ساعد وقوع روما على نهر التيبر الذي كان صالحاً للملاحة في قسمه الأسفل على ربطها بميناء أوستيا (Ostia) على الساحل الغربي لشبه الجزيرة الإيطالية، مما سهل اتصالها بكل من جزر كورسيكة وساردينية وصقلية وكذلك بمختلف بلدان البحر المتوسط الغربي. هذا هو الوسط الجغرافي الذي نشأت فيه روما وبرزت كأسطورة تاريخية ملأت أخبارها العالم على مر العصور والقرون.

إذا ما أخذنا العوامل السابقة الذكر بعين الاعتبار نجد أنها مجتمعةً هي التي أعطت روما موقعها المميز وجعلت الأتروسكيين ينظرون إليها وإلى موقعها كنقطة انطلاق للسيطرة على اللاتيوم ومن ثم على شبه الجزيرة الإيطالية، لكن الرومان هم من سيتابع هذه المسيرة بعد القضاء على الحكم الأتروسكي جاعلين من روما سيدة اللاتيوم وعاصمته قبل أن يخضعوا

أقوام إيطاليا الوسطى مثل اللاتين والسمّنيين، وينتقلون تدريجياً للسيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية، ومن ثم للتوسع خارج حدودها وتشكيل الإمبراطورية الرومانية.

أولاً: مراحل توسع روما

يمكننا تقسيم المرحلة التي مرت بها روما منذ القضاء على حكم الأتروسكيين سنة ٥٠٩ ق.م وحتى تأسيس الإمبراطورية الرومانية سنة ٣١ ق.م إلى مرحلتين:

١ – المرحلة الأولى: السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية (٥٠٩– ٢٦٤ ق.م)

بدأت هذه الفترة بعد طرد الملوك الأتروسكيين نحو سنة ٥٠٩ ق.م عندما كانت روما مدينة صغيرة، ولم تكن الجمهورية الرومانية في بدء نشأتها إلا عبارة عن مدينة روما والحقول المجاورة لها، وبالمقابل كانت تحيط بها مجموعة من القبائل والشعوب القوية كان أولها الأتروسك الذين أثارهم خلع ملكهم تاركوينيوس (Tarquinius) المتكبر وطرده من روما سنة ٥٠٩ ق.م، فثارت ثائرتهم ضد روما لكنهم لم يستطيعوا إعادته إلى الحكم، فحاولوا الانتقام منها بغزوها[1]. وقّعت روما في نهاية القرن السادس قبل الميلاد اتفاقية ثنائية مع المدن اللاتينية برئاسة مدينة أريسيا (Aricia)، فقد استطاع هذا الحلف الثنائي (روما،العصبة اللاتينية[*]) هزيمة الأتروسكيين سنة ٥٠٥ ق.م وأرغامهم على الانسحاب من اللاتيوم، لكن التهديد الأتروسكي سنة ٤٩٣ ق.م أجبر روما على عقد معاهدة عسكرية، دفاعية هجومية، مع العصبة اللاتينية فوقع الطرفان الروماني واللاتيني هذه المعاهدة سنة ٤٩٣ ق.م وأطلق عليها اسم معاهدة كاسيوس[**] نسبة إلى القنصل الروماني سبوريوس

---

[1] - رزق الله أيوب، إبراهيم : التاريخ الروماني، العالمية للكتاب، بيروت، ١٩٩٦، ص٣٥٠.

[*] - ضم الحلف اللاتيني المدن التالية: (تيبور ، برنسيت ، تسكولوم ، أرده ، أريسيا ، لافنيوم ، لانوفيوم ، كورا ، نوربا ، سيتيا ، سينيا)

[**] - بمقتضى نصوص هذه المعاهدة كوّن الفريقان حلفاً عسكرياً هجومياً دفاعياً يُسهم الطرفان في تكوين قواته، وكذلك في اقتسام الغنائم بالتساوي، أما قيادة القوات المتحالفة فكان يتولاها الفريقان بالتناوب سنة إثر سنة، وعلاوة على ذلك اتفق الفريقان على تبادل حقوق المواطنة الخاصة، فقد كان يحق لأي مواطن روماني أن يمتلك عقاراً وأن يعقد صفقات تجارية في أية مدينة لاتينية من مدن أعضاء الحلف وهو مطمئن إلى أن قانون هذه المدينة سيحمي ملكيته وصفقاته التجارية، كما يحق لأي مواطن ⇦

كاسيوس (Spurius Cassius). بعد بضع سنين أي نحو سنة ٤٨٦ ق.م اتسع نطاق الحلف الثنائي المكون من روما والعصبة اللاتينية ليصبح ثلاثياً بعدما انضمت إليه قبائل الهرنيك (Hernici)، والتي كان موطنها وسط الحدود الشرقية لإقليم اللاتيوم وتؤلف عصبة بزعامة مدينة أناجنيا (Anagnia). لقد آزر الحلف الثلاثي مدينة روما وساعدها في الدفاع عن استقلالها، حيث حاصرت روما مع حلفائها مدينة فياي التي تقع على بعد ٢٠ كم شمالي روما، واستطاع هذا الحلف إجلاء الأتروسكيين عنها عام ٣٩٦ ق.م[١].

بدأ الغال بالتدفق إلى شمال إيطاليا في بداية عام ٤٠٠ ق.م، واستمروا في التدفق جنوباً حتى وصلوا إلى منطقة نهر التيبر[٢]، وأصبح هؤلاء يشكلون خطراً على إقليم إيطاليا وعلى روما بشكل خاص. قررت روما مواجهة هذا الخطر، و وقع الصدام الأول بين الطرفين سنة ٣٨٠ ق.م حيث التقى الرومان وحلفاؤهم اللاتين مع الغال على ضفاف نهر آليا أحد روافد نهر التيبر، وحدثت معركة كبيرة بين الطرفين انهزم فيها الرومان وحلفاؤهم، ودخل الغال روما وعاثوا فيها نهباً وخراباً[٣]، وعندما لم يستطع الغزاة الاستيلاء على الحصن القائم على تل الكابيتول قبلوا أخذ فدية من الذهب مقابل انسحابهم من روما نحو الشمال إلى وادي البو، ولكنهم ظلوا يشكلون خطراً كبيراً على الرومان[٤]. وبعد انسحاب الغال من روما استطاع الرومان إعادة تسوير مدينة روما وأعادوا تنظيم الجيش فاستطاعوا بعد ذلك صد غارات الغال المتكررة وأجبروهم على التراجع إلى ما وراء وادي البو، وبعد

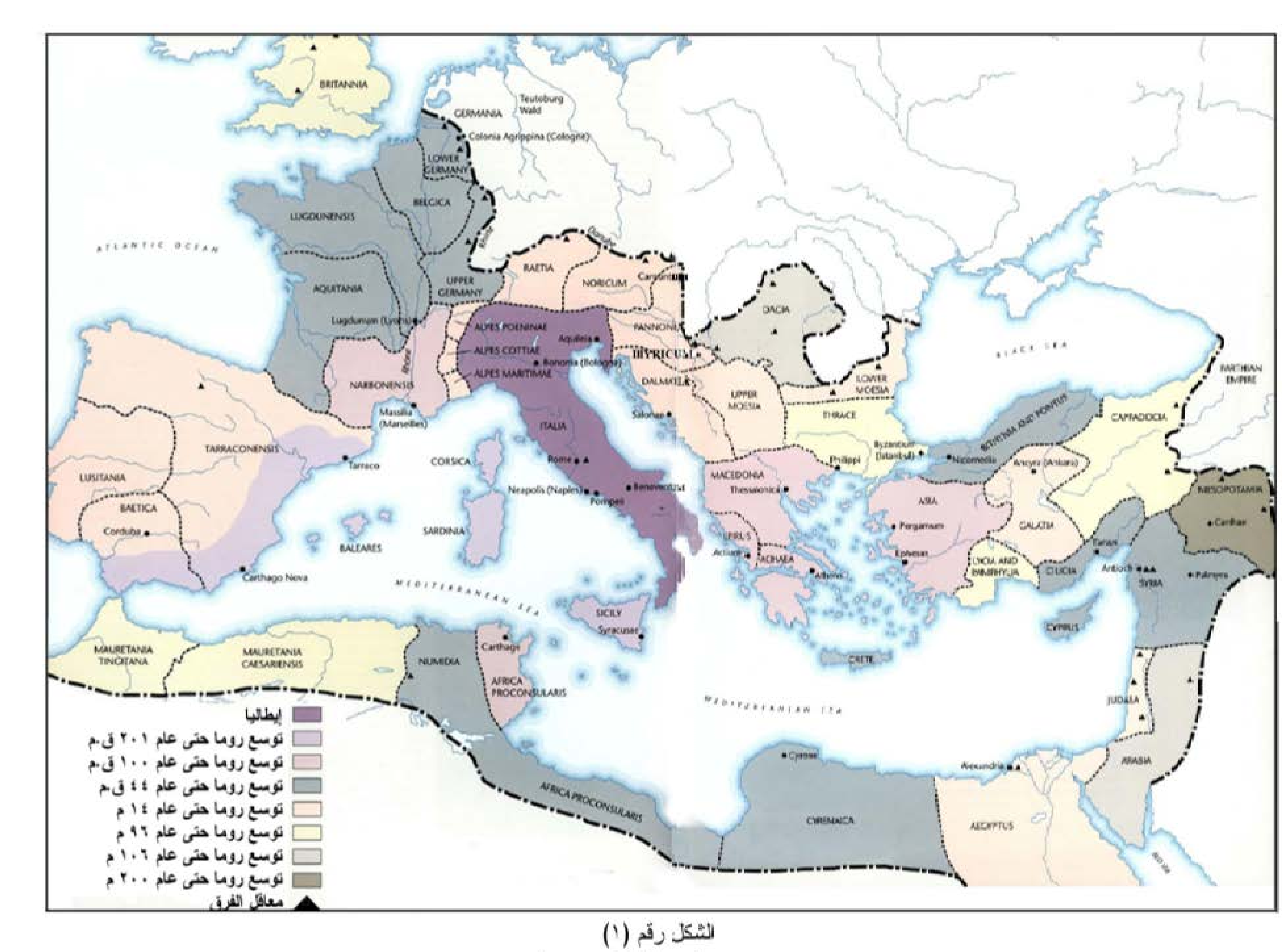
روماني أن يتزوج بأية سيدة من إحدى مدن الحلف، وكان هذا الزواج يعتبر زواجاً شرعياً صحيحاً في روما، وبالمثل كان مواطنو المدن اللاتينية يتمتعون بحقي الاتجار والتزاوج في روما وفي باقي مدن الحلف.

[١] - نصحي، إبراهيم: تاريخ الرومان، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٣، ص١١٢،١١٣.

[٢] - هنري براستد، جايمس: العصور القديمة، ترجمة داوود قربان، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٣، ص٥٠٥ .

[٣] - السيد محمد عبد الغني، محمد: التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية، ج١، المكتب الجامع الحديث، الأسكندرية، ٢٠٠٥، ص٢٦٧ .

[٤] - هنري براستد، جايمس: المرجع السابق، ص ٥٠٥ .



الشكل رقم (١)

مصور يبين مراحل توسع روما

المصدر: Goldswothy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson, 2003, p. 14, 15.

انتهاء الغزو الغالي وقع خلاف بين روما والمدن اللاتينية أو ما يعرف بالحلف اللاتيني لأن بعض هذه المدن تحللت من الالتزام بمعاهدة كاسيوس الشهيرة، والتي كانت قد أُبرمت بين الطرفين منذ سنة ٤٩٣ ق.م، لكن روما استطاعت إعادة هذه المدن إلى الاتفاقية بحد السيف وأجبرتها على تجديدها سنة ٣٥١ ق.م[١].

أثار عقد الرومان تحالفاً مع السمنيين (Samnites)* سنة ٣٥٤ ق.م هواجس اللاتين الذين قلقوا من أن يصبحوا بين المطرقة والسندان، وفي سنة ٣٤٨ ق.م عقدت روما اتفاقية مع قرطاجة على الساحل الأفريقي تنص على عدم الاعتداء المتبادل بين الطرفين على مناطق نفوذ كل طرف، وتعهدت قرطاجة في هذه الاتفاقية بعدم الاعتداء على سواحل اللاتيوم، وهذا يعني ضمناً أن روما تعتبر اللاتيوم من مناطق نفوذها، كما أنها تحدثت باسم اللاتين من دون تفويض منهم، وكأنها وصية عليهم بصورة رسمية. أثارت هذه الإجراءات والإرهاصات حفيظة اللاتين وغضبهم ضد روما، وجعلتهم يطالبون روما بالاستقلال أو المساواة مع الرومان، وفي ذلك الوقت تحالف اللاتين مع جيرانهم الجنوبيين ومنهم الكامبانيين (Campanians)، وأدى رفض روما لمطلب اللاتين إلى وقوع حرب بين الطرفين سنة ٣٤٠ ق.م[٢]، حيث أطلق على هذه الحرب اسم حرب اللاتين الكبرى ودامت ثلاث سنوات (٣٤٠ــ٣٣٨ ق.م) انتهت بانتصار روما. وأجبرت كل مدينة لاتينية على توقيع معاهدة منفردة معها وفق الشروط التي تراها روما مناسبة لها، كذلك استطاعت روما بعد انتصارها

---

[١] - السيد محمد عبد الغني، محمد : المرجع السابق ، ج١، ص ٢٦٧ .

* - سامنيوم (Samnium): منطقة تقع في منتصف القسم الجنوبي من جبال الأبنين قبالة إقليم كمبانيا الواقع إلى الغرب من سامنيوم ، ويتحدث السمنيّون لغة إيطالية قديمة هي الأوسكانية، وهم شعب شرس من سكان الجبال، كانوا ينقسمون إلى أربع دويلات على أساس قبلي هي الكاراكيني (Caraceni) والكاوديني (Caudini) والهيربيني (Hirpini) والبنتري (Pentri). كانت هذه الدويلات مرتبطة مع بعضها في اتحاد كونفدرالي يجمعه مجلس تشريعي مشترك وجمعية شعبية، وكان يدير كل دويلة موظف كبير يلقب بميديكس (Meddix) ويعاونه موظف أدنى رتبة هو (Meddix minor)، وكان يقود دويلات الاتحاد السمني في زمن الحروب والمعارك قائد أعلى، وبعد معاهدة السلام التي أبرمتها روما مع السمنيين عام ٣٥٤ ق.م أصبح نهر ليريس يمثل الخط الحدودي بين سامنيوم ولاتيوم .

[٢] - رزق الله أيوب، إبراهيم : المرجع السابق، ص ٢٦٩.

على اللاتين ضم معظم المدن الكامبانية المتحالفة معهم[١]، وترتب على انتصار روما في هذه الحرب حلّ الحلف اللاتيني، وعليه فقدت المدن اللاتينية حقوق المواطنة الرومانية التي كانت تتمتع بها وفق شروط معاهدة كاسيوس، وأدى ذلك إلى ربط هذه المدن بروما مباشرة[٢].

إثر انتهاء حرب اللاتين الكبرى سنة ٣٣٨ ق.م وربط بعض المدن الكامبانية بروما من خلال منح روما حقوق المواطنة الرومانية لهذه المدن مثل مدينة كابوا وكوماي، استمرت روما في التغلغل داخل كامبانيا حتى امتدت مناطق نفوذها تدريجياً على كامل إقليم كامبانيا، وخلقت منطقة عازلة قبالة الحدود الشمالية الغربية للسمنيين، وقد أدت هذه الإجراءات التي قامت بها روما إلى توتر علاقاتها مع السمنيين رغم المعاهدة الموقعة بين الطرفين منذ سنة ٣٥٤ ق.م، لكن السبب الرئيس الذي أدى إلى اندلاع الحرب بين الطرفين هو الصراع السياسي بين التيارات السياسية في مدينة نيابوليس (نابولي) الكامبانية ذات الأصول الإغريقية والمركز التجاري الإغريقي في وسط إيطاليا، حيث تحالف المواطنون القدماء في نيابوليس – ربما كانوا من سلالة المهاجرين الأوائل الذين استوطنوا المدينة – مع السّمنيين، واستقدموا حامية سمنية إلى المدينة. أثار هذا العمل بقية مواطني المدينة الذين طلبوا تدخل روما، وبناءً على ذلك أرسلت روما قوة حاصرت مدينة نيابوليس وتخلصت من الحامية السمنية، وعند ذلك سلم الإغريق الموالون لروما المدينة لهم وأعقب ذلك استيلائهم على مدينتي روفريوم (Rufrium) وأليفاي (Allifae) على الحدود السّمنية، وبذلك بسط الرومان سيطرتهم على إقليم كمبانيا بأكمله[٣].

أدت التوسعات والتحالفات الرومانية في كمبانيا ورغبة السّمنيين في الوقت نفسه بالتوسع ومدّ نفوذهم في تلك المنطقة إلى الصدام بين الطرفين، فدخل الطرفان في حروب طويلة ومعقدة حدثت خلالها الكثير من الأحداث والتحالفات، والتي يمكن تقسيمها إلى فترتين رئيستين:

---

[١] - نصحي، إبراهيم : المرجع السابق، ج١، ص ١٢٣.

[٢] - رزق الله أيوب، إبراهيم: المرجع السابق، ص٢٧٠.

[٣] - المرجع نفسه، ص ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

أ- **الفترة الأولى:** امتدت بين عامي ٣٢٦-٣٠٤ ق.م وخسرت فيها روما بعض المعارك، لكن في النهاية انتصرت على السمنيين، والتزم الطرفان بالمعاهدة الموقعة بينهما منذ سنة٣٥٤ ق.م، والتي تنص على جعل نهر ليريس الخط الحدودي بين سامينوم ولاتيوم.

ب- **الفترة الثانية:** امتدت بين عامي ٢٩٨-٢٩٠ ق.م واستطاعت روما خلالها القضاء على السمنيين وضم إقليم سامنيوم، وأصبح السّمنيون يلبون طلبات روما واحتياجاتها من القوات ويدينون لها بالطاعة في السياسة الخارجية.

ساعد انتصار روما في حروبها على السّمنيين إلى مدّ نفوذها إلى سواحل إيطاليا الجنوبية، وأدى خوف المستعمرات الإغريقية في جنوب إيطاليا من النفوذ الروماني إلى طلبها المساعدة من وطنها الأم، وكان على رأس هذه المستعمرات تارنتم الأسبرطية الأصل، والتي تقع على خليج تارنتم (Tarentum) الذي سمي باسمها. طلبت تارنتم النجدة من القائد الإغريقي بيروس* ، فتوجه بجيشه إلى إيطاليا واستطاع إلحاق الهزائم المتعددة بروما على أراضيها، ثم بعد ذلك توجه إلى صقلية بدعوة من الإغريق في هذه الجزيرة، ودخل في حروب مع القرطاجيين وانتصر عليهم، لكن تخلي حلفائه عنه جعله يتراجع من صقلية إلى تارنتم في إيطاليا، وبعد ذلك تراجع إلى وطنه في بلاد اليونان[1]، أما الرومان فبعد تراجع بيروس إلى بلاد اليونان وتسليمهم مدينة تارنتم، استطاعوا خلال فترة قصيرة الاستيلاء على

---

* - كان بيروس ملكاً على إيبيروس في بلاد اليونان، ويمت بصلة القرابة إلى القائد الكبير الإسكندر المقدوني من جهة أم الإسكندر (أوليمبياس) التي كانت من إيبيروس، ويروي أن بيروس كانت ملامحه شبيهة بالإسكندر و شارك في المعارك التي نشبت بين خلفاء الإسكندر الكبير بعد وفاته، فطرد وأطيح به عام ٣٠٢ ق.م فانضم إلى القائد ديمتريوس المقدوني في موقعة إيبسوس عام ٣٠١ ق.م ضد بقية الممالك الهلنستية. بعد ذلك ساعده بطليوس الأول ملك مصر في العودة إلى عرشه سنة ٢٩٧ ق.م . كان بيروس قائداً بارعاً وطموحاً، وحقق إنجازات كبيرة في بلاد اليونان حتى عام ٢٨٦ ق.م وأراد أن يشكل إمبراطورية على غرار إمبراطورية الإسكندر لكن نحو الغرب هذه المرة، لذلك لبّى دعوة مدينة تارنتم واعتبرها فرصة لتحقيق أحلامه.

[1] - رزق الله أيوب، إبراهيم: المرجع السابق، ص ص ٢٧٦-٢٨٥.

معظم جنوب إيطالية وإقامة عدد من المستعمرات فيها، ولم يأت سنة ٢٦٥ ق.م حتى كانت شبه جزيرة إيطالية بأكملها تعترف بسيادة الرومان[١].

٢ – المرحلة الثانية : التوسع خارج أراضي شبه الجزيرة الإيطالية (٢٦٤–٣١ ق.م)

خاضت روما خلال هذه المرحلة سلسلة طويلة من الحروب الخارجية الشرسة وكانت الأهم في تاريخها واستطاعت من خلالها تحديد ملامح الإمبراطورية المقبلة. عندما كانت روما مدينة صغيرة لم يكن لديها أي طموح في التوسع خارج حدود شبه الجزيرة الإيطالية، أما الآن وبعد أن حققت وحدة شبه الجزيرة الإيطالية وانفتحت على العالم الخارجي وأصبحت حدودها متصلة مع البحار المحيطة بشبه الجزيرة الإيطالية وعلى تماس مباشر مع القوى والدول ذات النفوذ الواسع، فقد وجدت روما نفسها مضطرةً لمنافسة هذه الدول حفاظاً على وحدتها وحمايةً لنفوذها، فكانت قرطاجة أولى هذه الدول ذات النفوذ الواسع في غرب المتوسط، والدولة التجارية الأقوى في ذلك الوقت. خاضت روما ثلاثة حروب ضد قرطاجة امتدت فترة طويلة من الزمن (٢٦٤ق.م - ١٤٦ق.م)، استطاعت من خلالها تحقيق النصر على قرطاجة وتدميرها في الحرب البونية الثالثة سنة ١٤٦ ق.م. كانت هذه الحروب ذات أهمية خاصة بالنسبة لروما لأنها استطاعت من خلالها تكوين قوتها العسكرية التي ستصبح فيما بعد الأهم في التوسع الروماني وتشكيل الإمبراطورية الرومانية، وتحقيق مكاسب إقليمية ذات أهمية خاصة وكبيرة وهي ضم صقلية وإسبانيا وإقليم قرطاجة[٢].

أعطت هذه المكاسب الرومان قوة دفع كبيرة للتوسع خارج إيطالية فاتجهت بأنظارها إلى الشرق حيث الحضارة المزدهرة، ولاسيما حضارة بلاد اليونان والممالك الهلنستية. وجدت روما أنه ليس من الصواب مواجهة هذه الدول مجتمعة، وإنما من خلال إتباع سياسة فرق تسد

---

[١] - العبادي ، مصطفى : الامبراطورية الرومانية " النظام الامبراطوري ومصر الرومانية " ، المرجع السابق، ص ٣٦ .

[٢] - إيمار أندريه، أوبوايه جانين: تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها)، ترجمة فريد داغر ويوسف داغر، م٢، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٤، ص١٠٥.

(divid et impera)[1]، لذلك بدأت تتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول أولاً، وخاصة في بلاد اليونان. وقد أدى تدخل روما في فترات متقطعة في شؤون هذه الدول أثناء الحروب البونية وما بعدها إلى تعقيد الأمور، وكان الهدف الذي ترمي إليه الجمهورية الرومانية من هذا التدخل هو العمل على الحيلولة من دون قيام أي نظام سياسي قوي في الشرق يُشكّل خطراً عليها، فكلما زادت القلاقل والمتاعب في الشرق كان هذا أفضل لصالحها. إن خلق المشاكل والتدخل في الشؤون الداخلية لكل دولة من دول الشرق يعزز من حظوظ روما في أن تصبح سيدة الموقف والقوة المتحكمة في مصير الشرق بأسره[2]، ومن أجل تحقيق هذا الهدف رسمت روما لنفسها خطاً تسير عليه، وشمل هذا الخط أطوار عدة للتدخل في شؤون الشرق، ومن هذه الأطوار:

أ- الطور الأول:

ظهر التدخل الروماني في الشرق الهلنستي أثناء الحرب المقدونية الأولى (٢١٢ــ٢٠٦ ق.م) بين روما والملك المقدوني فيليب الخامس، إلا أن تدخلها كان محدوداً ولم تمله سياسة عدوانية طويلة الأجل، وإنما أملته تصرفات مقدونيا التي تحالفت مع حنابعل أثناء غزوه لإيطاليا في الحرب البونية الثانية (٢١٨ــ٢٠٢ ق.م)، لكن روما لم تلبث أن عقدت الصلح مع فيليب الخامس سنة ٢٠٥ ق.م، وفي ذلك دليل على أن روما حتى سنة ٢٠٢ ق.م لم تتدخل في أحداث شرق المتوسط بسبب حروبها مع قرطاجة، ولكن نداءات دول البطالمة وبرجام ورودس هي التي لفتت أنظار الرومان إلى الشرق.

بعد وفاة بطليموس الرابع سنة ٢٠٣ ق.م آل عرش البطالمة إلى صبية، حيث تولت مقاليد الأمور عصابة شريرة فاسدة، لذلك استغل ملك سورية أنطيوخس الثالث وملك مقدونيا

---

[1] - الزين، محمد: الحلف المكابي - الروماني "فصل من تاريخ فلسطين في العصر الهلنستي"، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٦٧-٦٨، ١٩٩٩، ص٢٣.

[2] - رستو فتزف: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي - محمد سليم سالم، ج١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦، ص٢٣. ; الزين، محمد: الحلف المكابي - الروماني "فصل من تاريخ فلسطين في العصر الهلنستي"، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٦٧-٦٨، ١٩٩٩، ص٢٣.

فيليب الخامس هذه الأوضاع وعقدا معاً معاهدة سرية في شتاء ٢٠٣/٢٠٢ ق.م اتفقا بموجبها على اقتسام ممتلكات مصر الخارجية، ووفقاً لهذه الاتفاقية استولى أنطيوخس الثالث على جوف سورية ووصل إلى حدود الدولة البطلمية بعدما سيطر على غزة، أما فيليب فقد استولى على بحر إيجة وشواطئ آسيا الصغرى[١].

لقد أثارت هذه الأحداث قلق روما، كما خشيت من السياسة التوسعية التي يتبعها كل من فيليب الخامس وأنطيوخس الثالث، وما قد يقدما عليه بعد الفراغ من توسعهما في شرق المتوسط، ولاسيما بعد انتشار خبر اتفاقهما على اقتسام ممتلكات مصر الخارجية، فرأت روما في هذه الأحداث فرصة مناسبة للتدخل في شؤون الشرق الهلنستي المتصارع[٢]، و خصوصاً بعد خروجها من الحرب البونية الثانية منتصرة، وأيضاً وجدت في أن الوقت قد حان من أجل إيقاع العقاب بالملك المقدوني فيليب الخامس الذي انحاز إلى جانب قرطاجة في الوقت الذي كانت فيه روما تتكبد الهزائم المتوالية على يد حنابعل. على إثر الأحداث السابقة الذكر أرسلت روما بعثة إلى أنطيوخس الثالث لفض النزاع مع دولة البطالمة، لكن الهدف الأساسي لهذه البعثة كان محاولة إقناع أنطيوخس بالوقوف على الحياد في صراع روما المقبل مع فيليب، وبعد ضمان حياده وقعت الحرب بين روما وفيليب وانتهت بهزيمة فيليب في موقعة كينو سكفلاي (Cynoscephalae) سنة ١٩٧ ق.م، وقد أطلق على هذه الحرب اسم الحرب المقدونية الثانية (٢٠٠ــ١٩٧ق.م)[٣].

بعد أن تخلصت روما مؤقتاً من سطوة مقدونيا بعد الحرب المقدونية الثانية، التفتت إلى أنطيوخوس الثالث، فأرسلت سفارة إلى أنطيوخوس تبلغه رغبة روما في أن يعيد كل ما حصل عليه من ممتلكات الملك فيليب الخامس وبطليموس الخامس، ونتيجة لفشل المفاوضات بين روما وأنطيوخوس وقعت الحرب بين الطرفين سنة ١٩١ ق.م وانتهت بهزيمة أنطيوخوس في

---

[١] ـ نصحي إبراهيم، المرجع السابق، ج١، ص ص ٣٠١ـ٣٠٤.

[٢] ـ أحمد علي، عبد اللطيف: مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، القاهرة، طبعة منقحة، ١٩٩٣، ص٦.

[٣] ـ الروبي، آمال: مصر في عصر الرومان، دار البيان، جدة، ط٢، ١٩٨٤، ص ص ١٤ـ١٥.

معركة مغنيزيا سنة ١٨٩ ق.م وتوقيع معاهدة أباميا سنة ١٨٨ ق.م التي نصت على الشروط التالية:

- تنازل أنطيوخوس الثالث عن جميع ممتلكاته شمال وغرب جبال طوروس.
- دفع غرامة مالية قدرها خمسة عشر ألف تالنت.
- تسليم حنابعل إلى روما.
- امتناع أنطيوخوس عن خوض غمار أية حرب في بحر إيجة أو في القارة الأوربية إلا بإذن من روما.
- يحق لأنطيوخوس رد أي اعتداء إذا هوجِم، لكن بشرط ألا يبسط سيادته على من يقهرهم، أو يعقد معهم محالفات صداقة.
- تفصل روما في المنازعات التي تقوم بين أنطيوخوس وأي دولة أخرى.
- تسليم أنطيوخوس جميع فيلته وأسطوله عدا عشر سفن فقط[١].

إذاً بعد الحرب المقدونية الثانية والحرب مع أنطيوخوس أصبح الطريق مفتوحاً أمام روما للتدخل في شؤون الشرق الهلنستي، وخاصة بعدما قلمت أظافر أكبر دولتين في الشرق الهلنستي وهما الدولة المقدونية والدولة السلوقية.

ب- الطور الثاني:

انتهجت روما في هذه المرحلة سياسة جديدة في شرق المتوسط، تمثلت في فرض حماية منظمة على المدن الإغريقية وبعض المماك الهلنستية الصغيرة مثل مملكة برجام، والقصد من هذه الحماية هو الحيلولة دون عودة قوة الدولة المقدونية والدولة السلوقية اللتين أُذلتا على يد روما، وحتى لا تقوم لهما قائمة من جديد[٢]. تتضح لنا هذه السياسة الجديدة من خلال التسوية التي وضعتها روما للشرق الهلنستي بعد توقيع معاهدة أباميا مع أنطيوخوس، فقد حررت روما المدن الإغريقية التي كانت خاضعة له وقسّمت باقي ممتلكاته الآسيوية شمال

---

[١] - نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص ص ٢١٤ـ ٢١٦. عادل عبد الحق، سليم: روما والشرق الروماني «العهد الجمهوري حتى نهاية قيصر»، مطبوعات المديرية العامة للأثار والمتاحف، دمشق، ١٩٥٩، ص ص٢٥٦ ـ٢٥٩.

[٢] - رستو فتزف: المرجع السابق، ج١، ص ص ٢٣ ـ ٢٤.

طوروس بين مملكتي رودس وبرجام، وبذلك يتضح من خلال هذه التسوية أن روما قررت إيجاد توازن بين القوى في شرق المتوسط تمثّل بإضعاف دولتي البطالمة والسلوقيين وبتقوية رودس وبرجام، لأنه كان يهم روما قبل كل شيء أن تجعل من برجام دولة قوية تراقب بحرص الدولة السلوقية وأن تكون قادرة على فصل الدولة السلوقية عن مقدونية فتحول بذلك دون توحد قوة هاتين الدولتين ضد روما.

إذاً استطاعت روما من خلال انتصارها على فيليب وأنطيوخوس أن تصبح صاحبة الكلمة العليا في شرق المتوسط، ذلك لأنه لم تعد توجد في بلاد الإغريق دولة واحدة مستقلة استقلالاً تاماً، كما لم تعد توجد في العالم الهلنستي بأسره دولة واحدة تستطيع مواجهة روما. لذلك أصبح كل مختصم يلتجئ إلى روما، وكان سفراء روما موجودين بشكل شبه دائم في الشرق الهلنستي للفصل في المشاكل بين الدول المختصمة(١).

شهدت الإمبراطورية السلوقية في عهد أنطيوخوس الرابع أبيفانس (Antiochos IV Epiphanes) الذي حكم بين عامي ١٧٥- ١٦٣ق.م نهضة قوية تجلت في حروبه مع البطالمة وانتصاره عليهم في الحرب السورية السادسة، وكذلك في الاحتفالات التي أقامها في دفنة (Daphne) سنة ١٦٦ق.م تمجيداً لهذه الانتصارات. ربما دفعت قوة الدولة السلوقية بالدولة الرومانية إلى إتباع سياسة معتدلة تجاه السلوقيين في هذه الفترة رغم أن الوفود الرومانية لم تنفك عن المجيء إلى أنطاكية لأتفه الأسباب(٢).

ج- الطور الثالث:

بدأ الطور الثالث من سلسلة التدخلات الرومانية في الشرق الهلنستي إبان الحرب المقدونية الثالثة (١٧١-١٦٨ ق.م). حاولت مقدونيا جاهدة تحرير نفسها من وطأة التدخل الروماني في شؤونها فأدى ذلك إلى اندلاع الحرب المقدونية الثالثة التي انتهت بهزيمة مقدونيا ولم تعد دولة ذات كيان سياسي مستقل، بل تحولت إلى منطقة نفوذ للدولة الرومانية. بعد القضاء على الدولة المقدونية تحولت الحماية الرومانية إلى طراز مُقَنعْ من السيطرة،

---

(١) - نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص ٣٤٥.

(٢) - الزين، محمد: المرجع السابق، ص٢٣.

وأصبحت روما تعامل الدول الإغريقية والممالك الهلنستية على أنها ولايات تابعة لها وجب عليها إطاعة أوامرها[1].

ولا نجد أبلغ من أحداث سنة ١٦٨ ق.م لتوضيح قوة نفوذ روما وتدخلها في شؤون الشرق الهلنستي والبطلمي، فبعد أنْ وصل الملك السلوقي أنطيوخوس الرابع إلى الإسكندرية في حربه التي شنها على البطالمة سنة ١٦٨ ق.م، اعترضته سفارة رومانية كان على رأسها بوبيليوس لايناس (C. Popilius Laenas) الذي كان مجلس الشيوخ الروماني _بعد الانتصار الساحق على مقدونيا في معركة بيدنا (Pydna) سنة ١٦٨ ق.م_ قد أرسله إلى مصر لكي يأمر الدولتين بإنهاء القتال وينذرهما أن المعتدي لن يكون صديقاً أو حليفاً لروما، وهنا لا نجد أبلغ من وصف المؤرخ ليڤيوس (Livius) الذي ينقل عن المؤرخ بوليبيوس (Polybius) المشهد المثير بين انطيوخوس والسفير الروماني، ذلك المشهد الذي راجت قصته رواجاً كبيراً في التاريخين القديم والمعاصر، والذي يتحدث فيه ليڤيوس قائلاً:

« وبعد أن عبر انطيوخوس النهر عند أليوسين (Aleusinem)، وهو مكان يبعد عن الإسكندرية أربعة أميال، اعترض طريقه السفراء الرومان، ولما اقتربوا منه حيّاهم الملك ومد يده لمصافحة بوبيليوس، غير أن بوبيليوس سلمه لوحاً مدوناً عليه قرار السناتو، وأمره أن يقرأه قبل أي شيء آخر، فلما فرغ الملك من قراءته قال أنه سوف يدعو أصحابه ليستشيرهم فيما ينبغي أن يفعله، وعندئذ رسم بوبليوس _ بما جُبل عليه من خشونة في الطبع _ بعصاه التي كان يحملها في يده دائرة حول الملك قائلاً: اعطني رداً ابلغه للسناتو قبل أن تخطو خارج هذه الدائرة. ذُهل الملك من لهجة الأمر العنيفة وتردد لحظة قصيرة قال بعدها: سأفعل ما يقرره السناتو. فقط عندئذ مد بوبيليوس يده مصافحاً الملك كما يمدها إلى حليف وصديق »[2].

بعد وفاة انطيوخوس الرابع سنة ١٦٣م خلال إحدى حملاته في الشرق، استلم الحكم ابنه الصغير انطيوخوس الخامس واعترفت روما به، لأنها أرادت أن تستفيد من ضعفه الناتج عن صغر سنه، ولم تعترف بدمتريوس بن سلوقس الرابع الذي كان رهينة في روما وفق

---

[1] - رستو فتزف: المرجع السابق، ج١، ص ٢٣ـ٢٤.

[2]- نقلاً عن أحمد علي، عبد اللطيف: مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، المرجع السابق، ص٨-٩.

معاهدة أفاميا، ورأت روما أن تستفيد من ضعف انطيوخوس الخامس فأرسلت إليه بعثة بقيادة اوكتافيوس (Cn. Octavius)، ولما وصلت البعثة إلى أنطاكية وجدت أن قوة السلوقيين تخالف حقيقة ما نصت عليه اتفاقية أفاميا، فأجبرت الملك السلوقي على إحراق السفن الحربية وقتل الفيلة[1]. يقدم لنا هذا دليلاً واضحاً على نفوذ روما وتصميمها الهادف إلى استغلال الأوضاع الحرجة التي تمر بها الدولة السلوقية آنذاك لإخضاعها بشكل أشد إذلالاً للنفوذ الروماني، وفي واقع الأمر كان هذا السبب الحقيقي وراء مهمة أوكتافيوس وإجراءاته ضد السلوقيين. ومحاولة سفارة رومانية أخرى إلى أنطاكية سنة ١٦٣ ق.م التوسط بين اليهود والسلوقيين في عهد الملك انطيوخوس الخامس، تقدم دليلاً آخر على التدخل الروماني في شؤون الشرق بشكل عام والسلوقيين بشكل خاص، وقد ورد في سفر المكابيين الثاني نص الرسالة الموجهة من قبل الوفد الروماني إلى اليهود والتي تقول:

« من كوينتوس مميوس وطيطس مانليوس، رسولي الرومان إلى شعب اليهود سلام: ما سمح لكم به لوسياس مستشار الملك ومنحكهم إياه أيضاً وما أستحسن أن يرفع إلى الملك، أنظروا فيه وبادروا إلى إرسال واحد منكم لنعرضه على الملك بما يوافقكم، لأننا ذاهبون إلى أنطاكية فعجلوا في إرسال من ترسلون لنكون على علم بما تبتغون والسلام.... »[2].

استطاع ديمتريوس بن سلوقس الرابع الفرار من روما سنة ١٦٢ ق.م والقضاء على انطيوخس الخامس وكذلك على لوسياس الوصي على العرش، وبعدها دخلت المملكة السلوقية في دوامة من الصراعات الداخلية استطاعت روما من خلالها التدخل في شؤون مملكتي البطالمة والسلوقيين، كما استطاعت أن تزيد من رقابتها وسطوتها على هذه الدول من خلال إرسال سفاراتها السنوية لمراقبة أعمال ملوكها، ولم تترك هذه السفارات فرصة تمر إلا وانتهزتها لإضعافهم مستخدمة في ذلك أساليب وطرق بعيدة كل البعد عن النزاهة والاستقامة، وكثيراً ما لجأ ملوك هذه الدول إلى رشوة السفارات، فكانوا بذلك يتاجرون بنفوذهم ويزيدون في تأزم الأحوال وتعقيد القضايا[3].

---

(١) - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص ص٢٨٦-٢٨٧.

(٢) – نقلاً عن الزين، محمد: المرجع السابق، ص ص٢٤-٢٥.

(٣) - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص ص٢٨٩.

ما ينطبق على الدولة السلوقية ينطبق على الدولة البطلمية فيما يخص السياسة الرومانية تجاههم، حيث انتقلت العلاقات الرومانية – البطلمية إلى دور جديد عملت فيه روما على استغلال منازعات أفراد الأسرة الحاكمة البطلمية، بل عملت على إشعال هذه المنازعات لتمزيق أوصال دولتهم وتجريدهم من ممتلكاتهم الخارجية مثل برقة وقبرص، وفي الواقع تهافت الملوك البطالمة على روما وارتمائهم في أحضانها هو الذي زاد من أطماع روما في هذه الممتلكات، فلما احتدم النزاع بين بطليموس يورجيتس الثاني وأخيه بطليموس فيلوميتور، عَهِد مجلس الشيوخ الروماني إلى أعضاء منه بالسفر إلى الإسكندرية للتوفيق بين الأخوين على أساس اقتسام الممتلكات البطلمية، فيحتفظ فيلوميتور بمصر وقبرص ويتنازل لأخيه عن برقة، وفي الواقع لم يكن الهدف من هذا إصلاح الوضع بين الأخوة، وإنما كان الهدف الحقيقي منه تجزئة المملكة البطلمية لكي يسهل السيطرة عليها[١].

على العموم لن يقبل يورجتيس الثاني ببرقة فقط، وإنما أخذ يطالب بقبرص أيضاً، وبلغ به الحقد على أخيه أن أوصى سنة ١٥٥ ق.م بمملكته إلى الرومان في حال مات من دون وريث، وكان ذلك كله حتى لا تؤول مملكته إلى أخيه بعد موته في حال لم يكن له وريث، ولحسن الحظ أن نقش الوصية المشينة وجد في برقة (قورينائية) وهو ينص على ما يأتي:

« السنة الخامسة عشر. شهر لويوس. بالتوفيق. فيما يلي وصية الملك بطليموس، الابن الأصغر للملك بطليموس والملكة كليوبطرا، الإلهين الظاهرين، والتي أرسلت منها صورة إلى روما أيضاً.لتمنحني الآلهة بفضلها القدرة على أن اقتص قصاصاً عادلاً من أولئك الذين دبروا ضدي مؤامرة دَنِسه وأخذوا على عاتقهم أن يسلبوني لا مملكتي فحسب بل حياتي كذلك، لكن إذا حدث لي شيء قبل أن أترك ورثة لعرشي، فأني أوصي بالمملكة التي في حوذتي للرومان الذين حافظت بإخلاص على صداقتي وتحالفي معهم من البداية، وأليهم أعهد بحماية مصالحي مناشداً إياهم باسم جميع الآلهة وبشرفهم أن يقدموا المساعدة بكل قواهم إذا أعتدى أحد على مدن مملكتي أو أراضيها، طبقاً لما تقتضيه العدالة ومعاهدة الصداقة والتحالف القائمة بيننا، وقد أقمت

---

[١] - الروبي، آمال: المرجع السابق، ص ١٨-١٩؛ عبد الغني ، محمد السيد محمد : لمحات من تاريخ مصر تحت حكم اليونان، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٦م، ص ٦٧.

شهوداً على هذا الإجراء جوبيتر الكابيتوليني والآلهة الكبار وهليوس وأبولون، الذين أودعت بحراستهم أصل هذه الوثيقة أيضاً، وليكن التوفيق رائداً لها. ».

لم توضع هذه الوصية موضع التنفيذ لأن يورجيتس الثاني استرد عرش مصر بعد موت أخيه فيلوميتور سنة ١٤٥ق.م، وبعد وفاته سنة ١١٦ق.م أورثها لأبنه بطليموس أبيون الذي أنجبه من إحدى محظياته، غير أن هذا الابن غير الشرعي عاد في سنة ٩٦ق.م وأوصى قبيل وفاته بمملكته للشعب الروماني، وقبل مجلس الشيوخ هذه التركة ونظمها على شكل ولاية سنة ٧٤ق.م[١]، ويبدو أن يورجيتس الثاني ضرب مثلاً بهذه الوصية التي جعلت عدداً من الملوك الضعفاء يحتذون حذوه مثل أتالوس (Attalus) ملك برجام الذي أوصى بالتنازل عن مملكته للرومان بعد وفاته سنة ١٣٤ ق.م[٢]، لكن روما لم تجعل هذه الأخيرة ولاية رومانية حتى سنة ١٢٩ق.م، حيث أطلقت عليها اسم ولاية آسيا (Provincial Asia) وبُعيد ضم مملكة برجام أصبحت روما تسيطر على سواحل بحر إيجة الشرقية والغربية وغدَت في مركز يسمح لها بالتغلغل شرقاً أبعد من ذلك[٣]. نتج عن ذلك ازدياد التدخل الروماني في شؤون الشرق الهلنستي والبطلمي، وخصوصاً بعد سفارة سكيبيو إميليانوس (Scipio Aemilianus) التي قدمت إلى الشرق سنة ١٣١ق.م وزارت كلاً من اليونان وقبرص وسورية ومصر، وكان موكل إليها أثناء زيارتها إلى سورية وقبرص التحقيق في أعمال القرصنة الجارية في كيليكيا[٤].

من خلال سفارة إميليانوس نجد أن روما قد وصلت إلى ذروة تدخلها في شؤون الممالك الهلينستية الضعيفة، ويبدو أن تقدم الجيوش الرومانية في غرب أسيا، والذي بدأ في معركة مغنيزيا سنة ١٨٩ق.م، أخذ يزداد خطوة فخطوة حتى غزو بومبيوس (Pompius) لسورية سنة ٦٤ق.م وتحويلها إلى ولاية رومانية بعد أن وصلت إلى حالة من الفوضى

---

[١] ــ نقلاً عن أحمد علي، عبد اللطيف: مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، المرجع السابق، ص١٠.

[٢] ـ الروبي، آمال: المرجع السابق، ص ص ١٤ـ١٥.

[٣] ـ نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص ٣٤٦.

[٤] ـ عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص٢٨٩.

أوجدها الحكم السلوقي الضعيف فيها خلال عهده المتأخر، حيث أوكل الرومان مهمة قتال القراصنة إلى بومبيوس الذي أصبح أعظم قائد روماني سنة ٦٧ق.م، ومنحوه سلطات مطلقة للقضاء على هؤلاء في كيليكيا والحوض الشرقي للبحر المتوسط بعد أن عاثوا فيه فساداً وهددوا وصول القمح إلى روما[١]، وبعد القضاء على القراصنة في معاقلهم استغل بومبيوس ضعف الحكم السلوقي في سورية وكذلك القوة معه، فدخل سورية سنة ٦٤ق.م وحولها إلى ولاية رومانية، وتبعتها بعد ذلك الدولة البطلمية سنة ٣١ق.م، حيث أصبحت هي الأخرى ولاية رومانية، وبذلك استطاعت روما القضاء على أكبر دولتين في الشرق وأصبحت القوة المهيمنة على العالم في ذلك الوقت.

ثانياً: دوافع روما التوسعية

١ – دافع الوجود:

إن الحرب ظاهرة إنسانية قديمة قدم المجتمع الإنساني، ولم تختلف دوافع قيامها كثيراً في العالم القديم عنه في العالم الحديث، فدوافع روما التوسعية مثلها مثل دوافع أي دولة أخرى تسعى للحفاظ على كيانها واستقلالها، وروما منذ تأسيسها عام ٧٥٣ ق.م أُسست على الدم، هذا الدم الذي أراقه رومولوس على جدار روما حفاظاً على وجودها، لذلك فدافع الوجود كان من أهم أسباب التوسع الروماني، حيث واجهت روما منذ تأسيسها الأخطار المتعددة والكبيرة، وحفاظاً على وجودها ضد هذه الأخطار كان لابد من وجود قوة تمثّل الدرع الذي يحافظ على كيان روما ويحميها من الأعداء والطامعين، فمن دون هذه القوة لا تستطيع روما الحفاظ على وجودها، كما لا تستطيع تحقيق أي هدف من أهدافها المستقبلية. لذلك عملت منذ تأسيسها على تشكيل جيش قوي قادر على حمايتها.

شكّل دافع الوجود في أغلب الأحيان غطاءً يتوارى خلفه الهدف الحقيقي وإننا نلمس هذا في روما الجمهورية بشكل كبير، كما نجده في بلاد اليونان القديمة، فسلامة أية دولة من الدول يتعرض للخطر بمجرد قيام دولة أخرى مجاورة لها إذا ما بدت قوتهما متعادلة، أو

---

[١] - حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة د. عبد الكريم رافق – د. جورج حداد، ج١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢، ص٣٠٨. ; الروبي، آمال: المرجع السابق، ص ص ١٨-١٩.

بمجرد قيام حلف لا تكون هي أحد أطرافه، فحرصها على الحفاظ على استقلالها يدعوها إلى القضاء على استقلال غيرها، وخير مثال على ذلك التدخل الروماني في شؤون الممالك الهلنستية واعتبار توسع هذه الممالك في الحوض الشرقي للبحر المتوسط تهديداً لسلامة روما وأمنها[1].

أرادت روما أن تؤمن سلامتها في إيطاليا من خلال وحدة شبه الجزيرة الإيطالية بأكملها، ولكي تحافظ على هذه الوحدة اضطرت إلى التدخل في مناطق البحر المتوسط القريبة والبعيدة، واحتذت في ذلك خطة عملية سارت عليها خطوة فخطوة بحذر دون أن تنساق وراء الأحلام أو سراب الأفكار النظرية. و تحقيق الوحدة الإيطالية دفع روما إلى التدخل في الحوض الشرقي للبحر المتوسط تدخلاً مستمراً لا يمكن التراجع عنه[2].

إذا ما أردنا الحديث عن التوسع الروماني من خلال دوافع أخرى فإننا قد نفشل في الوصول إلى نتائج ملموسة، لأنه لا توجد دلائل تشير إلى ضرورة ملحة تدفع روما إلى توسيع نطاقها الحيوي تفادياً لمشكلة أوجدتها كثافة السكان، كما أن تأسيس روما لمستعمراتها الأولى، وهو أمر جاء متأخراً نسبياً على نقيض ما جاء في التقليد، كان استجابة لأهدافها العسكرية قبل أن يكون معالجة لمعضلة تزايد السكان. أيضاً لم تعان روما طيلة القسم الأكبر من عصر الجمهورية من مشاكل اقتصادية أو اجتماعية من شأنها أن تدفعها للبحث عن حلول لها بواسطة التوسع والاحتلال، فلم تبرز هذه الأسباب إلا بعد ذلك بزمن، أي بعد أن أثارتها الحروب السابقة[3].

٢ – دافع الطمع وحب السيطرة:

إن دافع الطمع وحب السيطرة يمثل الدافع الثاني للتوسع الروماني، فالطمع وحب السيطرة هما هدفان متلازمان لا نستطيع فصل أحدهما عن الآخر، كما أننا لا نستطيع الحديث

---

(1) - أحمد على الناصري، سيد: الحرب والمجتمع القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٢، ص ص٥-٩.

(2) - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص ص ٣١٢ -٣١٣.

(3) - إيمار أندريه، اوبوايه جانين: المرجع السابق، م٢، ص ص ١٠٨-١٠٩.

عن توسع روما دون الحديث عن رغبتها وطمعها في السيطرة على ممتلكات جيرانها، فالشعب الروماني شعب مزارع لذلك طمع في أرض جيرانه، ولاسيما عندما تكون هذه الأرض أكثر خصباً وأفضل استثماراً. فقد استوطن الرومان إقليماً تمر فيه بعض الطرق المهمة لذلك صمموا على الاحتفاظ بمكاسب حركة التجارة التي تمر عبرها، كما رغبوا في زيادة هذه المكاسب من خلال السيطرة على طرق أخرى جديدة تكون أكثر أهمية وتؤدي بسهولة إلى مصادر المواد الخام.

إضافة إلى الدوافع السابقة يوجد مجموعة من الدوافع وإن لم تكن بالأهمية نفسها، إلا أنها ساهمت بشكل أو بآخر في دفع دفة التوسع الروماني وتوجيهها، ومنها:

٣ - حب الثروة والمناصب:

أحدث التوسع الروماني تغييرات جذرية من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية فأصبح رجال الأعمال الجشعين يبتغون استثمارات جديدة، وكذلك الجنود الذين غالباً ما ابتغوا شن حروب جديدة تؤمن لهم الغنائم والمكافآت. فقد بلغت أرباح التوسع درجة حصلت فيها عامة الشعب على نصيبهم من سخاء الدولة جرّاء مصادرة ثروات الأعداء والتعويضات المفروضة على المهزومين، وهو ما دفع الشعب بحماس إلى الرضا عن السياسة التي كانت تنتهجها الدولة الرومانية[١].

ثالثاً: مراحل تشكيل الجيش الروماني

مرت الدولة الرومانية بثلاث مراحل منذ تأسيسها سنة ٧٥٣ ق.م حتى سقوطها سنة ٤٧٦م وهي العصر الملكي ثم الجمهوري وأخيراً العصر الإمبراطوري، واتخذ الجيش في كل مرحلة من هذه المراحل شكلاً مختلفاً، ويمكن ذكر هذه المراحل باختصار على النحو الآتي:

١ - مرحلة العصر الملكي (٧٥٣ ــ ٥٠٩ ق.م):

---

[١] - إيمار أندريه، أوبوايه جانين: المرجع السابق، م٢،ص ص ١١٠-١١١.

كانت روما في العصر الملكي ذات نظام عشائري شأنها في ذلك شأن باقي المدن في العالم القديم، فجميع سكان روما الأحرار ينتظمون في ثلاث قبائل (Tribus)[١] وتقسم كل قبيلة إلى عشر وحدات أصغر تسمى كور (Curiae)، وكانت هذه القبائل الثلاث هي: قبائل تيتس، رمنس، لوقرس. أُعتقد أن هذه القبائل تمثل تقسيم المواطنين على أساس العرق، أي الأولى كانت تتألف من السابينيين والثانية من اللاتين والثالثة من الأتروسكيين، لكن على الأرجح أنها كانت تمثل تقسيم المواطنين على أساس مناطقهم السكنية. وكان الهدف الأساسي من هذا التقسيم هو أن تؤدي كل قبيلة نصيبها مما تحتاج إليه الدولة من مال وجنود، وكان لكل قبيلة نقيباً يدعى تربيوناً (Tribunus) كانت مهمته تجنيد الرجال من قبيلته وجمع المال المفروض عليها من قبل الملك[٢].

إذاً تشكّل الجيش الروماني في العصر الملكي من أفراد القبائل الثلاث التي كانت تقطن روما، وعلى الأرجح بلغ عدد أفراد الجيش في هذا العصر حوالي ثلاثة آلاف جندي راجل وثلاثمائة فارس يؤخذون من القبائل الثلاث على قدم المساواة، بمعنى أن كل قبيلة كانت تقدم قوة قوامها ألف راجل بقيادة ضابطهم (Tribunus Militum)، ومائة فارس بقيادة ضابطهم (Tribunus Celerum)، ومما تقدم يتضح أن كل وحدة من الوحدات العشرة التي كانت تتألف منها كل قبيلة كانت تسهم بمائة راجل وعشرة فرسان[٣]. كان الملك يقود الجيش بنفسه ويعقد المعاهدات ولكنه لا يستطيع أن يقرر الحرب والسلم بنفسه[٤]، وإنما كان هذا القرار بيد مجلس الجماعات الذي يضم ثلاثين وحدة تنضوي تحت لواء القبائل الثلاثة سابقة الذكر، وكان تسليح الجيش في هذا العصر يتألف من خوذة ودرع وزرد وحربة وسيف قصير. كان سلاح الفرسان أهم قوة ضاربة للجيش الروماني في العصر الملكي، والذي تألف من شباب البطارقة وأتباعهم، لأنهم كانوا أحسن تدريباً وأوفر مالاً وأقدر من غيرهم على تزويد أنفسهم بالخيول

---

[١] - العبادي ، مصطفى،المرجع السابق، ص ٣٣ .

[٢] - نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص٩٩.

[٣] - المرجع نفسه، ص١٥٨-١٥٩.

[٤] - محفل محمد، الزين محمد: دراسات في تاريخ الرومان، ج١، منشورات جامعة دمشق، دمشق ١٩٩٥-١٩٩٦، ص٢٧.

والأسلحة اللازمة، وكانوا يذهبون إلى القتال إما في عربات أو على صهوات الجياد، ولكن حين تبدأ المعركة يترجّلون ويحاربون على أقدامهم مثل المشاة ولا يستخدمون العربات والجياد إلا في أعمال المطاردة. ولم يعرف الجيش الروماني في هذا العصر، وخاصة مشاته التدريب الصارم الذي عرفه فيما بعد، ولا يوجد في هذا الجيش من الضباط إلا نقباء القوات التي أسهمت بها كل قبيلة من مشاة (Tribune Militum) والفرسان (Tribune Celerum) والذين تم ذكرهم فيما سبق[١].

تم إحداث تصنيف جديد للمواطنين الرومان في عهد الملك سرفيوس تولليوس (٥٧٨-٥٣٤ ق.م)، وهو تصنيف اجتماعي عسكري صنف سكان روما الأحرار حسب ثرواتهم غير المنقولة (العقارات) إلى خمس طبقات، وقُسّمت كل طبقة إلى مئينات (Centuries)[٢]، وكانت هذه الطبقات على الشكل التالي:

الطبقة الأولى: ضمت هذه الطبقة ثمانين مئيناً من الأفراد الذين لا يقل ريع أملاكهم عن مائة ألف آس (as)[*] نصفهم من الشباب والنصف الآخر من الشيوخ أو ما كان يطلق عليهم بالمحاربين القدماء، بالإضافة إلى ذلك ضمت هذه الطبقة ثماني عشرة مئيناً من الفرسان.

الطبقة الثانية: ضمت هذه الطبقة عشرون مئيناً، نصفهم من الشبان والنصف الآخر من الشيوخ، وتتراوح ثروة هؤلاء بين مائة ألف وخمسة وسبعون ألف آس.

---

(١) - نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص ص ٩٩،١٥٨– ١٥٩.

(٢) - حاطوم نور الدين، وآخرون: موجز تاريخ الحضارة، ج١، ١٩٦٥، ص٥١٦.

* - الآس (As): هو نقد روماني برونزي يساوي واحد اونصة، والتي بدورها تساوي ٣١غ، لكن هناك عدة انواع منه حسب تاريخ التداول نذكر منها الآس سيجناتوم (Aes Signatum)، وهو نقد برونزي ثقيل تم تداوله في روما منذ منتصف القرن الخامس ق.م وحتى منتصف القرن الرابع ق.م، وبلغ أثقل وزن له ١٦٠غ، وهناك نوع آخر يطلق عليه اسم الآس رود (Aes Rude)، وهو أيضاً نقد برونزي خشن تم تداوله في روما من القرن الرابع ق.م إلى القرن الثاني ق.م، وبلغ وزن أقدم عملة له ١٠,٩غ. ولمزيد من المعلومات راجع:

- لمى دقماق: النقود البيزنطية في سورية (٣٣٠-٦٤٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، بأشراف د. عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، ٢٠٠٩، ص ص٥٥-٥٦.
- باشا، زكريا مهران: موجز النقود والسياسة النقدية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٤، ص٢٣.

الطبقة الثالثة: ضمت هذه الطبقة أيضاً عشرون مئيناً، والنسبة نفسها من الشباب والشيوخ، أما ثرواتهم فيجب ألا تقل عن خمسين ألف آس.

الطبقة الرابعة: ضمت هذه الطبقة أيضاً عشرون مئيناً والنسبة نفسها من الشباب والشيوخ، أما ثروتهم فيجب ألا تقل عن خمسة وعشرون ألف آس.

الطبقة الخامسة: ضمت هذه الطبقة ثلاثون مئيناً والنسبة نفسها من الشباب والشيوخ، أما ثرواتهم فيجب ألا تقل عن اثني عشرة ألف وخمسمائة آس.

أما باقي أفراد الشعب، والذين تقل ثروتهم عن اثني عشرة ألف وخمسمائة آس فقد شكلوا مئيناً واحداً، وأعفي أفراد تلك الطبقة من الخدمة العسكرية ولا يتم تجنديهم إلا في الحالات الخاصة جداً[١].

بقيت هذه التقاليد سارية في تشكيل الجيش الروماني حتى نهاية النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد. ولكن حدثت تغييرات في عدد أفراد الجيش وتكتيكاته بحيث أصبح الجيش يتألف من ثلاثة آلاف راجل أو ثلاثين مئيناً وستمائة فارس أو ست مئينات. في هذا الفترة توجب على كل فرد من أفراد الجيش – سواء كان من الفرسان أو المشاة – أن يكفيَ نفسه بنفسه من الخيول والأسلحة اللازمة لذلك كان تشكيل وحدات الفرسان وغالبية المشاة مقتصراً على البطارقة، وقد كان من نتائج الحروب التي خاضها الرومان أن استفادوا من تجارب الأمم التي سبقت فنونها العسكرية فنهم الناشئ فأخذوا من الأتروسكيين الشارات العسكرية والأسلحة البرونزية وتهيئة الوقائع قبل خوضها، كما أخذوا عن السابينيين طريقتهم في تنظيم الفرسان[٢].

٢- مرحلة العصر الجمهوري (٥٠٩ ق.م-٣١ ق.م):

دخلت روما في هذا العصر مرحلة جديدة من التوسع فبعد أن أستطاع الرومان القضاء على النظام الملكي وطرد آخر ملك أتروسكي سنة ٥٠٩ ق.م انتهجوا نظاما جديداً في

---

[١] - محمود حسين، عبد الله: دراسات في التاريخ العسكري، دار المنارة، دمشق، ٢٠٠٠، ص٤٢٥ .

[٢] - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص٦٧. نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص١٥٩،٩٩-١٦٠.

الحكم هو النظام الجمهوري الذي أصبح يحكم فيه قنصلان*، وبدأت تتضح في هذا العصر سياسة روما التوسعية. فإذا كان بمقدور الجيش في العصر الملكي ردع أعمال العدوان التي كانت تقع على الحدود من حين إلى آخر، وكذلك القيام ببعض الفتوحات، فإنه لن يكن قادراً الآن على تلبية متطلبات السياسة التوسعية المستمرة التي انتهجتها روما في هذه المرحلة. لذلك كان لازماً على روما في هذا العصر إعداد جيش قادر على تأمين هذه السياسة التوسعية، وأصبح من أولى أولوياتها إعداد جيش جديد يتناسب عدد أفراده مع المساحات الجديدة التي ستخضع لها. وكان من نتيجة الأخطار التي تعرضت لها روما وتخلصت منها، والحروب التوسعية التي خاضتها لتأمين سيادتها على شبه الجزيرة الإيطالية أن أصبح الجيش الروماني أداة عسكرية ليس لها مثيل، حيث تكاملت معداته وتنوعت خططه(١)، و تبعاً لاتساع نطاق حروبها أصبح البطارقة عاجزين عن النهوض بأعباء الحرب المتزايدة تزايداً لا يتناسب مع أعدادهم، فاضطرت روما إلى زيادة عدد المواطنين الرومان الذين ألقي على عاتقهم عبء الخدمة العسكرية، وبذلك أرتفع عدد أفراد الجيش في النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد، حيث أصبح عدد المشاة كاملي العدة أربعين مئينةً، أي أربعة آلاف مقاتل، وعدد الفرسان ستة مئينات أي ستمائة فارس، وفي هذا الوقت أعيد تنظيم المشاة من جديد فأصبحوا ينتظمون في صفوف متراصة تؤلف كتلة صلبة متلاحمة تسمى الكتيبة (phalanx) على

---

* - القنصل: عندما ألغى الرومان النظام الملكي واستبدلوه بالنظام الجمهوري سنة ٥٠٩ ق.م لم يلغوا سلطة الملك (Imperium) وإنما وضعوا من الضوابط ما اعتقدوا انه كفيل بالحيلولة دون الاستبداد في استخدامها، فكانوا يُسندون هذه السلطة بالانتخاب سنوياً إلى شخصين عرفا في أول الأمر باسم برايتورس (Praetores) وتعني الرئيس، وبعد فترة أصبح يطلق على هذين الشخصين اسم القنصلين (Consules) وتعني الزميلين، وبانتقال سلطة الملك والشارات الدالة عليها والكرسي العاجي إلى القناصل أصبح هؤلاء هم من يرعون استتباب الأمن والنظام في الدولة، كذلك كانا يتوليان قيادة الجيوش الرومانية بأنفسهم، وفي حال خروج القنصلين سوياً إلى ميدان واحد للقتال كانا يتوليان القيادة العليا ⇦ للجيش بالتناوب اليومي. أيضاً كان القنصلان في أوقات الطوارئ، وبناءً على مشورة مجلس الشيوخ يعينان حاكماً مطلقاً يمارس سلتطهما بمفرده لمدة أقصاها ستة أشهر، وكان يدعى هذا الحاكم في أول الأمر بحاكم الشعب (Magister Popule)، ولكن لم يلبث أن أصبح لقبه دكتاتوراً (Dictator)، وكان هذا الدكتاتور يعين شخصاً مساعداً له يسمى قائد الفرسان (Magister Equitum).

(١) - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص٩٧.

غرار ما كان مألوفاً في الجيوش الإغريقية، وبسبب الحروب مع الأتروسكيين ولا سيما مدينة فياي زيد عدد الجيش في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد إلى ستة آلاف مقاتل ممن تتراوح أعمارهم بين السابعة عشر والخامسة والأربعين، وكانوا يدعون الشبان (Juniores)، وبذلك أصبح الجيش العامل يتكون من ستين مئيناً من المشاة كاملي العدة إلى جانب ستة مئينات من الفرسان، أما الموطنون الذين تتراوح أعمارهم بين السادسة والأربعين والستين، وكانوا يُسمّون الشيوخ (Senior)، فإنه شُكّلت منهم ستون مئيناً أخرى، وكان لا يُعهد لهؤلاء إلا بأعمال الحراسة فقط. بذلك نستطيع القول بأن الجيش الفعلي الذي كان يشارك في المعارك أصبح تعداده ست وستون مئيناً، والجيش الاحتياطي ستون مئيناً، كما أنه بعد حرب روما مع مدينة فياي الأتروسكية أصبحت روما هي التي تزود الفرسان المسجلين في مئينات الفرسان بالخيول وفقاً لثروتهم العقارية، وأصبحوا يسمون الفرسان ذوو خيول الدولة (equtes eguo publico)، كذلك ونتيجة الحاجة الماسة إلى عدد كبير من الفرسان أثناء الحرب مع مدينة فياي سُمح للقادرين من أصحاب الثروة المنقولة بالتطوع للخدمة في الجيش على صهوة جيادهم الخاصة، وأصبح يُطلق عليهم الفرسان ذوو الخيول الخاصة (equites eguo private)[١].

دخلت روما في الربع الأول من القرن الرابع قبل الميلاد في حرب مع الشعوب الغاليّة التي كانت قد استقرت في سهل وادي البو، وكانت المعركة بين الطرفين على ضفاف نهر آليا أحد روافد نهر التيبر سنة ٣٨٧ ق.م وانهزم فيها الرومان وحلفائهم اللاتين ودخل الغال مدينة روما وعاثوا فيها فساداً، لكنهم انسحبوا بعد ذلك[٢]. دفعت هذه الهزيمة الفادحة بالرومان إلى زيادة عدد الجنود في الجيش، كما اضطرتهم إلى إدخال إصلاحات واسعة وكبيرة على نظم الجيش وطريقة تسليحه، فأصبح عدد المشاة ثمانية آلاف وأربعمائة مقاتل وعدد الفرسان ألف وثمانيمائة فارس، وبذلك أصبح العدد الكلي للجيش المقاتل أربع وثمانون مئيناً من المشاة تنتظم في فرقتين، وثماني عشرة مئيناً من الفرسان. أما الجيش الاحتياطي فأصبح أربع وثمانين مئيناً. أما بالنسبة لإصلاحات نظم الجيش وطريقة تسليحه، وجد الرومان

---

[١] ـ نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص ص ١٥٩ـ ١٦٠.

[٢] ـ رزق الله أيوب، إبراهيم: المرجع السابق، ص٣٥.

من خلال معركة آليا أن هناك خللاً تكتيكاً واضحاً في تنظيم الجيش وتسليحه، حيث أظهرت هذه المعركة للرومان أنه متى نجحت قوة معادية سريعة الحركة مسلحة بسيوف طويلة بفتح ثغرات في قوة مؤلفة من عدة صفوف متراصة من المشاة المسلحين بالحراب، يصبح من العسير على هذه القوة أن تصمد أمام عدوها، ومن أجل تجاوز ذلك وجدوا أنه من الضروري إحداث تغييرات في تكتيكات الجيش وتسليحه، فجعلوا كل فرقة محاربة تشترك في معركة ما تتشكل وتتسلح على الشكل الآتي:

- تتقسم الفرقة إلى ثلاثة أقسام (أمامي، أوسط، خلفي) وتوضع في مقدمة هذه الأقسام قوة من المشاة خفيفي العدة والتسليح تتألف من رماة المقاليع والأوتاد المدببة ورماة الرماح.
- يتكون مقاتلي القسم الأمامي من جنود ثقيلي التسليح، ويُسلح كل مقاتل بحربتين وسيف.
- تنقسم باقي الفرقة إلى قسمين أوسط وخلفي، ويُسلح كل مقاتل في صفوف هذين القسمين بحربة طويلة[١].

إن التغيير الأهم الذي أحدثه الرومان في تكتيك الجيش هو استبدال المئينات التي كان يتألف منها الجيش الروماني بأقسامه الثلاثة (الأمامي، الأوسط، الخلفي) بوحدات تكتيكية منفصلة تُسمى السرايا (Manipulus)[٢]. تتألف كل سرية منها من ستون أو مائة وعشرون مقاتلاً[٣]، وكانت الفرقة تتألف من ثلاثين سرية تصطف في ثلاثة خطوط، ويوجد في كل خط عشر سرايا، وكانت المسافة بين كل سرية وأخرى تعادل الجبهة نفسها التي تشغلها السرية عادة، وكان عمق السرية يتراوح بين ستة وعشر صفوف، وفي الحالة الأخيرة يكون تعداد السرايا مائة وعشرون جندياً، وكانت هذه السرايا تقاتل بشكل معقد، فسرايا القسم الأول تصطف وتترك ثغرات فيما بينها، في حين تصطف سرايا القسم الأوسط مقابل ثغرات القسم الأمامي حتى تستطيع مساندة سرايا القسم الأمامي في حال حدث خرق في صفوفها. أما القسم الخلفي فكانت سراياه تملك حرية الحركة لدعم سرايا القسمين الأوسط والأمامي، كما أن

---

[١] - نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص١٦٠.

[٢] - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص٩٧.

[٣] - نصحي، إبراهيم : المرجع السابق، ج١، ص١٦١. ; - ستروكوف: تاريخ فن الحرب، ج١، ترجمة صباح الدين الأتاسي، إصدار وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية، ط١، ١٩٦٨، ص٦٠.

الفرقة لم تعد تقاتل كوحدة قتالية واحدة مثلما كان سابقاً، وإنما أصبحت كل سرية تمتلك حرية الحركة ضمن رقعة مُعيّنة[١].

كانت روما حتى أواخر القرن الخامس تتبع نظام الطبقات الاجتماعية الذي تم شرحه سابقاً في التعبئة العسكرية، وكان على أغنياء الطبقة الأولى أن يؤمنوا لأنفسهم أسلحة تشبه أسلحة الإغريق، وهي الترس المستدير والخوذة الأتيكية والدرع والرمح، أما جنود بقية الطبقات فكانوا يحملون الترس المستطيل والصدارة بدلاً من الدرع[٢] لكن ذلك تغير مع انتهاء القرن الخامس قبل الميلاد، حيث قامت روما بتقسيم مواطنيها على أساس ثروتهم العقارية وقدرتهم على تجهيز أنفسهم للقتال إلى ثلاث فئات، وقسمت كل فئة إلى مئينات نصفها من الشبان ونصفها الآخر من الشيوخ، وقُسمت هذه الفئات على الشكل الآتي:

- الفئة الأولى: تضم ثمانين مئيناً نصفها من الشبان ونصفها الآخر من الشيوخ.
- الفئة الثانية: تضم عشرون مئيناً نصفها من الشبان ونصفها الآخر من الشيوخ.
- الفئة الثالثة: تضم عشرون مئيناً نصفها من الشبان ونصفها الآخر من الشيوخ.

بذلك نرى أن عدد المئينات أصبح مائة وعشرون مئيناً تنقسم مناصفة بين الجيش الاحتياطي والجيش المقاتل، والذي يضاف إليه ست مئينات من الفرسان فيُصبح ستين مئيناً مشاة وست مئينات فرسان للجيش المقاتل، وبذلك يصبح المجموع العام مائة وستة وعشرون مئيناً. لكن بعد معركة آليا ضد الغال زاد الرومان الفئات الثلاث سابقة الذكر إلى خمس فئات، فكانت الفئة الرابعة تضم عشرون مئيناً (عشرة من الشباب وعشرة من الشيوخ)، وتألفت الفئة الخامسة من ثلاثين مئيناً، خمس عشرة من الشبان وخمس عشرة من الشيوخ، وتألفت تشكيلات المشاة خفيفي العدة من شبان الفئتين الرابعة والخامسة. أضيف إلى هؤلاء جميعاً خمس مئينات أخرى كان إحداها يتألف من أفقر المواطنين الذين لم يمتلكوا نصاب الفئة الخامسة وكانوا يدعون للقتال في حالة الضرورة القصوى، إضافة إلى ذلك أربعة مئينات

---

[١] - دياكوف، كوفاليف: الحضارات القديمة، ج٢، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠، ص٤٧٢. ; -ستروكوف: المرجع السابق، ص٦٤.

[٢] - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص ص ٩٨-٩٩.

أخرى تتألف من العمال والموسيقيين الذين كانوا يرافقون الجيش، وبذلك أصبح المواطنون الرومان يؤلفون مائة وثلاث وتسعون مئيناً تنقسم على الشكل الآتي:

- ثماني عشرة مئيناً من الفرسان وكانوا خارج الفئات الخمسة.
- ثمانين مئيناً فئة أولى وعشرون مئيناً فئة ثانية وعشرون مئيناً فئة ثالثة وعشرون مئيناً فئة رابعة وثلاثون مئيناً فئة خامسة وخمس مئينات تتألف من أفقر المواطنين والعمال والموسيقيين الذين كانوا يرافقون الجيش الروماني. هكذا كان حال أوضاع الجيش الروماني أواخر القرن الرابع[١].

إذاً فالجيش الروماني أصبح منذ القرن الرابع قبل الميلاد يتألف من أربع فرق تجتمع في جيشين يقودهما القنصلان، وكانت الفرقة في ذلك الوقت تتألف من ثلاثة آلاف جندي مشاة ثقيلي التسليح (مسلحين بالسيف والرمح الثقيل pilum)، وألف ومائتي جندي مشاة مسلحين تسليحاً خفيفاً (مسلحين بالسيف وأسلحة القذف المختلفة مثل القوس والمقلاع والرماح القصيرة)، وثلاثمائة خيال. وعلى العموم يختلف تعداد الفرقة من حالة إلى أخرى، ففي موقعة كاناي مثلاً تألفت الفرقة من خمسة آلاف جندي[٢]، علاوة على ذلك تستطيع روما تجنيد عشر فرق إذا اقتضى الأمر، والدليل على ذلك بعض قوائم الإحصاء الرومانية التي يرجع عهدها إلى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، والتي توضح لنا عدد من كان يُفرض عليهم الخدمة العسكرية من سكان روما والذين يتراوح عددهم بين مائة وخمسين ألف ومائتي و خمسين ألف رجل تقريباً، لكن بعض المؤرخين المعاصرين يشككون في هذين الرقمين. لقد فرضت الحروب الغالية والسُمّنية الطويلة على روما إحداث نظام جديد في التعبئة العسكرية لأن نظام التطوع القديم لم يعد كافياً لسد الحاجات العسكرية المتزايدة، فانتشر مبدأ حمل كل مواطن للسلاح في سبيل بلاده وبدافع شعوره بالواجب تجاهها وأصبح العوام يُقبلون في الخدمة العسكرية، وأيضاً اقتضى الأمر إطالة مدة خدمة الجنود بسبب بعد ميادين القتال عن روما[٣].

---

[١] - نصحي، إبراهيم: المرجع السابق،ج١،ص١٦٢.

[٢] - ستروكوف: المرجع السابق، ص٦٠.

[٣] - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص ص ٩٨-٩٩.

إن حاجة روما لمعرفة مواردها من المال والرجال دفعها إلى إنشاء إدارة خاصة لتسجيل المواطنين الرومان وممتلكاتهم، وكان لا يؤخذ بعين الاعتبار في ذلك الوقت إلا الأرض والعبيد والماشية. كلفت هيئة جديدة من الحكام بإجراء التسجيل الإحصائي تألفت من شخصين يدعيان قنسورس (Censoris)* وبذلك أصبح يتوفر لدى الدولة قوائم بالملزمين لأداء ضريبتي الدم والمال، وكذلك بالملزمين لدفع الضريبة المالية وحدها إذا كانوا من المسنين أو القاصرين أو النساء، وعلى هذا النحو كانت الدولة تستطيع جباية ما يلزمها من أموال وحشد كل ما يلزمها من مقاتلين دون عرقلة أو تأخير كلما ظهرت بوادر حرب في الأفق، وبعد إتمام عملية تسجيل المواطنين إلى فئات ومئينات كانت المئينات تدعى للاجتماع في تشكيلاتها العسكرية بقيادة ضباطها وقادة ألويتها، ولما أن اجتماع هذه المئينات في تشكيلات عسكرية كان غير مسموح به داخل روما، فإن المئينات كانت لا تدعى للاجتماع إلا في ساحة التدريب المعروفة باسم ساحة إله الحرب مارس خارج سور روما المقدس، ولكن الحكومة الرومانية وجدت ذلك أمراً غير مقبول، لأن اجتماع هذه المئينات يعني اجتماع الأمة الرومانية كلها برجالها وأموالها. لذلك وضعت حلاً بديلاً تمثّل في منح كل فئة من الفئات الخمسة التي تم ذكرها مسبقاً عدداً من الأصوات يقابل عدد مئيناتها ونظمت عملية الإدلاء بالأصوات تبعاً

---

* ـ القنسوريس: أنشأت روما وظيفة القنسورية نحو سنة ٤٤٣ ق.م من أجل ضبط عملية إحصاء المواطنين الرومان وممتلكاتهم وبما أن الإحصاء كان يجري كل خمس سنوات فإنه في بداية كل فترة إحصائية كانت جمعية المئينات تنتخب قنسورين ليتوليا منصبهما لكنهما كانا لا يشغلانهما إلا لمدة ثمانية عشر شهراً فقط، وكانت أهم مهام القنسوريس هي: تسجيل كل المواطنين الرومان وممتلكاتهم تبعاً لقبائلهم، وتوزيعهم على الفئات والمئنات المختلفة خلال فترة تتراوح بين اثني عشرة شهراً وخمسة عشرة شهراً منذ تولي القنسورين منصبهما. وعليهم فحص قوائم الاحصاء ومعاقبة الذين أعطوا بيانات غير صحيحة أفضت إلى تسجيلهم في فئة أدنى من الفئة التي تؤهلهم لها ثروتهم، أو تأخروا عن تسجيل أنفسهم وممتلكاتهم بفرض غرامات عليهم. وأيضاً من مهامهم تقدير ضريبة الملكية التي تجمع في وقت الحرب. إزاء المهام الخطيرة التي كان يضطلع بها القنسوريس كان لا ينتخب لتولي وظيفة القنسورية إلا من سبق لهم تولي منصب القنصلية.

لمقدار الأعباء التي كانت تتحملها كل فئة من الفئات، فكانت الأولوية لمئينات الفرسان ثم تليها الفئة الأولى و هكذا. وبذلك نشأت جمعية شعبية جديدة أطلق عليها أسم جمعية المئينات *.

بقي الرومان يوزعون على مئينات الفرسان ومئينات الفئات الخمس وفقاً لمقدار ما يملكون من أرض وماشية وعبيد حتى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، لكن في نهاية هذا القرن وعلى الأغلب خلال قنسورية أبيوس كلاوديوس سنة ٣١٢ ق.م أصبح التوزيع على أساس القيمة النقدية لثروة المواطن وتبعاً لذلك أصبح أعضاء الثروة المنقولة في عداد جمعية المئينات شأنهم في ذلك شأن أصحاب الأراضي والماشية والعبيد، لكن بقي التصنيف على ما هو عليه منذ أن أوجده الملك سرفيوس تللويس (Srvius Tlloius) ٥٧٨–٥٣٤ ق.م. كانت الخدمة العسكرية مفروضة على جميع المواطنين في البلاد الخاضعة لروما في القرن الرابع قبل الميلاد ولم يستثنِ منهم إلا سكان المستعمرات الرومانية، لأن هؤلاء كانوا يُعدّون كأنهم يحملون السلاح دوماً وظل هذا الاستثناء قائماً حتى الحرب البونية الثانية عندما ألغته روما نتيجة الأخطار التي واجهتها في هذه الحرب[1]. كان المواطنون الرومان يخدمون في الفرق الرومانية الأربعة، أما الخاضعون لسلطة روما فكانوا يؤلفون فرقاً خاصة تعرف بأسماء البلاد التي تجهزت فيها كالفرقة الكمبانية مثلاً، وقد زال هذا التفريق فيما بعد عندما مُنحت المدن الإيطالية حقوق المواطنة الرومانية وصار كل مواطني إيطاليا يؤدون خدماتهم في الفرق

---

* ـ حينما أنشأت جمعية المئينات آلت إليها بالتدريج أغلب اختصاصات جمعية الكور، حتى أصبحت جمعية المئينات الجمعية الرئيسية للشعب الروماني، ولعل أول ما آل إليها هو الحق في الموافقة على إعلان الحرب وانتخاب كبار الحكام جميعاً. أيضاً اصبحت تعرض عليها كل التشريعات التي يتقدم بها الحكام المتمتعون بالسلطة التنفيذية لإقرارها أو رفضها، كذلك أصبحت جمعية المئينات الجمعية التي يستأنف المواطنون أمامها الأحكام الشديدة الصادرة بحقهم، لكن كان من شان تمسك مجلس الشيوخ لمدة طويلة بحق إبرام القرارات التي تصدرها جمعية المئينات قبل أن تكتسب سلطة القانون الحد من السلطة التشريعية التي كانت تتمتع بها هذه الجمعية، لكن ضعفت وطأة هذا القيد عندما أصدر الدكتاتور بوبليليوس سنة ٣٣٩ ق.م القانون المعروف باسمه lex Publilia والذي قضى بأن يقر أو يرفض مجلس الشيوخ القرارات قبل عرضها على جمعية المئينات. لمزيد من المعلومات حول جمعية المئينات راجع : نصحي، ابراهيم: المرجع السابق، ص١٦٦-١٦٩.

[1] - نصحي، إبراهيم: المرجع السابق، ج١، ص ص١٦١– ١٦٣.

الرومانية، كذلك كانت روما تحدد عدد الجنود الواجب على كل مدينة إيطالية حليفة تقديمها، وكان يطلق على هؤلاء المحاربين المجندين اسم الجنود الحلفاء. ذكر في بعض الوثائق العائدة إلى أواخر العصر الجمهوري أن القناصل كانوا يحددون قبل كل حرب عدد الجنود الواجب على المدن الحليفة تقديمها، ويعينون لها تاريخ ومكان تجمّعها في كل سنة على أن يكون عدد المشاة الحلفاء معادلاً لعدد المشاة الرومان وأن يكون عدد الفرسان الحلفاء ثلاث أضعاف الفرسان الرومان. لم تكن هاتين النسبتين ثابتتين، بل كانتا تتغيران بتغير الظروف، وفي أغلب الأحيان كان جنود الحلفاء يؤلفون معظم الجيش الروماني. وكانوا يجتمعون تحت رئاسة زعمائهم المحليين. كما توجب على المدن التي جندتهم أن تدفع لهم مخصصاتهم وأن تتكفل بتجهيزهم بالأسلحة، ولا يقدم لهم الرومان إلا الأغذية وطعام دوابهم، ويتركون تحت إمرة ضباطهم، وكانت مشاتهم تنقسم على جناحين أيمن وأيسر يحيطان بجانبي الجيش الروماني، وتألف كل جناح من عشرة فيالق، وكل فيلق من أربعمائة محارب. أما فرسانهم فكانوا يقسمونهم على ستة وحدات ويقسمون كل وحدة على فصائل عدة [١].

لا نعرف الكثير عن التغيرات التي طرأت على الجيش الروماني في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد، لأن المصادر التي تتحدث عن الجيش في هذه الفترة قليلة ومعلوماتها طفيفة، ولكن استناداً إلى المؤرخ بوليبيوس فإن الجيش الروماني في نهاية القرن الثالث كان يتألف من أربعة فرق وكانت كل فرقة (legio) تشتمل على أربعة آلاف و مائتي جندي من المشاة منظمين في ثلاث صفوف وفقاً للثروة والسن على النحو الآتي:

- الصف الأول: يتألف ممن يعرفون باسم (hastati) أي الرماحة وعددهم ألف ومائتا مقاتل.
- الصف الثاني: يتألف ممن يعرفون باسم (principis) أي الزعماء المتقدون وعددهم ألف ومائتا مقاتل.
- الصف الثالث: يتألف ممن يعرفون باسم (tririi) أي الخط الثالث وعددهم ستمائة مقاتل.

تألفت الصفوف الثلاثة السابقة من المشاة ثقيلي العدة. ثم يأتي بعدها الـــ (velites) وهم المشاة خفيفي العدة المؤلفون من فقراء المواطنين والذين يوضعون في الجناحين للقيام

---

[١] - عادل عبد الحق، سليم: المرجع السابق، ص ص٩٩–١٠٠.

بالمناوشات. يُلحق بهذه الفرقة وحدة فرسان (ala) تتألف من مائتي فارس منقسمين على عشرة فصائل. أما بالنسبة لتكتيكات الفرقة فكانت كل فرقة تنقسم على عشرين سرية (manipulus) موزعة بالتساوي بين الصفوف الثلاثة. واشتملت كل سرية على مئينيتين وتضم كل مئينة (centuria) ستون جندياً في الصف الأول والثاني وثلاثون جندياً في الصف الثالث، وكان يلحق بكل مئينة عشرون جندياً من المشاة خفيفي العدة. يتولى القنصل قيادة الفرقة ويعاونه ستة ضباط يلقبون بترابنة الجنود[١]. على ما يبدو بقيت أنظمة الجيش الروماني على ما هي عليه حتى نهاية القرن الثاني قبل الميلاد عندما قام القنصل ماريوس بإصلاحاته الشهيرة في الجيش الروماني بين عامي (١٠٥–١٠٢ ق.م). كانت روما قد واجهت مشاكل وصعوبات كبيرة في الربع الأخير من القرن الثاني قبل الميلاد، ومنها ثورات العبيد في صقلية وحربها ضد نوميديا وكذلك حربها ضد التيتون والكمبري، وكذلك الصراع الحزبي الذي نشّب بين مجلس الشيوخ ومحاموا الشعب ومنهم جايوس جراكوس، لكن لحسن حظ روما أنجب هذا الصراع جندياً عظيماً يدعى جايوس ماريوس (١٥٧–٨٦ ق.م) وهو إيطالي المولد وضابطاً في جيش القنصل ميتيللوس ضد نوميديا سنة ١٠٩ق.م، وقائداً مساعداً له في هذه الحملة، وسنة ١٠٧ق.م فاز ماريوس بمنصب القنصلية وأسندت إليه مهمة قيادة حملة أفريقيا، حيث استطاع القضاء على يوجورتا سنة ١٠٥ق.م، ثم انتخب قنصلاً لسنة ١٠٤ ق.م، وفي هذه الفترة كانت الحكومة الرومانية تجد صعوبات في تجنيد العدد الكافي من الجنود بمقتضى النظام القديم، وذلك لنقص عدد من يملكون النصاب المالي المطلوب وضعف الروح العسكرية بين القادرين على القتال، وإقامة كثير من المواطنين خارج إيطاليا. فأعاد ماريوس تنظيم الجيش وغيّر طريقة تسليحه وتدريبه وأسلوب قتاله ونظامه التأديبي تغييراً جوهرياً والأهم من ذلك أنه غير نظام التجنيد لكي يستطيع أن يعبئ القوات اللازمة، ففتح باب التجنيد على مصراعيه في جميع أنحاء الجمهورية الرومانية أمام المواطنين الفقراء الذين كان عدم استيفائهم النصاب لا يؤهلهم في الماضي للخدمة في الفرق الرومانية[٢].

---

[١] - احمد علي، عبد اللطيف: التاريخ الروماني «عصر الثورة»، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٣، ص٥٤.

[٢] - المرجع نفسه، ص٤٩.

ترتب على وفرة المجندين المتطوعين الذين اتخذوا من الجندية حرفة لهم وتنظيمهم في وحدات قتالية قوية وتدريبهم تدريباً عالياً وتمرسهم في القتال عاماً بعد آخر أن أصبح لروما جيش مشاة من مواطنيها لا يجاريه جيش آخر في العالم القديم[١]. لكن من ناحية أخرى ترتب على هذه الخطوة نتائج بعيدة المدى إذ تحولت الخدمة العسكرية من التزام نحو الدولة إلى حرفة تتعيش منها أعداد غفيرة من المواطنين المعدمين والعاطلين عن العمل ولم يعد المجندين على هذا الأساس يتوقون فيما يبدو إلى تسريحهم بعد انتهاء الحملات العسكرية، بل أصبحوا يفضّلون البقاء في الخدمة العسكرية سنوات عديدة تحت إمرة قائدهم المظفر.

إذا كان ماريوس قد أعاد تنظيم الجيش وغير طريقة تسليحه وتدريبه وأسلوب قتاله، فيجب إيضاح هذه النقاط وتبيان الوضع الذي أصبح عليه بعد الإصلاحات التي أدخلها على نظام الجيش. فعندما جاء ماريوس إلى الحكم ألغى نظام تشكيل الجيش القائم على أساس الثروة فتساوى الجنود وتسلحوا بسلاح واحد تمثل في السيف والحربة الطويلة (pilum)، وأصبحت الفرقة تتألف نظرياً من ستة آلاف جندي، وانقسمت على عشر وحدات (cohors) وحلّت الوحدة محل السرية (manipulus)، وجعل لكل فرقة راية أو شعاراً على شكل نسر (Aquila) مزخرفاً بإكليل من الذهب أو الفضة، وكان ضياعه من الفرقة قد يتسبب في تسريحها، وألغى ماريوس وحدة الفرسان (ala) وكذلك المشاة خفيفي التسليح ولم يحدث أي تغيير في القيادات إلى أن جاء يوليوس قيصر الذي قلل من أهمية تريبيونات الجنود وبدأ يسند قيادة الفرقة إلى قائد يحمل لقب (Legatus)[٢].

رغم كل التغييرات التي أدخلها ماريوس إلى نظام الجيش الروماني، إلا أنه من غير المرجح أن ماريوس هو من استحدث نظام استخدام الوحدة المسماة (cohors) بدلاً من السرايا (manipulus) في المناورة والقتال، لأن الوحدات (cohors) كانت النظام المألوف منذ أمد بعيد في قوات حلفاء روما اللاتين والإيطاليين، ومن ناحية أخرى فإن بوليبيوس يذكر أن الرومان أتبعوا هذا النظام في إسبانيا في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد.

---

[١] - نصحي، ابراهيم: المرجع السابق، ج٢، ص٢٠٠.

[٢] - أحمد علي، عبد اللطيف: التاريخ الروماني «عصر الثورة»، المرجع السابق، ص٥٥. ; ريحانا، سامي: المجتمعات العسكرية عبر التاريخ، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٩٦، ص١٣٥.

إذاً من الأصح أن نقول بأن الرومان ومنذ القرن الثالث قبل الميلاد قد أدركوا أن السرية كانت أصغر من أن تصلح دائماً كوحدة قتالية ذات فعالية فأخذوا يجرّبون من حين إلى آخر نظام استخدام الوحدات (cohors) بدلاً من السرايا في القتال والمناورة إلى أن خطا ماريوس الخطوة الحاسمة في هذا الاتجاه وجعله النظام الأساس للفرق الرومانية عندما تولى قيادة الحرب ضد الكمبري والتيتون سنة ١٠٢ ق.م[١]، ولعل الرومان استمروا في استخدام هذا الأسلوب حتى بداية العصر الإمبراطوري عندما جاء أغسطس وأسّس النظام الإمبراطوري.

٣- مرحلة العصر الإمبراطوري (٣١ ق٠م-٢٨٤م):

مما لاشك فيه أن عهداً جديداً بدأ بتولي أغسطس لمقاليد الحكم، والذي اعتاد المؤرخون على تسميته بالعصر الإمبراطوري[٢] حيث دخلت روما في هذا العصر المرحلة الأخيرة من التوسع والهيمنة، كما أنها تعرّفت على نظام جديد من الحكم هو النظام الإمبراطوري. كانت روما منذ سنة ١٣٣ ق٠م قد دخلت بحرب أهلية بين مختلف طبقات المجتمع والأحزاب استمرت قرابة مائة عام، ذاقت خلالها الجمهورية الرومانية ويلات الحرب والدمار، لكن القدر هيأ لها من يوقف نزيف هذه الحرب وهو غايوس اوكتافيوس. ولد اوكتافيوس سنة ٦٣ ق٠م وهو حفيد يوليا أخت يوليوس قيصر، أحبه خاله الأكبر يوليوس قيصر وشمله بعطفه، وبعد مقتل قيصر اضطلع على وصية خاله التي كانت تقضي بأن يكون وريثه وابنه بالتبني فأصبح يدعى غايوس يوليوس قيصر اوكتافيان. استطاع هذا الشاب وبعد جهد كَبير ومعارك مريرة أن يقتص من قتلة قيصر ومن ثم وضع حداً لنزيف الحرب الأهلية وذلك بعد معركة اكتيوم سنة ٣١ ق٠م التي وقعت بينه وبين شريكه في الحكم ماركوس انطونيوس وكليوباترة السابعة ملكة مصر، حيث استطاع اوكتافيوس في هذه المعركة الانتصار على خصميه الذين انتحرا بعد ذلك، فأصبح اوكتافيوس القائد الأوحد في روما، وأصبح يتمتع بنفوذ شخصي لم يتمتع به قائد عسكري روماني قبله. وبعد استقباله في روما

---

[١] - نصحي، ابراهيم: المرجع السابق، ج٢، ص٢٠١.

[٢] - رستوفتزف: المرجع السابق، ج١، ص٦٩.

سنة ٢٩ ق.م استقبال الأبطال[١]، وجد اوكتافيوس أنه لا بد من إيجاد نظام جديد للحكم يضمن وضع حد للحروب الأهلية وإحلال السلام وكذلك يضمن بقائه على قمة الهرم في الحكم والإدارة. لقد وجد اوكتافيوس أنه إذا أراد توطيد سلطانه وتثبيته فإنه كان لزاماً عليه أول الأمر أن يوطد الأمن والسلام، خصوصاً أن العالم بأسره قد أصبح على أتم الاستعداد لقبول ذلك السلام والمحافظة عليه، فالمتاعب نالت من كل إنسان واستولى السخط والسأم على الجميع وأصبحوا ينتظرون بفارغ الصبر وكبير الأمل أن تكون موقعة أكتيوم هي خاتمة الحروب الأهلية[٢]. وبالرغم من أنه كان طليق اليدين فيما يتعلق بإصلاح نظام الدولة الرومانية، إلا أنه كان حذراً في ذلك لأنه لم يرغب بالاصطدام المباشر مع أنصار الجمهورية كما فعل قيصر من قبل حيث دفع حياته ثمناً لذلك، ومن أجل تفادي ذلك رأى اوكتافيوس وجوب التمهيد لإصلاحاته بإعادة الطمأنينة إلى النفوس وتنمية الشعور بالاستقرار بعد ويلات الحرب الأهلية، فأغدق الهبات على المواطنين وشرع بتشييد المباني العامة وأنشأ الطرق ليشعر الناس بأن الأمور قد عادت إلى طبيعتها، كما أغلق أبواب هيكل الإله يانوس ليزيح كابوس الحرب عن صدور الناس، وأعلن إحراق كافة الوثائق التي تدين معارضيه، وبعد ذلك انصرف أغسطس إلى استكمال نظامه الجديد، فلم يأت سنة ١٧ ق.م حتى أعلن اوكتافيوس الذي أصبح لقبه أوغسطس (الجليل) استكمال دعائم إصلاحاته ودستوره الرئاسي، وأعلن على الملأ أن عهداً جديداً قد بدأ بإحلال السلام الأوغسطي[٣].

لقد أعلن أوغسطس السلام الروماني وفق مبادئ وأسس قوية، فالسلام الروماني الذي نظمه وعرف خلفاؤه من بعده كيف يصونونه ويحافظون عليه طيلة قرنين كاملين، لم يكن أبداً سلاماً ضعيفاً، وإنما كان سلاماً قوياً نحتت روما لبناته وفرضته على الجميع وراحت تراقبه وتسهر عليه، ولم تهمل كبيرة ولا صغيرة حتى يبقى لواءه مرفوعاً فوق الجميع وخفاقاً في جميع أنحاء الإمبراطورية، ومستعدة دوماً لاستعمال القوة وحمايته من عبث العابثين. لقد كان الدستور الذي سنّه أغسطس والنظام الإداري الذي أنشأه بنفسه قد ساعداه على إحلال السلام

---

[١] - محفل، الزين: المرجع السابق، ج٢، ص٨-٩.

[٢] - رستوفتزف: المرجع السابق، ج١، ص٧٠.

[٣] - محفل، الزين: المرجع السابق، ج٢، ص ص٣٢-٣٤.

وعلى توطيد أركان السلطة والحكم بنفسه إذ اعتقد اعتقاداً ثابتاً بأنه لا بد لروما وللإمبراطورية من سيد أعلى، وبالفعل كان جمعه للسلطة السياسية والعسكرية الوسيلة الوحيدة الكفيلة لمنع الويلات والأضرار التي لا بد أن تنزلها بالبلاد أطماع الزعماء وجشع المتنافسين على السلطة. أيضاً إن تنظيمه للجهاز الإداري وإحلاله القانون والعدل في فرض الضرائب وجباية الخراج والرسوم لا بد من إصلاحها لوضع حد للابتزاز والاختلاسات التي تبعث على التذمر لدى سكان الإمبراطورية. كل هذه الأمور فرضت على أغسطس أن يفرض قبضة قوية شديدة لا تراخي فيها كما كان عليه أن يفرض نفسه وهيبته على الأحزاب والولايات والجيش ورجال المال وأهل الثراء، فلا سلام داخلي إلا بهذا الثمن وعلى هذا الأساس كان الناس قد وجدوا أن هذا هو الرأي السديد بعد كل ما شاهدوه من ويلات الحروب الأهلية. لذلك كان المواطنون في روما على أتم استعداد لقبول الاعتراف بأغسطس على أنه الزعيم وأنه الرئيس الدستوري للمجتمع الروماني ولمجلس الشيوخ[١].

كذلك فإن الحروب الأهلية واتساع رقعة الدولة الرومانية فرضت على أغسطس عنصرين جديدين في الحكم لا سبيل إلى تجاهلهما أو التخلي عنهما في أي عمل إصلاحي عماده التعمير، ذلك لأنهما كانا الدعامة الأساسية والقوة المحركة في ذلك السلام، وهذان العنصران هما الجيش القائم المحترف، وقائده الأعلى الإمبراطور أغسطس، الملقب بقائد الجيش قيصر أغسطس ابن الإله (Imperator Caesar Augusts Divifilius). فالجيش قائم ولا سبيل إلى تسريحه، لأن الحاجة كانت ماسة إليه لضمان السلام الخارجي والأمن الداخلي، فلا طمأنينة ولا هدوء ولا نظام ولا سلام ولا خير يرجى من غير جيش قوي يسوده النظام التام ويُجزل له الأجر والعطاء، ومن ناحية أخرى كانت الحرب الأهلية قد أظهرت أن جيشاً قائماً بصفة دائمة يسوده النظام التام لا تتجلى كفايته على أتم وجه إلا إذا كانت مقاليد الأمر فيه بيد قائد يدين له الجيش بالولاء ويعترف له بالزعامة، على ألا يكون ذلك القائد مفروضاً عليه من قبل الشعب الروماني ومجلس الشيوخ، بل يكون شخصاً محبوباً من الجنود والضباط وموضع ثقتهم. سبق وطُرحت مشكلة الجيش وقيادته في عهد أسلاف أغسطس وقدم هؤلاء

---

[١] - إيمار أندريه، أبوايه جانين: المرجع السابق، م٢، ص٢٧٣.

حلولاً لهذه المشكلة، ومن بين هذه الحلول ما اقترحه سُلاً وربما بومبي من بعده، ويتضمن ذلك أن يدخل الجيش في نفوذ مجلس الشيوخ وأن يتحتم على قائده مباشرة مهامه على أنه موظف عادي من موظفي الدولة الرومانية. أما الحل الآخر فكان قد طرحه قيصر وعمل على تنفيذه، وهو أن يبقى الجيش تحت إمرة أسمى موظف من قبل الشعب الروماني، وبذلك يحول دون أن يكون لمجلس الشيوخ أية صلة أو علاقة به. وجد أغسطس في الحل الثاني بوجه عام بغيته فوقع اختياره عليه، إذ وجد أنه لا مجال لإخضاع الجيش ثانية لنفوذ مجلس الشيوخ، لأنه في حال حدوث ذلك ستعود الحروب الأهلية وسيفشل مشروعه، فكان الحل الوحيد أمام أغسطس هو بقائه على رأس الجيش قائداً أعلى، وأن لا يسمح لأي شخص أن يشاركه على قدم المساواة في هذه الرئاسة، وعلى ذلك فإن المهمة السياسية التي اضطلع بها أغسطس لم تنطوي على إعادة الحالة التي كانت قائمة قبل الحروب الأهلية على ما كانت عليه، بل كان يرمي إلى توطيد الأوضاع التي جاءت بها الحروب الأهلية، ثم العمل على إصلاحها وتنظيمها من جديد[١].

ولما أن القوة هي أساس الأمن الداخلي والسلام الخارجي فلابد لنا هنا من إلقاء نظرة معمقة على الجيش الإمبراطوري الذي كان قوام السلام الروماني وأداته الطيعة والركيزة التي قامت عليها المدنية الرومانية[٢]. فبعد إجراء مقارنة بسيطة بين الارتجالية والآنية التي اتبعتها الجمهورية في ميادين القتال كافة وبين فهم أغسطس للقوات المسلحة نجد أن الجمهورية لم يكن لديها جيش بصورة منتظمة، بل كانت هناك حلقات متتالية من الحملات التي كانت تعبئ لأجل غرض معين. وقد دفع الجنودَ عدمُ وجود شروط منتظمة للخدمة ومنح الأجور بعد انتهاءها، إلى الاعتماد على قادتهم لمكافأتهم مكافأة مُجزية عند تسريحهم، وعلاوة على ذلك كان على روما أن تستنزف النصيب الأكبر من طاقتها في مجال الخدمة العسكرية طالما أن

---

(١) - رستوفتزف: المرجع السابق، ج١، ص ص٧٢-٧٣؛ لورو ، باتريك : الإمبراطورية الرومانية ، ت : جورج كتوره ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ص ص ١٥- ١٦ .

(٢) - إيمار أندريه، أبوايه جانين: المرجع السابق، م٢، ص ٢٧٦.

الجمهورية لم تجرؤ أبداً على قبول سكان الولايات في الجيش على نطاق واسع[١]. هذه المشاكل وغيرها من امتداد لرقعة الإمبراطورية وتباين أقوامها وقيام قبائل وشعوب مزعجة بجوارها دفعت أغسطس إلى إيجاد حلول جديدة، وكان من الأمور التي ميزت النظام الإمبراطوري وأبرزته بوضوح عن العهد الجمهوري قيام جيش دائم لم يتوقف إنشاءه أو وجوده على ظروف طارئة وحوادث معينة كما كان سائداً في العصر الجمهوري، وإنما انبثق كيان هذا الجيش وقوامه من صميم النظم الجديدة التي أوجدها أغسطس، حيث لم يعد من الممكن العودة إلى نظام الخدمة العسكرية الإلزامية العامة الذي تم العمل به منذ عهد ماريوس، لأن الرجوع إليه يعتبر تدبيراً تعسفياً طالما تذمر منه الشعب. كذلك لم يعد بمقدور أحد أن يفرض على الشعب – تحت أي سماء عاشوا، وفي أي مكان حلوا من هذا العالم المتمدن – حياة الحصون النائية والقلاع الأمامية والمناورات الحربية والأشغال اليدوية الإجبارية، ولهذه الأسباب مجتمعة كان لا بد من جيش محترف يقوم على متطوعين يقبلون طوعاً واختياراً الخدمة العسكرية ويتدربون على فنون الحرب ويشبون على المهنة ويتمرسون بها طويلاً من خلال مزاولة يومية وتمارين مستمرة، لقد كان من المحال اجتذاب مثل هذه الحشود من المتطوعة على القدر الكافي والعدد الوافي، فالحروب لم تعد مورد رزق ومهنة رابحة لندرتها من جهة ولوقوعها في أكثر الأحيان في بلاد غير ذي خصب وعطاء من جهة أخرى. لذلك لا بد من مغريات تدفع الناس للإقبال على التطوع في هذا الجيش وتحل محل مغانم الحروب مثل المرتبات العالية والمكافآت العينية أو النقدية التي يصار إلى توزيعها في بعض المناسبات، وتعويضات سخية وامتيازات مغرية تعطى لهم عند التسريح من الجيش، أو الترفيع إلى مرتبة اجتماعية أو قضائية أعلى. أصبحت كل هذه المغريات تتبلور بالفعل، لكنها جعلت الدولة والخزينة ترزح تحت نفقات ومصاريف كبيرة جداً. من أجل تحقيق جيش دائم قائم على التطوع راحت الإمبراطورية تدعو سكان الأقاليم التابعة لها للخدمة في جيشها كوحدات مساعدة ورديفة للفرق، فألف سكانها نصف الجيش الروماني المحترف تقريبا[٢].

---

[١] - ددلي، دونالد: حضارة روما، ترجمة جميل يواكيم الذهبي وفاروق فريد، دار نهضة مصر، القاهرة، ص٢١٩.

[٢] - إيمار أندريه، أبوايه جانين: المرجع السابق، م٢، ص٢٧٦- ٢٧٧.

إذاً ولما أن الواجب الأول لحاكم أي شعب هو أن يوفر لهذا الشعب أسباب السلامة والأمن من خلال تخصيص العدد الكافي من القوات لحمايته، وبالوقت نفسه العمل على ما من شأنه الحيلولة دون تحول هذه القوات المسلحة إلى خطر يتهدد الشعب الذي تقوم بحمايته، عمد أغسطس إلى تخفيض عدد القوات بالقدر الذي لا يعرض سلامة الدولة للخطر[١]. أصبحت مهمة الجيش الإمبراطوري المحافظة على أمن الأقاليم والدفاع عن حدود الإمبراطورية، وأبقى أغسطس على الفرق الرومانية كنواة للجيش الروماني، ووضع ضوابط للخدمة في الجيش من حيث الراتب والتقاعد ومدة الخدمة، كذلك أوجد رديف جديد للجيش وهو الحرس الإمبراطوري، وأيضاً أوجد القوات الاحتياطية التي تشكّلت من أبناء الأقاليم التابعة للإمبراطورية الرومانية[٢].

وبعد كل ما سبق نستطيع القول أن أغسطس أوجد جيشاً إمبراطورياً دائماً قائما على الضوابط والنظم الصارمة. لذلك سيقوم البحث بدراسة هذا الجيش دراسة تفصيلية موضحاً في الفصول اللاحقة كل ما يتعلق به من تنظيم وإدارة وتكتيكات وتسليح وإمداد ونواح عديدة أخرى.

---

[١] - تشارلز ورث: الامبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١، ص ٣٨.

[٢] - ددلي، دونالد: المرجع السابق، ص٢٢١.

الفصل الأول

بنية الجيش الروماني وتنظيمه

أولاً: الحرس الإمبراطوري

١- التجنيد والتنظيم

٢- دوره من الناحية العسكرية

٣- دوره من الناحية السياسية

ثانياً: الفرق (legions)

١- التجنيد وظروف الخدمة

٢- بنية وتنظيم الفرقة

٣- أسماء الفرق وألقابها

٤- أعداد الفرق وتوزعها

ثالثاً: الوحدات المساعدة

١- التجنيد

٢- تنظيم الوحدات المساعدة

٣- أسماء وألقاب الوحدات المساعدة

رابعاً: التسلسل الهرمي للقيادة

١- الإمبراطور

٢- حكام الأقاليم وضباط الفرق

٣- تريبونات وقادة الوحدات

٤- قادة المائة

خامساً: رايات الجيش وشعاراته

١- راية الفرقة (aquila)

٢- راية المئينة (signa)

٣- راية المقتطعات (vexilla)

بعد أن أصبح أغسطس القائد الأول في الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٠ ق.م، قرر إعادة تنظيم بنية الجيش الروماني، فحوّله إلى جيش دائم ومحترف تنظمه القوانين والضوابط العسكرية الصارمة، ويخضع إلى تنظيم عسكري جديد قائم على تشكيلات عسكرية جديدة منفصلة عن بعضها البعض ويختلف كل تشكيل عن الآخر اختلافاً يكاد يكون جذرياً من حيث التنظيم وظروف الخدمة والمهام الملقاة على عاتقه. في هذا الفصل سيتم دراسة هذه التشكيلات، وتوضيح الدور الذي لعبه كل تشكيل في تاريخ الإمبراطورية الرومانية.

أولاً: الحرس الإمبراطوري (praetorian guards)

١ – التجنيد والتنظيم

اشتق مصطلح praetorian من لقب praetor الذي كان يطلق على القائد العسكري الروماني الميداني في العصر الجمهوري، أو من الكلمة "praetorium " التي تعني مقر إقامة القائد أو خيمته، وكان من عادة الجنرالات الرومان في تلك الفترة اختيار قوة خاصة من جنود الفرق لتقوم بمهام الحرس الشخصي لشخص القائد وخيمته. تألفت هذه القوة من جنود مشاة وفرسان، وأصبحت لاحقاً تعرف باسم وحدات الحرس الإمبراطوري (cohors praetorian guards)[١].

بعد نهاية الحرب الأهلية والاضطرابات الكبيرة التي شهدتها الإمبراطورية الرومانية سنة ٣٠ ق.م وجد أغسطس أن هناك حاجة ملحة لوجود حرس شخصي يشرف على حمايته، لذلك بعد أن أصبح إمبراطوراً سنة ٢٧ ق.م قرر إعادة تنظيم الجيش، ومن ضمنه الحرس الإمبراطوري. وبالرغم من تقدير أغسطس للحاجة الماسة لحرس شخصي يحميه، إلا أنه كان حذراً في إنشاء الحرس الحامي له وتقويته، ولذلك سمح بإنشاء تسع وحدات[٢] ضمت كل منها خمسمائة جندي فقط، وأضاف إلى كل وحدة من وحدات الحرس وحدة خيالة مؤلفة من ثلاثين فارساً تم اختيار جنودها من جنود الفرق النظامية في الجيش الروماني ومن أفضل

---

(1) - www.wikipedia.org./praetorian-guards/,(صفحة مطولـــة). ; - Chrissanthos, Stefan: Warfare in the Ancient World: From the Bronze Age to the Fall of Rome, London, Greenwood Publishing, 2008, p.172.

(٢) - تشارلز ورث: المرجع السابق، ص٤٢. وانظر: - Pollard, Nigel: The Roman Army: A Companion to the Roman Empire, Blackwell Publishing, 2006. pp. 208-209.

الشباب في إيطاليا، وخصوصاً من أتروريا، لاتيوم. بمرور الوقت اتسع نطاق تجنيد هؤلاء الجنود إلى مقدونيا وهسبانيا وبايتيكا وإيليريكوم. ويظهر التوسع الواضح في نطاق تجنيد جنود الحرس الإمبراطوري من خلال تشكيل فيتيليوس سنة ٦٩ م حرساً إمبراطورياً جديداً من الفرق الجرمانية، وكذلك تشكيل الإمبراطور سيبتيموس سيفيروس (١٩٣-٢١١ م) حرساً إمبراطورياً من الفرق البانونية، وفي ذلك دليل واضح على أن تشكيل الحرس الإمبراطوري لم يعد حكراً على منطقة معينة بذاتها كما كان في بداية الفترة الإمبراطورية، بل أصبح يشمل المناطق المختلفة من الإمبراطورية بما يناسب الإمبراطور القائم على رأس السلطة[١].

ولم يكن عدد وحدات الحرس الإمبراطوري ثابتاً، بل تغير من فترة إلى أخرى، حيث بلغ عددها عند تشكيلها من قبل أغسطس تسع وحدات، ثم ارتفع عددها حتى أصبح اثنتا عشرة وحدة، وربما كان سيجانوس (Sejanus) وراء رفع عددها إلى اثنتا عشرة وحدةً، وسنة ٦٩ م زاد الإمبراطور فيتيليوس عددها إلى ست عشرة وحدة، وأصبحت كل وحدة تضم ألف جندي لكن ذلك لم يدم طويلاً، لأن فيسبيسيان بعد أن تسلم الحكم سنة ٦٩م أعاد عددها إلى تسع وحدات، لكنه لم يغير عدد الجنود في كل وحدة والبالغ عددهم ألف جندي، وكتدبير احترازي عين ابنه تيتوس قائداً للحرس الإمبراطوري[٢]، وأخيراً سنة ١٠١م زاد الإمبراطور تراجان عددها إلى عشر وحدات[٣]. ضم الحرس الإمبراطوري منذ تشكيله في عهد أغسطس مقتطعات فرسان صغيرة إلى جانب وحدات المشاة، حيث أضاف أغسطس إلى كل وحدة مشاة وحدة خيالة مؤلفة من ثلاثين فارساً، وكانت مهمة هذه المقتطعات من الفرسان مرافقة الأباطرة في جولاتهم على الولايات وفي الحملات العسكرية. وسع الإمبراطور تراجان حجم هذه القوة سنة ١٠١م فأصبح عدد أفرادها يقارب خمسمائة واثني عشر فارساً، وبذلك أصبحت هذه القوة وحدة الحرس الإمبراطوري العاشرة، وجزءاً دائماً من المؤسسة الإمبراطورية. ولاحقاً ضاعف سبتيموس سيفيروس حجم هذه الوحدة فأصبحت مساوية في عدد أفرادها لعدد أفراد وحدات مشاة الحرس الإمبراطوري البالغ عدده ألف جندي في كل وحدة[٤].

---

(1) - Stevenson, G. H: The Army and Navy, CAH, vol X, University Press, Cambridge, 1964, p.233.

(2) - Keppie, Lawrence: The Making of The Roman Army, Batsford, London, 1984, p.158.

(3) - www.wikipedia.org. /praetorian-guards/, (صفحة مطولة).

(4) - www.tripod.com. (صفحة مطولة), www.wikipedia.org./praetorian-guards/.(صفحة مطولة)

كانت مهمة الحرس الإمبراطوري مرافقة الإمبراطور والحفاظ على حياته في أوقات السلم والحرب لذلك ومن دون شك شكلت الوحدات التسعة التي تؤلف الحرس الإمبراطوري (Praetorian Guards) صفوة الجنود في الجيش الروماني، وكانت هذه الكوهورتات تمثل حرس الشرف الملازم للإمبراطور، لذلك روعي في اختيار جنودها قوتهم وولائهم للإمبراطور داخل روما وخارجها[١]، وكان الإمبراطور هو الذي يبلغ كلمة السر إلى قادة الحرس الإمبراطوري[٢].

عندما أسس أغسطس الحرس الإمبراطوري، وزع ست وحدات في نقاط مختلفة في إيطاليا، بحيث تنتظم في كل أنحاءها بهدف المحافظة على الأمن والاستقرار فيها. في حين بقيت ثلاث وحدات في العاصمة لحراسة قصر الإمبراطور والأماكن الهامة في روما[٣]، وعين أغسطس ضابطين من رتبة "بريفكتوس" (praefectus) لقيادة وحدات الحرس الإمبراطوري وهما كوينتس أوستوريوس سكابيولا، بوبليوس سالفيوس أبير[٤]. إلا أنه في عهد الإمبراطور تيبيريوس (١٤-٣٧م). استطاع قائد الحرس الإمبراطوري الجديد لوسيوس أيليوس سيجانوس (Lucius Aelius Sejanus) إقناع الإمبراطور تيبيريوس بتوحيد وحدات الحرس الإمبراطوري جميعاً في معسكر واحد مقره خارج أسوار روما مباشرة، وأن يترك لسيجانوس وحده أمر قيادة الحرس الإمبراطوري، وبالرغم من إخفاق حيل سيجانوس ومكائده التي أدت إلى إعدامه سنة ٣١ م، إلا أن إصلاحاته كتب لها النجاح والبقاء، فدخل الحرس الإمبراطوري العاصمة روما سنة ٢٣م قادمين من الثكنات المنتشرة في أرجاء إيطاليا ليستقروا في معسكرهم الجديد خارج البوابة الشمالية الشرقية لمدينة روما[٥].

تمتع أفراد الحرس الإمبراطوري بظروف خدمة جيدة اختلفت كثيراً عن ظروف الخدمة في الفرق الرومانية النظامية، فكانت مدة خدمتهم العسكرية قصيرة لا تزيد عن ست

---

(١) - تشارلز ورث: المرجع السابق، ص٤٢.

(٢) - الشيخ، حسين: الرومان، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤، ص ١٢٨ .

(3) - Stevenson: op.cit, p.233.

(4) - www.wikipedia.org. /praetorian-guards/, (صفحة مطولة).

(5) - Stevenson: op.cit, p.233; Keppie, Lawrence: legions and Veterans: Roman Army Papers 1971-2000, Franz Steiner Verlag, 2000, pp. 112- 122.

عشرة سنة وتقاضوا رواتب أعلى من رواتب جنود الفرق[1]، وكانوا ينالون نصيباً وافراً من العطايا والهبات الإمبراطورية، بالإضافة إلى ذلك فقد خضعوا لتدريب مكثف تدربوا فيه على أعنف ما تحتاج إليه تقاليد الحرب الرومانية، لذلك أصبح الحرس الإمبراطوري خلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد بمثابة مدرسة أولية لتخريج الضباط وذخراً لقواعد ونظم التدريب العسكري الروماني[(٢)]. كان تجهيز الحرس الإمبراطوري وتسليحه هو نفسه في الفرق، باستثناء فارق واحد بارز هو درع الصدر المزخرف الملائم جداً للاستعراضات العسكرية والوظائف الإدارية الحكومية، لذلك امتلك كل جندي في الحرس الإمبراطوري بذلتين من السلاح، واحدة من أجل الميدان وأخرى يرتديها أثناء تأديته للواجبات المدنية[(٣)] (الشكل رقم ٢).

لم يقتصر دور الحرس الإمبراطوري على حراسة الإمبراطور وحمايته فقط، بل كان له أثر هام في الحياة اليومية وفي تاريخ الإمبراطورية الرومانية من الناحيتين العسكرية والسياسية:

٢ – من الناحية العسكرية:

شكّل الحرس الإمبراطوري جزءاً هاماً من الجيش الإمبراطوري الروماني، وغالباً ما كان الأباطرة يعتمدون عليهم في حملاتهم العسكرية، لذلك كان تشكيل الحرس الإمبراطوري في الحملات العسكرية مساوياً لأي تشكيل في الجيش. ولم يشارك الحرس الإمبراطوري في الحملات العسكرية في بداية الإمبراطورية الرومانية إلا بشكل نادر، لكن أصبحت مشاركتهم فعالة منذ سنة٦٩م فقاتلوا قتالاً جيداً في معركتهم الحقيقية الأولى "كريمونا" (Cremona) أو التي تعرف بـــ "بدرياكم" (Bedriacum) سنة ٦٩م[*]، حيث وقف الحرس الإمبراطوري في هذه المعركة مع أوتو (Otho) ضد غالبا (Galba). كذلك شارك الحرس الإمبراطوري مشاركةً فعّالة في الحملات العسكرية على داسيا وبلاد الرافدين في عهد الأباطرة دومتيان (٨١–٩٦ م) وتراجان (٩٨–١١٦ م)، بينما قضى الحرس الإمبراطوري سنين طويلة على

---

[1] - Bingham, Sandra J: The Praetorian Guard in the Political and Social Life of Julio-Claudian Rome, The University of British Columbia, 1997, p.24.

[(٢)] - تشارلز ورث: المرجع السابق، ص٤٢-٤٣.

[(3)] - Keppie: The Making of The Roman Army, op.cit, p.158. ; Chrissanthos: op.cit, p. 172.

[*] - عرف عام ٦٩م في التاريخ الروماني بعام الأباطرة الأربعة (غالبا ، أوتو ، فيتللوس ، فيسبسيان).



الشكل رقم (٢)
نقش على قوس كلوديوس يظهر جنوداً من الحرس الإمبراطوري في لباس الإستعراض العسكري
المصدر : /www.wikipedia.org./praetorian-guards

جبهة الدانوب في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠م). في القرن الثالث الميلادي سائد الحرس الإمبراطوري الأباطرة في حملات عديدة، مثل مشاركتهم في حملة الإمبراطور أورليان (٢٧٠-٢٧٥ م) لإخضاع تدمر سنة ٢٧١م[١].

٣- من الناحية السياسية:

شكل الحرس الإمبراطوري علامة فارقة في الحياة السياسية للإمبراطورية الرومانية، فكان أغسطس الإمبراطور الوحيد الذي استطاع الحصول على ولائه المطلق، لكن بوفاته بدأ الحرس بخدمة الأهداف التي تعود عليه بالنفع، وأصبح يستخدم قوته ونفوذه في عزل الأباطرة وتنصيبهم وكأن بعض الأباطرة دمى في أيديهم يتحكمون بهم كيفما يشاؤون وأصبح العرش سلعة للذي يدفع أكثر. ظهرت بوادر هذه القوة في عهد الإمبراطور تيبيريوس عندما أضطر إلى الاعتماد على وحدات الحرس ضد أتباع قائد حرسه الإمبراطوري سيجانوس، فضحى الحرس بقائدهم مقابل منحة نقدية وعدهم بها الإمبراطور تيبيريوس [٢].

بعد مقتل سيجانوس قائد الحرس الإمبراطوري سنة ٣١ م، بدأ الحرس يلعب لعبة دموية طموحة في الإمبراطورية الرومانية، فاغتالوا الأباطرة مقابل المال وتمردوا على قادتهم أو انقلبوا على سكان روما، وتوضحت هذه اللعبة بقتل الحرس للإمبراطور كاليغولا (Caligula) (٣٧-٤١ م) سنة ٤١ م بالتآمر مع مجلس الشيوخ، كما ظهرت سطوة وقوة الحرس بعد تنصيبهم لكلاوديوس (٤١-٥٤ م) إمبراطوراً متحدّين بذلك مجلس الشيوخ الذي عارض قرارهم[٣].

سنة ٦٩ م، حلت بالإمبراطورية الرومانية أزمة حرجة أدت إلى وقوع حرب أهلية كان سببها موت الإمبراطور نيرون دون أن يترك وراءه خليفة أو وريثاً، وفتحت هذه الأزمة المجال أمام من يدّعي الرئاسة وخلقت أحداثاً دموية وقعت سنة ٦٩ م، حيث أظهرت هذه الأحداث قوة الحرس الإمبراطوري وقدرته الواضحة والجلية في تنصيب الأباطرة وحتى قتلهم. بعد ترشيح الحرس الإمبراطوري لـ غالبا (Galba) ليتسلم مقاليد الحكم في الإمبراطورية مقابل منحة نقدية سرعان ما انقلبوا ضده وغيروا ولاءهم لصالح أوتو (Otho) واغتالوا الإمبراطور "غالبا" بعدما فشل في تقديم المنحة المالية لهم. لم يدم وقوف الحرس في

---

[١] - الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٢٩. أنظر /www.wikipedia.org. /praetorian-guards

[2] - www.wikipedia.org. /praetorian-guards/, (صفحة مطولة).

[٣] - ددلي، دونالد: المرجع السابق، ص٢٦١.

صف (أوتو) طويلاً، فسرعان ما ظهر فيتليوس الذي رشحه جيش الراين، حيث قتل "أوتو" وحلّ الحرس الإمبراطوري وشكل حرساً جديداً، لكن الكلمة الأخيرة في هذه الأحداث كانت تعود للفرق المعسكرة في الشرق والتي أعلنت فيسبيسيان إمبراطوراً في الإسكندرية، وأيدته بعد ذلك الفرق المعسكرة في سورية، وانضمت إليها فرق الدانوب، ثم تقدمت هذه الفرق نحو العاصمة روما ودخلتها معتمدة في ذلك على وحدات الحرس الإمبراطوري الناقمة على فيتيليوس الذي حلها وطردها، ودارت معركة شرسة في شوارع روما بين قوات فيسبيسيان وقوات فيتيليوس انتهت بمقتل فيتيليوس وإعلان فيسبيسيان إمبراطوراً سنة ٦٩م[١].

طوال القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد لعب الحرس الإمبراطوري أثراً كبيراً وهاماً في تاريخ الإمبراطورية الرومانية السياسي كما يوضح ذلك (الشكل رقم٣).

الإمبراطور	السنة	علاقته بالحرس الإمبراطوري
أغسطس	٢٧ق.م-١٤م	أسس الحرس الإمبراطوري وحصل على ولائهم المطلق
تيبيريوس	١٤-٣٧م	سمح لــ (سيجانوس) بقيادة الحرس بشكل منفرد، كما جمع الحرس في معسكر واحد خارج أسوار روما، أعدم قائد الحرس (سيجانوس) وعين بدلاً عنه (ماكرو)
غايوس(كاليكولا)	٣٧-٤١م	اعتلى العرش بسبب علاقته القوية مع قائد الحرس (ماكرو)، قام بإعدام قائد الحرس (ماكرو)، اغتيل من قبل الحرس.
كلاوديوس	٤١-٥٤ م	أعلنه الحرس إمبراطوراً ووقفوا إلى جانبه في الصعاب مثل: محاولة الانقلاب التي قام بها ميسالينا وغايوس سيليوس، سك نقوداً رسم عليها صورة معسكر الحرس الإمبراطوري.
نيرون	٥٤-٦٨م	هجره الحرس وتخلوا عنه
غالبا	٦٨-٦٩م	أيده الحرس ثم انقلبوا عليه وقتلوه.
أوتو	٦٩م	عين من قبل الحرس الذين قاتلوا بشدة من أجله في (كريمونا) قبل أن ينتحر
فيتيليوس	٦٩م	حلّ الحرس وشكل حرساً جديداً، خلعه الحرس المنحل مع الفرق الرومانية.
فيسبيسيان	٦٩-٧٩م	أنقص حجم الحرس بعد النصر على فيتلليوس عام ٦٩م ، عين ابنه (تيتوس) رئيساً للحرس .
تيتوس	٧٩-٨١م	خدم كقائد للحرس ثم كإمبراطور

[١] - ددلي، دونالد: المرجع السابق، ص٢٦٨-٢٦٩، أنظر /www.wikipedia.org/praetorian-guards

دومتيان	٨١-٩٦م	دعمه الحرس عندما انتخب إمبراطورا وبقوا مخلصين له خصوصاً بعد رفع رواتب الجيش.
نيرفا	٩٦-٩٨م	أذله الحرس وأجبروه على تبني ماركوس ألبيوس تريانوس كزميل ووريث للعرش.
تراجان	٩٨-١١٧م	أعدم ضباط الحرس الذين قادوا التمرد ضد نيرفا
ماركوس أوريليوس	١٦١-١٨٠م	استعمل الحرس في حربه ضد القبائل الجرمانية
كومودوس	١٨٠-١٩٢م	رشا الحرس الإمبراطوري وحصل على ولائهم
بيرتيناكس	١٩٣م	أغتاله الحرس
ديديوس جوليانوس	١٩٣م	اشترى العرش الإمبراطوري من الحرس، لكن تخلى عنه الحرس لاحقاً
سبتميوس سيفيروس	١٩٣-٢١١م	حلّ الحرس وانشأ حرساً جديداً من الفرق الدانوبية.
كركلا	٢١١-٢١٧م	قتل في مؤامرة حاكها قائد الحرس (ماكرينوس).
ماكرينوس	٢١٧-٢١٨م	خدم قائداً للحرس ثم كإمبراطور بعد قتل كركلا، لكن الحرس تخلوا عنه لاحقاً
إيلاجابالوس	٢١٨-٢٢٢م	اغتيل في معسكر الحرس الإمبراطوري ، من قبل الحرس نفسهم
ألكسندر سيفيروس	٢٢٢-٢٣٥م	رفعه الحرس كإمبراطور
بالبينوس	٢٣٨م	قتله الحرس
بوبينوس	٢٣٨م	قتله الحرس
غورديان الثالث	٢٣٨-٢٤٤م	أعلنه الحرس إمبراطوراً، لكن قتله لاحقاً قائد الحرس فيليب العربي .
أورليان	٢٧٠-٢٧٥م	قتله الحرس
بروبوس	٢٧٦-٢٨٠م	قتلته قوات من الحرس الإمبراطوري بعد ثورة.
ديوقلسيان	٢٨٤-٣٠٥م	قضى على قوة الحرس بشكل كبير .

مكعاميوس	٣٠٦-٣١٢م	آخر إمبراطور ترأس الحرس.
قسطنطين الأول	٣٠٦-٣٣٧م	حلّ الحرس ودمر معسكرهم .

الشكل رقم (٣)

جدول يقدم معلومات مختصرة عن العلاقة بين الحرس والأباطرة خلال العصر الإمبراطوري[1]

بعد إلقاء نظرة سريعة على (الشكل رقم٣) نجد أن الحرس الإمبراطوري له أثر هام في الحياة السياسية للإمبراطورية الرومانية، وخاصة في تعيين الأباطرة وخلعهم، لكن بالرغم من هذا لم يكن لهم أثر هام في إدارة الإمبراطورية على عكس مجلس الشيوخ وأصحاب السلطة من موظفي الحكومة.

و يوضح لنا الشكل أن تاريخ الحرس الإمبراطوري، منذ تأسيسه في عهد أغسطس وحتى حلّه بشكل نهائي من قبل قسطنطين سنة ٣١٢م[2]، قد ارتبط بالتآمر والتواطؤ والغدر والاغتيال، لكن هذه الصورة عن الحرس قد تكون مجحفة وقاسية في الحكم عليه، فرغم كل الصفات السيئة التي ارتبط اسمه بها، إلا أنه ومن أجل إنصافه لا بد من ذكر الدور الإيجابي الذي لعبه. فبالرغم من ارتباط اسم الحرس بالصفات السالفة الذكر يمكننا القول أن الحرس كان وعلى مدى القرنين الأوليين من تاريخ تشكيله قوة إيجابية في الدولة الرومانية، حيث أنه أثناء هذه الفترة خلع أو سمح بخلع الأباطرة الضعفاء وغير المحبوبين والقساة مثل نيرون، بينما قدم الدعم والمساندة للأباطرة الأقوياء الذين يتمتعون بشعبية ويحققون العدالة مثل الأباطرة كلاوديوس وتراجان.

كذلك ساهم الحرس الإمبراطوري في تعزيز ما يعرف بالسلام الروماني (Pax Romana) من خلال الاستقرار الذي تمتع به الأباطرة الأقوياء بفضل وجود الحرس، وهذا ما احتاجه الأباطرة لإرساء السلام الروماني وذلك عن طريق حماية هؤلاء الأباطرة والمساعدة في إطالة فترات حكمهم، وأيضاً باحتواء اضطرابات جماهير روما وإحباط مؤامرات مجلس الشيوخ، كما حدث أثناء حكم مكسيمينوس ثراكس (٢٣٥-٢٣٨م) عندما قاتل الحرس الإمبراطوري جماهير روما في معارك شوارع وحشية. قام ديوقلسيان (٢٨٤-٣٠٥م)

---

[1] - www.wikipedia.org./praetorian-guards/, (صفحة مطولة).

[2] - www.roman-empire.net/roman-army/, (صفحة مطولة).

بالحد من نفوذ الحرس الإمبراطوري عندما انتقل إلى نيكوميديا (Nicomedia)* سنة ٢٨٤ م وشكل هيئات حلت محل الحرس هما الجوفيانز (Jovians) والهيركليانز (Herculians)، وبذلك لم يعد للحرس الإمبراطوري أي دور في حياة القصر[١].

لاحقاً حلّ قسطنطين (٣٠٦-٣٣٧ م) وبشكل نهائي، الحرس الإمبراطوري سنة ٣١٢ م، ودمر معسكر الحرس وأرسل الجنود إلى أصقاع مختلفة في الإمبراطورية الرومانية، وبذلك انتهى الحرس الإمبراطوري بعد أن خدم الإمبراطورية الرومانية أكثر من ثلاثة قرون[٢].

في سياق الحديث عن الحرس الإمبراطوري، لا بد لنا من التطرق إلى الحرس الشخصي الجرماني (Germani Corporis Custedes) الذي أسسه الإمبراطور أغسطس وبقي حتى عهد الإمبراطور "غالبا" ٦٩ م، كان هذا الحرس أقرب إلى الإمبراطور من الحرس الإمبراطوري، وتألف من وحدة صغيرة يبلغ عدد أفرادها ثلاثمائة جندي كحد أقصى، وجُنّد أفراده من القبائل الجرمانية الواقعة على أطراف الإمبراطورية الرومانية مثل الفريسي (Frisii) واليوبي (Ubii) والباتافي (Batavi). لم يكن أفراد هذا الحرس مواطنين رومان، لذلك اعتبروا أقل فساداً وقبولاً للرشوة من الحرس الإمبراطوري، لكن كونهم أجانب جعلهم غير شعبييّن، وغير محبوبين من قبل الحرس الإمبراطوري، والمواطنين الرومان، وبالرغم من كونهم لا يحملون حق المواطنة الرومانية إلا أنهم اتخذوا وتبنوا أسماء رومانية ويونانية مثل Felix, Phoebus, Nereus, Linus وفي عهد الإمبراطور نيرون (٥٤-٦٨م) وهبوا أرضاً للدفن ما تزال بعض حجارتها باقية حتى الآن. نُظّم الحرس الشخصي الجرماني في مجموعة تحت قيادة رئيس (Curator Germanorum) لكن هذا الحرس لم يدم طويلاً، حيث أقتصر وجوده في عهد الأباطرة الأوائل إلى أن حلّه الإمبراطور غالبا سنة ٦٩م[٣].

ليس من الواضح فيما إذا أعاد الأباطرة الفلافيون تشكيلهم من جديد كقوات حرس شخصي، لكن مع ذلك في نهاية القرن الأول الميلادي ظهرت وحدة حرس شخصي جديدة

* - مدينة تبعد عن بيزنطة حوالي (١٠٠كم) أتخذها دقلسيان مقراً لإقامته ، وذلك من أجل أن يكون قريباً من حدود الإمبراطورية.

(1) - www.wikipedia.org./praetorian-guards/, (صفحة مطولة).

(2) - www.roman-empire.net/roman-army/ , (صفحة مطولة).

(3) - Stevenson: op.cit, p.234.

أطلق عليها اسم حرس الفرسان الشخصي الأوغسطي (equites singularis augusti). ربما يعود أصل هذه الوحدة إلى عهد الإمبراطور دومتيان، لكن على الأرجح يعد أصلها إلى بداية عهد الإمبراطور تراجان، وبعد ذلك أصبحت هذه القوات وحدة دائمة لها معسكرها الخاص بها على هضبة Caelian في روما، وكان أفرادها ينتدبون من وحدات الفرسان المساعدة المجندة من الأقاليم الجرمانية، وخصوصاً الباتافيين الذين شكلوا عماد الحرس الشخصي الجرماني السابق، ويُتم أفرادها الفرسان الذين تم اختيارهم، ما تبقى من فترة خدمتهم البالغة خمس وعشرون عاماً في العاصمة روما. لكن يمنحون المواطنة الرومانية لحظة التحاقهم بها. ربما بلغ عددهم ألف فارس ونظّموا وجهّزوا مثل وحدات الفرسان النظامية وكان قائدهم برتبة تريبون (Tribunus) من طبقة الفرسان، وربما كان خاضعاً لإمرة قائد الحرس الإمبراطوري. عملت وحدة حرس الفرسان الشخصي كحرس شخصي للإمبراطور داخل روما وكمرافقة له في ميدان القتال، وعينوا بعد تسريحهم ضباطَ قادة لوحدات مساعدة نظامية في أنحاء مختلفة من الإمبراطورية.[١]

ثانياً: الفرق (legions)

شكلت الفرق عماد الجيش الروماني سواء في العصر الجمهوري أو في العصر الإمبراطوري، لكن اختلفت الفرق في العصر الإمبراطوري عن الفرق في العصر الجمهوري من حيث التجنيد وظروف الخدمة وأيضاً من حيث البنية والتنظيم. هناك جوانب أخرى تميزت واختلفت فيها الفرقة في العصر الإمبراطوري عن الفرقة في العصر الجمهوري، لذلك لا بد من توضيح كل الجوانب وتقديم عرض مفصل عن الفرق في العصر الإمبراطوري.

١ – التجنيد وظروف الخدمة:

احتلت الفرقة الرومانية المنزلة الأسمى في الجيش الروماني الإمبراطوري، لذلك كان يتم تجنيد أفرادها في بداية العصر الإمبراطوري من سكان إيطاليا الذين يتمتعون بحقوق المواطنة الرومانية[٢] وكان هذا التجنيد يتم عن طريق التطوع الاختياري على نقيض ما كان يحدث في العصر الجمهوري. وبالرغم من أن العصر الجمهوري كان قد عرف الضابط والجندي المحترفين، إلا أن الجيش في هذا العصر لم ينظم بشكل واضح وعلى أسس

---

(1) - Rankov, Boris: Military Forces: CHGRW, Vol II, Cambridge University Press, 2007, p.49.

(٢) ـ أندريه أيمار، أوبوايه جانين: المرجع السابق، ج٢، ص٢٨٠-٢٨١.

احترافية كاملة. فكان الجنود في العصر الجمهوري يأملون بأن لا يموتوا جوعاً بعد انقضاء حملة أو نهاية حرب[١]، ففي العصر الجمهوري لم يكن هناك جيش في أوقات السلم، فكانت الجيوش تشكل لمحاربة أعداء معينين وتحل عند هزيمة الأعداء[٢]. والنظام الذي كان سائداً في العصر الجمهوري لم ينسجم أبداً مع أفكار أغسطس الذي لم ينظر أبداً إلى الجيش على أنه قوة ميدانية يتم تأسيسه لحملة معينة وينتهي دوره بانقضاء هذه الحملة، بل نظر أغسطس إلى الجيش على أنه حامية عسكرية دائمة مهمتها حماية حدود الإمبراطورية من الغزوات الخارجية والحفاظ على الأمن والنظام الداخلي في الإقليم، ووفقاً لهذه النظرة عمل أغسطس على تنظيم مدة وظروف الخدمة للجندي في الجيش[٣].

في عهد ماريوس (١٥٧-٨٦ ق.م) كانت مدة خدمة المجندين الإجباريين في الجيش ست سنوات، وبعد إدخاله للمرتزقة ارتفعت المدة إلى ستة عشر سنة، لأنه في ذلك الوقت أصبحت الحياة العسكرية اختياراً كحرفة أكثر منه واجباً كمواطن روماني. عندما استلم أغسطس الحكم بعد حرب أهلية طويلة شارك فيها عدد كبير من الجنود، قرر تخفيض عدد الجنود، وفي سنة ١٣ ق.م، ثبت أغسطس مدة الخدمة لجنود الفرق عند ستة عشر عاماً بالإضافة إلى أربع سنوات يخدمها الجندي كمحارب قديم في الفرقة، حيث يكون الجندي في هذه الفترة الإضافية معفياً من بعض الواجبات. بذلك أصبح الوضع القائم في العصر الإمبراطوري على نقيض ما كان قائم في أواخر العصر الجمهوري، فبعد رفع مدة الخدمة للجندي لم يعد يوجد محاربين قدماء خدموا بضع سنوات فقط أو محاربين متمرسين بين السكان، والذين كان باستطاعتهم تهديد السلم. إنما في الواقع أصبح جميع الجنود بعد نهاية خدمتهم جنوداً مسنين. لكن هذا لم يكن السبب الحقيقي لرفع أغسطس مدة الخدمة العسكرية[٤]، وإنما على الأرجح كان السبب الرئيسي وراء ذلك، هو كلفة التسريح للمحاربين القدماء (منح الأرض)، والتي كانت عبئاً كبيراً على الدولة[٥]. ويتضح لنا ذلك من خلال الإجراءات التي

---

[1] - Stevenson: op.cit, p.221.

[٢] - رستم، أسد: عصر أوغوسطوس قيصر وخلفائه (٤٤ ق.م–٦٩ م)، ج٢، بيروت، ١٩٦٥، ص١١٨.

[3] - Stevenson: op.cit, p.221; Pollard, Nigel: The Roman Army, A Companion to the Roman Empire, Blackwell Publishing, 2006. p. 207.

[4] – Cowan, Ross: Roman Legionary 58 BC-AD 69, Osprey Publishing, 2003 p.12.

[5] - Marsden E.W: Greek and Roman Artillery: "Historical Development", Oxford at the Clarendon Press, 1969, p.182.

أتخذها أغسطس سنة (٦-٥ م)، فمطالبة الجنود القدماء بالتسريح ودفع مكافآت التسريح، دفع أغسطس إلى زيادة مدة الخدمة العسكرية لجنود الفرق إلى عشرين عاماً بالإضافة إلى فترة احتياط إضافية ليست محددة، لكن ربما خمس سنوات على الأقل، واستقرت رواتبهم عند اثنا عشر ألف سيستريوس (Sesterius)[١]، كذلك نقل العبء المالي إلى خزانة جديدة، أطلق عليها اسم الخزانة العسكرية (aerarium militare)، وكانت وظيفة هذه الخزانة تنظيم دفع مكافآت الخدمة، وأمدها أغسطس بالمال عند تأسيسها، لكن على المدى الطويل كانت عائداتها تأتي من الضرائب التي فرضت على المدنيين، والتي تمثلت في ضريبة التركات (٥%)، وضريبة مبيعات المزاد العلني (١%)، أما رواتب الجنود، فقد استمروا بتلقيها من الخزانة الإمبراطورية، بهذه الطريقة أصبح الجيش الروماني جيشاً دائماً ومحترماً ينسجم مع أفكار أغسطس[٢].

ربما لم يتم التقيّد بشروط الخدمة التي وضعها أغسطس بين عامي (٥-٦م) بشكل حازم، إذْ نجد في بداية حكم تيبيريوس أن أحد المظالم الرئيسية لجنود الفرق هي الاحتفاظ بهم أحيانا لمدة تتروح ما بين ثلاثين وأربعين عاماً، وحتى أنه بعد التسريح الرسمي كانت تفرض عليهم بعض الواجبات العسكرية، ولكن رغم هذه الشكاوى بقيت الخدمة العادية في الفرق عشرين عاماً طوال الفترة اليوليو- كلاودية (١٤-٦٨م)*، ويبدو أن سبب الاحتفاظ بهؤلاء الجنود كان مالياً بالدرجة الأولى، فتأسيس الخزينة كان سنة ٦ م والفترة بين عامي (٦-٢٣م) هي فترة قصيرة نسبياً حتى تستطيع هذه الخزينة تلبية حاجات الجنود المسرحين، فوجود الأموال في الخزينة العسكرية يحتاج إلى موارد ومدخرات وهذه الأخيرة تحتاج إلى الوقت. لذلك كان الوضع سنة ٢٣ م غير مُرضٍ للإمبراطور تيبيريوس، فمطالبة الجنود القدماء بالتسريح دفعه للتفكير بزيارة الأقاليم لتشكيل قوات جديدة تحل محل الجنود القدماء، لكن

---

(1) - Cowan: op.cit, p.13.

(2) - Keppie: The Making of The Roman Army, op.cit, p.128; Pollard, Nigel: A Companion to the Roman Empire op.cit, p. 208; Goodman, Martin: The Roman World, 44 BC- AD 180, Routledge, 1997, p. 113.

* - سميت هذه الفترة بهذا الاسم نسبة إلى عائلة قيصر الجوليانية والتي ينتسب إليها أغسطس، وكذلك نسبة إلى العائلة الكلاودية التي ينتسب إلى الإمبراطور كلاوديوس (٤١- ٥٤ م).

ضعف الخزينة العسكرية الناتج عن حداثة إنشائها وشح الموارد المالية دفع الإمبراطور تيبيريوس إلى الاحتفاظ بهؤلاء الجنود لبعض الوقت في الفرق(١).

كان معظم جنود الفرق في بداية المرحلة الأولى من العصر الإمبراطوري، أو على الأقل جنود الفرق المتمركزة في غرب الإمبراطورية، رجالاً من أصل إيطالي. لأنه في هذه الفترة قلة من سكان الإقليم امتلكوا المواطنة الرومانية إلا أنه بعد مضي جيلين أو ثلاثة أجيال أصبح من الممكن أن يلتحق المواطنون الرومان القاطنين في الولايات بالخدمة في الفرق الرومانية. ومع تزايد حصول سكان الولايات على المواطنة الرومانية أصبحت الأقاليم تقدم نسبة كبيرة ومهمة من جنود الفرق. ومنذ الفترة الفلافية (٦٩-٩٦م) وما بعد بدأ عدد الإيطاليين المجندين في الفرق بالانخفاض بشكل منتظم، فنجد أن جنود الفرق الغربية أصبحوا من إيطاليا ومن أقاليم مرومنة مثل: بايتكا (Baetica) في اسبانيا وبلاد الغال (Gaul)*، في حين أن جنود الفرق الشرقية أصبحوا على الأغلب من الأقاليم الشرقية (سورية، مصر، آسيا الصغرى). فالنقوش العديدة التي كتبها المحاربون القدماء، ترسم لنا الخطوط الرئيسية للتجنيد المحلي في الفرق من الأقاليم الشرقية، ومن بين هذه النقوش نقشٌ وجد في تركيا والآن موجود في متحف كاليفورنيا، وهو عبارة عن تكريس كتب من قبل جندي محلي يخدم في الفرقة السادسة عشرة فلافيا (XVI Flavia) والتي كانت متمركزة في ساموساتا (Samosata) في تركيا(٢)، وفي ذلك دلالة واضحة على أن التجنيد المحلي في الفرق كان موجوداً في الأقاليم التابعة لروما خلال الفترة السابقة الذكر.

أيضاً من أصل واحدٍ وستين جندياً غير إيطالي خدموا في الفرق في مصر في القرن الأول بعد الميلاد، كان من بينهم ثلاثة وخمسون جندياً من أصلٍ محلي (آسيا الصغرى، سورية، مصر)(٣). أما فرق الجيش الدانوبي فجندت من الأقاليم الغربية والشرقية، حيث تشير إلى ذلك النقوش الآتية من (سيثيا الدنيا) على الدانوب الأدنى، والتي تبين لنا أن جنديين من

---

(1) - Stevenson: op.cit, p.226.

* - كان قيصر أول من جند الجيوش بشكل مكثف من بلاد الغال أثناء حملاته عليها، واستمر المستوطنون الرومان في هذا الإقليم بتزويد الفرق الرومانية بالرجال حتى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي.

(Webster, Graham: The Roman Imperial Army, University of Oklahoma Press, 1985, P.102.)

(2) - Speidel, M: Roman Army Studies. vol I, Amsterdam, 1984, p.283.

(3) - Stevenson: op.cit, p.226.

آسيا الصغرى خدموا في الفرقة الخامسة مقدونيا (V Macedonia) الموجودة في سيثيا الدنيا[١]. وبعبارة أخيرة، إن تجنيد المواطنين الرومان كجنود عاديين في الفرق، من روما وقلب إيطاليا، توقف منذ عهد أغسطس، ماعدا تجنيدهم ضمن الحرس الإمبراطوري والكوهورتات المدنية المتمركزة في روما، ويبدو واضحاً من خلال دراسة أصول جنود الفرق المكتوبة على شواهد قبورهم، إن مناطق التجنيد امتدت وانتشرت تدريجياً باتجاه الحدود في أول قرنين من تاريخ الإمبراطورية، ولم تعد إيطاليا تحتل المرتبة الأولى من حيث تزويد الجيش بـــنسبة ٦٥% من المتطوعين في الفترة من عهد أغسطس حتى عهد كاليغولا، وإنما انخفضت هذه النسبة إلى أقل من ١% في القرن الثاني، و(الشكل رقم٤) يوضح ذلك[٢].

بالرغم من أن التجنيد في الفرق توسع ليشمل المواطنين الرومان من سكان الأقاليم، إلا أنه لم يكن يسمح لأي مواطن روماني بالانتساب إلى الفرق، حيث كانت هناك شروط لا بد أن تتوفر في الشخص المنتسب لهذه الفرق، فوجب على أي مواطن روماني (سواء كان من سكان ايطاليا أو من سكان الأقاليم) يريد التطوع في الفرق المثول أمام لجنة من الضباط لاختباره، وعادة كان هؤلاء الضباط رجالاً ذوي خبرة في اختيار المتطوعين الأفضل والأنسب للقتال، وكان من شروط الجندي المثالي أن يكون بطول خمس أقدام وعشرة إنشات، أي نحو سنة ١٧٧سم تقريباً، ويتمتع بنظر جيد وبنيان قوي متناسق، ويمتلك مقدره على التحمّل، بعد تحقيق الشاب المنتسب للشروط السابقة ينتقل الشاب البالغ من العمر ثمانية عشر عاماً إلى مرحلة جديدة يطلق عليها اسم اختبار الفحص الطبي (probatus). يخضع الشاب في هذه المرحلة لاختبار طبي أكثر صرامة وشدة، وتدرس شخصيته بشكل دقيق، فالجيش الروماني لم يقبل الكسالى واللصوص والمنحلين أخلاقياً، وبعد تجاوزه لمرحلة الاختبار يعتبرجندياً في الجيش الروماني، وبعد قبوله يُقسم المجند الجيد قسم الولاء للإمبراطور، وربما يكون هذا القسم أمام نسر فرقته، وبعد ذلك يرسل المجند الجديد إلى معسكر تدريب خاص[٣].

بعد إصدار الإمبراطور كركلا قانونه الشهير سنة ٢١٢م والذي منح بموجبه حقوق المواطنة الرومانية لجميع السكان الأحرار القاطنين ضمن حدود الإمبراطورية، أصبح بإمكان

---

(1) - Speidel: op.cit, p.284.

(2) - Webster: op.cit, p.102.

(3) - Simkins, Michael: The Roman Army from Caesar to Trajan, Osprey Publishing, 1984, p.6.

الأباطرة	النسبة المئوية للإيطاليين مقارنة مع الاقليميين	إيطاليا	اسبانيا	الغال	مقدونيا	الأقاليم الأسيوية	سوريا ومصر	الأقاليم الإفريقية	نوريكوم دلماتيا رايتيا	ألمانيا	بانونيا وموسيا	داسيا	ثريس
أوغسطس إلى كاليكيولا	٦٥	٢٧	٨	٣٥	١٤	٥٠	١٤	٧					
كلاوديوس ونيرون	٤٨.٧	١١٧	١٨	٥٩	٩	١١	٣	٤	١٢				
فيسباسيان إلى تراجان	٢١.٤	٧٣	١٦	٥١	٦	٤٣	٥٦	٢٢	٢٣	٢٠	١٥		٢
هدريان حتى نهاية القرن الثاني	٠.٠٠٩	١٧	١٧	٣٤	١٠	٢١	٧٩	٧٨٦	٥٦	٣٥	٢٣٧	٥٠	٩٩

أعداد الأمثلة حقيقية و مأخوذة من النقوش

الشكل رقم (٤)

أصول جنود الفرق منذ عهد أغسطس حتى نهاية القرن الثاني الميلادي

جميع سكان الإمبراطورية الالتحاق والتطوع في الفرق الرومانية، مما اكسبها قاعدة تجنيد أوسع وأصبحت الحكومة الإمبراطورية قادرة على تعويض أي نقص يلحق بالفرق، ومنذ صدور هذا القانون شكّل سكان إقليم إيلليريا مصدراً هاماً لتزويد الفرق الرومانية بالجنود، فكان هؤلاء قبل صدور هذا القانون عبارة عن فلاحين، لكنهم بعد صدوره تركوا مزارعهم وأصبحوا جنوداً محترفين حاربوا في معارك الإمبراطورية من أدناها إلى أقصاها، وخصوصاً أثناء أزمة الإمبراطورية في القرن الثالث للميلاد، إلا أن خسارة أعداد كبيرة من الجنود نتيجة الأوبئة التي انتشرت في الإمبراطورية خلال النصف الثاني من القرن الثالث بعد الميلاد، والمعارك الكبيرة والكثيرة التي خاضتها الإمبراطورية ضد البرابرة على الدانوب والراين، وضد تدمر والبارثيين في الشرق، كل هذا ساعد على استنزاف وخسارة آخر مصدر من القوة البشرية والمتمثل بالالليريين. وكان نتيجة السحب المتكرر لأفضل القوات لكي تخدم في الجيش المتنقل في نهاية القرن الثالث، أن تدنت قوة القوات المكلفة بحماية الحدود، لذلك لجأت الإمبراطورية الرومانية في هذه الفترة إلى تطويع البرابرة وأشباه البرابرة في الجيش ليقوموا بمهمة حماية الحدود[١].

٢ – بنية الفرقة وتنظيمها:

شكّلت الفرقة (legion) في العصر الجمهوري التشكيل النموذجي في الجيش الروماني وأرتبط أسمها بالأمجاد والفتوحات التي حققتها الدولة الرومانية في العصر الجمهوري. لذلك حافظت الفرقة في العصر الإمبراطوري على بنيتها وتنظيمها الذي أسست عليه منذ عصر ماريوس (١٥٧–٨٦ ق.م) باعتبارها وحدة مشاة في الأساس، باستثناء إضافة وحدة خيالة إلى مجموع جنودها .

اختلف الكتّاب والمؤرخون في تحديد الرقم الحقيقي الذي تألفت منه الفرقة، لكن كانت آرائهم وكتاباتهم في هذه المسألة تدور حول الرقم خمسة آلاف وخمسمائة جندي. إلا أن المؤرخ فيجيتيوس (Vegetius) يشير إلى أن الفرقة الكاملة بلغ عددها ستة آلاف ومائة جندي مشاة وسبعمائة وست وعشرين فارساً موزعة ومقسمة على عشر كوهورتات على النحو الآتي:

---

[1] - Miller,M.A: The Army and the Imperial House, CAH, Vol XII, Cambridge University Press, 1965, p.8. ; Breeze, D.J: The Organization of the Legion, The First Cohort and the Equites Legionis, JRS LIX, 1969, pp.50-55.

تضم الكوهورت الأولى ألف ومائة وخمسة جنود مشاة ومائة واثنا وثلاثين فارساً مدرعاً، وتتميز الكوهورت الأولى عن بقية كوهورتات الفرقة من حيث العدد وكفاءة الجنود الذين يتم اختيارهم من أسر عريقة وذوي تربية جيدة، ويطلق على هذه الكوهورت اسم الكوهورت الألفية (cohors milliaria) التي تمثل صدر الفرقة ورأسها، ولذلك دائماً تكون على يمين الخط الأول عند تنظم الفرقة للمعركة وتتولى العناية بنسر الفرقة الذي يشكل الراية الرئيسة في الجيوش الرومانية ويمثل راية الفرقة بأكملها. أيضاً تتولى الكوهورت الأولى العناية بصورة الإمبراطور التي تعتبر مقدسة ويجب الحفاظ عليها والعناية بها. أما الكوهورتات التسعة الأخرى فيتألف كل واحد منها من خمسمائة وخمس وخمسين جندياً مشاة وست وستين فارساً مدرعاً، وتسمى هذه الكوهورتات باسم الكوهورتات الخمسمائية (cohors quingenaria)، لكن يجب أن يكون جنود الكوهورتات الثالثة والخامسة عادة منتقين من أفضل الجنود، لأن الكوهورت الثالثة تقع في منتصف الخط الأول للفرقة، في حين أن الكوهورت الخامسة تقع على يسار الخط الأول كنظيرتها الكوهورت الأولى التي تقع على يمين الخط الأول، وتشكل الكوهورتات من واحد حتى خمسة الخط الأمامي للفرقة، أما الكوهورتات الباقية من السادسة وحتى العاشرة فتشكل الخط الثاني للفرقة، بحيث يجب أن تضم الكوهورت السادسة نخبة الجنود الشبان، لأنها تقع خلف الكوهورت الأولى التي تحمل راية الفرقة وصورة الإمبراطور، وبالوقت نفسه تقع على يمين الخط الثاني للفرقة، وكذلك الكوهورت الثامنة يجب أن تضم جنود منتقين لأنها تشغل منتصف الخط الثاني، وتتطلب الكوهورت العاشرة جنوداً جيدين لأنها تغلق الجناح الأيسر من الخط الثاني. حسب فيجيتيوس الفرقة أبداً لم تكن أقل من هذا العدد، ولكن أحياناً تكون أقوى بعد إضافة كوهورتات ألفية أخرى إليها[١].

قد يكون فيجيتيوس مصيباً عندما يقول إن الفرقة في العصر الإمبراطوري ضمت ستة آلاف ومائة جندي مشاة، ونحن بدورنا قد نؤيده بذلك عندما نعلم أن كل فرقة كانت تضم أخصائيون لبناء الجسور وآلات الحصار......الخ. أطلق على هؤلاء اسم (immunes) أي الجنود المعفيون من الواجبات العسكرية[٢]. ومن ضمن هؤلاء كان الطاقم الطبي، المسّاحون، النجارون، الأطباء البيطريون، والصيادون، صانعو الدروع والأسلحة، وحتى الكهنة. لذلك إذا

---

[١] - رستم، أسد: المرجع السابق، ج٢، ص١١٨. أنظر www.pvv.ntn.no

[2] - Simkins: op.cit, p.6.

ما أخذنا عدد هؤلاء بعين الاعتبار وأنقصناهم من مجموع الفرقة نجد أن الجنود الفعليين في الفرقة لا يتجاوز خمسة آلاف ومائتين وأربعين جندي مشاة[١].

أما عدد الجنود الفرسان فإن فيجيتيوس قد بالغ كثيراً في زيادة عددهم، وهذه الصفة غالباً ما كانت موجودة عند المؤرخين القدماء، حيث نجد أن كلام يوسيفوس عن وحدة الخيالة الملحقة بالفرقة أكثر دقة من كلام فيجيتيوس. حيث يقول يوسيفوس أن وحدة الفرسان الملحقة بالفرقة كان عدد جنودها مائة وعشرون فارساً، وكانت مهمتهم الاستطلاع وتوصيل الرسائل[٢]. وكانوا يصنفون مع طاقم الضباط والجنود غير المقاتلين، ويوزعون على مئينات معينة ولا يشكلون وحدة خيالة مستقلة إلا في حالات الحرب[٣].

كانت الكوهورت الأولى في الفرقة طبقاً لهجينيوس وفيجيتيوس مميزة عن باقي الكوهورتات من حيث العدد والقدرة القتالية، حيث أطلق عليها اسم الكوهورت الألفية (cohors milliaria) وهذا ما تؤكده النقوش، أما باقي الكوهورتات فكانت كوهورتات خمسمائية (cohors quingenria) وبالرغم من أن أسماء الكوهورتات تدل على أرقام معينة، إلا أن هذه الأسماء غالباً ما كانت تضم أقل مما تشير إليه[٤]، وبدورها تألفت الكوهورت من ستة مئينات (Centuriae) وبالرغم من أن اسم (مئينة) يشير إلى وحدة مؤلفة من مائة جندي، إلا أنه في بعض الحالات كانت تضم المئينة ما بين ثلاثين إلى مائتي جندي ، لكن كان عدد الجنود الطبيعي لكل مئينة ثمانين جندياً، باستثناء مئينات الكوهورت الأولى التي كانت تضم خمسة قادة مائة بقوة مضاعفة[٥]. ترأس الفرقة ضابط برتبة (Legatus) ويساعده ستة ضباط برتبة تريبون (tribunus)، وترأس كل مئينة قائد يطلق عليه اسم قائد المائة (centurio) وساعده في ذلك نائبه الذي يطلق عليه اسم (optio)[٦].

---

(1) - Goldsworthy, Adrian: Roman Warfare, Cassell, London, 2000, p.117.

(2) - Webster: op.cit, p.111.

(3) - Cowan: op.cit, p.6-7.

(4) - Webster: op.cit, pp.110-111.

(5) - Campbell, Brian: The Roman Army 31 BC-AD 337, Routledge, Londod, 1994, p.46.

(6) - Cowan: op.cit, p.6. & Breeze: op.cit, pp.50-55.

٣- أسماء الفرق وألقابها:

كانت الفرق في العصر الجمهوري تعطى رقماً تسلسلياً، وكانت الأرقام من I حتى IV حكراً على الفرق التي يؤسسها القناصل كل سنة. أما الفرق التي كانت تؤسس من قبل الآخرين فكانت تحمل أرقاماً تسلسلية أعلى. مثلاً سلسلة الأرقام من VII حتى X استخدمها و وسعها قيصر. ووجدت أرقام أعلى للفرق في الشرق مما يشير إلى وجود نظام متبع في إعطاء الأرقام للفرق، لكن الشيء الذي لا يمكن فهمه هو وجود عدة فرق تحمل الرقم نفسه. في العصر الإمبراطوري أعاد أغسطس العمل بنظام الترقيم، لأن الفرق رفضت التخلي عن الأرقام والأسماء التي كانت مقدسة ومبجّلة طبقاً للتقاليد[١].

لكن لم يكن هناك نظام محدد يعطي من خلاله اسم الفرقة ولقبها، فكان في بعض الحالات يعطى اسم الفرقة بالاعتماد على اسم الإقليم الذي أنشأت فيه مثل الفرقة السابعة هيسبانا (VII Hispana)، التي أسسها الإمبراطور غالبا (Galba) سنة ٦٨ م في أسبانيا لمرافقته إلى روما، حيث قاتلت لصالحه في الحرب الأهلية عام ٦٩ م[٢]، وتعرضت لخسائر كبيرة في معركة كريمونا، فأعيد تأسيسها سنة ٧٠ م وأطلق عليها اسم الفرقة السابعة جيمينا[٣]. وكانت الفرقة تأخذ أسمها من اسم الإقليم الذي حققت فيه مجداً وشهرة كبيرين، مثل الفرقة الخامسة مقدونيا (V Macedonica)، التي أسسها أوكتافيان ربما بين عامي (٤٣-٤٠ ق.م) وتميزت في حروب مقدونيا، ولاحقاً شاركت في الحرب اليهودية سنة ٦٦ م تحت قيادة فيسبيسيان، وشاركت في الحملات ضد البارثيين بين عامي(١٦٢-١٦٦م). كذلك الفرقة الثالثة سيرينايكة (III Cyrenaica) أخذت أسمها من الإقليم قورينايئة في شمال أفريقيا بعد تحقيقها انتصارات جيدة فيه، والفرق الأولى والثانية والثالثة بارثيكا (I,II,III, Parthia) التي أسسها سبتيموس سيفيروس (١٩٣-٢١١م)، أطلق عليها هذا الاسم لتميزّها في قتال البارثيين، والفرقة الرابعة سيثيكا (IV Scythica) التي أسسها قيصر أخذت اسمها نتيجة إنجازاتها العسكرية في إقليم سيثيا[٤].

---

(1) - Webster: op.cit, p.152.

(2) - www.redrampant.com/legionlist/ ,(صفحة مطولة).

(3) - Webster: op.cit, p.152.

(4) - Ibid, p.104.

أما الأمثلة عن تسمية الفرق بأسماء الأباطرة فهي كثيرة مثل الفرقة الثانية والثالثة أغسطا (II,III Augusta) حيث سميت هذه الفرق باسم الإمبراطور أغسطس[١]. كذلك الفرقة الثانية تريانا فورتيس (II Traiana fortis) التي تعني فرقة تراجان القوية، أسسها تراجان نحو سنة ١٠٥ م للمشاركة في حروبه الداسية. والفرقة الثلاثون ألبيا فيكتركس (XXX ulpia victrix) سميت على اسم الإمبراطور تراجان ماركوس أولبيوس ترايانوس (Marcus Ulpius Traianus) الذي أسسها للمشاركة في حروبه الداسية[٢].

بالإضافة إلى الأسماء السابقة للفرق، أطلق الأباطرة العديد من الألقاب على الفرق الرومانية، فكان من بين هذه الألقاب لقب "جيمينا" (Gemina) ويعني "الزوج أو التوأم"، وأطلق الأباطرة هذا اللقب على الفرق المشكلة من دمج بقايا فرقتين أو أكثر، حيث كانت الفرق تفقد الكثير من جنودها في بعض المعارك والحروب ولإعادة تشكيلها كانت تدمج الأجزاء المتبقية مع بعضها البعض لتشكيل فرقة جديدة، مثل الفرقة السابعة هيسبانا التي أطلق عليها لقب "جيمينا" بعد تعرضها لخسائر كبيرة في معركة كريمونا[٣]. أيضاً أطلق هذا اللقب على الفرقة الرابعة عشرة جيمينا مارتيا فيكتريكس (XIV Gemina Martia victrix)[٤].

كذلك هناك ألقاب أخرى أطلقت على الفرق مثل لقب بيا فيديليس (Pia fidelis) ويعني (المخلصة)، أطلق هذا اللقب على الفرق التي تبقى مخلصة للأباطرة أثناء الثورات والأزمات، ومن الأمثلة على هذا اللقب الفرقة السابعة مقدونيا (VII Macedonica) التي أسست سنة ٥٩ ق.م من قبل قيصر، وأعاد أوكتافيان تأسيسها سنة ٤٤ ق.م، ونتيجة لبقائها مخلصة للإمبراطور كلاوديوس (٤١–٥٤م) أثناء ثورة سكريبونيانوس (Scribonianus) حاكم دلماتيا عام ٤٢ م أطلق عليها الإمبراطور هذا اللقب فأصبحت (VII Macedonica Claudia pia fidelis). كذلك تمتعت بهذا اللقب الفرقة الحادية عشرة كلاوديا (XI Claudia pia fidelis) بعد بقائها مخلصة وموالية للإمبراطور كلاوديوس في الأحداث ذاتها. ومن الألقاب الأخرى التي أطلقت على الفرق لقب فيكتركس (victrix) ويعني المنتصرة أو المظفّرة، وأطلق هذا اللقب على الفرق التي حققت انتصارات باهرة، بعد عام ٦٠م، أي بعد

---

(1) - Campbell, Brian: The Emperor and The Roman Army 31 BC-AD 235, Routledge, London, 1984, p.89.

(2) - Webster: op.cit, pp.104-105.

(3) - Compbell, Brian: The Emperor and The Roman Army 31 BC-AD 235, op.cit, p.83.

(4) - Goldsworthy: op.cit, p.117.

القضاء على ثورة بوديكا في بريطانيا عام ٦٠م ومن الفرق التي أطلق عليها هذا اللقب الفرقة السادسة (VI victrix)[١]، وحظيت بهذا اللقب الفرقة الرابعة عشر جيمينا مارتيا فيكتركس (XIV Gemina Martia victrix) التي منحها إياه الإمبراطور نيرون بعد أن لعبت دوراً مهماً في هزيمة بوديكا سنة ٦٠ م[٢].

أحياناً كانت الألقاب تطلق على الفرق نتيجة تمييز فرقة عن الفرقة الأخرى بميزة أو مأثرة، مثل الفرقة العاشرة إيكويسترس (X Equestris) التي تميزت عن باقي الفرق بأنها فرقة خيالة في عهد قيصر، وقد حلّها أغسطس لاحقاً، والفرقة العاشرة فرتنسيس (X Fretensis) التي أسست في فترة ما قبل أغسطس، وأطلق عليها هذا اللقب بعد المآثر التي حققتها في المعركة البحرية التي وقعت في مضيق مسينا (Messina) بين أوكتافيان (Octavian) وسيكستوس بومبيوس (Sextus Pompeius) سنة ٣٦ ق.م[٣].

هناك ألقاب أخرى أطلقت على الفرق مثل لقب فولميناتا (Fulminate) ويعني "قاذفة البرق"، والذي أطلق على الفرقة الثانية عشرة (XII fulminate)، ولقب ألوداي (Alaudae) الذي يعني طائر القُبّرة أطلق على الفرقة الخامسة (V Alaudae) التي أسسها قيصر من سكان بلاد الغال المحليين، وشاركت في الحروب الأهلية سنة ٦٩ م إلى جانب فيتيليوس، وربما حلها الإمبراطور دوميتان سنة ٨٦ م، ولقب فرّاتا (Ferrata) الذي يعني الجَلد و التحمّل أطلق على الفرقة السادسة (VI Ferrata) التي خدمت كجزء من جيش أغسطس في سورية وشاركت في الحروب الأهلية عام ٦٩ م إلى جانب فيسبيسيان، ووقفت إلى جانب الإمبراطور سبتيموس سيفيروس ١٩٣-٢١١ م ضد المتمرد نيجر (Niger) قائد جيوش سورية[٤].

أطلق أيضاً على الفرق ألقاب مشتقة من أسماء الآلهة مثل لقب أبوليناريوس (Apollinarius) وهو الإله الروماني "أبولو" الذي كان أغسطس يعتبره إلهه الذي يحميه، وأطلق هذا اللقب على الفرقة الخامسة عشرة (XV Apollinarius)، ولقب بريميجينيا (Primigenia) وهي آلهة الحظ عند الرومان أطلق على الفرقة الخامسة عشرة (XV

---

(1) - Webster: op.cit, p.104-107.

(2) - Goldsworthy: op.cit, p.117.

(3) - Webster: op.cit, p.106.

(4) - www.redrampant.com/legionlist/, (صفحة مطولة).

(Primigenia)، والفرقة الثانية والعشرون (XXII Primigenia)، واللقب مينيرفيا (Minervia) وهو الإله المفضل عند دومتيان أطلق على الفرقة الأولى فلافيا (I Flavia Minervia)، والألقاب اللاحقة لهذه الفرقة "بيافيديليس ودومتيانا" أطلقت عليها لولائها للإمبراطور دومتيان أثناء ثورة ساترنينوس (Saturninus) عام ٨٩ م، لكنها زالت بعد موت دومتيان[١].

وأخيراً أطلق على الفرق ألقاباً مأخوذة من أسماء الأباطرة، حيث نجد أن الإمبراطور كومودوس (١٨٠– ١٩٢ م) كان يرغب في أن يطلق لقب "كومموديانا" على كل فرقه، وكذلك الإمبراطور كركلا (٢١١–٢١٧ م) الذي أطلق لقب (Antoniniena) على ما يقرب من اثنان وعشرين فرقة وهذا ما فعله الأباطرة الآخرون مثل سبتيموس سيفيروس (١٩٣–٢١١ م) الذي أطلق لقب (Parthica) ولقب (Severiana) على الفرق الثلاث التي شكلها لقتال البارثيين[٢].

إذاً من خلال ما تقدم نجد أن كل فرقة رومانية انفردت برقم تسلسلي يتبعه اسم ولقب، لكننا نجد أن الرقم التسلسلي هو رقم ثابت، في حين أن الاسم واللقب قد يتغير في بعض الأحيان أو يضاف إليه ألقاب أخرى. مثل الفرقة الرابعة مقدونيا (IV Macedonica)، التي حلها الإمبراطور فيسبيسيان واستبدلها بالفرقة الرابعة فلافيا فيرما (IV Flavia Firma). من المثال نجد أن رقم الفرقة بقي ثابتاً، في حين أن الاسم واللقب قد تغيّرا.

٤- أعداد الفرق وتوزعها:

كانت أول مهمة واجهت أغسطس بعد انتصاره في معركة أكتيوم ٣١ ق.م هي خفض عدد قوات الفرق إلى حجم يسهل إدارته، حيث يقول أغسطس في سيرته الذاتية (Res Gestae) أنه أثناء فترة حكمه وطّن ثلاثمائة ألف جندي في المستعمرات وأعاد جزءاً آخراً من الجنود إلى بلداتهم، وربما هذا العدد لم يشمل العديد من قوات أنطونيوس ولبيدوس التي لم يحتج إلى خدماتها[٣]، وعلى الأرجح اعتمد أغسطس على الاعتبارات السياسية والمالية في

---

(1) - Webster: op.cit, pp.104-107.

(2) - Campbell, Brian: The Emperor and The Roman Army 31 BC-AD 235, op.cit, pp.90- 92.

(3) - Stevenson: op.cit, p.223; Pollard, Nigel: A Companion to the Roman Empire, op.cit, pp.207-208.

تقدير عدد الفرق التي وجب الاحتفاظ بها كجيش حامي للإمبراطورية[١]، فبعد معركة أكتيوم أدرك أغسطس أن توسع الإمبراطورية لاحقاً سيكون باتجاه الدانوب وهذا لا يمكن تحقيقه من دون جيش قوي ومنظم يستطيع خوض المعارك الكبيرة لذلك قرر سنة ٢٠ ق.م أن يتخلى عن السياسة العدوانية التي اتبعها قيصر وأنطونيوس في الشرق ضد البارثيين، ومن أجل ذلك أسس علاقات ودية معهم بعد استعادة الرايات والأعلام الرومانية التي كان قد استولى عليها البارثيون في معارك سابقة ضد الرومان، وكذلك في الفترة نفسها يقول أغسطس إنه كان باستطاعته جعل أرمينيا إقليماً رومانياً، لكنه فضل وضع ملك وكيل عليها بشرط أن يعترف بسيادة الرومان. أما الحرب في أفريقيا وإسبانيا فكانت قد انتهت سنة ١٩ ق.م وبذلك كان القتال الحقيقي مرجحاً أن يحدث فقط على الجبهة الشمالية للإمبراطورية. أما الاعتبارات المالية فكانت جوهرية بالنسبة لأغسطس، لأن تحديد عدد الفرق التي يستطيع الاحتفاظ بها يتوقف على ما سيملكه من أموال للإنفاق عليها[٢].

في الحقيقة إن عدد الفرق الفعلي في أي وقت كان موضع نقاش جاد وحاد، لكن السؤال الذي يمكن طرحه هو كيف استطاع أغسطس تنظيم ما يقارب من ستين فرقة تقريباً كانت موجودة بعد معركة أكتيوم، وتحويل هذا العدد من الفرق إلى جيش نظامي ومحترف؟ إن الجواب على هذا السؤال غير واضح حتى الآن، لكن على كل الأحوال سنة ٦ م كان لدى أغسطس جيشاً مؤلفاً من ثمان وعشرين فرقة موزعة على الشكل الآتي: أربع فرق في اسبانيا وخمس فرق على الراين أو ورائه وفرقتان في إقليم رايتيا وخمس فرق في إقليم إليريكوم وثلاث فرق في موسيا وتسع فرق في شمال أفريقيا ومصر وسورية[٣]. تضاءل عدد هذه الفرق إلى خمس وعشرين فرقة سنة ٩م بعد أن خسر الرومان ثلاث فرق في معركة غابة تيوتوبيرغ (Teutoburg Forest)* ضد أرمينيوس قائد الثورة الجرمانية (٦-٩م)[١].في

(1) - Mattern, Susan: Rome and The Enemy, Berkeley, University of California Press, 1999, p.83. ; Marsden: op.cit, p.182.

(2) - Stevenson: op.cit, p.223. ; Marsden: op.cit, p.182.

(3) - Luttwak, Edward: The Grand Strategy of the Roman Empire, Baltimore, Johns Hopkins UP, 1976, p.47.

* لمزيد من المعلومات عن موقعة غابة تيوتوبيرغ (Teutoburg Forest) راجع:

- S. Bradford, Alfred: With Arrow, Sowrd. And Spear, Greenwood Publishing, 2001, pp. 226-227.

أثناء الثورة البانونية أُحضرت تعزيزات من الفرق المتمركزة في مقدونيا وسورية، لذلك من الصعب تحديد الانتشار الطبيعي للفرق في هذه الفترة[٢]، لكن بعد كارثة الغابة خُفّض عدد الفرق في اسبانيا إلى ثلاث فرق وزيدت على الراين إلى ثمان فرق ولم يعد هناك فرق في إقليم رايتيا، أما إقليم اليريكوم فلم يتغير عدد فرقه حيث بقيت خمس فرق، و أنقص عدد الفرق في إقليم موسيا إلى فرقتين، وبقيت فرقة واحدة في اقليم أفريقيا (تونس حالياً)، وفرقتين في مصر وأربع فرق في سورية[٣]، والحقيقة الأكيدة في هذا الخصوص يقدمها لنا تاكيتوس من خلال نظرته العامة على الوضع العسكري للإمبراطورية سنة ٢٣م حيث يقول:

" قواتنا الأساسية كانت قريبة إلى نهر الراين، حيث تمركزت ثمان فرق كخط دفاع ضد الجرمان والغال وتولت ثلاث فرق مسؤولية الأقاليم الإسبانية التي أخضعت حديثاً، وبقية أفريقيا كانت تحرسها فرقتان، وكانت مصر تُحرس بعدد مساو، والمنطقة الواسعة كلها من حدود سورية إلى نهر الفرات كانت تسيطر عليها أربع فرق........ بينما ضفة الدانوب كانت تحرسها فرقتان في بانونيا، وفرقتان في موسيا، وتمركزت فرقتان في دلماتيا الواقعة جغرافياً خلف مكان تمركز الفرق الأربعة السابقة، وبالإمكان استدعاؤها من منطقة قريبة في حال احتاجت إيطاليا للمساعدة العاجلة........."[٤].

إذاً وفقاً لتاكيتوس، هكذا كان توزّع الفرق سنة ٢٣ م، والذي بلغ خمساً وعشرين فرقة (الشكل رقم٥)، لذلك وعلى الأرجح هذا هو العدد الذي تركه أغسطس وبقي كما هو في عهد خليفته الإمبراطور تيبريوس (١٤-٣٧ م) الذي لم يخسر أو يضيف أية فرق إلى مجموع الفرق التي تركها أغسطس بعد وفاته. لاحقاً في عهد الإمبراطور كاليغولا (Caligua) (٣٧-٤١ م) أو الإمبراطور كلوديوس (٤١-٥٤ م)[٥] تم إضافة الفرقتين (XV,XXII Primigenia)، وأضاف الإمبراطور نيرون (٥٤-٦٨ م) الفرقة الأولى إيتاليكا (I Italica) التي كان لها مقر شتوي في موسيا الدنيا، والفرقة الأولى اديوتركس (I Adiutrix) التي تمركزت في بانونيا الدنيا، والفرقة السابعة جيمنا (VII Gemina) التي تمركزت في إسبانيا[٦]. أضاف الإمبراطور "غالبا" (٦٨-٦٩م) الفرقة السابعة هيسبانا (VII Hispana) التي أطلق عليها لاحقاً لقب جيمنا

---

(1) - Webster: op.cit, p.109.

(2) - Stevenson: op.cit, p.224.

(3) - Luttwak: op.cit, p.47.

(4) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, pp. 82-83.نقلاً عن

(5) - Webster: op.cit, p.109.

(6) - Stevenson: op.cit, p.224. ; Campbell Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.83.

(Gemina) وبعد ذلك تم حل أربع فرق من قبل الإمبراطور فيسبيسيان (٦٩-٧٩ م) بعد ثورة سفيليس سنة ٧٠ م[١]، واستبدلت هذه الفرق الأربع بفرقتين[٢] هما: (XVI,IV Flavia)[٣]، حيث تمركزت الفرقة الرابعة في موسيا العليا والسادسة عشرة في سورية[٤]. بعد كل ما تقدم يمكننا القول إنه حتى عام٨٠ م، بلغ عدد فرق الجيش الروماني الإمبراطوري تسع وعشرون فرقة موزعة على الأقاليم على النحو الآتي: أربع فرق في بريطانيا وثماني فرق على الراين وسبع فرق على الدانوب وست فرق في سورية وكبادوكيا وفرقتين في مصر وفرقة في نوميديا وفرقة في إسبانيا. والجدول التالي يوضح تمركز هذه الفرق في الأقاليم[٥].

---

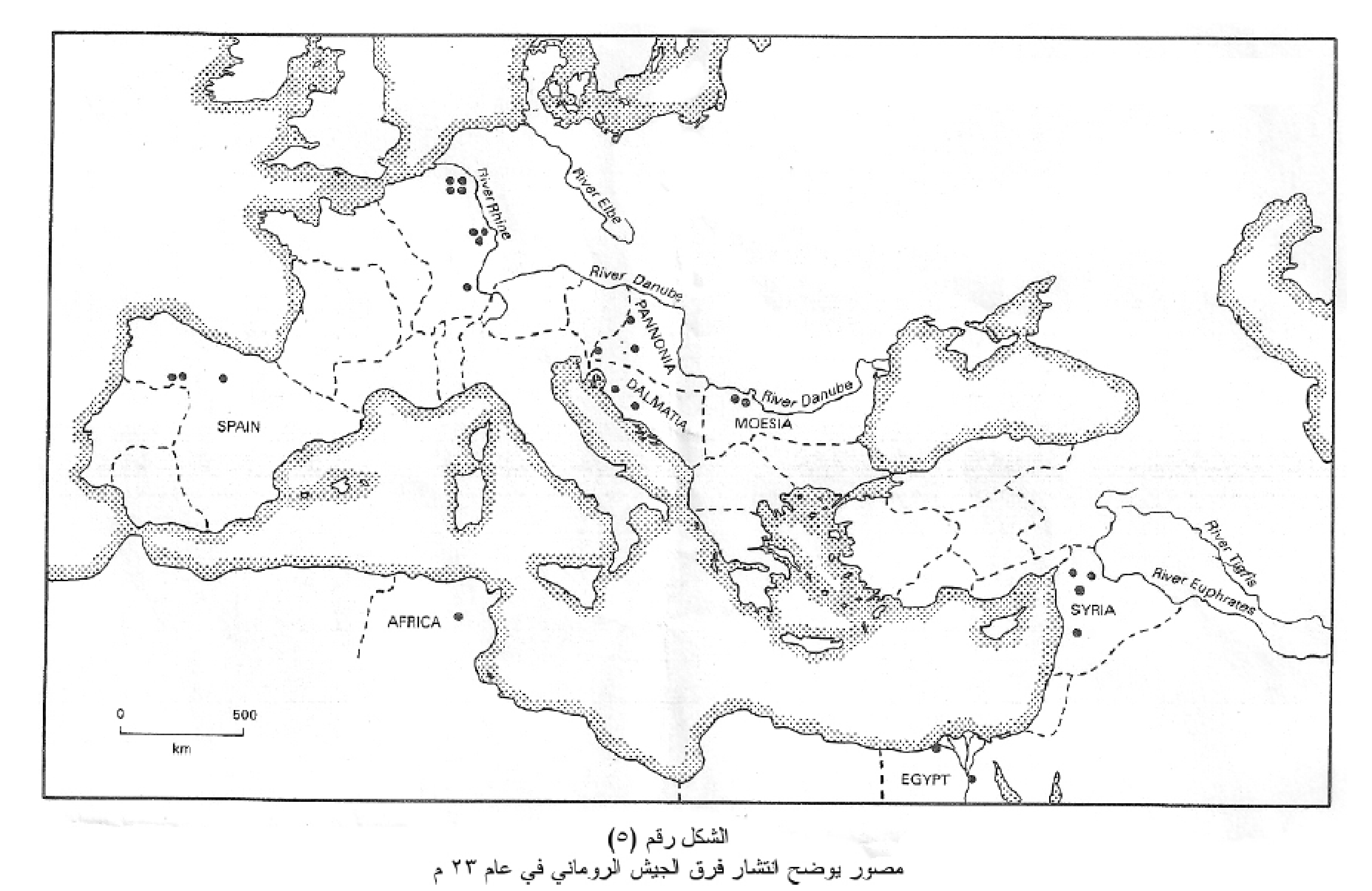
[١] - سفيليس: قائد ثورة الباتافيين في جرمانيا الدنيا بين عامي ٦٩-٧٠م ضد الرومان و اسمه الكامل غايوس يوليوس سفيليس (Gaius Julius Sivilis). (Encyclopedia Britannica 2007).

[٢] - يقول بريان كامبل أن فيسبسيان جند الفرقة الثانية أديوتركس بالإضافة إلى الفرقتين في الأعلى، بينما يقول ويبيستر أن فيسبسيان أكمل عدد هذه الفرقة ولم يجندها.

[3] - Webster: op.cit, pp.106, 109.

[4] - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.83.

[5] - Simkins: op.cit, p.7.



الشكل رقم (٥)

مصور يوضح انتشار فرق الجيش الروماني في عام ٢٣ م

المصدر : Campbell, B., The Roman Army: 31 B.C.-A.D. 337 London: Routledge 1994.

الإقليم		عدد الفرق	مكان تمركزها	اسم الفرقة
بريطانيا		٤	York Chester Caerleon	IX Hispana XX Valeria, II Adiutrix II Augusta
نهر الراين	جرمانيا الدنيا	٤	Nijmegen Neus Bonn	XXII Primigenia, X Gemina VI Victrix XXI Rapax
	جرمانيا العليا	٤	Mainz Mainz Strasbourg Windish	XIV Gemina I Adiutrix VIII Augusta XI Claudia
نهر الدانوب	بانونيا	٣	Carnuntum Poetovio Viminacum	XV Apollinaris XIII Gemina VII Claudia
	موسيا	٣	Oescus Novae The Danube	V Macedonica I Italica V Alaudae
	دلماتيا	١	Burnum	IV Flavia firma
الأقاليم الشرقية	كبادوكيا	٢	Satala Melitene	XVI Flavia firma X II Fulminata
	سورية	٤	Samosata Cyrrhus Danabe near Jerusalem	VI Ferrata IV Scythica III Gallica Damascus X Fretensis
	مصر	٢	Alexandria Alexandria	XXII Deiotariana III Cyrenaica
نوميديا		١	Ammaedara	III Augusta near Tebessa
اسبانيا		١	Leon	VII Gemina

أضاف دوميتان (٨١-٩٦م) سنة ٨٣ م الفرقة الأولى مينيرفيا (I Minervia) التي استقرت في ألمانيا[1]، فأصبح عدد الفرق ثلاثين فرقة، لكن ربما سنة ٩٢ م اندثرت الفرقة الخامسة ألوداي (V Alaudae) نتيجة حملات دومتيان على داسيا[٢] فانخفض عدد الفرق إلى تسع وعشرين فرقة. أنشأ تراجان (٩٨-١١٧م) فرقتان هما: الفرقة الثلاثون البيا فكتريكس(XXX Ulpia Victrix) والفرقة الثانية ترايانا (II Traiana)، وعندما أنشأ تراجان الفرقة الثلاثين ألبيا فيكتريكس عاد فارتفع عدد الفرق إلى ثلاثين فرقة، ولم يكن إنشاء تراجان للفرقة الثانية ترايانا (II Traiana) إلا لتحل محل الفرقة الإحدى والعشرين راباكس(XXI Rapx)[٣]. التي اختفت في وقت سابق*، فأصبح عدد الفرق الكليّ ثلاثين فرقاً، أي ما يقارن من مئة وثمانين ألف جنديّ، وكان لديه عشر وحدات من الحرس الإمبراطوري، أي خمسة آلاف جنديّ، وزهاء ثلاثمئة وحدة مساعدة، يبلغ عددها التقريبيّ مئتا ألف جنديّ، ويضاف إلى ذلك أربع وحدات مدنيّة يبلغ عدد جنودها ستة آلاف، وبذلك يقرب العدد الكليّ من أربعمئة ألف جندي[٤].

حدثت في عهد الإمبراطور تراجان تغيرات جوهرية في الإمبراطورية الرومانية، فمنذ عهد الإمبراطور أغسطس تمثلت سياسة روما في الشرق بضم الممالك الوكيلة**، مثل مملكة كوماجين في آسيا الصغرى على نهر الفرات والتي ضمها الإمبراطور فيسبيسيان (٦٩-٧٩م)

---

(1) - Simkins: op.cit, p.7.

(2) - Rosse, Lino: Trojan's Column and Dacian Wars, London, Thames & Hudson, 1971, p.22.

(3) - Webster: op.cit, p.109.

* - اختفت هذه الفرقة في عهد الإمبراطور دوميتان وتم مسح اسمها من على شاهدتي قبر، ربما يشير هذا إلى أنها جلبت لنفسها العار .

(4) – S. Bradford, Alfred: With Arrow, Sowrd and Spear, Greenwood Publishing, 2001 p.231.

** - الممالك الوكيلة: شكلت الممالك الوكيلة جزءاً كبيراً من أراضي الإمبراطورية خلال القرن الأول الميلادي، وكانت عبارة عن دويلات صغيرة تحكم من قبل أسر محلية، ولكن بشرط الاعتراف بالسيادة الرومانية. انتشرت هذه الممالك على أطراف الإمبراطورية مثل مملكة جوديا في فلسطين، ومملكة حمص في سورية، ومملكة موريتانيا في شمال أفريقيا، ومملكة ليكيا (Lycia) في الأناضول. ساعدت هذه الممالك في حماية حدود الإمبراطورية، وأوكلت أليها مهام حفظ الأمن في مناطق وجودها، وفي الأماكن المحيطة بها. (Luttwak: op.cit, p.20.).

وألحقها بولاية سورية سنة ٧٢ م. وعندما جاء الإمبراطور تراجان كان مهتماً كثيراً بمتابعة هذه السياسة فخاض الحروب العديدة لتحقيق أهداف هذه السياسة، وكانت أولى حروبه على جبهة الدانوب ضد مملكة داسيا التي شن عليها حربين بين الأعوام (١٠١-١٠٦)م أسفرت عن ضمها إلى رقعة الإمبراطورية الرومانية . أيضاً تنفيذاً لهذه السياسة ألتفت تراجان إلى الحدود الشرقية للإمبراطورية لمعالجة المشكلة الأرمينية والبارثية، حيث كان نهر الفرات يشكل حداً فاصلاً بين سورية الرومانية وبلاد الرافدين البارثية، وإلى الشمال كانت أرمينيا تخدم كدولة تفصل بين الإمبراطوريتين الرومانية والبارثية، وكان ملكها يعين من قبل البارثيين ويوافق عليه من قبل الإمبراطور الروماني. رفض تراجان هذا الوضع وقرر احتلال أرمينيا وبلاد الرافدين، وفعلاً دخلت جيوشه أرمينيا دون قتال سنة ١١٤م، ومن ثم دخلت بلاد الرافدين ووصلت إلى الخليج العربي بين الأعوام (١١٥-١١٧)م. [1] لذلك كان ضم مملكة الأنباط سنة ١٠٩م يعتبر جزءاً من سياسة تراجان في ضم الممالك الوكيلة. قُدمت أسبابٌ عديدةٌ لتفسير ضم تراجان لمملكة الأنباط، لكن على ما يبدو أن كلا الاعتبارات الأمنية والتجارية كانت وراء ضم تراجان لمملكة الأنباط، حيث وفّر ضم هذه المملكة إلى الإمبراطورية الرومانية نطاقاً أوسع من الأمن لفلسطين التي كانت تشكل جسراً يربط المقاطعتين الأكثر أهمية في المشرق (مصر، سورية)[2].

خلق ضم تراجان لمناطق جديدة إلى الإمبراطورية تغييراً في توزيع الفرق في الشرق وعلى الدانوب، وحتى نستطيع توضيح هذا التوزيع الجديد للفرق لا بد لنا من تقديم عرض موجز عن الفرق في مصر وسورية.

قدّم لنا المؤرخ والجغرافي سترابو (Strabo) - والذي كان صديقاً لأليوس جاللوس (Aleius Gallus) حاكم مصر بين عامي (٢٦-٢٤ ق.م) - معلومات عن عدد الفرق ونشرها في مصر، وجاء تقرير سترابو قصيراً ومباشراً حيث كتب:

"في الجيش كان هناك ثلاث فرق، أحدها كان متمركزاً في المدينة والأخرى في الريف، بالإضافة إلى هذه يوجد تسع كوهورتات رومانية، ثلاثة في المدينة وثلاثة في (سين) على الحدود مع أثيوبيا كحرس لتلك

---

(1) - Connolly, Peter: The Cavalryman, Oxford, 2003,pp. 24-25.

(2) - Parker, S.Thoms: Roman and Saracens, Eisenbrauns, Winona Lake, 1986, p.123.

المنطقة وثلاثة في بقية الإقليم، ويوجد أيضاً ثلاث وحدات خياله منتشرة في مواقع حساسة وهامة ".
"بابيلون الآن القاعدة لإحدى الفرق الثلاث التي كانت مهمتها حراسة مصر "[1].

من خلال تقرير سترابو، نجد أن جيش أغسطس الدائم في مصر تألف من ثلاث فرق وتسع وحدات مساعدة مشاة وثلاث وحدات فرسان (ala)، وبلغ المجموع الإجمالي لهذه القوة حوالي أربعة وعشرين ألف جندي. كانت هناك فرقة واحدة قاعدتها في الإسكندرية وفرقة أخرى قاعدتها في بابيلون (القاهرة القديمة)، أما الفرقة الثالثة فقاعدتها مجهولة حتى الآن، لكن ربما كانت متمركزة في طيبة. وسنة ٢٣م غادرت إحدى الفرق الرومانية الثلاث مصر، ولكن غير معروف اسم الفرقة التي غادرت مصر*، وأيضاً غير معروف إن كانت الفرقة التي غادرت مصر هي الفرقة التي تمركزت في بابيلون أو الفرقة ذات المكان المجهول، لكن نستطيع القول إنه بقيت فرقتان متمركزتان في مصر هما الفرقة الثالثة قورينائية (III Cyrenaica) التي انضمت إلى الفرقة الثانية والعشرون ديوتاريانا (XXII Deiotariana) في الإسكندرية[2].

ربما بقيت هاتان الفرقتان في معسكر واحد حتى ضم الإمبراطور تراجان إقليم العربية (دولة الأنباط) إلى الإمبراطورية الرومانية سنة ١٠٦ م، والذي كان منذ تشكيله إقليماً ذا فرقة واحدة، وكان قائد الفرقة حاكماً للإقليم وقائداً للفرقة في الوقت نفسه، كما كان الحال تقريباً في كل الأقاليم ذات الفرقة الواحدة مثل داسيا العليا ونوميديا ورايتيا ......الخ.

وهنا يمكن لنا أن نتساءل أية فرقة خدمت كحامية أولية للإقليم؟ الشيء الأكيد حسب سبايدل (Speidel) أن مجموعة من الجنود المصريين خدموا في فرقة إقليم العربية سنة ١٠٧م. والدليل على ذلك رسالة وجدت في مصر تعود إلى سنة ١٠٧ م كتبت بواسطة جنود خدموا في إقليم العربية. لذلك فإن Speidel يرجح أن تكون فرقة من مصر تولت هذه المهمة وبالتحديد الفرقة الثالثة سرينايكا، لكن طالما أن حاكم إقليم سورية بالما (Palma) هو الذي فتح إقليم العربية فمن المتوقع أن فرقة سورية أصبحت الحامية الأولية للإقليم.

---

(1) - Speidel: op.cit, vol I, p.317. نقلاً عن

* - يعتقد أن هذه الفرقة كانت الفرقة الثانية عشرة فولميناتا لكن تبين فيما بعد أن هذه الفرقة كانت في شمال أفريقيا في ذلك الوقت. أحمد علي، عبد اللطيف: مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، المرجع السابق، ص٤٤).

(2) - Speidel: op.cit, vol I, p.319.

مما تقدم فإنه من المرجح أن الفرقة الثالثة سرينايكا شاركت في ضم إقليم العربية مع الفرق السورية ثم بعد الضم عادت إلى مصر، في الوقت الذي بقيت فيه بعض المقتطعات من الفرقة الثالثة سرينايكا والفرقة السادسة فرّاتا كحامية أولية للإقليم، لأنه وجِد نقش في جيراسا "جرش" في إقليم العربية يشير إلى مكوث مؤقت للفرقة السورية السادسة فراتا في إقليم العربية، ويبدو أن هذه المقتطعات مكثت هناك حتى عام ١١٧م وهو تاريخ نقل هذه الفرقة بأكملها وبشكل نهائي من سورية إلى فلسطين[١]. وعلى ما يبدو أن الفرقة الثالثة سرينايكا عادت واستقرت في إقليم العربية بشكل نهائي بعد عام ١١٧م، لأن المؤرخ ديو كاسيوس (Dio Cassius) في تقريره عن الثورة اليهودية بين عامي (١٣٢–١٣٥م) يقول إن المصائب الرومانية كانت ثقيلة وقد استخدم جنود ستة فرق على الأقل (بما فيها الثالثة سرينايكا من العربية) في قمع التمرد[٢]. إذاً كانت الفرقة الثالثة سرينايكا في إقليم العربية قبل الثورة اليهودية، وليس كما يقول سبيدل (Speidel) إن هذه الفرق أصبحت الحامية الدائمة لإقليم العربية منذ عهد الإمبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨–١٦١م)[٣].

أما في سورية، ربما كانت هناك فرقتان متمركزتان فيها في بداية الوجود الروماني، إلا أنه لم يكن هناك نظام ثابت لتوزيع الفرق في هذه الفترة بسبب الحروب الأهلية التي شهدتها روما في نهاية الجمهورية، لكن في عهد أغسطس ربما كان هناك ثلاث فرق وأرتفع العدد إلى أربع فرق في عهد الإمبراطور تيبريوس وهي: الفرقة الثالثة غاليكا (III Gallica) والفرقة السادسة فرّاتا (VI Ferrata) والفرقة العاشرة فرتنسيس (X fretensis) والفرقة الثانية عشرة فولميناتا (XII fulminate)، وفي عهد الإمبراطور نيرون (٥٤–٦٨م) ربما جاءت الفرقة الرابعة سيثيكا (IV Scythia) إلى سورية أثناء حملات (كوربولو) على أرمينيا، وتمركزت جميع هذه الفرق في شمال سورية ولم يكن هناك فرق في الجنوب حتى الثورة اليهودية سنة ٦٨ م.

ربما كانت القوات الرومانية الموجودة في جنوب سورية في ذلك الوقت عبارة عن وحدات مساعدة، وبعد ضم الإمبراطور فيسبيسيان مملكة كوماجين الواقعة على الفرات الأعلى في الأناضول سنة ٧٢م وإلحاقها بإقليم سورية أصبحت زيوغما (Zeugma) على الفرات الأعلى مقر الفرقة الرابعة سيثيكا، وربما أوت هذه المدينة الفرقة العاشرة فرتنسيس قبل نقلها

---

(1) - Speidel: op.cit, vol I, p.231-240.

(2) - Parker: op.cit, p.128.

(3) - Speidel: op.cit, vol I, p.231.

إلى جودايا في فلسطين أثناء الحرب اليهودية سنة ٦٨ م[١]. في نهاية القرن الأول للميلاد أصبحت رفانيا (Raphanea) الواقعة عند تقاطع وادي نهر العاصي مع الطريق المار من حمص (Emesa) إلى الساحل الفينيقي[٢] مقراً لفرقة وأحياناً لفرقتين، وبقيت هذه المدينة مقراً لقاعدة عسكرية مؤلفة من الفرق حتى القرن الثالث الميلادي. هناك جيوش تمركزت في أماكن مثل: (سيرهوس (Syrhus)، لاوديسا (Laodiceia)، بيراوة (Beroea))، لكن ربما هذه المدن لم تكن قواعد دائمة لتمركز الفرق، وإنما كانت مقرات مؤقتة لجيوش روما المتنقلة، والشكل رقم (٦) يوضح المناطق الرئيسية في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية.

إذاً من خلال ما تقدم نستطيع تقديم عرض أكثر وضوحاً لانتشار الفرق في إقليم سورية والعربية حتى حكم الإمبراطور هدريان (١١٧–١٣٨م) كالآتي: الفرقة السادسة عشرة فلافيا تمركزت في (ساموساتا) العاصمة الملكية السابقة لكوماجين والفرقة الرابعة سيثيا تمركزت في زيوغما والفرقة الثالثة غاليكا تمركزت في (رفانيا)[٣]والفرقة العاشرة فرتنسيس في آلياكابتيولينا (Aelia Capitolina) والفرقة السادسة فراتا تمركزت في كاباركوتنا (Caparcotna) في وادي جزريل والفرقتين الأخيرتين شكلتا حامية جودايا في فلسطين. أما الفرقة الثالثة سريناكيا فتمركزت في إقليم العربية في مدينة بصرى (الشكل رقم٦)[٤].

أما في باقي أقاليم الإمبراطورية فلم يحدث الكثير من التطورات الهامة سوى ضم مملكة داسيا سنة ١٠٦ م إلى الإمبراطورية الرومانية، حيث تمركزت في هذا الإقليم فرقتان. لكن الشيء الذي يمكن ملاحظته في الأقاليم الغربية، هو أنه بعد نهاية الفترة الفلافية (٦٩–٩٦م)، لا نجد إلا فرقة واحدة في إسبانيا، وأيضاً لا توجد أية فرقة في دلماتيا[٥]. وهنا يمكننا القول إن ضم داسيا إلى الإمبراطورية، ربما شكل ضغطاً على فرق الجبهة الشمالية، ومن أجل دعم هذه الجبهة اضطرت حكومة روما إلى سحب الفرق من الأقاليم الأكثر أمناً إلى الأقاليم والجبهات المضطربة.

---

(1) - Butcher, Kevin; Roman Syrian and the Near East, London, 2003, pp.411, 422.

(2) - Wheeler, Everett. L: The Army and The Limes in The East: ACRA, Blackwell Publishing, 2007, p. 241.

(3) - Butcher: op.cit, pp.411, 422. ; Pollard, Nigel: Soldiers, Cities and Civilians in Roman Syrian, ANN Arbor, 2000, pp. 23-42.

(4) - Butcher: op.cit, p. 412.

(5) - Stevenson: op.cit, p.224.

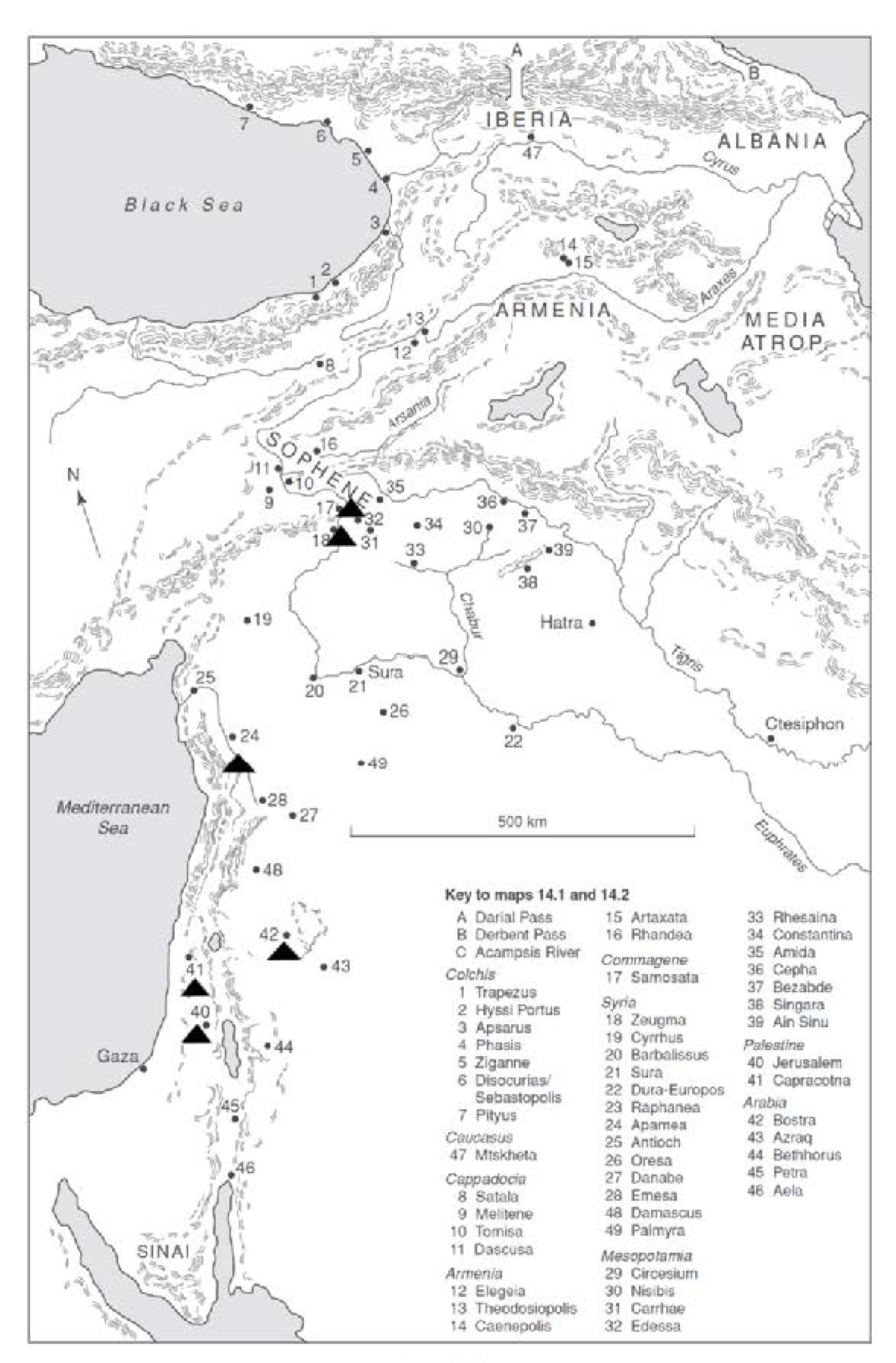


الشكل رقم (٩)

المدن الرئيسية و الممالك الوكيلة في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية

انظر تسميت الأرقام في الشكل رقم (٧)

المصدر: A Companion to the Roman Army, Blackwell Publishing, 2007, p. 244.



الشكل رقم (٧)

مصور يوضح تمركز الفرق في أقاليم جودايا و سورية و العربية

▲ موقع تمركز الفرق

المصدر: A Companion to the Roman Army, Blackwell Publishing, 2007, p. 245.

بعد هذا العرض لوضع الفرق في الأقاليم، يبين لنا الجدول الآتي عدد الفرق وانتشارها في عهد الإمبراطور هدريان.

جنود الفرق (المشاة)	عدد الفرق	المرادف التقريبي له الآن	الإقليم
١٦.٥٠٠	٣	انكلترة، ويلز	بريطانيا Britania
١١.٠٠٠	٢	جنوب هولندة وغرب ألمانيا	جرمانيا الدنيا Germania Inferior
١١.٠٠٠	٢	الألزاس، غرب ألمانيا	جرمانيا العليا Germania superior
٥.٥٠٠	١	جنوب ألمانيا، سويسرا، النمسا	نوريكوم / رايتيا Raetia/Noricum
١٦.٥٠٠	٣	غرب هنغاريا، سلوفينيا	بانونيا الدنيا والعليا Pannonia (Inf+sup)
١١.٠٠٠	٢	صربيا	موسيا العليا Moesia Superior
٥.٥٠٠	١	شمال بلغاريا، رومانيا	موسيا الدنيا Moesia Inferior
١١.٠٠٠	٢	رومانيا	داسيا وأقاليمها Dacia (Inf/Sup/proliss)
١٦.٥٠٠	٣	وسط وشرق تركيا	كبادوكيا Cappadocia
٣٣.٠٠٠	٦	سورية ولبنان وفلسطين والأردن	Syria (inc Judaea/Arabia سورية (بما فيها العربية وجودايا)
١١.٠٠٠	٢	مصر	مصر Aegyptus
٥.٥٠٠	١	تونس والجزائر والمغرب	موريتانيا Mauritania (inc Africa
٥.٥٠٠	١		الأقاليم الداخلية
١٥٩.٥٠٠	٢٩		العدد الإجمالي

تقلص عدد الفرق في عهد الإمبراطور هدريان إلى تسع وعشرين فرقة بعد أن خسر الرومان الفرقة الثانية والعشرين ديوتاريانا في أحداث الثورة اليهودية بين عامي ١٣٢-١٣٥م[١]، وأصبح نقل الفرق بأكملها من إقليم إلى آخر نادراً بعد عهد هدريان[٢]. لذلك تتبع انتشار الفرق في القرن الثاني والثالث يصبح أمراً أكثر يسراً من تتبع انتشارها في القرن

---

(1) - Parker: op.cit, p.128.

(2) - Butcher: op.cit, p.412.

الأول، ومما يساعدنا على هذا الأمر هو النقش الذي وجد في روما مكتوباً على عمودين لم يبق منها الآن إلا عمود واحد، حيث أدرج هذا النقش الفرق بترتيب جغرافي من الغرب إلى الشرق بدءاً من بريطانيا، وكذلك أورد أسماء الفرق المنتشرة في أعلى الأقاليم قبل الفرق المنتشرة في أسفل الأقاليم، مثلاً يذكر الفرق في جرمانيا الدنيا قبل الفرق في جرمانيا العليا، وذكر هذا النقش قائمة مؤلفة من ثمان وعشرين فرقة(1) ولم يذكر أسماء الفرقتين الثانية والعشرين ديوتاريانا التي خسرها الرومان في أحداث الحرب اليهودية بين عامي ١٣٢-١٣٥م، والفرقة التاسعة هيسبانا التي ربما خسرها الرومان على الدانوب أو في كبادوكيا عام ١٦١ م(2). أيضاً الفرقتان الثانية والثالثة إيتاليكا التي جندهما الإمبراطور ماركوس أوريليوس (١٦١-١٨٠ م) والفرق الثلاثة بارثيكا التي جندها سبتيموس سيفروس (١٩٣-٢١١م) لم تدرج في قائمة الفرق المنقوشة على النقش، وإنما أضيفت في نهاية القائمة، لذلك قائمة الفرق المدرجة على النقش ربما نقشت في بداية حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس. الغاية من النقش غامضة، لكن ربما يكون الهدف منه تمجيد البطولة العسكرية لروما، أو من الممكن شكّل سجلاً رسمياً لفرق الجيش. مهما يكن الهدف من هذا النقش، فإنه في النهاية قدم وثيقة تاريخية هامة جداً بالنسبة للمؤرخين والباحثين في الجيش الروماني.

قدمت قائمة الفرق المدرجة على النقش صورة واضحة وجلية عن انتشار الجيش في القرن الثاني والثالث، كذلك أعطتنا هذه القائمة فكرة عن الأولوية الرومانية في نشر الفرق خلال فترة القرنين الثاني والثالث، حيث نجد من خلالها أنه كان هناك ست عشرة فرقة في المناطق الشمالية من الإمبراطورية بما في ذلك أحد عشر فرقة على نهر الدانوب وثلاث فرق في بريطانيا، في حين أن مناطق الجبهة الشرقية ضمت عشرة فرق وجد منها فرقتان في جوديا التي كانت وظيفتها الرئيسة السيطرة على اليهود، وفرقتان في إقليم الرافدين الجديد. إذاً من خلال النقش نستنتج أن مناطق نهر الدانوب، جوديا، الرافدين، بريطانيا، تحتل المركز الأول في اهتمامات الأباطرة الرومان خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين. كذلك حافظ الأباطرة الرومان على عدد ثابت من الفرق منذ عهد الإمبراطور تراجان حتى عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس، فبعد خسارة الرومان للفرقتين التاسعة هيسبانا والثانية

---

(1) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.84.

(2) - Webster: op.cit, p.109.

والعشرون ديوتاريانا، عاد فأرتفع عدد الفرق إلى ثلاثين فرقة بعدما أنشأ الإمبراطور ماركوس أوريليوس الفرقتين الثانية والثالثة ايتاليكا (II,III Italica)[١].

أما عن انتشار الفرق خلال فترة حكم ماركوس اوريليوس كما أدرجها النقش يوضحه (الشكل رقم ٨)[*].

الإقليم	عدد الفرق	أسماء الفرق
Britain بريطانيا	٣	II Augusta, VI, XX Victrix
Upper Germany جرمانيا العليا	٢	VIII Augusta, XXII Primigenia
Lower Germany جرمانيا الدنيا	٢	I Minervia, XXX Ulpia
Upper Pannonia بانونيا العليا	٣	I Adiutrix, X Gemina, XIV Gemina
Lower Pannonia بانونيا الدنيا	١	II Adiutrix
Upper Moesia موسيا العليا	٢	IV Flavia, VII Claudia
Lower Moesia موسيا الدنيا	٣	I Italica, XI Claudia V Macedonia,
Dacia داسيا	١	X III Gemina
Cappadocia كبادوكيا	٢	X II Fulminata, XV Apollinaris
Syria سورية	٣	III Gallica, IV Scythica, XVI Flavia
Judaea جودايا	٢	VI Ferrata, X Fretensis
Arabia العربية	١	III Cyrenaica
Egypt مصر	١	II Traiana
Numidia نوميديا	١	III Augusta
Spain اسبانيا	١	VII Gemina
Noricum نوريكوم	١	II Italica
Raetia رايتيا	١	III Italica

الشكل رقم (٨)

جدول يوضح انتشار الفرق في عهد الإمبراطور ماركوس أوريليوس كما أدرجها النقش.

وبقي توزيع الفرق في الأقاليم على نحو ما أدرجها النقش، حتى بداية القرن الثالث الميلادي. حيث أضاف الإمبراطور سبتيموس سيفروس (١٩٣-٢١١م) ثلاث فرق جديدة إلى مجموع الفرق السابقة هي: الفرق الثلاثة بارثيكا (I, II, III parthica)، فارتفع بذلك عدد الفرق إلى ثلاث وثلاثين فرقة[٢]، وبعد انتصار الإمبراطور سبتيموس على البارثيين ضم إقليم بلاد

---

(1) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.83-85.

* - للإطلاع على قائمة الفرق كما أدرجها النقش، راجع:

- Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.84.

(2) - Luttwak: op.cit, p.174.

الرافدين إلى الإمبراطورية الرومانية وجعل منه إقليماً رومانياً ووضع فيه فرقتان هما (I, III Parthica)، حيث تمركزت الفرقة الأولى بارثيكا في منطقة سنجار (Singara)، وتمركزت الفرقة الثالثة بارثيكا في نيسيبيس (Nisibis) أو في ريزانيا (Rhesaina)، أما الفرقة (II Parthica) فتمركزت في إيطاليا[١] (الشكل رقم ٩). إذاً هكذا كانت بنية الفرق خلال حكم سبتيموس سيفيروس، والتي عصفت بها أزمة القرن الثالث الميلادي.

ثالثاً: الوحدات المساعدة (auxilia)

اشتقت كلمة (auxiliaries) من الكلمة اللاتينية (auxilia) وتعني المساندين أو المساعدين. شُكلت الوحدات المساعدة في العصر الجمهوري من المواطنين غير الرومان، واستخدمت الجمهورية الرومانية هذه الوحدات بأعداد متزايدة لدعم فرقها النظامية بعد عام ٢٠٠ق.م، لكن تجنيد هذه الوحدات كان مؤقتاً وآنياً فكانت روما تجندها أثناء الحملات العسكرية وتحلّها بعد نهايتها[٢].

بعد أن وضعت معركة أكتيوم (٣١ ق.م) قوى العالم الروماني تحت قيادة أغسطس، خضعت هذه الوحدات لنظام جديد تحولت بموجبه من وحدات مؤقتة إلى قوة محترفة دائمة وذات بنية وتجهيزات وظروف خدمة موحدة، كذلك خضعت لنظام تجنيد سنوي منتظم ودائم[٣]، لأنّ أفراد هذه الوحدات شكلوا مصدرا مهماً كمجندين يملكون مهارات قتالية متنوعة لم يمتلكها جنود الفرق والتي كانت نقطة ضعف واضحة في تجهيزات جنود الفرق الرومانية [٤]. ولم يأتِ عام ٦٨م حتى أصبحت هذه الوحدات مساوية تقريباً للفرق الرومانية النظامية من حيث التدريب والقدرة القتالية، وتشكلت الوحدات المساعدة في العصر الإمبراطوري من أبناء الولايات الخاضعة أو التابعة لروما وهم سكان الأقاليم الأحرار الذين لم يتمتعوا بالمواطنة الرومانية، حيث شكل هؤلاء السكان الأغلبية الساحقة من نسبة سكان الإمبراطورية (٩٠%) في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد. إن اتساع مساحة الإمبراطورية الرومانية والنسبة الكبيرة التي شكلها سكان الولايات التابعة لروما دفع أغسطس لإيجاد نظام عسكري جديد

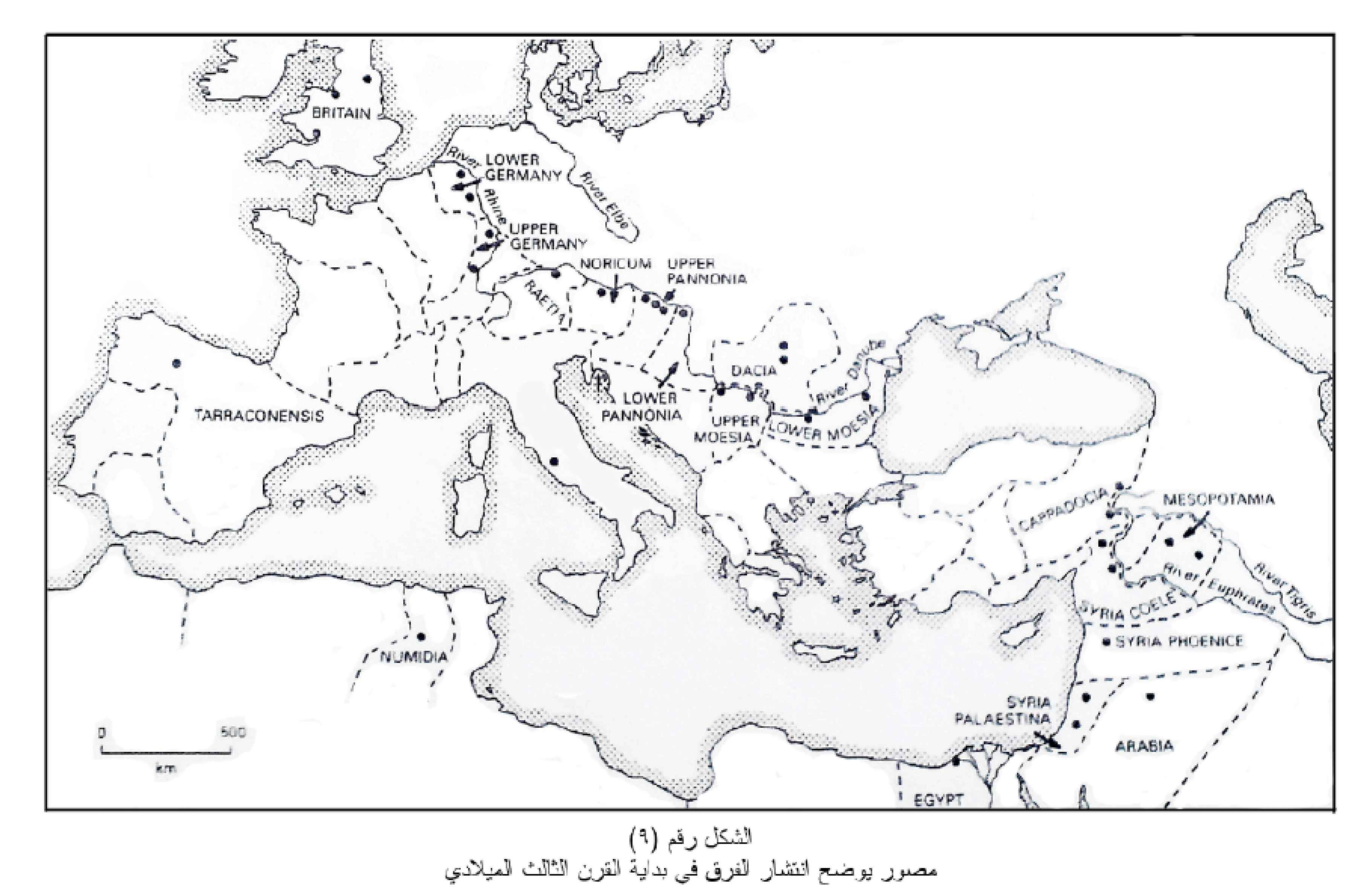
---

[1] - Pollard: op.cit, p.24.

[2] - www.wikipedia.org/auxiliaries/, (صفحة مطولة).

[3] - Webster: op.cit, p.142.

[4] - A. Maxfield, Valerie: The Military Decorations of the Roman Army, University of California Press, 1981, p. 33.



الشكل رقم (٩)

مصور يوضح انتشار الفرق في بداية القرن الثالث الميلادي

المصدر: Campbell, B., The Roman Army: 31 B.C.–A.D. 337 London: Routledge 1994.

يكون سكان الأقاليم جزءاً منه[1]، فوضع روما الآن يختلف عن وضعها في العصر الجمهوري، فالآن في العصر الإمبراطوري أصبحت روما غير قادرة على الاعتماد على القوات المؤقتة في أوقات الأزمات فقط بسبب بعد المسافة التي تفصل مركز الإمبراطورية (روما) عن حدودها، وكذلك بسبب الأعداء الذين يحيطون بالإمبراطورية من كل جانب، وعلاوة على ذلك إذا سمحت روما لكل المواطنين الرومان في سن الخدمة العسكرية بحمل السلاح والخضوع للتدريب العسكري سيكون هناك حتماً سلسلة متواصلة من أعمال الشغب والحروب الأهلية. لذلك رأى أغسطس أن إشراك سكان الأقاليم في نظامه العسكري كان الحل الأمثل والأنسب لهذه المشكلة، فمن خلال تجنيدهم يكون أغسطس قد كسب هذه النسبة الكبيرة من السكان إلى جانب الإمبراطورية، وأيضاً حافظ على حدودها من خلال تجنيد الوحدات المساعدة من سكان الأقاليم الحدودية.

١ – التجنيد:

في بداية حكم أغسطس٣٠ ق.م، شـــكلت الأقاليم الغالية وخصوصاً بلجيكا (Belgica) والأقاليم الالليرية "دلماتيا (Dalmatia)، إليريكوم (Illgricun)" المصدر الأول للوحدات المساعدة في غرب الإمبراطورية الرومانية، لكن بعد انتهاء الحروب في اسبانيا سنة ١٩ ق.م أصبحت مناطق هذا الإقليم، ولا سيما لوسيتانيا (Lusitania) المصدر الثاني لتجنيد الوحدات المساعدة بعد بلاد الغال وإليريا. وأضاف إلحاق مناطق الدانوب رايتيا (Raetia)، نوريكوم (Nuricum)، بانونيا (Pannonia)، موسيا (Moesia) بالإمبراطورية الرومانية مصدراً جديداً وهاماً لتجنيد الوحدات المساعدة، وأصبحت أقاليم كلٍّ من الدانوب وبلاد الغال من أهم مصادر الإمبراطورية بالنسبة لتجنيد الوحدات المساعدة (الشكل رقم ١٠).

أما في الأقاليم الشرقية فزود إقليم سورية الجيش الروماني بغالبية النبّالة، في حين كان إقليم غالاتيا (Galatia) في قلب الأناضول مصدراً آخراً لتزويد الإمبراطورية بالوحدات المساعدة، وفي شمال إفريقيا اعتبرت نوميديا من أهم مصادر سلاح الفرسان خفيفي التسلح[2]. وقد توسعت الإمبراطورية الرومانية في عهد الإمبراطور كلوديوس بعد إلحاقه ثلاث مناطق جديد بالإمبراطورية هي بريطانيا عام ٤٣م وموريتانيا عام ٤٤م وثريس الواقعة شمال غرب البحر الأسود (البلقان حالياً) سنة ٤٦م، وبهذا الضم يكون قد أوجد مصدراً جديداً للتجنيد

---

(1) - www.wikipedia.org/auxiliaries/, (صفحة مطولة).

(2) - Holder, Paul: The Roman Army in Britain, London, 1982, pp.110.113.



الشكل رقم (١٠)
مصور يوضح روما والأقاليم الغربية في القرن الثالث الميلادي

المصدر: Levick, Barbara: The Government of the Roman Empire, Routledge, 2002, p. xx.

في الوحدات المساعدة. وفي سنة ١٠٦م هزم الإمبراطور تراجان مملكة داسيا (Dacia) وألحقها بروما تحت اسم إقليم (داسيا ترايانا) وبذلك يكون قد وسع قاعدة التجنيد في الوحدات المساعدة[١].

شهدت الوحدات المساعدة في بداية الإمبراطورية إصلاحات كان أهمها منح المواطنة الرومانية لجنودها بعد خدمة مشرفة، وبالرغم من وجود جنود حصلوا على المواطنة الرومانية في عهد الإمبراطور تيبيريوس،إلا أن هذا لم يتطور ويأخذ شكله النهائي حتى عصر الإمبراطور كلوديوس (٤١-٥٤م)، حيث ثبّت الإمبراطور مدة الخدمة ثلاثين عاماً لجنود الوحدات المساعدة، لكنه منح المواطنة الرومانية بعد خدمة مدتها خمسة وعشرون عاماً، ثم يتبعه تسريح مشرف بعد انقضاء مدة الخدمة، وشمل منح المواطنة الجندي والزوجة والأولاد. وانخفضت مدة الخدمة في الوحدات المساعدة خلال الفترة الفلافية (٦٩-٩٦م) إلى خمسة وعشرين عاماً، وبذلك يتصادف التسريح مع نيل حق المواطنة، حيث أعطى هذا الحق لجنود الوحدات المساعدة دافعاً كبيراً للانضمام للجيش في القرن الأول الميلادي[٢].

ولم يكن التجنيد الطوعي في الوحدات المساعدة سائداً بشكل كامل في الفترة (اليوليو-كلاودية)، إنما اشتمل التجنيد في هذه الفترة ضمن الوحدات المساعدة على التجنيد الإلزامي أيضاً، وربما كان التجنيد الإلزامي يفرض على كل إقليم أو قبيلة خاضعة أو تابعة لروما وذلك كضريبة عينية تقدمها هذه الأقاليم والقبائل بنسبة سنوية ثابتة من الرجال المؤهلين للخدمة العسكرية مقابل الإعفاء من بعض الالتزامات الأخرى[٣]، فأبدى سكان أقاليم بلاد الغال ردات فعل متتالية تجاه التزامات الضريبة وأعمال التجنيد ولم يكن تمرد بلاد الغال سنة ٢١م، والثورة الباتافية (٦٩-٧٠م) في جرمانيا إلا تعبيراً عن رفض شعوب هذه المناطق لسياسة روما في التجنيد والضرائب[٤]. لكن في الفترة الفلافية (٦٩-٩٦م) وما بعد، أصبح التجنيد ضمن الوحدات المساعدة تجنيداً تطوعياً وكانت غالبية المتطوعين ممن تتراوح أعمارهم بين (١٨- ٢٣) عاماً، وإذا ما أردنا الحديث عن الوحدات المساعدة لا بد لنا من الإشارة إلى سياسة الإمبراطورية الرومانية المتبعة في هذا السياق، حيث رسم أغسطس هذه السياسة التي

---

[1] - www.wikipedia.org/auxiliaries/, (صفحة مطولة).

[2] - Webster: op.cit, p.143; Goodman: op.cit, p.118

[3] - www.wikipedia.org/auxiliaries/, (صفحة مطولة).

[٤] - لورو، باتريك: الإمبراطورية الرومانية، ترجمة جورج كتوره، ص ص١٠٠- ١٠١.

تمثلت في الحفاظ على الوحدة العرقية للوحدات المساعدة، ومن أجل ذلك خدمت هذه الوحدات في الأماكن التي جُندت منها[1].

الدليل الأقدم المتوفر لدينا عن اتباع هذه السياسة يأتينا من حامية الأقاليم الدانوبية، حيث يوضح لنا وصف المؤرخ فيليوس (Velius) المعاصر للثورة التي حدثت هناك عام ٦م أن قوة المتمردين تكمن في التدريب الذي تلقاه العديد من هؤلاء في الجيش الروماني، كذلك تعليق فيليوس على المعرفة العسكرية التي تمتع بها قادة التمرد والانضباط الذي تحلى به الجنود يوضح أن الوحدات المساعدة النظامية التي أُنشأت في هذا الإقليم وتمركزت فيه أو قربه تمردت على الرومان تعاطفاً مع أفراد القبائل التي جندت منها. ولدينا على جبهة الراين معلومات أكثر تفصيلاً تشير إلى نفس الاستنتاج، حيث نجد سنة ٢١م وحدة الفرسان (ala Treveroram) منخرطة في إخضاع ثورة قام بها متمردين من الإقليم نفسه الذي جندت منه هذه الوحدة. ويمكننا أن نستدل على أن الإمبراطورية مارست السياسة نفسها في الأقاليم الأخرى من خلال بعض النقوش والأدلة المادية، وبالرغم من قلة هذه النقوش وشحها، مثلاً في شمال إفريقيا خدم التاكفاريين (Tacfarians) في إقليمهم نوميديا، وفي فلسطين نجد وحدات ساماريتانية (Samaritan) تقوم بدور الحامية في قيساريه (Caesarea)، وأخيراً إذا ما أخذنا أحداث سنة ٦٩م الكارثية بعين الإعتبارنجد دلائل كثيرة تشير إلى أنه في هذا العام تم تجنيد ثلاث أرباع الوحدات المساعدة المتمركزة عند نهر الراين من قلب بلاد الغال أو من القبائل التيوتونية الجرمانية (Teutonic)، أما الوحدات المساعدة المجندة من خارج هذا الإقليم وكانت موجودة على الراين سنة ٦٩م هي:

- الوحدات التراكية: هي وحدات مجندة من إقليم تريك (Thrace) وكانت تظهر على كل حدود الإمبراطورية بفضل مهارات جنودها.
- الوحدات الأسبانية: التي ربما دخلت إقليم الراين سنة ٤٣م برفقة الفرقة الرابعة مقدونيا، والتي كانت قد نقلت من إسبانيا إلى الراين لتحل محل القوات التي أرسلت إلى بريطانيا.
- وحدات البريتونز: الذين ربما قدموا من بريطانيا إلى الراين بعد غزو بريطانيا من قبل الرومان سنة ٤٣م ببضع سنوات[2].

---

(1) - Holder, Paul: The Auxilia from Augustus to Trajan, B.A.R International Series, 1980, p.138.

(2) - G .L. Cheesman, M.A: The Auxilia of The Roman imperial Army, L'Erma di Bretschneider, Roma, 1968, pp.68.69.

كذلك تعطينا الدلائل والنقوش العائدة لتلك الفترة وجود بضع وحدات مساعدة من أقاليم الدانوب وبعض القوات من النبّالة الشرقيين[1].

أعطى تمرد عام ٦م الحكومة الرومانية درساً لإعادة النظر في نشر الوحدات المساعدة في نفس الأقاليم التي جندت منها[2]، وهذا ما نجده واضحاً في المثال السابق، حيث أن وجود الوحدات المساعدة من أقاليم مختلفة على الراين هو ما يدعم هذا الرأي، وكذلك إذا ما نظرنا إلى أسماء الوحدات المتمركزة على الدانوب في الفترة اليوليو- كلاودية (١٤-٦٨م) نجد أن سياسة الإمبراطورية الرومانية في توزيع الوحدات المساعدة قد طرأ عليها بعض التغيير. نستطيع الاستدلال على الوحدات المساعدة الموجودة على الدانوب في الفترة اليوليو - كلاودية من خلال براءة عسكرية وجدت في إقليم بانونيا تعود لعام ٦٠م، حيث تقدم لنا هذه البراءة الوحدات السبعة الآتية :

I Alpinorum, II Alpinorum, I Asturum, I Hispanorum, II Hispanorum, I Lusitanorum, V Lucensium.

ويقدم لنا نقش آخر من دلماتيا يعود إلى نفس الفترة الوحدات التالية:

- I Campanorum voluntariorum civium Romanorum
- VIII Voluntariorum civium Romanorum
- III Alpinorum
- I Lucensium

يبدو واضحاً من خلال أسماء الوحدات السابقة أنه بعد تمرد سنة ٦م جلب أغسطس إلى المنطقة المضطربة عدداً من الوحدات المساعدة من أقاليم أخرى وخصوصاً من أسبانيا، فالحامية التي وجدت في أسبانيا منذ بداية حكم أغسطس يمكن الآن إنقاص عددها بشكل آمن، أما الوحدات البانونية والدلماتية فتم نقلها إلى الراين، حيث حلّت محل القوات التي كانت هناك[3].

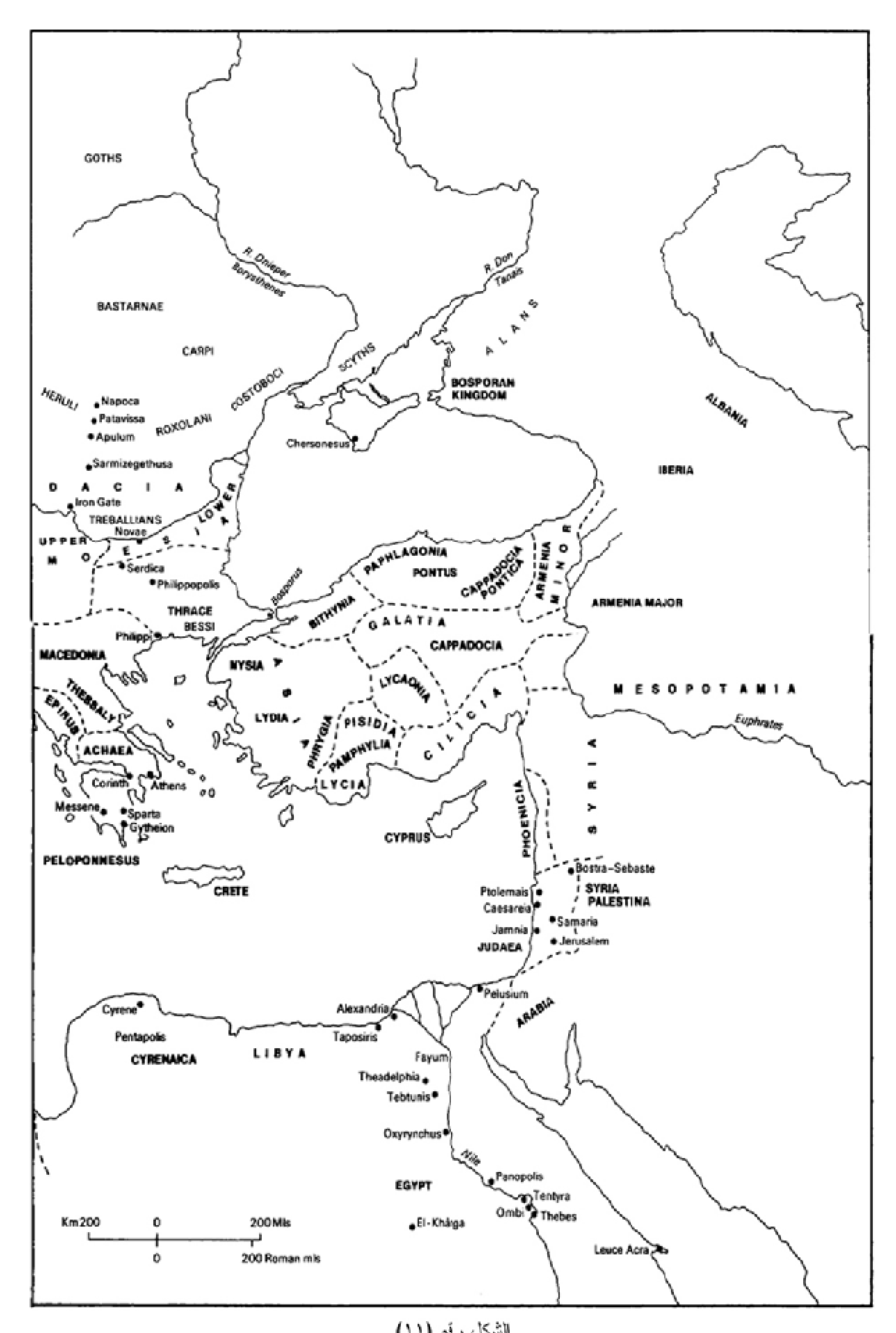
على العموم نستطيع الافتراض من خلال الأمثلة السابقة أنه بالرغم من احتواء الجيوش الرومانية الحدودية لعناصر غير محلية، وخصوصاً التراكيين والشرقيين بسبب مؤهلاتهم

---

[1] - G .L. Cheesman, M.A: The Auxilia of The Roman imperial Army, op.cit, p.71.

[2] - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, p.123.

[3] - Cheesman: op.cit, p.71.



الشكل رقم (١١)

مصور يوضح الأقاليم في القسم الشرقي من الإمبراطورية الرومانية في القرن الثالث

المصدر: Levick, Barbara: The Government of the Roman Empire, Routledge, 2002, p. xxiii.

الخاصة كنبّالة، فإن السياسة الأساسية للإمبراطورية الرومانية في الفترة اليوليو - كلاودية (١٤-٦٨م) تمثلت في إبقاء الوحدات المساعدة في المناطق التي جندت منها[١]، لكن هذه السياسة التي انتهجتها الإمبراطورية الرومانية في تجنيد الوحدات المساعدة وتوزيعها، لا بد أن يكون لها محاسن ومساوئ:

- تتجلى محاسن هذه السياسة في تفادي المشاكل وتجنب السخط واسع الانتشار الذي قد يسببه نقل الوحدات المساعدة المنشأة حديثاً إلى أقاليم بعيدة، وكذلك من محاسن هذا النظام أن تقاتل الوحدات المساعدة على أرض تعرفها ضد عدو كانت قد ألفت طرق وأساليب قتاله مسبقاً.
- في حين أن مساوئ هذا النظام تكمن في التمردات الحدودية التي تأخذ طابع الصراع القومي، وغالباً ما كانت هذه الوحدات تشارك في هذه التمردات إلى جانب القبائل الحدودية، حيث أنه عندما يهرب جنود هذه الوحدات، وينضموا إلى أبناء عرقهم أو قبيلتهم، فإنهم يستفيدون من خدمتهم في الجيش الروماني لتدريب أبناء هذه القبائل والأقاليم، وبذلك تصبح المقاومة ضد الرومان أقوى[٢].

أدت ثورة الباتافيين (٦٩-٧٠م) إلى تغيير بارز في سياسة حكومة روما فيما يخص نشر الوحدات المساعدة، حيث برهنت هذه الثورة أنه عندما تكون الفرق بعيدة من قواعدها فإنه من الخطر ترك الأقاليم في أيدي الوحدات المساعدة التي جندت من السكان المحليين، فأثناء الفترة اليوليو- كلاودية كانت هذه الوحدات تُنشر في بعض الأحيان خارج الإقليم الذي جندت منه، لكن الآن في الفترة الفلافية أصبحت هذه السياسة دائمة[٣]. لذلك سنة ٧٠م نُقلت خمسة وحدات باتافية إلى بريطانيا، ومن آثار هذه السياسة تمركز الغالبية العظمى للوحدات التي ربما تم تأسيسها في القرن الأول بعيداً عن أقاليمها خلال القرن الثاني ومثال على ذلك الوحدات التي جندت في بريطانيا، حيث نجد أنه من أصل ثلاث عشرة وحدة مساعدة جندت في بريطانيا، لم تتمركز أية واحدة منها في بريطانيا خلال منتصف القرن الثاني[٤]، بالإضافة إلى ذلك شهدت الفترة الفلافية تغييراً في قيادة الوحدات المساعدة، حيث لم يعد يُسمح للنبلاء

---

(1) - www.wikipedia.org/auxiliaries/, (صفحة مطولة).

(2) - Cheesman: op.cit, p.70.

(3) - Stevenson: op.cit, p.396.

(4) - www.wikipedia.org/auxiliaries/, (صفحة مطولة).

المحليين الذين يكونوا من نفس جنسيتها بقيادتها[١]، لكن انتقال الوحدات المساعدة وخدمتها في مناطق بعيدة إثارة السؤال الآتي: هل استمرت الوحدات المساعدة بسحب مجنديها من الأقاليم التي جندت منها في الأصل؟ مثلاً: هل الوحدات المساعدة البريطانية استمرت باجتذاب مجنديها من بريطانيا بعدما استقرت في أقاليم خارج بريطانيا؟ هذه المسألة يمكن الإجابة عليها فقط من خلال النقوش والبراءات العسكرية وشواهد القبور التي غالباً ما كُتب عليها اسم الوحدة المساعدة ومكان إنشائها، ولحسن الحظ أن الكتابات المتكررة لأصول الجنود في هذه المصادر تمكننا من الإجابة على هذه المسألة، وكما تمكننا أيضاً من العمل بالاستناد على قواعد وحقائق موثوقة بشكل كبير [٢].

تعطينا قائمة النقوش في بانونيا إجابة صريحة عن هذه المسألة، حيث رُتبت هذه النقوش في مجموعتين مع جعل سنة ٧٠م الخط الفاصل بين المجموعتين، أي أن الجنود المذكورين في المجموعة الأولى أدرجوا في القائمة قبل سنة ٧٠م، وجنود المجموعة الثانية أدرجوا في القائمة بعد سنة ٧٠م (أي خلال الفترة الفلافية)، في جميع الحالات ذُكر لقب الوحدة متبوعاً بالموطن الأصلي للجندي أو قوميته واسم الإقليم الذي نقل أو سحب منه. والأشكال رقم (١٢-١٣-١٤) توضح طريقة تنظيم النقوش البانونية[٣].

Ala II Hispanorum et Aravacorum	Hispanus	Spain
Ala II Hispanorum et Aracorum	Sueltrius	Narbonensis
Ala II Frontoniana tungrorum	Andautonia	Pannonia
Cohors II hispanorum	Cornacas	Pannonia
Cohors II hispanorum	Varcianus	Pannonia
Cohors I lusitanorum	Iasus	Pannonia
Cohors I montanorum	Bessus	Thrace
Cohors I montanorum	Dalmatia	Dalmatia

الشكل رقم (١٢): الجنود الذين جندوا قبل عام ٧٠ م واستقروا في بانونيا.

---

(1) - Stevenson: op.cit, p.394; Goodman: op.cit, p.119.

(2) - Cheesman: op.cit, p.74.

(3) - Cheesman: op.cit, p.76.

Ala I ulpia contariorum	Helvetius	Germania
Ala I ulpia contariorum	Bessus	Thrace
Ala I ulpia contariorum	Siscia	Pannonia
Aha I Hispanorum Aravacorum	Azalus	Pannonia
Ala I pannoniorum	Apulum	Dacia
Ala I thracum victrix	Boius	Pannonia
Cohors II Alpinorum	Azalus	Pannonia
Cohors I Britanica	Dobunnus	Britain
Cohors V lucensium et callaecorum	Castris	Pannonia
Cohors V lucensium et callaecorum	Azalus	Pannonia
Cohors I ulpia pannoniorum	Azalus	Pannonia

الشكل رقم (١٣) : الجنود الذين جندوا بعد عام ٧٠ م واستقروا في بانونيا العليا.

Ala I Thracum veterana sagitarioram	Eraviscus	Pannonia
Cohors I Alpinorum	Eraviscus	Pannonia
Cohors I Thracum	Andautonia	Pannonia

الشكل رقم (١٤): الجنود الذين جندوا بعد عام ٧٠م و استقروا في بانونيا الدنيا

قدمت لنا النقوش البانونية السابقة حقائق غاية في الأهمية، حيث تبين لنا المجموعة الأولى دلائل على نقل الوحدات من أقاليم مختلفة إلى إقليم بانونيا بعد الثورة البانونية سنة (٦-٩)م، كذلك تقدم لنا هذه النقوش الحقيقة الأكثر أهمية، والتي تمثلت في أنه قبل نهاية حكم تيبيريوس تم قبول السكان المحليين في الإقليم ليخدموا في الوحدات المنقولة لهذا الإقليم.

أما المجموعة الثانية من النقوش، فتوضح لنا أنه لا يوجد ما يدل على محاولة الحفاظ على الطابع القومي للقوات المنقولة من خارج الإقليم عن طريق إمداد هذه الوحدات بجنود جدد من الولايات التي أنشأت فيها هذه الوحدات بالأصل، فالمجندين الذين لم يأتوا من بانونيا نفسها يتم إحضارهم من أقاليم مجاورة مثل تريك ودلماتيا، لكن ربما سيكون من المضلل أن نستنتج من خلال هذا الدليل وحده أن التجنيد المحلي في الوحدات المساعدة المنقولة تم تبنيه بشكل كامل في القرن الأول للميلاد بالرغم من أنه كان شائعاً بشكل كبير[1]، حيث نجد أن معظم الجنود الذين تم التأكد من توثيقهم بشكل كامل في الفترة الفلافية خدموا في وحدات ذات

---

[1] - Cheesman: op.cit, pp.76-78.

أصول عرقية مختلفة عن أصولهم، وربما حدث هذا بسبب الخسائر الكبيرة في الحرب الأهلية سنة (٦٩-٧٠م). لذلك كانت تدمج الوحدات من أجل إنشاء وحدات جديدة من أجزاء الوحدات الأخرى مثل: ala II Flavia Gemina, ala I Flavia Gemina، ووحدات الراين التي تأثرت كثيراً بهذه الأحداث أُكملت أعدادها عن طريق إضافة مجندين من: ثريس وبانونيا وموسيا[١].

نتيجة لهذا الإجراء أصبحت الوحدات المساعدة في الفترة الفلافية تضم أصولاً مختلطة ومتنوعة من الجنود، لكن يمكننا الافتراض أنه خلال الفترة الفلافية أجرت الحكومة الرومانية بعض المحاولات لدمج مجندين من أقاليم مختلفة في وحدة واحدة، والذي يوحي بهذه الفرضية هو الجنسيات المختلفة لواحد وعشرين جندياً في وحدة مساعدة، حيث نقشت أسماء هؤلاء الجنود على شاهدة قبر في موسيا الدنيا تخليداً لهم بعد أن قتلوا في إحدى حملات الإمبراطور دوميتيان أو تراجان على داسيا، وضم هذا النقش اثني عشر جندياً من الراين الأدنى واثنين من بلاد الغال وثلاثة من اسبانيا وأربعة من رايتيا ونوريكوم وبريطانيا وإفريقيا، فقد قدم كل إقليم جندي واحد، وهذا الدليل يمكن تطبيقه على عملية التجنيد في الفترة الفلافية. بعد كل ما تقدم نستطيع القول إنه لم تجرِ أي محاولات في الفترة الفلافية للحفاظ على الترابط العرقي والقومي بين الوحدات المساعدة المنقولة والأقاليم أو القبائل الأصلية التي تشكلت منها هذه الوحدات[٢].

بعد استقرار الأوضاع في القرن الثاني يمكننا ملاحظة نمط نظامي للتجنيد في الوحدات المساعدة حيث أصبح التجنيد المحلي في الوحدات المساعدة أمراً شائعاً ولم يعد هناك نفور من تجنيد أبناء الأقاليم في الوحدات المساعدة المنقولة إليها[٣]، لذلك فإن الوحدات المساعدة المنقولة إلى الأقاليم الأخرى ستندمج ضمن هذه الأقاليم، لأن معظم مجنديها الجدد أتوا من الإقليم الذي تمركزت فيه أو من الأقاليم المجاورة[٤]. مثال: الوحدات المساعدة البريطانية التي معظمها متمركزة على جبهة الدانوب، سيكون بحلول سنة ١٥٠م معظم جنودها من إيلليريا وثريس وداسيا[٥].

---

(1) - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, p.119.

(2) - Cheesman: op.cit, pp.78-79.

(3) - Webster: op.cit, pp.78-79.

(4) - Stevenson: op.cit, p.396.

(5) - Mattingly, David: Britain in The Roman Empire, Penguin, 2008, pp.168-169.

أيضاً إن معظم المجندين البانونيين في الوحدات المساعدة غير البانونية خدموا في إقليمهم الأم[١]، وهذا النمط من التجنيد في القرن الثاني وما بعد ينطبق على جميع الوحدات المساعدة في الأقاليم باستثناء الوحدات المساعدة الشرقية التي امتلكت شخصية استثنائية، حيث نجد في بانونيا وداسيا ثلاث وحدات مساعدة شرقية هي: Cohors I Hemesenorum, ala I Augusta Ituraeorum في بانونيا الدنيا و Cohors I Augusta Ituraeorum الثابتة في بانونيا خلال القرن الأول وانتقلت إلى داسيا بعد تشكيل الإقليم من قبل تراجان. ويعتبر: Cohors I Hemesenorum الكوهورت الأكثر وضوحاً بين الوحدات الثلاثة سابقة الذكر، حيث يعود الفضل لعلماء الآثار الهنغاريين في إعطاء هذا الكوهورت اسمه الكامل وهو:

Cohors I Hemesenorum milliaria Equitata civium Romanorum sagittariorum.

من المحتمل أن هذا الكوهورت قد أدرج في قائمة الجيش الروماني في بداية القرن الثاني، ثم انتقل إلى بانونيا في بداية حكم الإمبراطور أنطونيوس بيوس (١٣٨-١٦١م)، وبالتأكيد بقي في إقليم بانونيا حتى سنة ٢٤٠م، وخلال هذه الفترة يبدو أنه ثُبِّتَ في منطقة انترسيسا (Intercisa) التي اكتشف فيها أكثر من خمسين نقشاً قبرياً، وتعود أغلبية هذه النقوش إلى نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث للميلاد، ومن بين الجنود الخمسة الذين ذكروا مكان مولدهم على قبورهم كان ثلاثة منهم من حمص نفسها وواحد من ساموساتا وواحد من عرطوز (Arethusa). ويبدو من الواضح أنه خلال البقاء الكامل للكوهورت في بانونيا لم يكن تجنيده مثل تجنيد بقية الوحدات المساعدة، وبصيغة أخرى لم يضم هذا الكوهورت جنوداً من بانونيا أو من المناطق المجاورة لها، بل كان ينتدب باستمرار جنوداً من الإقليم الذي أنشأ فيه بالأصل. أيضاً يذكر الجنود المسرحون سنة ٩٨م وسنة ١١٠م من الكوهورت (cohors I Augusta Ituraerum) ووحدة الفرسان (Ala Augusta ituraeorum) أن مدينة سيرهوس (Cyrhus) في شمال سورية مكان نشأتهم، وأيضاً تظهر الوحدات المساعدة الشرقية وخصوصاً رماة السهام الشرقيين في الأقاليم الأخرى، مثل أقاليم نهر الراين[٢].

من الأدلة السابقة نستطيع الاستنتاج بأنه كان هناك قاعدة لنشر الوحدات المساعدة الشرقية تم الحفاظ عليها على طول نهر الدانوب، وأيضاً تم الحفاظ عليها في الأقاليم الأخرى، ويمكن القول إن سبب تبني هذه القاعدة الاستثنائية في تجنيد الوحدات المساعدة الشرقية

---

(1) - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, p.119.

(2) - Cheesman: op.cit, pp.82-83.

ونشرها هو سبب عسكري بالدرجة الأولى، لأن رماة السهام الماهرين كانوا قد ولدوا في سورية، ولا يوجد من يضاهي براعتهم في مكان آخر[١].

في النهاية نستطيع الاستنتاج أن التجنيد المحلي في الوحدات المساعدة أصبح محتوماً خلال القرنين الثاني والثالث بعد الميلاد، لأن الوحدات المساعدة تزايد استيطانها في الأقاليم الحدودية[٢]، وأيضاً يمكننا تعميم هذا الاستنتاج على جميع أقاليم الإمبراطورية رغم وجود بعض الاستثناءات والتي كان إقليم سورية جزءاً منها، وكذلك نضيف إلى هذه الاستثناءات إقليم بريطانيا، حيث كان جميع الجنود البريطانيين يخدمون خارج إقليمهم ولم يكن هذا سببه معرفة عسكرية تميز بها الجنود البريطانيين، ولكنْ ربما سببه عدم ثقة الحكومة الرومانية بهؤلاء الجنود[٣].

٢ – تنظيم الوحدات المساعدة:

كان في بداية الإمبراطورية الرومانية ثلاثة أنواع من الوحدات المساعدة مرتبة بحسب الأقدمية كالآتي: وحدات الفرسان (ala) ووحدات المشاة (cohors) والوحدات المختلطة (cohors equitata)[٤]، لكن الشيء المميز في العصر الإمبراطوري تجلى بظهور وحدات جديدة أطلق عليها اسم الوحدات الألفية (units milliaria). وقد شمل هذا النوع من الوحدات جميع أنواع الوحدات المساعدة (cohors equitata ,cohors, ala)، في حين كانت الوحدات المساعدة قبل ظهور هذا النوع من الوحدات يطلق عليها ما اقترح تسميته وحدات خمسمائية (units quingenaria)[*].

إذا أردنا أن نعرف ماذا تعني هذه الألقاب (milliaria, quingenaria) بالضبط فعلينا معرفة تاريخ إنشاء الوحدات الجديدة (unts milliaria)، وهذا نجده من خلال تتبع الدلائل

---

(1) - Cheesman: op.cit, p.84.

(2) - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, p.122.

(3) - Webster: op.cit, p.145.

(4) - Ibid, p.145.

* – في المصادر القديمة فقط لقب ألفية (milliaria) يستخدم كثيراً، أما المصطلح "quingenaria" استخدم بشكل نادر، هناك نقش جازم حول هذا الموضوع يأتينا من بانونيا الدنيا ويعود إلى القرن الثالث، حيث يورد هذا النقش اسم الكوهورت maurorom على الشكل التالي: "coh.D maur"، أورد هذا النقش الكوهورت على الشكل السابق لتميزها من cohors maurorom milliaria التي كانت تخدم في نفس الإقليم . Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan op.cit, p.6.

الأدبية والنقشية الأقدم المتعلقة بتاريخ إنشائها، وفي هذا الصدد نجد أن المرجع الصوري الأول على وجود وحدات الفرسان الألفية (ala miliaria) موجود في نقش يتكلم عن السيرة المهنية لكلاوديوس بوليو (Claudius Pollio) الذي تولى قيادة وحدة الفرسان (ala Flavia milliaria) في سورية سنة ٨١ م. أما أقدم مصدر يتكلم عن وحدات المشاة الألفية (Cohors milliaria) موجود في براءة عسكرية عثر عليها في بانونيا تعود للعام ٨٥م، حيث كتب في هذه البراءة أسماء الوحدات الآتية: الكوهورس الأولى بريتانيكا الألفية (Cohors I Britannica milliaria) والكوهورس الأولى بريتونوم الألفية (cohors I Brittonum milliaria). في كلا الحالتين السابقتين كتبت كلمة milliaria في النقوش بشكل كامل مما يدل على أن هذه الكلمة كانت شيئاً حديثاً وجديداً.

من ناحية أخرى أقدم مصدر أدبي يذكر الوحدات الألفية يقدمه يوسيفوس ويعود هذا المصدر إلى سنة ٦٧م، حيث يقول يوسيفوس (Josephus) إن من بين ثلاثة وعشرين وحدة مساعدة مشاة في جيش فيسبيسيان أثناء الحرب اليهودية سنة ٦٧م، كان منها عشر وحدات مشاة ألفية.

إذاً من خلال الأمثلة السابقة نستطيع القول إنه بالرغم من أن معظم الدلائل النقشية والأدبية ترجح ظهور هذه الوحدات خلال الفترة الفلافية (٦٩-٩٦م)، وهذا ما يرجحه أغلب الباحثين[1]، إلا أنه لا يمكننا الجزم بعدم وجود وحدات ألفية قبل الفترة الفلافية، لأنه ربما لاحقاً تأتي نقوش ومكتشفات جديدة تعطي صورة أوضح حول هذا الموضوع.

بعد التوضيح السابق لا بد من شرح وافي يقدم عرض تفصيلي عن بنية الوحدات وتنظيمها في العصر الإمبراطوري.

أ- وحدات الفرسان (ala)

تألفت هذه الوحدات من الفرسان بشكل كامل، وتعني كلمة (ala) باللغة اللاتينية "الجناح"، والتي اشتقت من استخدام الرومان لسلاح الفرسان على جناحي الجيش، فكانت مهمة الفرسان تأمين الحماية للوسط المؤلف من المشاة وشن الهجمات على أجنحة جيش العدو، بالإضافة إلى ملاحقة العدو المتراجع أو التخفيف عن القوات عند الانسحاب. كان قيصر أول من استخدم فرسان الوحدات المساعدة بشكل كبير بعد تجربته مع حلفائه الغاليين حيث نجد أنه في بداية الإمبراطورية قاد هذه الوحدات الزعيم المحلي للقبيلة التي تشكلت منها الوحدة، ومن

---

[1] - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, pp.5-6.

الممكن أن تنظيمها الداخلي ترك لهذا القائد وللتقاليد المحلية (القبلية)، لكن في النهاية نظمت هذه الوحدات على شكل سرايا (turmae)*. وفي العصر الإمبراطوري وُجد نوعين من وحدات الفرسان هي: وحدات الفرسان الخمسمائية (ala quingenaria)، ووحدات الفرسان الألفية (ala milliaria)(١).

تألفت وحدة الفرسان الخمسمائية كما يذكر أريان (Arrian) – الذي كان حاكماً لكبادوكيا في عصر الإمبراطور هدريان – من خمسمائة واثني عشر رجلاً، أما هيجينيوس (Hyginus) فيقول أن عدد قادة العشرة (Decurio) في الوحدات الخمسمائية كان ستة عشر قائد عشرة (الشكل رقم١٥)، وهذا الكلام يؤيده نقش من الإسكندرية عائد إلى سنة ١٩٩م يذكر وحدتي الفرسان ala veterana Gallica و Ala I thracum Mauretana ، والتي احتوت كل واحدة منها على ستة عشر قائد عشرة(٢). أما وحدة الفرسان الألفية فيقول هيجينيوس إنها تألفت من أربع وعشرين سرية، وكلام هيجينيوس يتطابق مع كلام فيجيتيوس في هذا الخصوص. وقد قاد وحدات الفرسان ضابط برتبة بريفيكت (praefectus)، والذي كان في البداية زعيماً محلياً للقبيلة التي جندت منها الوحدة، وبعد صياغة نظام الوحدات المساعدة في القرن الأول الميلادي أصبح هذا المنصب درجة من درجات الترقية لطبقة الفرسان الذين وجب عليهم التنقل بين درجات عدة من أجل الوصول إلى هذا المنصب، وغالباً ما تكون هذه الدرجات كالآتي: قائد لكوهورت مشاة ثم تريبون عسكري لفرقة، ثم قائد لوحدة فرسان (ala)(٣).

ب– وحدات المشاة (cohors peditata)

نُظّمت هــذه الوحــدات علـــى أسس الوحدات الخمسمائية (Cohors quingenaria) والوحدات الألفية (cohors milliaria)، ومثل الفرق كانت كوهورتات المشاة بشقيها (الخمسمائية، الألفية) تتقسم إلى مئينات وهيجينيوس هو الوحيد الذي يتكلم عن بنية هذا النوع

---

* - قسمت وحدات الفرسان إلى سريا (turmae)، و ضمت كل سرية بين (٣٠-٣٢) جندي، وكانت كل سرية تحت قيادة قائد عشرة (Decurio)

- Fields, Nic, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, Osprey Publishing, 2006, p.7.

(1) - Webster: op.cit, p.145.

(2) - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, p.5. ; Fields, Nic: op.cit, p.7.

(3) - Webster: op.cit, p.146.

من الوحدات، حيث يقول: ضمت كوهورتات المشاة الخمسمائية ست مئينات وكانت كل مئينة تتألف من ثمانين رجل، أما كوهورتات المشاة الألفية فتألفت من عشر مئينات. وقاد وحدات المشاة ضابط برتبة بريفيكت، لكنه كان دون مرتبة قائد الفرسان (الشكل رقم١٥)[١].

جـ- الوحدات المختلطة (cohors equitata)

تألفت الوحدات المختلطة من مشاة وفرسان، ووفقاً لهيجينيوس ضمت الوحدة الخمسمائية المختلطة ست مئينات قُسمت بين الفرسان والمشاة بقدر نسبة الوحدة الألفية المختلطة، والتي حسب المصدر نفسه تألفت من ألف جندي من بينهم مئتان وأربعون جندي راكبين ربما وزّعوا على ثماني سرايا، أما باقي جنود الوحدة فكانوا مشاة. لذلك نستطيع الاستنتاج أن الوحدة الخمسمائية المختلطة ضمت أربعمائة وثمانون جندي مشاة ومائة وعشرون جندي راكب، ولو كانت مئينات المشاة في هذه الوحدات بقدر حجم مئينات الفرق (أي ثمانون جندي) فسيكون هناك عشر مئينات في الوحدة الألفية المختلطة وست مئينات في الوحدة الخمسمائة المختلطة (الشكل رقم١٥)[٢] .

نوع الوحدة	الخدمة	قائد الوحدة	نائب قائد الوحدة	عدد السرايا أو المئينات	عدد جنود السرية أو المئينة	المجموع الكلى للوحدة
Ala quingenaria	وحدة فرسان	بريفيكت Praefectus	قائد عشرة decurio	١٦ سرية	مابين ٣٠- ٣٢ جندي	٤٨٠ (٥١٢) جندي
Ala milliaria	وحدة فرسان	بريفيكت Praefectus	قائد عشرة decurio	٢٤ سرية	ما بين ٣٠- ٣٢ جندي	٧٢٠ (٧٦٨) جندي
Cohors quingenaria	وحدة مشاة	بريفيكت Praefectus	قائد مائة centurio	٦ مئينات	٨٠ جندي	٤٨٠ جندي
Cohors milliaria	وحدة مشاة	تريبون عسكري Tribunus militum	قائد مائة centurio	١٠ مئينات	٨٠ جندي	٨٠٠ جندي
Cohors quingenaria equitata	وحدة مختلطة (مشاة ، فرسان)	بريفيكت Praefectus	قائد مائة للمشاة Centurion قائد عشرة للفرسان decurio	٦ مئينات ٤ سرايا	٨٠ جندي ٣٠ جندي	٤٨٠ جندي مشاة ١٢٠ جندي فرسان

(1) - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, pp.7-8.

(2) - Webster: op.cit, p.150. ;Rossi: op.cit, pp.74-75.

Cohors equitata milliaria	وحدة مختلطة (مشاة ، فرسان)	تريبون عسكري Tribunus militum	قائد مائة للمشاة Centurion قائد عشرة للفرسان decurio	١٠ مئينات ٨ سرايا	٨٠ جندي ٣٠ جندي	٨٠٠ جندي مشاة ٢٤٠ جندي فارس

الشكل رقم (١٥): جدول يوضح بنية وتنظيم الوحدات المساعد

٣ – أسماء الوحدات المساعدة وألقابها:

اتبع الرومان نمطاً منظماً في تسمية الوحدات المساعدة وكان يذكر نوع الوحدة متبوعاً برقم تسلسلي، ثم بعد ذلك يأتي اسم القبيلة أو الإقليم الذي جُندت منه الوحدة مكتوباً بصيغة الجمع، وساعدت تسمية الوحدات بهذه الطريقة في تمييز الوحدات ذات الأسماء والأرقام المتشابهة. أطلق العديد من الأسماء والألقاب على الوحدات المساعدة، لكن الأسماء الأكثر شهرة هي الآتية:

أ– أوغسطا (Augusta)

مُنح هذا اللقب للوحدات المساعدة والفرق على السواء تيمناً بالإمبراطور أغسطس "الجليل"، وحمل هذا اللقب عدد كبير من الوحدات المساعدة، ووفقاً لتشيسمان (Cheesman) كان يمنح هذا اللقب في جميع الأوقات من أجل التبجيل. ربما كانت الوحدات التي حملت هذا اللقب ذات أصول أقدم، أي أنها حملت هذا اللقب بعد تأسيسها بفترة طويلة، ومن الوحدات التي حملت هذا اللقب وحدة الفرسان أوغسطا غاليروم (ala Augusta Gallorum) التي وجدت في اسبانيا سنة ٤٠م، أما الوحدات التي أنشأت في الشرق وحملت هذا اللقب فهي: Cohortes I,II,III Augusta Cyrenaica, ala and cohors Augusta Ituraeorum، وهناك وحدات تمركزت في الشرق وأصلها غربي مثل: Cohorts and ala Thracum التي ربما أسست من قبل الثراشيين (Thracians).

ب–كلوديا (Claudia)

حملت لقب كلوديا ستة وحدات مساعدة فقط، والذي أطلقه عليها الإمبراطور كلوديوس، وفقط أربعة منها أنشأت في عهده هي: وحدة الفرسان كلوديا نوفا (ala Claudia nova)، ووحدتي المشاة الأولى والثانية كلوديا (cohortes,I,II Claudia) ووحدة المشاة الأولى كلوديا

سوغا مبروروم (cohors I Claudia sugambrorum)، وأنشأت وحدة الفرسان كلوديا نوفا ووحدة المشاة سوغا مبروروم بسبب ثورة سكريبونيانوس (Scribonianus) سنة ٤٢ م[١].

جـ- سلبيسيا (Sulpicia)

سميت بعض الوحدات المساعدة بأسماء أفراد، وكان هؤلاء الأفراد على الأغلب قادة هذه الوحدات، مثل: وحدة الفرسان سلبيسيا (ala sulpicia) التي ربما سميت على اسم أول قائد لها، والذي كان اسمه الأوسط سلبيسيوس (sulpicius)، وهذه الوحدة تعتبر مثالاً عن وحدات لم يكن لها رقم متسلسل[٢].

د- فلافيا (Flavia)

منح فيسبيسيان هذا اللقبَ لمعظم الوحدات المساعدة التي أنشأت في عصره، مثل وحـــدتي الفرسان الأولى والثانية فلافيا جيمينا (ala I,II Flavia Gemina) التـــي تـــم إنشـــاؤها من وحدات الفرسان التي هزمها سيفيليس (civilis) في ثورة سنة ٦٩-٧٠م على الراين[٣].

هـ- ألبيا (Ulpia)

من ضمن الوحدات المساعدة التي تلقت لقب ألبيا (ulpia) ثلاث وحدات فقط حصلت على هذا اللقب في المعركة، أمـــا الوحدات الباقية فأنشـــأها الإمبراطور تراجان، والوحـــدات التـــي حصلت على هذا اللقب في المعركة هي: Cohors I Flavia Hispanorum Milliaria, Cohors I Brittonum Milliaria, Cohors I Cugernorum، وتلقت هذه الوحدات لقب ألبيا (Ulpia) كوسام شرف في الحرب الداسية الثانية (١٠٥-١٠٦) م. أما الوحدات الأخرى التي أنشأها تراجان نذكر منها في الغرب وحدة الفرسان الأولى ألبيا داكوروم (ala I ulpia dacorum) ووحدة المشاة الأولى ألبيا داكوروم (cohors I ulpia dacorum) وفي الشرق كانت الوحدة الأولى البيا دروميداريوروم ملياريا (ala I ulpia dromedariorum milliaria).

---

(1) - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, p.14-15.

(2) - www.wikipedia.org /auxiliaries/, (صفحة مطولة).

(3) - Fields, Nic: op.cit, p.9.

و – فيتيرانا (Veterana)

السبب المتفق عليه وراء إعطاء اللقب "فيتيرانا" للوحدات المساعدة، كان الرغبة في التمييز بين وحدتين لهما نفس الاسم والرقم ومتمركزتان في نفس الإقليم، والمثال الأفضل حول هذا اللقب هو وحدتي المشاة الأولى سوغا مبروروم، حيث كان يطلق عليهما أثناء ظهورهما الأول في البراءات العسكرية cohors I sugambrorum tironum, cohors I sugambrorum veteran.

بالإضافة إلى الأسماء والألقاب السابقة، هناك بعض الوحدات المساعدة التي حملت أسماء الأقاليم على شكل صفة، والتي ربما استخدمت هذه الصيغة من الأسماء لإيضاح أن الوحدة انتمت إلى حامية الإقليم المسمى، ولمنع الخلط والخربطة مع وحدات أخرى ذات الأصل العرقي نفسه والرقم نفسه. ينطبق هذا بالتحديد على وحدات المشاة الأولى والثانية ثراكم قورينائية، فكانت الأولى قد أخذت أسم إقليم لوسيتانيا الواقع في شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا) فأصبحت تعرف بـــ (cohors I Lusitanorum Cyrenaica)، وأخذت الثانية اسم إقليم هيسبانيا فأصبحت تعرف بـــ (cohors II Hispanorum scutata Syrenaica)، ووحد المشاة الثالثة أخذت اسم إقليم جرمانيا فأصبحت تعرف بـــ (cohors I thracum Germanica)[1].

أيضاً هناك ألقاب أخرى كانت الوحدات المساعدة تحصل عليها كمكافئة على خدمتها المشرفة، وكان اللقب المرغوب بشكل كبير هو لقب الوحدة المؤلفة من مواطنين رومان (Civium Romanorum) والذي يختصر بـــ (C.R). عند إعطاء هذا اللقب ينال كل أفراد الوحدة باستثناء أحفادهم حق المواطنة الرومانية، وتحتفظ الوحدة بهذا اللقب إلى الأبد مثل: (ala I singularium C.R) [2]، ووحدة الفرسان الغالية والتراكية (ala Gallorum et Thracum Classiana Invicta bis Torquata Civiun Romanorum). أنشأت الوحدة الأخيرة لدعم روما خلال الثورة الغالية سنة ٢١م واتخذت اللقب (Classiana) من اسم قائدها الأول كلاسيكيانوس (Classicianus)، وأعطيت اللقب (Thracum) بعد إضافة قوات ثراشية

---

(1) - Holder: The Auxilia from Augustus to Trajan, op.cit, p.14-16.

(2) - Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p.97.

إليهاو وحصلت على لقب الوحدة التي لا تقهر (Invicta) ووسام الطوق مرتين (bis Torquata) والمواطنة الدائمة لكل افرادها (C.R) لقاء انجازاتها في القتال[١].

رابعاً: التسلسل الهرمي للقيادة في الجيش الروماني

إن التسلسل الهرمي للقيادة في الجيش الروماني يحدد الطريقة التي كان يعمل بها هذا الجيش كقوة قتالية منظمة، ولقد أسهمت دراسة المصادر المادية والأدبية معاً في توضيح العلاقة بين الرتب في كافة أفرع الجيش الروماني بالرغم من وجود مسائل يبقى من الصعب إيجاد حل لها، لكن مع ذلك قد لا يساعد شرح التسلسل الهرمي للقيادة في الجيش الروماني على فهم بنية القيادة والرابط ما بين الرتبة والوظيفة في مؤسسة كبيرة مثل هذاالجيش، فبالرغم من كثرة المصادر التي تشير إلى رتب معينة في هذا الجيش، إلا أنها لا تقدم لنا معلومات كافية عن العمل الذي كان يقوم به أصحاب هذه الرتب في أوقات السلم والحرب[٢]. لذلك ركزت هذه الدراسة على التسلسل الهرمي للقيادة أكثر من تركيزها على وظائف بنية القيادة، و هدفت إلى إيضاح مسائل عدة ما زالت عالقة ولم تحل، مرتبطة بتسلسل القيادة في الجيش الروماني الإمبراطوري.

١ –الإمبراطور:

يأتي الإمبراطور في قمة الهرم القيادي للجيش الروماني حيث اُعتبر رئيس أركان الجيش الروماني، وعندما تبنّى أغسطس لقب إمبراطور (Imperator) أي القائد سنة ٢٧ق.م كجزء من أسمه، ربما كان يهدف من وراء ذلك أن يصبح القائد العسكري الأبرز والأهم في روما، وحمل أغسطس لهذا اللقب كان وراء حمل كل الأباطرة الذين جاؤوا بعده لصفات الجنرال الروماني. كسب الأباطرة المجد لأن كل الحملات تمت تحت رعايتهم وبإشرافهم، ولذلك أضيف لقب الجنرال إلى ألقابهم، وكان للمسؤوليات العسكرية للإمبراطور أثر مهم في مخيلة الشعب الروماني الذي صوره مرتدياً رداءً عسكرياً كما في التماثيل وأقواس النصر والعملات، حيث أظهرت هذه الصور والنقوش الإمبراطور كبطل فاتح أو قائد عسكري حازم ومبجل، علاوة على ذلك نظر الجنود إليه على أنه المحسن وصارف الرواتب ورفيق السلاح، وبدورهم سعى الأباطرة لتوضيح أنهم كانوا رفاقاً للسلاح وشجعاناً يستحقون ولاء قواتهم المطلق، ومن أجل ذلك أصبحوا منذ نهاية القرن الأول يشرفون على جميع الحملات العسكرية

---

(1) - Fields, Nic: op.cit, p.9.

(2) - Isaac, Benjamin: The Near East under Roman Rule, Leiden, New York, 1998, p.24.

الرئيسة، فكان الإمبراطور تراجان يتقدم الجيش دائماً سيراً على الأقدام ويتفقد انتشارات القوات بأكملها أثناء الحملات، وعَبَرَ الأنهار التي مروا بها أثناء الحرب البارثية سيراً على الأقدام(١).

كان منصب الإمبراطور كرئيس أركان للجيش الروماني متفقاً مع عقيدة الرومان التي قدّرت عالياً الشجاعة والقدرة العسكرية، وربطت القيادة العسكرية بالقادة الشجعان في الدولة، لكن الأباطرة وجدوا في قيادتهم الناجحة للجيش وشعبيتهم بين الجنود كحصانة ضد التمرد والثورات عليهم، فقد دفع خوفُهم من التمردات والمؤامرات أغسطسَ إلى اعتلاء منصب رئيس الأركان في الجيش الروماني، ودفعه إلى تثبيت معظم الجيش في الأقاليم التي كان له الحق القانوني والشرعي لتعيين الحكام والقادة فيها ليكون هذا الجيش تحت ناظريه وخاضعاً له(٢).

٢ – حكام الأقاليم وضباط الفرق:

احتل حكّام الأقاليم وقادة الفرق الدرجة الثانية في التسلسل الهرمي للقيادة في الجيش الروماني، وبالرغم من أن النظام الإمبراطوري الجديد الذي أسسه أغسطس كان قد حرم مجلس الشيوخ الروماني كمؤسسة الكثير من الحرية والاستقلال، إلا أن أعضاء مجلس الشيوخ كأفراد استمروا بلعب دورٍ هامٍ في إدارة الإمبراطورية الرومانية حتى القرن الثالث الميلادي، حيث شغل هؤلاء المناصب الأكثر أهمية في الإمبراطورية، مثل حكام للأقاليم وضباط في الجيش من الدرجة العليا(٣).

عند اختيار الأباطرة لحكّام الأقاليم وقادة الفرق كانوا مقيدين باعتبارات رومانية تقليدية للسن والخبرة والمنزلة الاجتماعية، ولمفهوم الطبقة العليا القائلة بأن السيناتورات كانوا أكفياء ليخدموا الدولة مهما كان حجم المسؤولية. ولم يكن في روما أكاديمية عسكرية ولا تحضير منهجي للرجال من أجل القيادة العسكرية(٤)، ولذلك وجب على أبناء السيناتورات الذين طمحوا إلى مهنة سياسية أو عسكرية أن يحققوا الاعتبارات سابقة الذكر من خلال تجاوز مجموعة من الدرجات الوظيفية، وكانت أولى هذه الدرجات عادةً شغل منصب قضائي صغير في أواخر

---

(1) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, pp.68-73.

(2) - Ibid, p.61, 72.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, P.60.

(4) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.61.

فترة مراهقتهم، وبعد ذلك يدخلون السلك العسكري برتبة تريبون عسكري سيناتوري في أحد الفرق (tribunus Laticlavius)[١]، وشغلوا هذا المنصب عادة في أوائل العشرين من عمرهم[٢]، وكان من الشائع أن يقضيَ الرجل فترة هذا المنصب في أحد الفرق المتمركزة في إقليم يحكمه أحد أعضاء العائلة أو صديق مقرب. ويمضي الرجل في هذا المنصب سنة على الأقل، والقليل منهم خدم فترة أطول من ذلك، ولكن بعضهم خدموا في فرق عدة متمركزة في أقاليم مختلفة. لاحقاً عندما يبلغ هؤلاء الرجال الرابعة والعشرون من عمرهم ينضمون بشكل رسمي إلى مجلس الشيوخ[٣]، وخلال فترة انضمامهم إليه قد يشغل هؤلاء السيناتورات سلسلة من المناصب القضائية، وبعد أن يبلغ السيناتور سن الثلاثين كان يتسلم قيادة فرقة في الجيش الروماني، وهذا المنصب الجديد (legatus) أُعتبر المنصب العسكري الثاني في سلسلة الوظائف العسكرية للسيناتورات. وكان ضباط الفرق بمنزلة نواب للإمبراطور، لذلك كانوا يتصرفون على أساس السلطة الممنوحة لهم، فكان قائد الفرقة (Legatus) لا يعين من قبل حكّام الأقاليم، بل كان يعين من قبل الإمبراطور شخصياً، ويبقى السيناتور عادةً قائداً للفرقة ما بين (٣-٤) سنوات[٤]، لكن بعض قادة الفرق استمروا في قيادة الفرقة مدة تتراوح ما بين ست أو سبع سنوات، وكان نادراً ما يعين السيناتور قائداً (legatus) لأكثر من فرقة واحدة[٥].

تنوعت الكفاءة العسكرية بشكل كبير، فبعض هؤلاء القادة سعوا إلى المجد في ميدان القتال، ولكن معظمهم حاول تجنب ارتكاب الأخطاء الكبيرة والجسيمة، لأنه كانت لديهم طموحات مستقبلية، فهؤلاء القادة في مرحلة لاحقة من حياتهم وبعد نهاية فترة قيادتهم للفرق سيعودون إلى روما ليشغلوا منصب القنصل، وبعد شغل السيناتور لهذا المنصب يصبح الطريق أمامه سالكاً ليشغل منصب الحاكم لأحد الأقاليم ولو كان هذا الإقليم إقليماً إمبراطورياً[٦]، باستثناء إقليمي مصر وبلاد الرافدين اللذين كانا يُحكمان من قبل حاكم من طبقة الفرسان، ونتيجة لذلك يصبح قائداً لجميع الفرق المتمركزة في هذا الإقليم، أما في الأقاليم

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.60.

(2) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.61.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.60.

(4) - Webster: op.cit, p.112.

(5) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.60.

(6) - Webster: op.cit, p.112.

التي تمركزت فيها فرقة واحدة يكون قائد الفرقة هو الحاكم الإقليمي، باستثناء إقليم إفريقيا الذي كان يميز بين القيادة العسكرية للفرقة الثالثة أوغسطا وبين القيادة المدنية[١].

غالباً ما توخى الأباطرة الحذر في اختيار حكّام الأقاليم وكان يتم اختيارهم بالاعتماد على مزايا الرجل المعين وعلى وضع الإقليم وظروفه، فعند الحرب أو عند التخطيط لها تكون هناك حاجة ماسة لرجل أثبت جدارته في ميدان المعركة، بينما في أوقات السلم يتم اختيار الرجل المتمتع بالكفاءة والقدرة الإدارية والقانونية[٢]. شكّل منصب الحاكم لأحد الأقاليم الإمبراطورية العسكرية ذروة وظائف السيناتورات، لذلك فإن الأهمية والعدد المحدود لهذه المناصب ضمِنَ أن أغلبية السيناتورات لن يصلوا إلى هذا المنصب العالي أبداً، وكانت المدة المتوسطة للخدمة في هذا المنصب ثلاث سنوات، ولكن كان هناك العديد من الاستثناءات وعلى سبيل المثال ساءت علاقة الإمبراطور تيبريوس مع مجلس الشيوخ لأنه أبقى حكّام الأقاليم في مناصبهم فترات طويلة جداً مما أحبط آمال الذين كانوا يطمحون لهذه المناصب، وفي القرن الثاني كان شائعاً أن يخدم الرجل في إقليم عسكري صغير قبل أن يتولى قيادة أحد أكبر الجيوش في بريطانيا أو بانونيا العليا أو سورية.

وبالرغم من أن الحاكم الإقليمي امتلك خبرة عسكرية جراء خدمته تريبوناً عسكرياً وقائداً لفرقة، إلا أن ذلك لا يكفي لكي يصل إلى منصب حاكم لأحد الأقاليم. لذلك على الأغلب شكلت المناصرة والدعم العامل الأساسي في تحديد ما إذا كان يجب وضع حد لحياة الشخص المهنية قبل الأوان أو ترقيته لمناصب أعلى، ولم يعتبر الرومان هذا فساداً بل اعتبروه منطقياً وملائماً أن يستخدم الرجل سلطته ونفوذه لإفادة أصدقائه، وشكل الإمبراطور مصدر الدعم والمناصرة الأكبر، لأن تأييده واستحسانه كان العامل الأهم لتعيين الرجل كقائد لفرقة أو كحاكم إقليمي. كان الأباطرة بحاجة لرجال أكفاء ليقودوا جيوشهم وليحكموا أقاليمهم، لكن كان عليهم خلق نوع من التوازن الدقيق، لأنهم لم يكونوا يرغبون بمنح السلطة لرجال أكفياء أكثر من اللازم، فمنح السلطة لمثل هؤلاء الأشخاص قد يجعل منهم منافسين للإمبراطور. لذلك كانت ممارسات الحكام الإقليميين وأعمالهم ونشاطاتهم، تفحص وتدقق بشكل كبير[٣].

---

(1) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.61.

(2) - Webster; op.cit, p.112.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit , pp.62-63.

٣ – التريبونات وقادة الوحدات (tribunes and prefects):

تحتل وظيفة التريبون العسكري (tribunes militum)، الدرجة الثانية في بنية قيادة الفرقة، فكانت فرص تسلّم طبقة الفرسان لمناصب عالية في الجيش والأُقاليم قليلة جداً خلال العصر الجمهوري، لكن الآن في العصر الإمبراطوري تغير هذا النظام كلياً بعد أن أنشأ أغسطس وخلفاؤه عدداً كبيراً من المناصب لتشغلها طبقة الفرسان، وساعد إنشاء هذه الوظائف العديدة في ضمان دعم طبقة الفرسان وتأييدهم لنظام الحكم الجديد. فقد كانت العضوية في طبقة الفرسان متاحة أمام جميع المواطنين الذين امتلكوا القيمة المطلوبة من الثروة البالغ قيمتها عشرة آلاف ديناريوس[١]، وازداد عدد أفراد طبقة الفرسان بعد منح هذا الامتياز لعدد كبير من سكان الأقاليم، حيث أصبح عدد أفراد هذه الطبقة أكثر من عدد السيناتورات، خاصة بعد أن تحولت معظم العائلات الأرستقراطية بمرور الزمن إلى طبقة الفرسان، وأصبح بإمكان طبقة الفرسان شغل مناصب في الجيش والحكومة أكثر تنوعاً من مناصب السيناتورات[٢]، فقد شغلت طبقة الفرسان خمسة من أصل ستة مناصب للتريبونات العسكريين (tribuni militum) في الفرقة، وكل واحد من هؤلاء التريبونات شغل هذا المنصب كخطوة في سيرته المهنية، وكان التريبون الأعلى بين هؤلاء هو التريبون السيناتوري (tribunus laticlarius)[٣]. سُمّي التريبون السيناتوري بهذا الاسم لأنه كان يرتدي الرداء القصير المخطط الذي كان يرتديه أعضاء مجلس الشيوخ، وعُيّن هذا الضابط من قبل مجلس الشيوخ أو الإمبراطور، حيث طمح إلى تولي القيادة الكاملة للفرقة في وقت لاحق من سيرته المهنية، وبالرغم من صغر سنه وقلة خبرته العسكرية إلا أنه خدم كنائب قائد الفرقة وعند وفاة قائد الفرقة في المعركة يتولى هذا الضابط قيادتها[٤].

أما التريبونات الخمسة الآخرين في الفرقة فكانوا شباناً من طبقة الفرسان وصعدوا إلى هذا المنصب من خلال مجالس القضاء في مقرات الحكومات الإقليمية، أو من مقرات قيادة الوحدات المساعدة، حيث أخذ مسار الترقية الطبيعي لهؤلاء الشباب الفرسان منذ منتصف

---

[1] - www.wikipedia.org /auxiliaries/, (صفحة مطولة).

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.64.

[3] - Webster: op.cit, p.112.

[4] - Cowan: op.cit, p.8.

القرن الأول للميلاد الشكل التالي: قائد (prefectus) لوحدة مشاة أو مختلطة، ثم تريبون عسكري في الفرقة، ثم قائد (prefectus) لوحدة فرسان (ala)[١].

ربما في القرن الثاني في عهد الإمبراطور هدريان تم تعديل نمط مهنة طبقة الفرسان بعد إضافة منصب رابع إلى مسار الترقية هو قائد (tribunes) لوحدة فرسان ألفية (ala milliaria). معظم الرجال الذين ولدوا في عائلات تنتمي إلى طبقة الفرسان استهلوا حياتهم المهنية كقضاة محليين في الأقاليم، ثم عند بلوغهم سن الثلاثين انتقلوا إلى الخدمة في السلك العسكري وفق الخطوات السابقة، فقد كانوا يخدموا ما بين ثلاث إلى أربع سنوات في كل منصب، وبعضهم يعود إلى وظيفة القضاء المحلي بعد تعيينه في أحد المناصب العسكرية[٢]، أما الآخرون الذين شغلوا أكثر من وظيفة في سلسلة الوظائف العسكرية المذكورة سابقاً فغالباً ما استمروا بشغل مزيج من المناصب تبدأ من الإدارة المالية وتجتاز منصب الحاكم الإقليمي لتصل إلى رئاسة الحرس الإمبراطوري وهو أعلى منصب يترأسه الضباط الفرسان، وغالباً ما اعتبرت المناصرة والدعم من قبل أعضاء مجلس الشيوخ أو قادة الجيوش عاملاً هاماً في ضمان ترقية الضباط الفرسان، لذلك فالخبرة والقدرة العسكرية للمتقدم إلى منصب ستكون فقط أحد أسباب تعيينه[٣]. وغالباً ما كانت مسؤولية التريبون العسكري من طبقة الفرسان في الفرقة، مسؤولية ذات طبيعة إدارية في الدرجة الأولى، وشملت مهامه تلقي الشكاوي من الجنود ومعاقبة المخطئين أو المسيئين، وتفقّد المؤن والمرضى [٤].

كان معظم ضباط طبقة الفرسان في بداية العصر الإمبراطوري من أصل إيطالي، لكن ذلك تراجع تدريجياً بعد ترقية فرسان من أقاليم تابعة لروما، فكان قادة المائة الأعلى في الفرق (primus pilus) وبعد خدمتهم سنة في هذا المنصب يُسرّحون ويأخذون مكافأة تسريح تسمح لهم بالانتساب إلى طبقة الفرسان، وكذلك هناك أشخاص آخرون أصبحوا من طبقة الفرسان بعد امتلاكهم للثروة الكافية، وهؤلاء الأشخاص الذين بلغوا منزلة الفرسان في وقت لاحق من حياتهم تكون مدة بقائهم في الدرجات الأربعة المذكورة سابقاً ما بين ثلاث إلى أربع سنوات فقط. شغل هؤلاء التريبونات العسكريين (tribuni militum) مناصب في قيادة الفرقة فكانوا يكلفون بمسؤوليات إدارية أكثر من المسؤوليات العسكرية المباشرة بسبب صغر سنهم وقلة

---

(1) - Webster, op.cit, p.113.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.65-66.

(3) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.56.

(4) - Maxfield: op.cit, p. 24.

خبرتهم العسكرية، وعلى اعتبار أن منصب التريبون العسكري مجرد درجة في سلم الترقية[١].

أيضاً شغل الفرسان وظيفة أخرى تحتل الترتيب الثالث في بنية قيادة الفرقة، والتي تمثلت في وظيفة قائد المعسكر (prfectus castrorum). كانت وظيفة هذا الشخص أدنى من وظيفة التريبون العسكري، وشغل هذا المنصب بعد خدمة عسكرية مدتها خمس وعشرون سنة في الفرق كقائد مائة[٢] وسنة واحدة كقائد مائة أعلى في الفرقة (primus pilus) بعد التسريح يحصل هذا الشخص على حق الانتساب إلى طبقة الفرسان ويحق له متابعة سيرته العسكرية، إما كقائد لأحد الوحدات المدنية في روما، أو قائداً لمعسكر في فرقة. كان هذا الضابط مسؤولاً عن صيانة المعسكر والاعتناء بالمؤن والعتاد والتجهيزات الحربية والتدريب والإمدادات، وعلى الأغلب يكون عمره عندما يتسلم هذا المنصب ما بين الخمسين والستين سنة، ويستلم قيادة الفرقة عند غياب قائدها والتريبون الأعلى. وشكلت وظيفة قائد المعسكر قمة المهنة العسكرية للعديد من قادة المائة الأعلى في الفرق، لذلك شُغل هذا المنصب لسنين طويلة كما في حال وظيفة قائد المائة[٣].

إن تشكيل الوحدات المساعدة النظامية على شكل وحدات مشاة (cohors) ووحدات فرسان (ala) أدى إلى ظهور المئات من المناصب التي تولت قيادتها طبقة الفرسان، والضباط الذين تولوا قيادة الوحدات المساعدة الخمسمائية بشقيها (مشاة - فرسان) أطلق عليهم اسم (prefectus)، أما الضباط الذين تولوا قيادة الوحدات المساعدة الألفية فكانوا يعرفون بالتريبونات (tribunes). أيضاً شغلت طبقة الفرسان مناصب قادة الوحدات العسكرية والمدنية في روما، حيث تولى الضباط الفرسان قيادة وحدات الحرس الإمبراطوري، فكان يقود كل وحدة تريبون من طبقة الفرسان والحرس الإمبراطوري ككل قاده ضابط من رتبة بريفيكت (prefectus). أما بنية القيادة للوحدات المدنية " وحدات الحراسة الليلة وإطفاء الحرائق في روما " فكانت مشابهة لبنية وحدات الحرس، باستثناء أن كل وحدة من الوحدات المدنية كان يقودها ضابط واحد برتبة بريفيكت (prefectus) وكانت رتبته ورتبة التريبونات أدنى من رتبة نظرائهم في الحرس الإمبراطوري[٤].

---

(1) - Webster: op.cit, p.113.

(2) - www.wikipedia.org/roman-legion/, (صفحة مطولة).

(3) - Webster: op.cit, p.113.

(4) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.64.

٤ – قادة المائة (centurions):

شكل قادة المائة جزءاً هاماً من بنية القيادة وهيكلها في الجيش الروماني وشغلوا مناصب أهم من المناصب التي شغلها صف الضباط في الجيوش المعاصرة، وكانوا أكثر الأشخاص مسؤولية في الفرق. وبلغ عدد قادة المائة في كل فرقة ما بين تسع وخمسون إلى ستون قائد مائة، وحوالي ألف وثمانمائة قائد مائة في فرق الجيش الروماني ككل، وعلى الأقل عدد مماثل في الوحدات المساعدة[١]. وجد ستة قادة مائة في كل كوهورت من كوهورتات الفرقة البالغ عددها عشرة، ما عدا الكوهورت الأولى التي ضمت خمس قادة مائة بقوة مضاعفة. وقد أدرك أغسطس أهمية قادة المائة في تسلسل القيادة بفضل خبرته في الحرب الأهلية، وتوجب عليه القيام بكل ما يلزم لتقييد هؤلاء الرجال بالدولة وبنفسه، وعمل في الوقت نفسه على فصلهم عن الجنود العاديين. ونال هؤلاء احتراما كبيرا بين الجنود على عكس الضباط الأعلى مرتبة، وبذلك كانوا مهمين جداً في سيطرة القاعدة على المعسكر، وكان لهم أثرٌ كبير في المحافظة على انضباط الجنود بحكم قربهم منهم، فكانوا يعلمون باكراً بالبذور الأولى لأيّة مشكلة يمكن أنْ تقع، فكانوا بمنزلة الإنذار المبكّر لقادتهم، ومن غير مساعدتهم يستحيل على القادة إعادة السيطرة على الجنود أو معاقبتهم [٢].

أخذت الترقية لمنصب قائد المائة أشكالاً متعددة، فكان بإمكان الرجال الذين يمتهنون الفروسية في الحياة اليومية أن يعينوا مباشرة كقادة مائة بعد تطوعهم في الجيش الروماني، وبدون شك حاول بعض الفرسان الهرب من مشاكل وأعباء الحياة اليومية عن طريق التطوع في الجيش، وأيضاً شكّلت الرواتب المرتفعة لقادة المائة أحد أهم المغريات التي دفعت هؤلاء الفرسان للتطوع في الجيش الروماني حيث وصل الراتب " تقريباً إلى ثمانية عشر ألف سيستريوس* في القرن الثاني الميلادي واثنان وسبعون ألف سيستريوس لقائد المائة الأعلى "[٣].

شكّل جنود الفرق النظامية النسبة الأكبر من قادة المائة، فكان ممكناً لهؤلاء شغل منصب قائد المائة بعد خدمة اثنا عشر عاماً على الأقل في الفرق، لكن ربما المهارة الحربية

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.68.

(2) - Chrissanthos: op.cit, p. 168.

* - شكّل الديناريوس العملة الرئيسية للإمبراطورية الرومانية، في حين كان السيستريوس العملة الفرعية الأصغر، وكان الديناريوس يساوي أربعة سيستريوس. لمزيد من المعلومات راجع رواتب الجنود في الفصل الرابع.

(3) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.46.

والقدرة على القيادة في ميدان القتال تجعل هذه المدة أقصر. وشكّلت القدرة على الكتابة عاملاً أساسياً في ترقية الرجل لمنصب قائد المائة، وهذا ما يفسر بقاء الغالبية العظمى من القوات جنوداً عاديين، فقد كان يتم اختيار المجندين المتعلمين مباشرة وبعد فترة خدمة محدودة يتم فرزهم إلى مقر القيادة مما سيؤدي إلى الترقية بشكل آلي لأن العمل في مقرات القيادة ساعد هؤلاء الجنود على التقرب من الضباط الذين بدورهم يصبحون مؤيدين لهم، مثلاً كتب مجند حديث التجنيد اسمه جوليوس أبوليناريوس (Julius Apollinarius) إلى والده سنة ٧م:

" الأمور تجري على ما يرام هنا بالنسبة لي..... وصلت إلى هنا بأمان، وبينما الآخرون يمضون النهار بأكمله في قطع الحجارة وفي القيام بأمور أخرى إلا أنني حتى الآن لم أعان من هذا كله. طلبت من الحاكم الإقليمي كلوديوس سيفيروس أن يعينني كموظف في طاقمه، لكنه رد بأنه لايوجد شاغر في هذه اللحظة لكن سأعينك موظف في فرقة على أمل أن تترقى مستقبلاً "[١]

وتنصيب المدنيين قادة مائة كان ممكناً، لكن هذه الطريقة كانت أسهل على أبناء قادة المائة الذين أثبتوا جدارتهم في مناصب الحكم المحلي، أو حصلوا على الدعم اللازم من مناصر أو مؤيد قوي، كأحد القادة الذين كان يخدم الأب تحت قيادتهم أو أحد الحكّام الإقليميين. وهناك طريقة أخرى للترقية لمنصب قائد المائة تمثّلت بجنود وحدات الحرس الإمبراطوري، فكان بإمكان هؤلاء الجنود الحصول على منصب قائد مائة في فرقة فيما إذا دُعموا بشكل جيد بعد خدمتهم ستة عشر عاماً في روما[٢]. وقد أطلق على قادة المائة في الكوهورت الأولى اسم (primi ordines)، وكانوا ذوو منزلة أعلى من قادة المائة الآخرين في الفرق، في حين أطلق على قائد المائة الأقدم والأعلى في الفرقة اسم (primus pilus) الذي أوكلت له قيادة المئينة الأولى في الكوهورت الأولى. وكذلك مسؤولية الحفاظ على راية الفرقة، ويشغل هذا المنصب لسنة واحدة فحسب، وعادةً يُدفع له رواتب عالية ومكافآت تسريح قيّمة تُمكّنه من الانتساب لطبقة الفرسان، وكان باستطاعة هذا الشخص بعد الانتساب إلى طبقة الفرسان أن يتسلم قيادة المعسكر أو يصبح قائداً (tribiunus) لأحد وحدات الحرس الإمبراطوري أو الوحدات المدنية[٣]. وقد أطلق على قائد المائة الثاني في الكوهورت الأولى اسم (princepes)، والذي ألقيت على عاتقه مسؤولية التدريب وطاقم القيادة. أما قادة المائة

---

(1) - Davies, Roy: Service in the Roman Army, Columbia University Press, New York, 1989, p.21. نقلاً عن

(2) - Webster: op.cit, p.116; Chrissanthos: op.cit, p. 168.

(3) - Stevenson: op.cit, p.226.

الآخرون في الكوهورت الأولى فكانوا بالترتيب حسب الأقدمية: (hastatus) ومن ثم يأتي (princepes posterior) ومن ثم يأتي (hastatus posterior)[١].

العلاقة بين قادة المائة في الكوهورتات التسعة الأخرى في الفرقة هي أقل وضوحاً بالرغم من أننا نعرف أن لقب قائد كل مئينة من المئينات الستة في كوهورت يختلف عن لقب الآخر[٢]، ولكنهم متساوون من حيث الرتبة، والاختلاف الوحيد بينهم هو القِدم في الخدمة، وكان ترتيبهم في هذه الكوهورتات على الشكل الآتي:

pilus prior, pilus posterior, princeps prior, princeps posterior, hastatus prior, hastatus posterior.

تعتبر قوانين الترقية ضمن منصب قائد المائة أحد المسائل العالقة والغامضة، وإعادة هيكلة الترقية ضمن هذا المنصب لا يمكن تبريرها على أساس شاهد موجود في النقوش التي تتكلم عن سيرة قائد المائة المهنية، لأن هذه النقوش لا يمكنها إخبارنا لماذا وكيف كان يُرقّى قائد المائة[٣]. يقول فيجيتيوس: إن ترقية قادة المائة وكل شاغلي المناصب في الفرق تضمن الانتقال بين الكوهورتات والمئينات.

ومن خلال كلام فيجيتيوس نستنتج أن الكوهورت الأولى في الفرقة كانت تمثل الكوهورت الأعلى ثم يتبعها الكوهورت الثانية ثم الثالثة وهكذا حتى الكوهورت العاشرة. ويشير كلام فيجيتيوس إلى أن تعيين قائد المائة يجب أن يكون في الكوهورت العاشرة ومن ثم عليه أن يبدأ عمله خطوة بخطوة حتى يصل إلى الكوهورت الأولى. ولذلك اُفترض أن قائد المائة يبدأ عمله عادة من منصب (hastatus posterior) في الكوهورت العاشرة، أي يكون قائد المائة الأصغر في الفرقة بأكملها وخطوة بخطوة يصل إلى مرتبة قائد المائة الأعلى في الكوهورت الأولى (primus pilus)، ولكن بالرغم من كل ما تقدم يبقى من الصعب فهم كيف عَمِلَ هذا النظام، لأن هذه العملية قد تأخذ فترة طويلة بشكل لا يصدق إن لم يخدم قائد المائة شهور قليلة في كل منصب من هذه المناصب. والفرضية البديلة التي يؤيدها معظم الباحثين والمؤرخين هي: اعتبار درجات قادة المائة الست في الكوهورتات من الثانية إلى العاشرة

---

(1) - Webster: op.cit, p.114.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.69.

(3) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.46.

متساوية. ولذلك كانت تتم الترقية إما إلى مئينة أعلى في أي كوهورت من هذه الكوهورتات، أو تتم إلى رتب قادة المائة في الكوهورت الأولى.

وعلى العموم يبقى هذا الكلام مجرد فرضيات تحتاج إلى الكثير من النقاش، وتبقى قوانين الترفع والترقية ضمن منصب قائد المائة غامضة ولم يُفهم نظام عملها فهماً كاملاً، لكن من خلال أسماء قادة المائة نستطيع القول إن هناك دلائل على نظام ترقية ضمن منصب قادة المائة.

المشكلة الأخرى التي تواجه الباحثين هي قيادة الكوهورت في الفرقة، فقد كان الجنود يصفون أنفسهم كأعضاء في مئينة محددة أكثر من كونهم أعضاء في كوهورت معينة، مع ذلك كانت الكوهورت تمثل الوحدة التكتيكية الأساسية ولا يمكنها أن تعمل بشكل فاعل من دون قائد. حتى الآن لا يوجد دليل على أي رتبة في الفرقة مساوية أو مكافئة لقائد الوحدات المساعدة (praefectus)، لكن على الأرجح أن أحد قادة المائة عمل كقائد للكوهورت وعلى الأرجح أن الــ (pilus prior) "وهو قائد المئينة الأعلى في الكوهورت" أخذ هذا الدور[1]. أما بالنسبة لقادة المائة في الوحدات المساعدة فاحتل قائد العشرة (decorio) الذي قاد سرية خيالة في وحدة الفرسان (ala) المرتبة الأعلى بين هؤلاء، وكان هذا الضابط يُرقّى في معظم الأحيان إلى قائد مائة في الفرق، ويأتي في المرتبة الثانية قادة المائة في وحدات المشاة، وأخيراً يأتي قادة العشرة وقادة المائة في الوحدات المختلطة[2].

شكلت بنية السيرة المهنية دون قائد المائة شبكة بالغة التعقيد ومدمجة بطاقم القيادة، وبالرغم من وجود انتقال من منصب إلى آخر إلا أن هذا الانتقال لم يكن على شكل نظام ترقية وإنما كان تابع لخطة تهدف إلى إكساب الذين يتم اختيارهم في هذه المناصب أشكالاً متنوعة من الخبرة في القيادة والإدارة كتدريب أولي لترقيتهم لمنصب قائد المائة، وكان هناك في كل مئينة أربع رتب دون رتبة قائد المائة كان أعلاها هو حامل راية المئينة الذي أطلق عليه اسم (Signifer)، وتولى هذا الضابط بالإضافة إلى حمل راية المئينة كل الأعمال الكتابية على مستوى المئينة. ويأتي دون حامل الراية منصب نائب قائد المائة (Optio) الذي كان يتولى قيادة المئينة في الميدان عند غياب أو موت قائد المائة، وبعد ذلك يأتي الــ (Tesserarius) وهو الضابط الذي كان ينقل كلمة السر اليومية، وكان مسؤولاً عن مخافر

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.69-70.

(2) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.47.

الحراسة الصغيرة ومجموعات الجنود الموكلة إليهم الأعمال الشاقة. أما الضابط الرابع فكان الـــ (Custus Armorum) الذي كان مسؤولاً عن الأسلحة والتجهيزات[١]، فقد ساعدت، مثلاً، المؤهلات التعليمية المجند الجديد بيترونيوس فورتوناتوس (Petronius Fortunatus) على الترقي السريع بين هذه المناصب. كان بيترونيوس أفريقي المولد تطوع في الجيش الروماني، وبعد اجتيازه الاختبار الطبي الأولي (Probatus) انتقل إلى فرقة متمركزة في موسيا الدنيا ليخدم كموظف مسؤول عن سجلاتها (Librarius) ثم رقي إلى (Tesserarius) لينقل كلمة السر اليومية إلى الجنود في مخافر الحراسة، ثم رقي بعد ذلك إلى نائب قائد مائة (Optio) وبعد ذلك رقي إلى نائب حامل راية المئينة ومسؤولاً عن حساباتها، وأمضى أربع سنوات فقط بين هذه المناصب ثم رقي إلى منصب قائد مائة أمضى فيه ستاً وأربعين عاماً[٢].

كان هناك بالإضافة إلى الرتب الأربعة السابقة مجموعة من الرتب الأدنى التي من الصعب تحديد العلاقة الدقيقة بين شاغليها، ومن هذه الرتب الـــ Librarii وهم المسؤولون عن سلامة سجلات الفرقة والـــ Frumentarii وهم المسؤولون عن توزيع الطعام وتجميعه، والـــ Ixacti وهم المحاسبون والـــ Campignei وهم المسؤولين عن الإشراف على التمارين والانضباط بين الجنود، والـــ Metatore التي كانت مهمتهم انتقاء الأرض المناسبة لإقامة المعسكر، والـــ Mensores كانت مهمتهم تحديد مكان الخيم في المعسكر وتحديد أماكن الجنود في الحامية. أما حاملو الرايات والأعلام، فأطلق عليهم أسماء مثل Draconarii[٣] وهو حامل راية التنين، والـــ Signifer وهو حامل راية المئينة، والـــ Aqiulifer وهو حامل نسر الفرقة الذي كانت وظيفته مفردة في الفرقة وذات منزلة رفيعة، ولذلك كان يشغل هذه الوظيفة محاربون قدماء أقوياء متمتعين بفهم كامل لتكتيكات الفرقة. وكان هناك الـــ Imaginifer وهو حامل صور الإمبراطور كتذكير دائم لولاء الجنود له[٤]، بالإضافة إلى ذلك كان هناك نافخي الأبواق الذين أطلق عليهم اسم cornicenes [٥].

---

(1) - Webster: op.cit, pp.116-117.

(2) - Davies: op.cit, p.23.

(3) - www.pvv.ntn.no. (صفحة مطولة).

(4) - www.wikipeolia.org/Roman-legion/, (صفحة مطولة).

(5) - www.pvv.ntn.no. (صفحة مطولة).

خامساً: رايات الجيش الروماني وشعاراته

منذ سنة ١٠٤ ق.م، استخدمت كل فرقة في الجيش الروماني نسراً مصنوعاً من الفضة كرمز لها[١]، ولكن سنة ٤٥ق.م أصبحت الصاعقة التي يحملها النسر في مخالبه مصنوعة من الذهب، ولاحقاً صنع نسر وحدات الحرس الإمبراطوري من الذهب الخالص، أما نسور الفرق فصنعت من الفضة المطلية بالذهب[٢].

وقد كان للرايات العسكرية أثر كبير وهام في أرض المعركة لأنها لم تمثل الشعار النفسي والشكلي للوحدة فحسب، بل مثلت الطريقة الأساسية في نقل الأوامر للقوات، حيث تأثرت الاتصالات على أرض المعركة باستخدام الأبواق والرايات، فكانت الإشارات الصوتية تطلق من الأبواق للفت الانتباه إلى إشارات مرئية (الرايات)، والذين بدورهم حاملوا الرايات ترجموا الإشارات الصوتية إلى حركات تلائم مختلف أنواع المناورات، وكانت هذه الطريقة أكثر فاعلية في وسط الصخب والاضطرابات في المعركة[٣]. ووكان الرايات العسكرية أثر مهم في نصب المعسكرات وبنائها، فقد شكلت عملية نصب الأعلام والرايات بعد اختيار موقع المعسكر الشيء الأهم الواجب تنفيذه، وكذلك أهمية الرايات العسكرية بالنسبة للرومان جعلها تظهر في المقدمة على عمود تراجان خلال المناسبات الرسمية وعند تقديم الأضاحي وعندما كان تراجان يخاطب جيوشه، ولذلك يجب علينا أن لا نندهش عندما نسمع عبارة "الجيش الروماني في الواقع عبد راياته"، لأنها مثلت الفخر والإجلال للقوات الرومانية، وإن التخلي أو خسارة الجنود لإحدى الرايات، وخصوصاً نسر الفرقة يعتبر عاراً توجب عليه معاقبة الجنود عقاباً شديداً [٤]. قال المؤرخ تيرتوليان (Tertulian) الذي عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الثالث الميلادي أن النظام الديني في الجيش الروماني " مكرّس كلياً لعبادة الرايات العسكرية ". وبالرغم من أن تيرتوليان يبالغ في وصفه إلا أنه لم يكن مخطئاً تماماً لأن تغذية روح الجماعة كان ضرورياً لأية وحدة عسكرية، ولتحقيق هذه الغاية كانت عبادة الرايات أمراً لا بد منه على اعتبار أن الأخيرة مثلت هوية الوحدة، ولذلك احتُرمت وأُقرّت كرموز مقدسة.

---

(1) - www.wikipedia.org/roman-legion/, (صفحة مطولة).

(2) - Webster: op.cit, p.137.

(3) - Rossi: op.cit, p.80.

(4) - Webster: op.cit, p.133.

تبيّن من خلال أوراق البردي التي عثر عليها في دورا يوروبوس* أن وحدة المشاة العشرين بالميرينوروم (Cohors XX Palmyrenorum) احتفلت بمهرجانات سنوية مرتبطة بالآلهة الرئيسة وأفراد الأسرة الحاكمة وخصص يومان من شهر أيار للاحتفال بمهرجان الرايات (Rosaliae Signorun)، حيث تعرض الرايات في مواكب وهي مزينة في أكاليل الورد[1].

بعد هذا الموجز لا بد لنا من الحديث عن أنواع هذه الرايات التي تكلمنا عنها، والتي ضم الجيش الروماني ثلاثة أنواع منها:

---

* - تقع دورا يوروبوس على الرأس الصخري الوحيد في حوض الفرات الأوسط، وهي إحدى المستعمرات الهلينية التي أنشاها سلوقس نيكاتور في نهاية القرن الرابع قبل الميلاد، وتشير بعض الوثائق المكتشفة في المدينة أن لفظة "أوروبوس" كانت ملحقة بلفظة "دورا" منذ سنة١٩٥ق.م على الأقل، ولكن الاسم السامي بقي مستعملاً مع الاسم الجديد أوروبوس، وهكذا أتخذت المدينة اسم "دورا أوروبوس". أما لفظة "أوروبوس" فقد اشتقت من اسم مدينة صغيرة في مقدونيا كانت مسقط رأس سلوقس نيكاتور. ازدادت أهمية دورا أوروبوس بعد أن حل الرومان محل السلوقين في سورية، واحتلتها روما فقط في العهد السيفراني عندما أصبحت موقعاً أمامياً مهماً على حدود روما الشرقية، وهجرت من قبل الرومان بعد حصار الفرس لها وتدميرها سنة ٢٥٦-٢٥٧م، وبعد التدمير الروماني لمدينة تدمر سنة ٢٧١م فقدت دورا أهميتها بشكل نهائي، وموقعها الاستراتيجي على جرف يطل على الفرات جعل من السهل الدفاع عنها، وأحاط بها منحدر النهر من جانب وممرات ضيقة عميقة من الجانبين الآخرين، أما الجهة الرابعة منها والذي يقابل الصحراء بني عنده متراس ترابي ضخم، وأكتشفت في شهر آذار من عام ١٩٢١م من قبل أحد ضباط الاحتلال الانكليزي الذي كان يشغل بقواته مرتفع الصالحية أثناء قيامه بحفر الخنادق. تعزى أهمية اكتشاف مدينة دورا أوروبوس إلى المكتشفات الأثرية التي قدمتها ومنها اللوحات التزينيية التي عُثر عليها في معابدها، حيث اعتبرت من أهم المصادر النقشية التي تقدم معلومات ثمينة عن تاريخ الفن والعبادات في الشرق، وبالإضافة إلى عدد كبير من الأسلحة التي تخدم موضوع البحث، وكذلك قدم لنا اكتشافها مجموعة كبيرة من الوثائق التي عرفتنا بوضوح على التقلبات الداخلية التي عانتها هذه المدينة، وباكتشاف دورا أزداد فهمنا لسياسة الإمبراطورية الرومانية تجاه الشرق بشكل عام ومنطقة الفرات بشكل خاص. لمزيد من المعلومات راجع:

- الصالح، ابراهيم: صفحات مطوية من تاريخ دورا أوروبوس، الحوليات الأثرية، مج ٣٤، ١٩٨٣، ص٢١٣-٢٢١.

- Warwick, Ball: Rome in the East, Routledge, London and New York, 2000, pp.166-169.

[1] - Fields, Nic: op.cit, p.44.

١- راية الفرقة (Aquila):

مثّلت هذه الراية الشعار الحصري للفرقة، وهي عبارة عن نسر باسط جناحيه ومحمول على سارية رأسها على شكل صاعقة[١]، وحمل هذه الراية ضابط أطلق عليه اسم (Aquilifer)، ويجلب عادةً فقدانُ هذه الراية العارَ للفرقة بأكملها. لذلك كان يشغل وظيفة حامل راية الفرق محاربون قدماء أقوياء متمتعين بفهم كامل لتكتيكات الفرقة[٢]. الشكل رقم (١٦ - أ - ب).



الشكل (١٦–أ)
نسر الفرقة الذي يعتبر الراية الأولى للفرقة

الشكل (١٦–ب)
رجل يمثّل حامل نسر الفرقة مع تجهيزاته

المصدر: www.tripod.com

---

(1) - Rossi: op.cit, p.80.

(2) - www.wikipedia.org/roman-legion/, (صفحة مطولة).

٢ – راية المئينة (Signa):

مثّلت هذه الراية شعارات المئينات[١] وأطلق على حاملها اسم (signifier)،وأخذت هذه الراية أشكالاً مختلفة لكن جميع هذه الأشكال اشتقت من فكرة سارية يُحمل عليها عناصر مختلفة، فالصحن المسطح العريض، التاج، الهلال، صور (الآلهة،الأباطرة) الموضوعة ضمن ميدالية أو إكليل، القضبان العرضية الملساء أو المزخرفة، الأطباق المستطيلة، كل هذه العناصر أو بعضها توضع على طول النصف الأعلى من السارية، في حين حمل النصف الأسفل من السارية نتوءات مصممة لتسهيل الإمساك بها لأن الرايات كانت تُثبّت في الأرض، لذلك كان أسفلها حاداً ويحمل نتوءاً لمنع السارية من الانغراز عميقاً في الأرض. أما أعلى راية المئينة فحمل شعار الوحدة الذي نجد منه نوعين في عصر الإمبراطور تراجان، حيث نجد النوع الأول على شكل يد مبسوطة (Manus) والثانية على شكل تاج (Corona)[٢]. ويعتقد أن اليد المبسوطة (manus) مثلت الإشارة التي كان يقوم بها الجنود عند تأدية القسم، لذلك كانت تذكيرا دائما للجنود بالقسم الذي أقسموه عند تجنيدهم والذي كانوا يؤدونه في بداية كل عام، ويوجد تحت اليد قضيب عرضاني تتدلى منه الخيوط التزينية أو الأكاليل، ويثبت بالسارية عمودياً أسطوانات يبلغ عددها ما بين أربع إلى ست اسطوانات، إلا أننا لا نستطيع فهم مغزاها بدقة[٣]. (الشكل رقم ١٧).

درس دوماس زويسكي (Domas Zeweski) رايات الجيش الروماني وتوصل إلى نتيجة مفادها أن مئينات الفرق امتلكت راية (signa)، في حين أن كوهورتات الفرق لم تمتلكها. دُعم هذا الرأي من قبل مومسين (Mommsen) الذي أكد أن كوهورتات الفرق لم تمتلك راية، لكنه أكد أن الوحدات المساعدة امتلكت هذا النوع من الرايات، حيث يوضح أن وحدات الفرسان (ala) امتلكت هذا النوع من الرايات بشكل أكيد، في حين أن وحدات المشاة امتلكتها بشكل شبه أكيد[٤]. يدعم رأي هذين الباحثين شاهدة قبر لحامل راية (signifier) في وحدة مساعدة (Cohors V asturum) في متحف بون، حيث يُظهر هذا النقش راية الوحدة على شكل رأس رمح[٥].

---

(1) - Isaac: op.cit, p.9.

(2) - Rossi: op.cit, p.80.

(3) - Webster: op.cit, p.137.

(4) - Isaac; op.cit, p.9.

(5) - Rossi: op.cit, p.82.

تعتبر النتيجة التي توصل إليها كل من دوماس زويسكي وموسين نتيجة منطقية فيما يخص الوحدات المساعدة، لأن وحدات المشاة ووحدات الفرسان المساعدة عملت كوحدات مستقلة في الحرب والسلم، وبذلك كانت بحاجة إلى رايات خاصة تمثّل شعاراً للوحدة بأكملها، لكن فيما يخص كوهورتات الفرق المسألة تحتاج إلى دراسة أكثر، لأن عدم وجود رايات خاصة لكوهورتات الفرق يترك هذه الكوهورتات من دون وسيلة لتعمل كوحدة تكتيكية على اعتبار أن الكوهورت مثّل الوحدة التكتيكية الأولى في الفرقة، ولحل هذه المشكلة اُقترحَ أن راية المئينة الأولى في كوهورتات الفرق خدمت كراية للمئينة والكوهورت بأكمله، لكن هذا الاقتراح غير منطقي لأن راية المئينة المفردة لا يمكن استخدامها كراية للمئينة والكوهورت في الوقت نفسه، لأن ذلك من دون شك سيخلق فوضى خطيرة في أرض المعركة، لذلك تبقى هذه الفرضية مستبعدة وحتى الآن لا يوجد دعم لنظريات جديدة تفسر غياب قادة الكوهورتات ورايتها[١].

٣- راية الوحدات المساعدة والمقتطعات (Vexilla):

وهي عبارة عن علم يشبه العلم الحديث إلى حد كبير[٢]، وهي على شكل قطعة قماش تتدلى من قضيب عرضاني على قمة سارية عارية أو مزخرفة. كان يعتقد أن "الفكسيلا" كانت خاصة بوحدات الفرسان، لكن لم يعد هناك شك أنها وجدت ضمن رايات وحدات المشاة المساعدة وربما ضمن مئينات الفرق. أشارت "الفكسيلا" إلى الشعار النموذجي للمقتطعات سواء من حرس إمبراطوري أو فرق أو وحدات مساعدة[٣]، لأنه عندما كانت ترسل هذه المقتطعات لمساندة قوات أخرى لم يرسل معها النسر أو راية الوحدة وإنما أرسلت معها الفيكسيلا (vexilla) لتمثيل شعار الفرقة أو الوحدة المساعدة. الفيكسيلا الوحيدة المتبقية حتى الآن موجودة في أحد متاحف لينينغراد، حيث عثر عليها في مصر وتألفت هذه الراية من قطعة قماش مصنوعة من الكتان الخشن على شكل مربع طول كل ضلع ٥٠ سم، وعليها بقايا شراريب قماشية من الأسفل وتوجد من الأعلى حاشية لوضع قضيب عرضاني يُثبّت على سارية[٤]. أطلق على حامل هذه الراية اسم (vexillarius)[٥] (الشكل رقم ١٨)، وحملت راية

---

(1) - Isaac: op.cit, p.10.

(2) - Webster: op.cit, p.138.

(3) - Fields, Nic: op.cit, p.16.

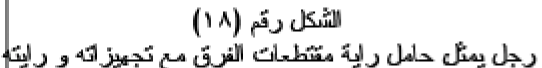
(4) - Webster: op.cit, p.138.

(5) - Rossi: op.cit, p.82.



الشكل رقم (١٧)
رجل يمثل حامل راية المئينة مع تجهيزاته و رايته





الشكل رقم (١٨)
رجل يمثل حامل راية مقتطعات الفرق مع تجهيزاته و رايته

المصدر: www.tripod.com

المقتطعات شعارات مثّلت رموزاً مختلفة ارتبطت بتاريخ إنشاء الوحدة أو الفرقة أو بتاريخ مؤسسها أو القائد الذي حصلت تحت قيادته على الامتياز، وغالباً ما أخذت هذه الشعارات شكل الحيوانات، حيث أمل الرومان أن تنتقل المزايا الجسدية لهذه الحيوانات المختارة إلى المحاربين، أي أن يصبحوا رشيقين وسريعين كالنسر وأقوياء كالثور وماكرين كالثعلب ومتوحشين كالخنزير البري....... الخ[1]. وعكست هذه الشعارات الهموم الدينيّة لمجتمع زراعي بالدرجة الأولى، في حين أخذت الشعارات الأخرى أشكالاً من دائرة الأبراج إلا أننا لا نعرف بالضبط كيف اكتسبت الفرق هذه الشعارات، وماذا كان مغزاها [2]. وظهرت هذه الشعارات على النقوش والعملات، والفرق التي كان شعارها الثور أنشأها قيصر، فقد كان

---

(1) - Webster: op.cit, p.134.

(2) - Keppie: Legions and Veterans: Roman Army Papers, op.cit, p. 127.

الثور العلامة الفلَكيّة المرتبطة بالإلهة ڤينوس (Venus) المؤسسة الأسطورية للعائلة الجوليانية، وكان الثور شعار عدد كبير من الفرق منها السابعة والثامنة أوغسطا (VII,VIII Augusta)، والفرقة العاشرة جيمينا (X Gemina) التي خدمت جميعها مع قيصر في بلاد الغال (الشكل رقم ١٩). أما الفرق التي اتخذت الجدي شعاراً لها فأسست من قبل أغسطس الذي مثّل الجدي بالنسبة إليه رمزاً هاماً للحظ الجيد، لأن أمه حملت فيه أثناء فترة برج الجدي، والفرق التي حملت هذا الشعار هي: الفرقة الثانية أوغسطا (II Augusta) والفرقة الرابعة عشر جيمينا (XIV Gemina) والفرقة الرابعة سيثيكا (IV Scythica) والفرقة



الشكل رقم (١٩)
الثور: شعار الفرق III Gallica,
IV,V Macedonica, VI Ferrata,VI Victrix, VII Claudia,
VIII Augusta, X Fretensis, X Gemina



الشكل رقم (٢٠)
الجدي: شعار الفرق II Augusta, IV Macedonica,
IV Scythica, XIV Gemina, XXI Rapax

المصدر: www.tripod.com



الشكل رقم (٢١)
الفيل: شعار الفرق V Alaudae



الشكل رقم (٢٢)
الذئبة و التوأم: شعار الفرق VI Ferrata

المصدر: www.tripod.com

الواحدة والعشرون رابكس (XXI Rapax) (الشكل رقم ٢٠)، بينما الفرقة الرابعة مقدونيا (IV Macedonica) كان شعارها الثور والجدي[١].

لم تمتلك أو تحتفظ كل الفرق التي أنشأها بشعار الثور خلال الفترة الإمبراطورية، حيث نجد أن الفرقة الخامسة ألوداي (V Alaudae) كان شعارها الفيل، ونتج هذا الشعار عن حادثة وقعت في معركة ثابسوس (Thapsus) عام ٤٦ ق.م، والتي تمثلت بهجوم جنود قيصرعلى فيل بشكل بطولي (الشكل رقم٢١)، كذلك كان شعار الفرقة العاشرة فرتنسيس (X Fretensis) الدلفين وسفينة القادس ذات المجاديف بالإضافة إلى الثور، وذلك لمشاركتها في معارك بحرية أثناء الحرب الأهلية. ليس من السهل تفسير شعارات الفرق الأخرى، حيث نجد أن الفرقة السادسة فرّاتا (VI Ferrata) كان شعارها الذئب والتوأم (الشكل رقم٢٢)، في حين كانت الفرقة الثامنة جيمينا (VIII Gemina) وربما الفرقة السادسة عشر غاليكا (XVI Gallica) تحمل شعار الأسد الذي مثّل أحد الرموز المرتبطة بالإله جوبتر (الشكل رقم٢٣). وحملت الفرقة الثانية أوغسطا وربما الفرقة الثالثة أوغسطا شعار الفرس المجنح، لكن لا يعرف المعنى الدقيق له (الشكل رقم٢٤)، أما الفرق العشرين فاليريا فكتريكس (XX Valeria Victrix) وأحياناً الفرقة العاشرة فرتنسيس كان شعارها الخنزير البري (الشكل رقم٢٥)، في حين اتخذت الفرقة الثانية عشر فولميناتا (XII Fulminata) من الصاعقة شعاراً لها (الشكل رقم٢٦)، وفرق أخرى لم تعرف شعاراتها حتى الآن[٢]. وأخيراً اتخذ الحرس الإمبراطوري شعار العقرب (الشكل رقم٢٧) تمجيداً للإمبراطور تيبيريوس الذي أنشأ معسكر الحرس في روما لأن هذا الأخير من مواليد برج العقرب[٣].

وقد ضم الجيش الروماني بالإضافة إلى حاملي الرايات نافخ البوق (Cornicen) الذي عمل بالقرب من حامل الراية (Signifer)، وكان يلفت انتباه الجنود إلى راية المئينة ويصدر أوامر الضباط المسموعة[٤] (الشكل رقم٢٨). وضم الجيش الروماني حاملي الصور (Imaginifer) الذين حملوا صوراً أو تماثيل نصفية للأباطرة والآلهة، وكان لهم أهمية كبيرة في تقريب الإمبراطور من جنوده، وازدادت هذه الأهمية مع صعود وسقوط الأسر الحاكمة.

---

(1) - Keppie: The Making of The Roman Army, op.cit, p.120.

(2) - Keppie: The Making of The Roman Army, op.cit, p.121.

(3) - www.redrampant.com. (صفحة مطولة).

(4) - www.wikipedia.org/roman-legion/, (صفحة مطولة).



الشكل (٢٣)
الأسد: شعار الفرق VIII Gemina, XVI Gallica



الشكل رقم (٢٤)
الحصان المجنح: شعار الفرق II, III Augusta

المصدر: www.tripod.com



الشكل رقم (٢٥)
الخنزير البري: شعار الفرق I Italica, II Adiutrix, X Fretensis, XX Valeria Victrix



الشكل رقم (٢٦)
الصاعقة: شعار الفرقة XII Fulminata

المصدر: www.tripod.com

أخيراً ارتدى حاملوا الرايات جلود الحيوانات فوق زيهم العسكري، وأُخذت هذه العادة من العادات السلتية (Celtic)*. يظهر عمود تراجان بعض الصور لحاملي رايات من الفرق

---

* - السلتيين (Celtic): هم شعب سيطر على معظم وسط وغرب أوروبا في الألفية الأولى قبل الميلاد وأعطوا لغتهم وتقاليدهم وديانتهم للشعوب الأخرى في المنطقة، وتدل الأدلة الأثرية الأقدم المرتبطة بالسلتيين على أنهم عاشوا في ما يعرف اليوم بفرنسا وغرب ألمانيا في أواخر العصر البرونزي، أي حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد. ربما بدأوا بالاستيطان في الجزر البريطانية بين القرنين الثامن والخامس قبل الميلاد⇦،

والحرس الإمبراطوري، حيث كان يرتدي حملة رايات الحرس الإمبراطوري جلد أسد، في حين ارتدى حملة رايات الفرق جلود دببة، وتوضع رؤوس الحيوانات فوق الخوذة وتظهر الأسنان على الجبهة[1] (الأشكال ١٧-١٨-٢٨).



الشكل رقم (٢٨)
رجل يمثل نافخ البوق (cornicen) مع تجهيزاته

الشكل رقم (٢٧)
العقرب
شعار الحرس الإمبراطوري

المصدر : www.tripod.com

في حين اتسعت سيطرتهم ونفوذهم بين القرنيين الخامس والأول قبل الميلاد ليصل من شبه الجزيرة الإيبيرية (اسبانيا) إلى سواحل البحر الأسود، واشتقت الكلمة (Celtic) من الكلمة (Keltoi) وهي الأسم الذي اطلقه عليهم هيرودوتوس (Herodotus) والكتّاب الإغريق الآخرين. بالنسبة للرومان، عُرف السلتيون الأوروبيون بالغال (Galli) أو الغاليين (Gauls)، أما الذين عاشوا في بريطانيا فعرفوا بالاسم (Britanni). اجتاح السلتيون في القرن الرابع قبل الميلاد العالم الإغريقي/الروماني، فاحتلوا شمال ايطاليا ومقدونيا وتيساليا (Thessalia)، وقاموا بنهب روما وتدميرها سنة ٣٩٠ق.م ونهبوا ديلفي (Delphi) سنة ٢٧٩ق.م واخترقوا آسيا الصغرى حيث عُرفوا حينها بالغالاتيين (Galatians). تعرض السلتيين القاطنين في منطقة غال سيسالبين (Cisalpine Gaul) الواقعة في شمال ايطاليا للاحتلال الروماني في القرن الثاني قبل الميلاد، وأخضع يوليوس قيصر منطقة غال ترانسالبين (Transalpine Gaul) - الواقعة في فرنسا وغرب الراين حالياً - في القرن الأول قبل الميلاد، ووقعت معظم بريطانيا تحت سيطرة الرومان في القرن الأول الميلادي، وفي نفس الفترة وقع السلتيون في وسط أوروبا تحت سيطرة الشعوب الجرمانية.

[1] - Webster: op.cit, p.136.

الفصل الثاني

تجهيزات الجيش الروماني

أولاً: لباس الجنود

١- التونك (tunic)

٢- العباءات (paenula et sagum)

أ- العباءة من نوع paenula

ب_ العباءة من نوع sagum

٣- ألبسة أخرى

أ- السراويل (bracae)

ب- الجوارب (fascia)

جـ- الطماق

د- الوشاح (facale)

٤- الحزام العسكري (cingulum militare)

٥- الحذاء العسكري (caliga militare)

ثانياً: تجهيزات الجندي العسكرية

١- الخوذ (galea)

٢- الدروع الصدرية (lorica)

أ-الدرع الزردي (lorica hamata)

ب- الدرع المحرشف (lorica spuamata)

جـ-الدرع المصفح (lorica segmentata)

٣- ترس جنود الفرق (scutum)

٤- ترس جنود الوحدات المساعدة (clipeus)

٥- السيف (gladius)

٦- الخنجر(pugio)

٧- الرمح الثقيل (pilum)

٨- الرماح الخفيفة (hastae)

٩- رماة المقاليع (funditor)

١٠- النبّالة (sagittarii)

ثالثاً: تجهيزات الخيل

١- السرج وطقم الفرس

٢- درع الفرس

رابعاً: آلات الحصار

١- المجانيق ومطلقات السهام (tormenta)

٢- السقائف والأغطية

٣- سلحفاة الكبش (testudo aries)

٤- أبراج الحصار (turris ambulatoria)

امتلكت جميع الجيوش في العالمين القديم والمعاصر أسلحتها الخاصة بها، لكن الجيش المتمتع بالمرونة هو الجيش الذي سينتصر في النهاية. وقد عمل الرومان وفق هذا المبدأ، فحاربوا خصومهم وتعلموا منهم وأخذوا عنهم. فالشعب الروماني لم يكن يوماً شعباً متحجراً أو ساكناً وإنما كان دائماً على نقيض ذلك، حيث تمتع هذا الشعب بقدر كبير من المرونة والحيوية والقدرة على التكيف مع الظروف والأوضاع الآنية. وانطلاقاً من هذا المبدأ نجد أن معظم تجهيزات الجيوش الرومانية كانوا قد أخذوها وتعلموها من خصومهم، لكنهم في الوقت نفسه غيروا فيها وأضافوا عليها بما يتناسب وتنظيم جيوشهم، وبلغت هذه العملية ذروتها في القرن الثالث الميلادي الذي شهد أزمة عسكرية وسياسية ومالية خلال الخمسين سنة منذ مقتل الإمبراطور الكسندر سيفيروس سنة ٢٣٥م وحتى مجيء الإمبراطور دوقلسيان سنة ٢٨٤م، لكن لحسن حظ الإمبراطورية أنه أنقذها تعاقب أباطرة من الجنود الأشداء الذين تدرّج العديد منهم في الرتب العسكرية ولم ينحدروا من روما أو إيطاليا، بل من الأقاليم الحدودية وخصوصاً أقاليم البلقان، واتسمت التجهيزات العسكرية في عهدهم بدرجة من التماثل والتجانس لأول مرة في تاريخ الرومان، وهذه القدرة على التكيف جعلت من جيوش الرومان قوة هائلة لا يمكن قهرها بسهولة.

يتوفر لدينا الكثير من الأدلة الأثرية التي تقدم إشارات واضحة عن تجهيزات الجيش الروماني مثل عمود تراجان والأعمدة والأقواس الأخرى التي قام الأباطرة بتشييدها تخليداً لانتصاراتهم، ويضاف إلى ذلك المكتشفات الأثرية الناتجة عن عمليات التنقيب في مواقع كانت تقيم فيها وحدات الجيش الروماني مثل الخوذ والسيوف ومئات من العناصر الأخرى وشواهد القبور التي تصور الجنود، وأخيراً يدعم كل ما تقدم الأدلة الأدبية التي كتبها المؤرخون الرومان وسجلات الجيش مما يساهم في تقديم صورة واضحة إن لم تكن جلية في هذا المجال، لكن ما يدعو للدهشة هو التنوع الهائل في الأسلحة والألبسة التي تظهرها المنحوتات الرومانية فيمكن للرجل نفسه أن يتمثل في أربعة أنماط مختلفة من اللباس، مثلاً في العرض العسكري يبذل الجندي كل ما بوسعه للتباهي واستعراض ثروته وتنعمه بملابسه الفاخرة، أما في القتال فيتميز لباسه وتجهيزاته بفاعلية وعملية أكثر، في حين أنها لم تكن برّاقة ولامعة جداً أو خطرة في ساحات التدريب لأنه توجب عليه تجنب الحوادث قدر ما أمكن، وتمتع النحّات بحرية كبيرة عند تصوير الجندي على شاهدة القبر حتى أنه صوّره بأزهى حُلة لدرجة المبالغة والتخيل معيداً بذلك رسم نماذج إغريقية وجاعلاً إياه شبيهاً بالأبطال الهيلينيين[1]. إن هذا

---

[1] - Le Bohec, Yann: The Imperial Roman Army, Batsford, London, 1994, p. 121.

الاختلاف في إظهار المظهر الحقيقي للجنود على المنحوتات يجعلنا نلجأ إلى جميع أنواع الأدلة الأثرية والأدبية للوصول إلى نتيجة منطقية في هذا الصدد. لذلك سيتناول هذا الفصل دراسة تجهيزات الجيش الروماني والدور التكتيكي لها، بالإضافة إلى التعديلات التي أضيفت إليها خلال الفترة قيد الدراسة من خلال الاعتماد على الأدلة التي تم الحديث عنها فيما سبق.

أولاً: لباس الجنود

زود الجنود أنفسهم بالثياب والتجهيزات خلال العصر الجمهوري، ولذلك من المستبعد امتلاك جنود الفرق في تلك الفترة لباساً أو حتى تجهيزات موحدة، وبدأت الدولة تدريجياً بتوزيع اللباس والتجهيزات الموحدة على الجنود بعد أن تحول الجيش الروماني إلى قوة احترافية في بداية الفترة الإمبراطورية، فقد ترافق هذا الإجراء باقتطاع جزء من راتب الجندي لتغطية تكلفة اللباس والتجهيزات. كان اللباس هو الشيء الأكثر تكلفة بين مصاريف الجندي فقد أنفق ما يقرب من (٣٠%) من راتبه السنوي على شرائها، ويقول المؤرخ تاكيتوس إنه في أواخر القرن الأول " كانت الخدمة العسكرية شاقة ومرهقة وغير مربحة، حيث تقاضى الجندي عشر آسات في اليوم ووجب عليه أن يدفع منها لشراء اللباس والأسلحة والخيام ويدفع الرشاوى لقادة المائة القاسيين لإعفائه من الواجبات المتعبة "[١]. إن أفضل دليل على تمويل الجيش باللباس يأتينا من مصر، ويبدو ذلك من خلال طلبات شراء اللباس التي قدمها حاكم مصر، وقسّمها بالتساوي على المناطق لتخفيف الأثر على المجتمع، ومع ذلك نجد أن الجنود تلقوا اللباس من عائلاتهم كما يوضح ذلك برسالة خاصة عثر عليها في قرية كرانيس (Karanis) في مصر تعود لأواخر القرن الثاني الميلادي، طلب فيها أحد الجنود من والده أن يرسل له تونك (Tunic) جديد مع حزام لأنه أبلى التونك الخاص به في التدريب[٢].

حاول الرومان خلال الفترة الإمبراطورية تزويد الجيوش باللباس والتجهيزات التي تعطي الجندي قدراً كبيراً من المرونة والقدرة على الحركة، وفي الوقت نفسه تكون قادرة على تأمين الحماية له من الضربات القوية الموجهة إليه من قبل خصومه، لذلك ومن أجل

---

[1] - Tacitus: Annals, 1. 17, Translated by Moore Clifford H & Jackson, John, LOEB Classical Library.

[2] - Summer, Graham: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, Osprey Publishing, 2002, p.6.

تحقيق هذه الغاية غالباً ما لجئوا إلى إحداث تعديلات عليها بما يتوافق مع الأخطار والأعداء الجدد وأماكن الإقامة وساحات القتال.

١ – التونك (Tunic):

شكل التونك (Tunic) اللباس الرئيس للمواطن المدني الذَكر في العالمين الإغريقي والروماني، وكان عبارة عن ثوب إلى الركبة ذي أكمام قصيرة جداً، ولم يرتدِ الرومان البنطال في بداية الإمبراطورية لأنهم اعتبروه لباساً بربرياً[1]. وثمة القليل من الأدلة حول نوع التونك الذي استخدمه الجيش الروماني خلال الفترة الجمهورية، وتعتمد عملية الحكم في ذلك على الاستنتاجات من الأدلة الأدبية والنحتية، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ الروماني جيليوس إن التونك الروماني القديم كان بلا أكمام، وأن الرومان اعتبروا التونك ذا الأكمام الطويلة مضحكاً وسخيفاً. وتدل التماثيل العائدة إلى الفترة الجمهورية والموجودة في روما أنه هناك اختلاف طفيف بين تصاميم التونك في العصر الجمهوري ونظيره العائد إلى بداية الفترة الإمبراطورية. وتأتي معظم الأدلة النحتية عن اللباس العسكري في الفترة الإمبراطورية من القرن الأول ومنتصف القرن الثاني الميلاديين، وعلى وجه التحديد بين عهدي الإمبراطورين تيبيريوس وهدريان، ويبدو من خلالها أن الجنود الرومان استخدموا تونكاً بسيطاً وواسعاً ومن دون أكمام طويلة في بداية الفترة الإمبراطورية، ويبدو أن بعضها مصمماً بأبعاد متناسقة[2].

استمر التونك لباساً طبيعياً للجندي الروماني حتى بداية القرن الثالث، لكن التونك الذي ارتداه الجنود كان نوعاً ما أطول من التونك المدني، فقد امتد إلى ما دون منتصف الساق، لكن ارتداء الجنود حزاماً جعله يرتفع إلى ما فوق الركبة، وغالباً ما كانت أطرافه الجانبية تجمع وترفع للأعلى أكثر من مقدمته ومؤخرته. كان تصميم التونك بسيطاً جداً، فقد تألف من قطعتين مستطيلتين من الصوف أو الكتان، وخيطت هاتان القطعتان عند الأكتاف والأطراف مع الإبقاء على فتحات للذراعين والرقبة. ولم يقتصر التونك على نوع واحد، وإنما كان له أنواع عدة بعضها لها أكمام قصيرة وأخرى تلبس مع ترك الكتف والذراع الأيمنين عاريتين (الشكل رقم ٢٩)، واشتمل التونك الأخير على فتحة من الرقبة حتى منتصف الظهر، تُضم بخيط مصنوع من الجلد ينتهي على شكل شوطه، وتُحل هذه الشوطه فقط عندما يريد الجندي تحرير

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.118.

(2) - Summer: Op.cit, vol I, p.4.

ذراعه الأيمن، ووجد الرومان في هذا النوع من التونك اللباس الأكثر ملائمة للأعمال الشاقة، مثل قطع الحجارة في المقالع والعمل في المناجم(١).

كان للتونك ذو الأكمام القصيرة حواشي حول فتحات الرقبة والأكمام وذلك لمنعه من الأهتراء، وتبين الأمثلة الكاملة التي عثر عليها في فلسطين ومصر أن هذا التونك لم يكن ضيقاً. ويأتينا التقدير الوحيد الأكيد بخصوص وزن التونك العسكري وأبعاده من خلال ورقة بردي عثر عليها في مصر تعود إلى عام ١٣٨م، والتي حددت مقاسات أحد التونكات الواردة فيها، حيث بلغ طوله ١٥٥سم وعرضه ١٤٠سم، وبلغ وزنه ١,٦كغ وكلّفت حياكته أربعاً وعشرين دراخماً*، كما حددت الوثيقة أنه يجب أن تكون الثياب كافة مصنوعة من صوف أبيض ناعم ونظيف. وعموماً ارتدى الجنود تونكاً مصنوعاً من الصوف، ويبدو أنهم امتلكوا أكثر من تونك واحداً، لكن هذه التونكات غير الأساسية قد تكون صنعت من الصوف، وقد تكون أقل وزناً من التونك الأساسي، وتبين أوراق البردي من مصر أن الجنود فضلوا ارتداء التونك المصنوعة من الكتان في الصيف بينما فضلوا ارتداء التونك المصنوع من الصوف في الشتاء(٢). مما تقدم يمكننا القول إن كل جندي في الجيش الروماني امتلك أكثر من نموذج واحد للتونك ومن الممكن أن يكون الجندي قد ارتداها في مناسبات مختلفة، أي قد يكون الجندي امتلك لكل نشاط يقوم به نوعاً معيناً من التونك.

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.119. ; Bishop M.C & Coulston, jon C.N: Roman Military Equipment from the Punic wars to the Fall of Rome, Batsford, London. 1993, p. 99.

* - الدراخما (Drachma): وفقاً لنفتالي لويس مثلت الدراخما الوحدة النقدية الأساسية للعملة اليونانية، واستمرت مستخدمة في شرق البحر المتوسط خلال فترة حكم الرومان، وهي عملة فضية أعاد الأباطرة الرومان تقيمها في مصر وفقاً لأوزان العملة الرومانية، حيث كانت تزن ثلاثة غرامات ونصف، ووفقاً لـ لمى دقماق أن الدراخما نقد فضي يوناني تم تداوله في سورية خلال العصر الهيلينستي (٣٣٣-٦٤ق.م)، ويزن (٤,٣٠غ) وكل واحد دراخما تساوي ستة أوبول (obol) والتي بدورها كانت مسكوكة من الحديد او البرونز ويبلغ وزنها (٠,٧٢غ).

- لويس نفتالي: مصر تحت الحكم الروماني، ترجمة فوزي مكاوي، دار المكتب المصري، ١٩٩٩، ص٢٤٢-٢٤٣.

- لمى دقماق: النقود البيزنطية في سورية ٣٣٠-٦٤٣م، رسالة دكتوراه غير منشورة، بإشراف د. عبد المجيد حمدان، جامعد دمشق، ٢٠٠٩م، ص٩٦-٩٧.

(2) - Summer: op.cit, vol I, pp.5-6.



الشكل رقم (٢٩)
رسم توضيحي لنوعي التونك الذي ارتداه الجنود الرومان أثناء العمل

المصدر: Summer, Graham: Roman Military Clothing 100 BC–AD 200, vol I, Osprey Publishing, 2002, p.6.

تظهر شواهد القبور العائدة إلى بداية الفترة الإمبراطورية أن كلا جنود الوحدات المساعدة والفرق ارتدوا تونكاً متماثلاً، إلا أن الأدلة النحتية توحي بأن هذا ربما تغير في أواخر القرن الأول الميلادي، وعلى وجه الخصوص يبين عمود تراجان أن جنود الوحدات المساعدة الذين يرتدون دروعاً قد ارتدوا تونكاً أقصر بكثير من ذلك الذي ارتداه جنود الفرق، في حين أن جنود الوحدات المساعدة الذين لم يرتدوا دروعاً مثل رماة المقاليع قد ارتدوا تونكاً طويلاً من النوع نفسه الذي يرتديه جنود الفرق، و الكلام نفسه الذي ينطبق على رماة المقاليع ينطبق على النبالة الذين ارتدى العديد منهم ثياباً تتدلى بشكل رخوٍ. في الواقع أن الأدلة على النصب التذكارية (شواهد القبور) تكون خادعة بشكل كبير كما يقول تشيسمان (Cheesman)، لأنها لا تمثل اللباس الحقيقي للجنود وأنه من أجل الأمانة يجب علينا العودة إلى فرضية أن الجندي المتوفى يُجسّد على بعض النصب التذكارية في زي الاستعراض العسكري وأن التونك الطويل المزخرف ربما شكل جزءاً من هذا الزي[١]، مع ذلك توحي شواهد القبور التي عثر عليها في المناطق الحدودية من الإمبراطورية بأن النبالة بما فيهم النبالة من الوحدات الشرقية قد ارتدوا ثياب الجنود الآخرين نفسها [٢].

يقترح الباحث المعاصر بيشوب (Bishop) أن التونك القصير غير الروماني الذي ارتداه بعض جنود الوحدات المساعدة على عمود تراجان ربما كان نتيجة لتغير في الموقف تجاه الوحدات المساعدة بعد ثورتها في جرمانيا سنة ٦٩م[٣]، ولكن هذا الرأي مستبعد لأن الاختلاف في تصوير جنود الوحدات المساعدة على المنحوتات وشواهد القبور لم يكن سببه سياسياً أبداً، وإنما على الأرجح يعود ذلك إلى العرف الروماني القائم على السماح لبعض الوحدات المساعدة بالاحتفاظ بزيها القومي، ويرى سمر أن جنود وحدات الخيالة المساعدين ارتدوا تونكاً قصيراً منذ بداية الإمبراطورية على الأقل، أي قبل تاريخ الثورة المذكورة سابقاً، وربما يعزى ذلك إلى أن التونك القصير كان عملياً أكثر من أجل ركوب الخيل، وخصوصاً عندما يرتدي الجندي بنطالاً أسفله[٤]، والذي كان بنطالاً قصيراً يصل إلى أسفل الركبة بقليل،

---

[1] - Cheesman: op.cit, pp.130-131.

[2] - Summer: op.cit, vol I, p.12.

[3] - Bishop & Coulston: op.cit, p.99.

[4] - Summer: op.cit, vol I, p.12.

وعلى الأغلب كان كلا البنطال والتونك مصنوعان من الجلد في البدايات الأولى للإمبراطورية[١].

استمر الرومان باستخدام التونك ذي الأكمام القصيرة حتى نهاية القرن الثاني الميلادي كما يبين ذلك النقش الذي عثر عليه عند حصن كروي هيل (Croy Hill) الواقع قرب سور انطونين في بريطانيا[٢]. وبالرغم من أن قوس سبتيموس سيفيروس* الذي شيده سنة ٢٠٣م ما يزال يظهر جنوداً رومانيين يرتدون نمطاً من التونك شبيهاً نوعا ما بالتونك الذي كان سائداً في أواخر الجمهورية وأوائل الإمبراطورية، إلا أن القرن الثالث شهد استعمالاً واسع الانتشار لتونك ذي أكمام طويلة، وبلا شك كان أحد الأسباب الرئيسة وراء انتشاره هو التأثير المتزايد للقوات الجرمانية والمرتزقة الذين يخدمون في الجيش الروماني. ولم يقتصر التأثير البربري على التونك فحسب، وإنما تُظهر السجلات الأثرية النحتية العائدة للقرن الثالث الميلادي ظهور زي روماني جديد موحد يتألف من تونك ذات أكمام طويلة وضيقة وعباءة وبنطال. وقد دخل هذا النوع من اللباس إلى الجيش الروماني من الحدود الشمالية للإمبراطورية عن طريق جنود الوحدات المساعدة الذين جندوا من الأقاليم الشمالية، ولاحقاً بوساطة الحرس الشخصي الجرماني، ومن ثم بوساطة جنود الفرق المتمركزة على الحدود الشمالية والذين تبنوا هذا الزي من تلقاء أنفسهم، وفي نهاية المطاف انتشر بوساطة أباطرة مثل كركلا الذي ارتدى ملابس جرمانية حتى عندما كان يزور الأقاليم. وأسهم في ذلك استخدام الجيش للجنود غير النظاميين بما فيهم النوميري (numerii) ولاحقاً الفوديراتي (foederati)** التي ربما كان

---

[1] - Cheesman: op.cit, p.124.

[2] - Bishop & Coulston: op.cit, pp.108,119.

* - قوس سبتيموس سيفيروس: هو قوس نصر أقامه سبتيموس في روما في الجانب الشمالي الشرقي من السوق الرومانية، وقد أقيم سنة ٢٠٣م على شرف الحملة التي قادها الإمبراطور ضد البارثيين، وقد خلد هذا القوس اسم سبتيموس وأبنائه كركلا وغيتا، ويتميز بثلاث فتحات مقببة، ويعتبر من أفخم أقواس النصر في روما حيث زخرفت قواعد أعمدته بأعمال نحتية تصور مجموعات من الجنود الرومان مع أعداد من الأسرى البرابرة، كما ظهر على واجهته مناظر مختلفة من الحملة التي شنها سبتيموس ضد البارثيين، وكانت مظاهر الحملة منحوتة بطريقة السرد من حيث مظهر الإمبراطور مع حاشيته ثم أثناء مخاطبته لشعبه ومشاهد من الحرب نفسها، ثم مظهر الغنائم والأسرى. لمزيد من المعلومات راجع:

- قاسم، عبير عبد المحسن، المرجع السابق، ص٢٢٣-٢٢٤.

** - النوميري (numerii) والفوديراتي (foederati): هم أجزاء من قبائل تقطن خارج حدود الإمبراطورية وأعطتهم الإمبراطورية الرومانية أرضاً داخل حدودها بشرط أن يمدوا جيشها بالجنود إن⇦

يترأسها رؤساء العشائر والتي ارتدت لباسها الخاص بها، وبذلك قدمت أنماطاً أكثر تنوعاً أثرت على لباس الجيش[١].

بدأ الزي العسكري بالتغير في بداية القرن الثالث الميلادي ومنذ هذه الفترة أصبح التونك ذو الأكمام الطويلة لباساً مألوفاً في الجيش الروماني كما تشير إلى ذلك اللوحات الجصية الجدارية من دورا يوروبوس، والتي تبين أن هذا النوع من التونك غالباً ما كان له حواف ملونة ومزودة برباطات أرجوانية وأحياناً مزينة بقطع قماشية دائرية، وعادة كانت الأكمام ضيقة حول المعصم، وتشير الأمثلة المكتشفة في دورا يوروبوس أن هذه الثياب الصوفية كانت تنسج في قطعة واحدة مع ترك فتحة للرقبة وأحياناً فتحة عند كل ورك وأصبح

لزم الأمر، وربما بدأ مصطلح "نوميري" يظهر منذ عهد الإمبراطور انطونيوس بيوس كما تظهر ذلك النقوش الأقدم التي تتحدث عنهم، وجُندت أفواجهم وفق نظام تجنيد مختلف عن نظام تجنيد الوحدات المساعدة، أي أنهم شكلوا وحدات خاصة بهم ولم يندمجوا في وحدات الجيش النظامية وارتدوا لباسهم الخاص بهم واتخذوا ألقابهم القبلية بالإضافة إلى أسماء المقاطعات التي جندوا منها، وقد أطلق على هذه الأفواج تسمية عامة تدعى "نوميري" ولاحقاً خلال القرن الثالث أضيف أليهم الفوديراتي. كما يقول تشيسمان (Cheesman) لا يوجد لهذه التسمية معنى أو مقابل في اللغة الإنكليزية وأن ما ميز النوميري عن تشكيلات الوحدات المساعدة النظامية هو تنظيمها الحر وشخصيتها الأكثر بربرية وتُظهر ألقابها أنها سُحبت من الحدود الأبعد للإمبراطورية أو من ضمن المناطق الأقل حضارة، وإن الأدلة على شخصية هذه القوات غير كافية، وكونها الجزء الأقل حضارة في الجيش الروماني لم تكن تظهر كثيراً في النقوش، ولا يُعرف حتى الآن حجم وحداتهم أو حتى إن كان لأفواجهم حجم محدد. أيضاً تحمل أفواج النوميري ألقاباً ثانوية مشتقة من أسماء المناطق التي خدمت فيها بشكل ثابت، مثلاً الأفواج التي جندت من أقليم رايتيا والتي أطلق عليها الرايتي غيزاتي (Raeti Gaesati) وهم النوميري الرايتيين المسلحين برمح ثقيل يطلق عليه اسم غايزوم (gaesun)، وكذلك السوريين المستقرين في بريطانيا (Britain Syri)، حيث وجد العديد من القبور عند كوربريدج (Corbridge) في بريطانيا لحاملي رايات (Vexillariux) من أصل تدمري ربما كانوا ينتمون إلى أفواج النوميري التي تشكلت من أبناء بلدهم. على العموم تُظهر ألقاب أفواج النوميري أنها مرتبطة بخمسة قبائل أو أمم موزعة على محيط الإمبراطورية هي: الكانتابري (Cantabre) والغايساتي (Gaesati) على الحدود الشمالية، والتدمريين (Palmyreni) على الحدود الشرقية والداسيين (Daci) من داسيا، والبريتون (Brittones) من بريطانيا. لمزيد من المعلومات راجع:

[1] - Summer, Graham: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, Osprey Publishing, 2003, pp. 4-5.



الشكل رقم (٣٠)

رسم توضيحي للباس الجيش الروماني في منتصف القرن الثالث الميلادي

١- قائد مئة من الوحدات المساعدة

٢- تريبيون من الوحدات المساعدة

٣- حامل الراية

المصدر : Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, Osprey Publishing, 2003, p.29.

البنطـــال الضـــيق أكثـــر شـــيوعاً، واستمرت هذه الأنماط من التونك حتى انهيار الإمبراطوريـــة الغربيـــة ســـنة ٤٧٦م، لكنها استمرت فترة أطول في الشرق[1] (الشكل رقم ٣٠-٣١).

عندما تقدم جيش الدانوب بقيادة سبتيموس سيفيروس باتجاه روما سنة ١٩٧م دبّ الرعب في قلوب السكان بسبب مظهر الجيش الذي ارتدى جنوده تونكاً طويلاً وبنطالاً ضيقاً وعباءة مزركشة، والذي اعتبر لباساً بربرياً لفترة امتدت لأجيال عدة، وكان لباساً غير مقبول لدى الرومان المدنين، لذلك راعهم منظر الجيش وظنوا أن البرابرة شنوا هجوماً على روما. ولم يرتدِ الجرمانيون والغاليون التونك ذات الأكمام الطويلة فحسب، وإنما أحاط بالرومان شعوب أخرى في الشرق فضّلت ارتداء هذه الملابس



الشكل رقم (٣١)
نقش من هنغاريا يعود إلى القرن الثالث الميلادي يظهر فيه حامل راية من الجيش الروماني مرتدياً تونك ذو أكمام طويلة وعباءة وبنطال
المصدر: Summer, Graham: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, Osprey Publishing, 2003, p. 4.

حيث تشير وثائق البردي المصرية المكتوبة باللغة الإغريقية – التي تمثل اللغة الرئيسة في القسم الشرقي من الإمبراطورية – إلى أنواع عدة من التونك مختلفة عن التونك الرومانية عُرف منها التونك المسماة تيشاريون (Sticharion)، ربما جاءت هذه التسمية من الكلمة الإغريقية " مخططة أو مقلّمة " وقد تكون إشارة للرباطات والشرائط الملونة المعروفة باسم كلافي (Clavi)، وهناك نوع أخر من التونك، له أكمام طويلة يدعى دلماتيكا (dalmatica)، ولكنه كان أقل انتشاراً من النوع الأول وربما يعود أصله إلى أقليم دلماتيا كما يشير إلى ذلك اسمه، وكان شائعاً ارتداؤه من قبل الأباطرة الجنود في القرن الثالث، وهناك نوع آخر، عرف

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p. 120. ; Bishop & Coulston: op.cit, p. 110.

باسم كاميسيا (Camisia)، وهو عبارة عن قميص ضيق مصنوع من الكتان. ومرة أخرى يقدم القسم الشرقي من الإمبراطورية أفضل الأدلة على ارتداء الجنود الرومان هذه الثياب خلال القرن الثالث، وقد تم اكتشاف سلسلة مميزة من شواهد القبور في أفاميا ينحصر تاريخها بين عامي ٢١٤-٢٥٢م، وتبين عدداً كبيراً من صغار الضباط وجنوداً أخصائيين وجنوداً عاديين يرتدون تونكاً ذا أكمام طويلة. و زيٌ آخر تمثل بالملابس المزخرفة بإتقان وأحياناً مزخرفة بخيوط الذهب والفضة ربما يعود سبب انتشاره إلى الحدود الشرقية. ازدرى الرومان هذا الزي في البداية على اعتبار أنه زياً بربرياً، ولكن لاحقاً في القرن الثالث ارتداه الأباطرة وحرسهم وأفراد البلاط الملكي[١].

٢ - العباءات (paenula et Sagum):

بالإضافة إلى التونك، ارتدى الجنود الرومان العباءات، فقد أظهرت الدلائل النحتية والمكتشفات الأثرية أن الجنود الرومان ارتدوا نموذجين أساسيين من العباءات هي:

أ- العباءة من نوع paenula:

تعود أصول العباءة من نوع باينولا إلى العصر الأتروسكي، وربما إلى فترة أسبق من ذلك، ولعدم وجود أدلة وأمثلة حقيقية باقية حتى الآن لا يسعنا إلا أن نقدم وصفاً لها من خلال النقوش النحتية المتوفرة. تعتبر شاهدة قبر تعود لجندي روماني مجهول عثر عليها في لندن أفضل مثال نحتي يجسد هذا النوع من العباءات، وتُظهر هذه الشاهدة أن التصميم الأساس للعباءة من نوع باينولا كان شبه دائري، إلا أنه يُقترح حديثاً أن لها شكلاً بيضاوياً أيضاً. ولا يبدو واضحاً من خلال المنحوتات فيما إذا كان لها غطاء للرأس ولكن المؤرخ الروماني بليني يقول: إن العباءة من هذا النوع (paenula) كانت تزود بغطاء طويل الرأس ويتدلى على الظهر عندما لا يتم وضعه على الرأس، ويضيف بليني أنه بسبب فتحة الرقبة الواسعة كان من الضروري ارتداء وشاح حول الرقبة. كان هذا النوع من العباءات أقصر من النوع الآخر الذي يطلق عليه اسم ساغوم (Sagum)، وتُثبّت من الأمام على الصدر بأربعة مرابط*،

---

(1) - Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, op .cit,p.6.

* - المربط: هو أداة تثبيت يستخدم لربط طرفين منفصلين عن بعضهما، مثل الأبزيم والأزرار.... الخ.

ويمكن مشاهدة الميزات التي تميزت بها هذه العباءة في نقوش نصب الدمقليسي* وعلى شاهدة القبر التي عُثر عليها في لندن، كما يمكن رؤيتها على عمود تراجان[١].

وثني جانبي العباءة على الأكتاف جزّء العباءة أسفل المرابط لتعطي صورة على شكل حرف (w)، لكن غالباً ما بسّط النحاتون هذا الشكل ونحتوه على شكل حرف (V)، وشكل الحرف الأخير يُظهره النحت على واجهة سور أنطونين في بريطانيا الذي قام بتشييده الإمبراطور انطونيوس بيوس. وغالباً ما ارتدى الحرس الإمبراطوري الذي صُور غير مرتدياً للدروع هذا النوع من العباءات، وخصّ الباحثون صور الباينولا الموجودة على عمود تراجان بالحرس الإمبراطوري غير مرتدٍ للدروع، والذي رافق الإمبراطور تراجان أثناء حروبه في داسيا[٢].

من خلال ما تقدم نستنتج أن هذه العباءة كانت رداءاً بسيطاً شبه دائري أو بيضاوياً له فتحة للرأس ويصل إلى أسفل الركبة، كما أنه يمتلك فتحة من الأمام تصل من أسفل العباءة حتى فتحة الرقبة يتم إغلاقها بوساطة أربعة مرابط على الصدر، وبذلك يكون أفضل وصف لها أنها رداء يُطرح على الكتفين وذو غطاء للرأس (الشكل رقم ٣٢).

تبين شواهد القبور التي تعود إلى القرن الأول الميلادي جنوداً يرتدون العباءة من نوع "باينولا" بأعداد أكثر من الذين يرتدون العباءة من نوع "ساغوم" وبالرغم من أن النوع الأخير استمر الرومان في استعماله حتى نهاية القرن الثالث، ولكن مع انتصاف القرن الثاني الميلادي نجد أن العباءة (Paenula) قد بدأت تخبو، وآخر عباءة مكتشفة منها ويرتديها جنود عاديين تعود إلى فترة الأباطرة الأنطونيين[٣]، ولم تأتِ نهاية القرن الثاني الميلادي حتى فقدت هذه العباءة بريقها مؤقتاً، ولم تعد موجودة على شواهد قبور الجنود العائدة لأواخر القرن الثاني بالرغم من أنها بقيت قيد الاستخدام من قبل المدنيين، وربما أصبحت مرتبطة بالحرس

---

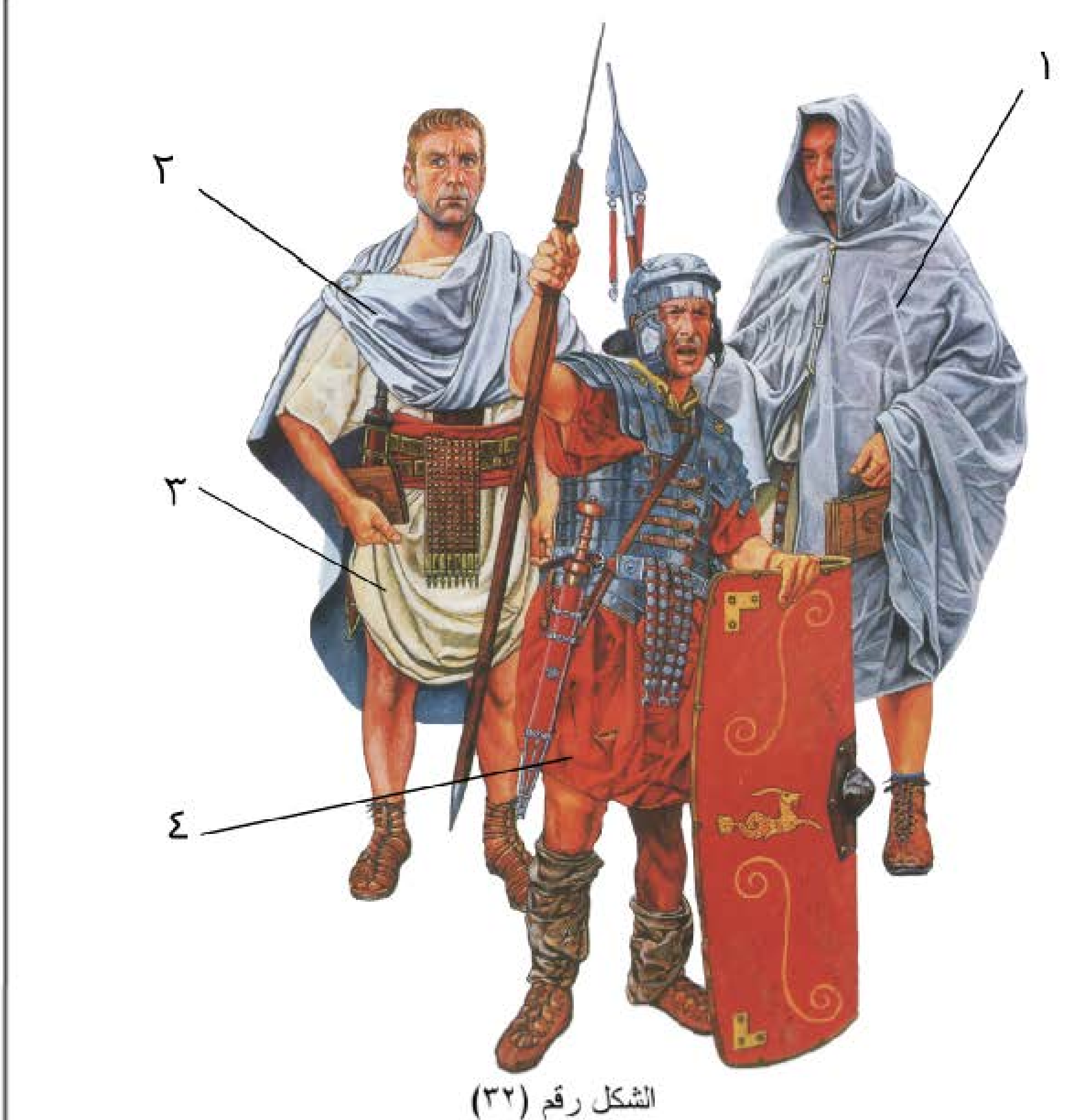
* – نصب الدمقليسي: هو نصب تذكاري قام بتشييده الإمبراطور تراجان بمناسبة انتصاره على داسيا، وحالياً موجود في رومانيا، وسمي بهذا الاسم نسبة إلى منطقة الدمقليسي التي تم تشييد النصب فيها.

(1) - Summer: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, op.cit, pp.12-13. ; Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.118.

(2) - Coulston j.c: *Three Legionaries at Croy Hill*, Military Equipment and the Identity of Roman Soldiers, Oxford, 1988, p. 4.

(3) - Bishop & Coulston: op.cit, pp.100, 119.

الإمبراطوري خلال هذه الفترة، لأنها غالباً ما صُورت على النصب التذكارية التي تُمثّل جنود



الشكل رقم (٣٢)

رسم توضيحي للتونك والعباءات العسكرية الرومانية في القرن الأول الميلادي

١- عباءة من نوع paenula يرتديها جندي روماني

٢- عباءة من نوع sagum يرتديها جندي روماني من الوحدات المساعدة

٣- تونك أبيض كتاني يرتديه جندي روماني من الوحدات المساعدة

٤- تونك صوفي مصبوغ باللون الأحمر يرتديه جندي روماني من قوات الفرق

المصدر: Summer, Graham: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, Osprey Publishing, 2002, p.26.

الحرس، ولذلك قد يكون حلّ الحرس من قبل سبتيموس سيفيريوس سنة ١٩٧م، واستبداله بحرس شكّله من جنوده الإقليميين وراء اختفائها المؤقت[١].

بدأت التأثيرات البربرية تدخل إلى الجيش الروماني في بداية القرن الثاني نتيجة ازدياد أعداد هؤلاء فيه والناتج عن ازدياد الاعتماد عليهم في التجنيد، وكان تأثيرهم في لباس الجيش جزءاً من تأثيرهم العام في تجهيزات الجيش الروماني، وكان لتشكيل الأباطرة والضباط الرفيعي المستوى حرساً شخصياً منهم واعتناق هؤلاء الأباطرة والضباط لأسلوب البرابرة في اللباس لكسب ودهم دوراً هاماً في التأثير على لباس الجيش. وصل الإمبراطور كركلا في هذا الأمر ذروته عندما ارتدى العباءة الغالية التي يطلق عليها اسم كاراكالوس (caracallus) وكثيراً ما تجول مرتدياً زيّاً جرمانياً. ولم يكن هذا التصرف غريباً أو شاذاً وإنما ارتكز على فهم عميق للحاجة إلى كسب ولاء القوات في عصر انحدر فيه انضباطهم، ولذلك اكتسب الإمبراطور كركلا لقبه هذا بسبب ولعه بارتداء العباءة الغاليّة (caracallus)، وربما كانت هذه العباءة من دون أكمام وذات غطاء للرأس، وبذلك ربما كانت شبيهة بالعباءة من نوع باينولا، وربما تشبه النوع الطويل من العباءات ذات الغطاء التي يمكن رؤيتها في العديد من النقوش الرومانية التي عُثر عليها في فرنسا (بلاد الغال) وبريطانيا، وربما قام كركلا بتطويل هذه العباءات حتى وصلت إلى أسفل القدم تقريباً، وربما كانت مصنوعة من الصوف الثقيل المناسب للحياة في الجو الخارجي، ولكن على الأغلب كان هناك نوع آخر منها مصنوع من الكتان وأرخص من النوع الأول من حيث الثمن لأنها لا تغطي أكثر من الرأس والكتفين، وربما هي العباءة التي أُطلق عليها اسم العباءة الصغيرة (caracallus minor). يقول المؤرخ الروماني هيروديان (Herodian) إن ملابس كركلا ارتكزت على الملابس التي ارتداها حرسه الجرماني، ولذلك من المرجّح أن عباءته الشهيرة قد نُسخت من نوع كان يرتديه جنوده العاديون من جيوش الراين[٢].

ب- العباءة من نوع sagum:

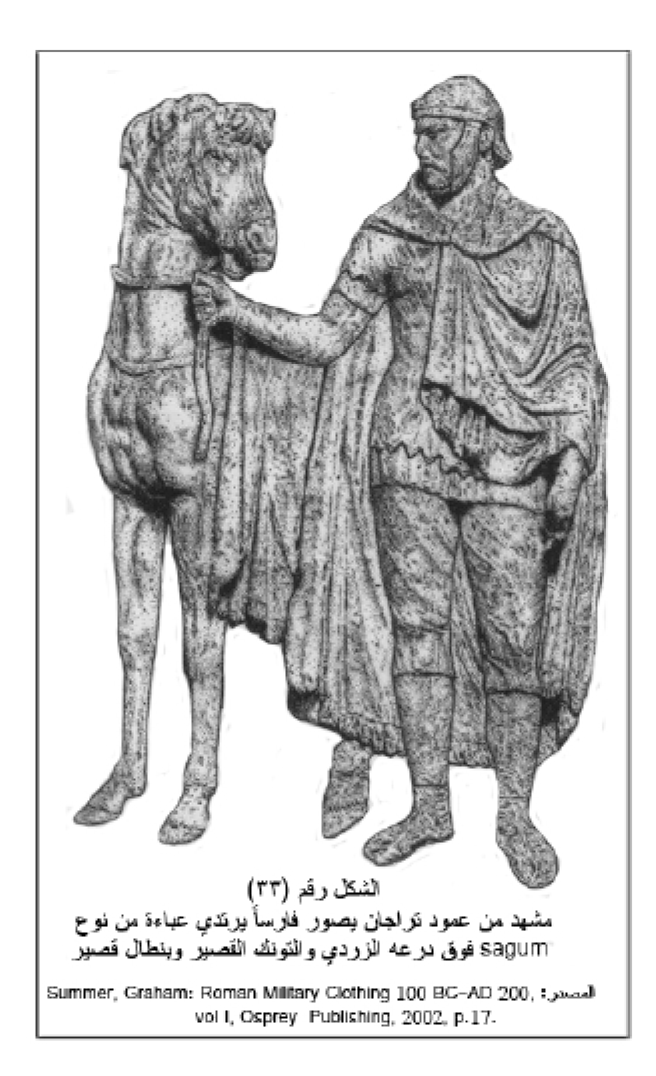
ظهرت العباءة من نوع ساغوم في النقوش على شكل قطعة قماشية مستطيلة وبسيطة الشكل مصنوعة من الصوف السميك، ويتصل طرفاها العلّويان معاً بدبوس مزخرف على الكتف الأيمن بعد تطويقهما للعنق، وتُبقي هذه العباءة الطرف الأيمن للجندي مع ذراعه اليمنى

---

[1] - Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, op.cit, p.10.

[2] - Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, op.cit, pp. 4, 10-11.

الحاملة للسيف مكشوفتين بحيث تعطيه نوعاً ما من حرية الحركة(١)، كما أن انسيابها على الأكتاف وهي مفتوحة بشكل طبيعي تجعل الجذع مكشوفاً بشكل دائم(٢) (الشكل رقم ٣٢-٣٣). تُظهر أوراق البردي من مصر أن هذه العباءة كان طولها ٢٦٦سم وعرضها ١٧٧سم، ويمكن مقارنة هذه القياسات بعباءة باقية حتى الآن من منطقة النوبة (Nubia) المصرية، والتي بلغ طولها ١٧٥سم وعرضها ١٠٥سم، ويمكن مقارنتها أيضاً بعباءة أخرى عُثر عليها في ألمانيا بلغ طولها ٢٥٠سم وعرضها ١٦٨سم. أيضاً تذكر الوثيقة التي عُثر عليها في مصر أنه بلغ وزن العباءة ١,٦كغ وكلف صنعها أربعاً وعشرين دراخما. وكانت هذه العباءة عريضة وواسعة ويمكن لفها بسهولة حول الجسم من أجل الحصول على دفء أكثر، وكان هناك أنواع أخرى منها أخف وزناً يمكن ارتداؤها في الصيف داخل الثكنات وخارجها (٣).



الشكل رقم (٣٣)
مشهد من عمود تراجان يصور فارساً يرتدي عباءة من نوع sagum فوق درعه الزردي والتونك القصير وبنطال قصير
المصدر: Summer, Graham: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, Osprey Publishing, 2002, p.17.

في الواقع ارتبطت هذه العباءة بالجيش ارتباطاً شديداً، وكان ارتداؤها يشير إلى الملابس العسكرية (Procinctus)، حيث ارتداها الجنود عند حشدهم من أجل حملة ما وفي العمليات العسكرية الميدانية وفي المناورات(٤)، حتى إعطاء أمر ارتداء العباءة العسكرية (Sagum) أصبح عرفاً بين الجنود يشير بالذهاب إلى القتال، ويقول المؤرخ الروماني ديو كاسيوس إن جنود أوكتافيان ارتدوا عباءتهم العسكرية (Sagum) فور إعلان الحرب على

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.119.

(2) - Coulston, jJ.C: op.cit, p.4.

(3) - Summer: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, op.cit, p.14.

(4) - Le Bohic: op.cit, p.125.

كليوباترة[١]. بالإضافة إلى الدفء الذي تؤمنه هذه العباءة للجندي إلا أنها خدمت أهداف أخرى، فقد كان الجنود يرتدونها في الحملات كثوب مقاوم للماء ووفقاً للمؤرخ فيجيتيوس يمكن تعليقها على شرفات الحصون لامتصاص تأثير السهام، وكما يقول المؤرخ تاكيتوس يمكن استخدامها كترس في حال هوجم الرومان على حين غرة كما حدث لهم أثناء الثورة الباتافية في جرمانيا عام ٦٩م. وكانت هذه العباءة من أصل غالي وتبناها الرومان خلال حروبهم في القرن الرابع قبل الميلاد، وبذلك مثّلت استعارة رومانية أخرى كانت بالأصل لباساً بربرياً[٢].

يبدو من خلال ما تقدم أن هذا النوع من العباءات كان شائعاً في الجيش الروماني وارتداه الجنود من الرتب كافة ابتداءً من الجندي العادي حتى الإمبراطور، وهذا أيضاً يوضحه عمود تراجان الذي يظهر أنها كانت العباءة الأكثر شيوعاً، ويصور الضباط وجنود الوحدات المساعدة –خصوصاً الجنود من أصلٍ داسي*– يرتدونها، بالإضافة إلى ذلك يصور الحرس الإمبراطوري والضباط من الدرجة العليا بما فيهم الإمبراطور تراجان يرتدونها. وفي بعض الحالات تظهر هذه العباءة في النقوش والمنحوتات كما في عمود تراجان ومنحوتات أخرى مزودة بحواف لها أهداب وشراريب، وربما يدل ذلك على المنزلة العالية للشخص الذي يرتديها، وفي الواقع ارتبط هذا بالقوات ذات الرتب العالية مثل الحرس الإمبراطوري والخيالة والضباط الكبار (التريبونات)، وبالرغم من ارتداء قادة الجيوش لهذه العباءة في بعض الأحيان خلال الحملات، إلا أنهم غالباً ما ارتدوا عباءة خاصة تدعى بالودامنتوم (Paludamntum)، وارتدوها بحيث تتدلى على الكتف الأيسر بشكل فضفاض وتتدلى جزئياً فوق الذراع الأيسر، ويعتبر ارتداؤها بهذا الشكل علامة على الرتبة أكثر من كونها رداءً عملياً خلال الحملات العسكرية[٣].

وبالرغم من كلّ ما تقدم فإننا لا نستطيع أن نجزم بأن هذا النوع من العباءات ارتداها ذاك الصنف من القوات وأن ذاك الصنف من القوات ارتدى هذا النوع من العباءات، لأن تصوير

---

(1) - Dio Cassius: Roman History, Epitome 50.4, Translated by Earnest Cary Herbert B. Foster, 1917.

(2) - Summer: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, op.cit, pp.14-15.

* – ربما يكون ذلك نتيجة أصلها البربري.

(3) - Coulston: op.cit, p.4. ; Bishop & Coulston: op.cit, p.100. ; Summer: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, op.cit, p.15.

الجنود على شواهد القبور خلال القرن الأول الميلادي يوضح أن كلا نوعي العباءات ارتداها جنود الفرق وجنود الوحدات المساعدة[١].

٣- ألبسة أخرى:

الكثير من الدلائل النحتية المتعلقة باللباس العسكري مشكوك فيها، لأن معظم شواهد القبور تُظهر الجنود وهم في أفضل زي كما لو أنهم في عرض عسكري، وهذه الشواهد تقدم لنا تفاصيل جيدة عن الأسلحة والتجهيزات، لكنها لا تقدم لنا صورة صادقة عن لباس الجنود وخصوصاً في المسير العسكري أو الأعمال الأخرى الإضافية، مثل دوريات الحرس، كما أنها لا تقدم لنا أي تفصيل عن لباس الجنود في فصل الشتاء على حدود الإمبراطورية الرومانية. و عمود تراجان يسبب نفس المشكلة، لأن نحّاتوه سعوا إلى إظهار الجنود بأزهى وأجمل صورة على حساب الواقع[٢].

وعلى العموم إن التونك الذي ارتداه الجنود الرومان في حوض البحر المتوسط يناسب هذه البيئة، لذلك على الأغلب ارتدى الجنود الرومان ثياباً أخرى تناسب الأحوال المناخية في شمال الإمبراطورية، وبالرغم من قلة الدلائل الأثرية والأدبية التي توضح ذلك، إلا أن وجود مثل هكذا دلائل يشير بوضوح إلى أن الجنود الرومان تكيفوا مع المناخ المحلي مهما كان شديداً. وأحد أشهر الرسائل التي عُثر عليها في حصن فيندولندا (Vindolanda) الواقع في بريطانيا على بعد بضعة آلاف الأمتار خلف سور هدريان، توثق بعض الثياب التي أرسلت إلى جندي روماني كان متمركزاً في هذا الحصن "زوج جوارب من ساتوا (sattua)، خف، زوجين من السراويل ". على الأغلب الأحوال الجوية الندية والباردة في هذه المنطقة استلزمت لباساً من هذا النوع، لذلك تعتبر هذه الرسالة أحد الأمثلة الأقوى التي تدحض الرأي القائل بأن الجنود الرومان أمضوا وقتهم في شمال بريطانيا يرتدون لباساً يناسب حوض البحر المتوسط[٣]، وعلى نقيض هذه النظرية فإن الرسالة أظهرت أن الجنود الرومان ارتدوا الثياب الملائمة في الأقاليم والمناخات الباردة، مثل:

---

(1) - Coulston, J. C: op.cit, p.4.

(2) - Thorne, James: *Battle, Tactics and the Emergence of the limites in the West*, ACRA, Blackwell Publishing, 2007, p.227.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.120.

أ- السراويل (bracae):

ارتدى الجنود الرومان سراويلَ قصيرة وأخرى طويلة، وغالباً ما ارتداها خيالة الوحدات المساعدة تحت التونك (الشكل رقم ٣٣)، واستوحي هذا اللباس من الزي السائد في المناطق البربرية على الحدود الشمالية للإمبراطورية[١]، وبالرغم من اعتبار الرومان أن البنطال زياً بربرياً وأنثوياً، إلا أنهم تبنوه مع تبني الجيش له في البداية ثم المجتمع عموماً، في حين بقي الأغريق متمسكين بمبادئهم ولم يرتدوا البنطال أبداً. ارتدى الرومان نوعين أساسين من السراويل خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين هما: السروال الضيق المصنوع من الجلد والسروال الفضفاض المصنوع من الصوف، ويظهر على عمود تراجان أن جنود الوحدات المساعدة والضباط الكبار بما فيهم الإمبراطور تراجان نفسه يرتدون بنطالاً قصيراً يصل إلى أسفل الركبة بقليل، في حين أن جنود الفرق لم يرتدوا أي نوع من السراويل على هذا العمود، لكن نقوش نصب الدمقليسي تصورهم يرتدون هذا النوع من السراويل[٢].

اعتباراً من القرن الثالث وما بعد لا نستطيع تحديد فيما إذا ارتدى الجنود سراويل ضيقة أم لم يرتدوا، وذلك لأن الرسومات الملونة في العديد من المنحوتات قد بليت، لكن لوحات الفسيفساء والرسومات الجدارية من أفريقيا والشرق بما فيها اللوحات المكتشفة في دورا يوروبوس تبين أن الجنود المتمركزين هناك قد ارتدوا سراويل طويلة مثنية في الحذاء وذات لون داكن بشكل عام. وارتدى الإمبراطور الكسندر سيفيروس سراويل بيضاء ولم يرتدِ السراويل ذات اللون الغامق (القرمزية) التي جرت العادة على ارتداءها فيما سبق[٣].

ب- الجوارب (fascia):

تبين الأدلة النحتية أن الجنود الرومان ارتدوا جوارب صوفية مفتوحة عند الأصابع وكعب القدم[٤]، ويبدو هذا واضحاً في نصب يصور الحرس الإمبراطوري يقومون بعرض عسكري وهم يرتدون جوارب تحت الحذاء وكعب الأقدام وأصابعها ظاهرة خارجها[٥]. مع البدء باستعمال جزمة المسير المغلقة في القرن الثاني وما بعد من قبل الجيش أصبح ارتداء

---

(1) - Le Bohic: op.cit, p.126.

(2) - Summer: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, op.cit, pp.36-37.

(3) - Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, op.cit, p.34.

(4) - Fields, Nic: op.cit, p.13.

(5) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.120.

الجوارب أمراً طبيعياً، حيث تبين شهادة قبر من أفاميا تعود للقرن الثالث جندياً يرتدي جوارب، ولكن في حال ارتدى الجندي بنطالاً مزوداً بجوارب موصولة به يصبح من غير الضروري ارتداؤها[1].

جـ- الطماق*:

شكّل الطماق الذي يظهر في العديد من الأشكال الفنية والنحتية أحد أشكال حماية ساقي الجندي وذراعيه ، وقد ارتداه الخيالة والمشاة على السواء، وبالرغم من تصوير النقوش والمنحوتات للجنود وكبار الضباط، يرتدون الطماق المتنوع الأشكال، إلا أنه لا يمكننا الجزم بأن ذلك عكس عادةً فعليةً، ولكن تصوير هكذا دروع يدفعنا للافتراض بأن الجنود الرومان شعروا بحاجة لحماية أكبر من حماية التروس والدروع والخوذ. تصور نقوش نصب الدمقليسي جنود الفرق يرتدون دروعاً ما بين الركبة والكاحل وواق للذراع على ذراعهم الأيمن في جميع المشاهد التي تصورهم في المعركة. قد يكون افتراضنا صحيحاً إذا ما علمنا أن العديد من البرابرة حملوا سيفاً على شكل المنجل يطلق عليه اسم فالكيس (falces)، وكان هذا السيف الطويل والمعقوف قادراً على الوصول إلى الذراع الأيمن وأسفل الساق وضربهما من فوق الترس، ولذلك على الأغلب قدمت هذه الواقيات حماية أضافية ضد هذا النوع من السيوف. وقد صُنعت الطماقات في بعض الأحيان من المعدن[2] وفي أحيان أخرى من الصوف واللباد، وكانت مستطيلة الشكل كما توضح ذلك الأمثلة التي عثر عليها في ألمانيا والدنمارك[3].

د- الوشاح (facale):

ارتدى الجنود الرومان الوشاح حول الرقبة وذلك لحمايتها من الاحتكاك بالدروع الجسدية المتعددة الأنواع، وكذلك لمنعها من الاحتكاك بالقطع المعدنية الواقية للخدود، ولكن

---

[1] - Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, op.cit, p.35.

* – الطماق: هو نوع من أنواع الدروع ارتداها الجنود الرومان لحماية الساقين والذراعين. وكان عبـــارة عن قطعة مستطيلة الشكل مزخرفة ومصنوعة من المعدن أو الصوف واللباد.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.131.

[3] - Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, op.cit, p.35.

لسوء الحظ لا يمكننا التأكد من الشكل الحقيقي للوشاح، لتمثيله في المنحوتات مثنياً أسفل الدروع والملابس[١].

أيضاً تقدم لنا الدلائل الأدبية دليلاً واضحاً على ارتداء الجنود للثياب المناسبة للمناخات الباردة، حيث يذكر المؤرخ تاكيتوس أنه سنة ٦٩م دخل أليينوس (Alienus) إيطاليا على رأس قوات من جرمانيا كجزء من جيش فيتللوس وهو يرتدي العباءة المتعددة الألوان، ولم يرتدِ العباءة التقليدية التي كان يرتديها القادة. شكّل لباس أليينوس انطباعاً سيئاً لدى مواطني إيطاليا الذين اعتبروه هذا لباساً بربرياً، لكن في الحقيقة ارتدى أليينوس هذه العباءة لأنها كانت ملائمة لمناخ جرمانيا وبريطانيا[٢].

وهذه الأدلة التي قدمتها لنا المصادر الأثرية والأدبية تدل بشكل قاطع على أن القوات الرومانية تكيفت مع المناخ المحلي مهما كان شديداً، ولم يقتصر لباسها على نوع واحد من الثياب، وإنما اشتمل على أنواع عديدة بما يتناسب مع المناخات المختلفة.

وبعد هذا العرض حول لباس الجنود لا بد لنا من الحديث عن مشكلة عالقة لم تحل حتى الآن، ألا وهي مشكلة اللون. تفرض علينا هذه المشكلة مجموعة من الأسئلة تتعلق بلون اللباس الذي ارتداه الجنود وضباط الجيش الروماني، وهنا يمكن أن نثير بعض هذه الأسئلة: هل ارتدى الجنود لباساً ذا لون واحد؟ وهل ارتدى الضباط لباساً له لون لباس الجنود نفسه ؟ أم أن لونه كان مختلفاً؟ وإذا كان لونه مختلفاً فكيف كان؟ هذه الأسئلة وغيرها الكثير تطرح نفسها على الباحثين والدارسين للتاريخ الروماني، ولكن حتى الآن لا جوابَ قاطعاً وحاسماً على هذه المسائل أو حتى على بعضها، لأن العثور على الأقمشة والمنسوجات (الصوف والكتان والجلد) في التنقيبات الأثرية يمكن اعتباره استثنائياً، ويعود ذلك إلى التلف السريع الذي يلحق بهذه المنسوجات. ولذلك فإن معظم الشواهد المتوفرة حول اللباس العسكري تأتينا من تصوير الجنود على النصب الضخمة مثل عمود تراجان[٣]، وعلى النصب التذكارية الجنائزية التي خلّفها الجنود ورائهم، وبالرغم من أن هذه النصب قد لا تعطي الصورة الحقيقة، إلا أنها المصدر شبه الوحيد الذي يقدم صورة مفصلة عن اللباس العسكري الروماني.

---

(1) - Summer: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, op.cit, p.36.

(2) - Thorne: op.cit, p.227.

(3) - Rosse: op.cit, p.83.

وطبعاً في الأصل كانت هذه النصب والنقوش مطلية بألوان براقة تستخدم لإبراز تفاصيل من الصعب نحتها مثل الجوارب أو الدروع الزردية، ولكن هذه الأصبغة وللأسف الشديد لم تعد موجودة حتى الآن بسبب العوامل الجوية والفترة الزمنية الطويلة، ولو أن هذه الألوان بقيت حتى الآن لكانت قدمت لنا تفصيلاً واضحاً عن ألوان الألبسة التي ارتداها الجنود والضباط في الجيش الروماني[١].

ورث الرومان من الشعوب التي أخضوعها ومن الشعوب المجاورة لهم عدداً من تقنيات ووسائل الصباغ، ومع تنظيم الإمبراطورية واستقرار الأمن في الأقاليم خلال عهد أغسطس استغل الرومان عدداً كبيراً من الحرفيين والأخصائيين الموجودين فيها بما فيهم الصباغون، فقد اشتهرت بلاد الغال بأصبغتها الكثيرة والمتنوعة. وقد تم صنع معظم الأصبغة من النباتات، لكن تتطلب بعضها وجود مادة مثبتة للون (مادة كيماوية) على القماش، وكان صبغ الصوف أسهل من صبغ الكتان الذي كان الرومان يبقون على وضعه الطبيعي أو يقومون بتبييضه من خلال تعريضه لأشعة الشمس[٢].

يعتقد الباحثون أن كل الجنود ارتدوا تونكاً ذات لون واحد، لكن في الحقيقة لا دليل قوياً وصريحاً على ذلك، وربما استخدم الجنود نماذج متنوعة تحمل ألواناً مختلفة تناسب النشاطات المختلفة التي كانوا يقومون بها. وثمة دليل مباشر حول جنود يرتدون تونكاً أبيض أو شبيهاً بالأبيض وتونكاً مائلاً للحمرة، حيث توثق ورقة بردي من مصر طلب أحد الوحدات لتونك أبيض صافي. وقد كان اللون الأبيض الناصع هو اللون الأكثر شيوعاً بين الجنود الذين يظهرون في الرسومات أو على الفسيفساء، وربما التونك غير المصبوغة والتي يكون لونها أبيض أو رمادي مائل إلى البياض أو بني فاتح هي النمط الأكثر شيوعاً للثياب المدنية. وعلى الأغلب ارتدى الجنود تونكاً مصنوعاً من صوف أبيض نقي لم يستطيع المدنيون الفقراء ارتدائها لأنهم لا يملكون ثمنها، حيث أن وصف تاكيتوس لمسير الجيش المنتصر إلى روما أثناء الحرب الأهلية يبين أن قادة المعسكرات (prefectus castrorum) والتربيونات وقادة المائة من الدرجة العليا ارتدوا لباساً أبيض براقاً ناصعاً. وهذا الوصف يوحي لنا بأن الرتب الأعلى ارتدت تونكاً أنصع وذات نوعية أفضل من التونك الذي ارتداه الجنود العاديون. أيضاً تبين لنا الرسومات الجنائزية في مصر والتي تعود إلى القرن الثاني ميلادي أن جميع أصحاب هذه الرسومات – وهم على الأغلب ضباط كما يدل على هذا دفنهم الذي يوحي بالغنى–

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.121.

[2] - Summer: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, op.cit, pp.16-17.

ارتدوا تونكاً أبيض ناصعاً، ولكن العباءات التي ارتدوها تتراوح بين اللون الأزرق الغامق إلى الأخضر الزيتي، ولذلك من الممكن أن أفراداً أو رتباً معينة ارتدوا عباءات لها درجات لون مختلفة[1]، وربما تكون العباءات ذات اللون الأزرق عائدة إلى جنود من الأسطول.

على العموم إن الألوان الواضحة في المصادر النحتية تتميز بأنها ألوان أكثر عملية تناسب حياة الجندي العسكرية، ولذلك ربما صنعت العباءات الصفراء والبنية من الصوف غير المصبوغ الذي احتفظ بدهنه الطبيعي، وبذلك امتلك درجة من مقاومة الماء، وبالمثل صبغت السراويل والطماقات على المنحوتات باللونيين الأحمر والأزرق الداكنين والبني والزيتي. وقد فضل العديد من الجنود التونك الأحمر على التونك الأبيض لأنه عملي أكثر، ولكن مع ذلك فالأدلة على وجود التونك الأبيض بقيت سائدة وطاغية في معظم المصادر حتى نهاية القرن الثالث الميلادي، والذي أصبحت الأدلة العائدة إليه تشير بشكل واضح إلى وجود التونك الأحمر، وهذا قد يوحي بنيّة أو خطة شاملة لتغير الزي ضمن الجيش الروماني خلال هذا القرن، وفي حال كان هذا صحيحاً فإن اختيار لون محدد للباس يتبناه الجيش في كل أنحاء الإمبراطورية لن يتحقق، لأنه من غير المرجح أن يستطيع الصباغون تحقيق درجة اللون نفسها في كل أنحاء الإمبراطورية، ولكننا قد نستطيع فهم لِمَ ارتبط اللون الأحمر باللون العسكري التقليدي خلال القرن الثالث الميلادي؟ فتصوير إله الحرب "مارس"* مرتدياً تونكاً

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit,.p.121.

* - مارس: هو الإله الأكثر ارتباطاً بالرومان، وكانت عبادته أكثر أهمية من عبادة الإله جوبيتر، وهذا يعود إلى أن الإله مارس كان مرتبطاً على نحو حميمي بالتاريخ الروماني، وذلك لأن الروايات الرومانية جعلته أباً لرومولوس (Romulus) مؤسس روما، وكذلك بسبب وظائفه كإله للزراعة، وأخيراً لأنه كان إله الحرب، وبذلك كان ينسجم مع حالتي المواطن الروماني المتعاقبتين بوصفه كان مزارعاً ثم محارباً. يعتقد اللاتينيون أن مارس هو ابن الإلهة جونو (Juno) ملكة السماء وزوجة الإله جوبيتر، حيث وضعته من دون مساعدة جوبيتر وذلك عن طريق اتحاد سري خفي مع زهرة رائعة، وكان مارس زوج عذراء النار الإلهة رياسيلفيا التي أخذها مباغتة حينما كانت تبدو نائمة، وبذلك أصبح والد رومولوس (Romulus) وريموس (Remus) نتيجة هذه العلاقة. كانت وظائفه في البداية ريفية ولم تأتي وظائفه الحربية إلا فيما بعد، حيث أصبح مارس إله المعركة وكان يُبجل في معبده في روما قبل انطلاق الحملات العسكرية، وتُقدم له الأضاحي قبل القتال كما كان يتلقى حصته من الغنائم بعد النصر، وعلاوة على ذلك كثيراً ما ظهر في المعارك ترافقه بيلونا (Bellona) وفاكونا (Facuna) إلهتا المحاربين، وكان له مذبح فوق هضبة البلاتين أثناء حكم رومولوس وهناك كان يُحتفظ برماح الرب المقدسة والتروس الأثني عشر المدعوة بالأنسيليا (Ancilia) التي تمثل عناصر عبادته. لمزيد من المعلومات راجع : ⇦

أحمر يقدم دليلاً واضحاً على ارتباط هذا اللون بهذا الإله، ولذلك ربما تبنى الرومان هذا اللون نسبة إلى ذلك[١].

شكّلت الألوان وسيلة مهمة في تحديد المنزلة الاجتماعية ضمن العالم الروماني، وبذلك ربما استُخدمت الألوان المختلفة أو مزيج منها لتحديد الرتب العسكرية، وكانت الألوان الأكثر شيوعاً في الرسومات ولوحات الفسيفساء الرومانية هي التونك الأبيض والعباءة البنية المائلة إلى الاصفرار والعباءة الحمراء. ولا يوجد ما يؤيد اقتراح أن قادة المائة تم تميزهم بارتداء عباءات وتونكات حمراء، وربما ارتبط التونك الأبيض والعباءة البيضاء بالتريبونات وقادة المائة الكبار، وبذلك قد تشيران إلى لباس ضباط طبقة الفرسان، في حين أن عباءات اللون الأخضر كانت نادرة جداً، وحصراً على الضباط من الدرجة العليا، أما العباءة الأرجوانية فكانت بلا شك حصراً على القادة الكبار في العصر الجمهوري، ولاحقاً أصبحت حصراً على الأباطرة عندما ينزلون إلى ميدان القتال بالرغم من أن بعضهم كسر هذه القاعدة ولبس ثياباً شبيهة بثياب جنودهم، مثل كركلا وغيره من أباطرة القرن الثالث. ربما ارتدى الجنود تونكاً وعباءات ذات ألوان مختلفة تناسب المناسبات المتنوعة، مثلاً ارتدوا تونكاً صوفية بيضاء في الحياة اليومية وتونكاً صوفية وكتانية مبيضّة (بتعريضها للشمس) في المناسبات المهمة مثل الاحتفالات بالأعياد والمهرجانات، وارتدوا التونك العسكري الأحمر في العمليات العسكرية، وبالمثل امتلك الضباط الكبار الكثير من التونكات والعباءات الشبيهة بتونكات وعباءات الجنود من حيث اللون، لكنها تميزت عنها بنوعيتها وجودتها الأفضل، واعتماداً على الأدلة المتوفرة لا يبدو أنه كان هناك تميز بين ألوان التونك الخاص بالوحدات المساعدة والخاص بالفرق، وربما نتج هذا عن استخدام مصادر الإمداد نفسها، ونتيجة للسياسة التي اتبعتها الدولة الرومانية تجاه الوحدات المساعدة، والتي كانت تهدف إلى إكساب هؤلاء العادات والطابع الروماني[٢].

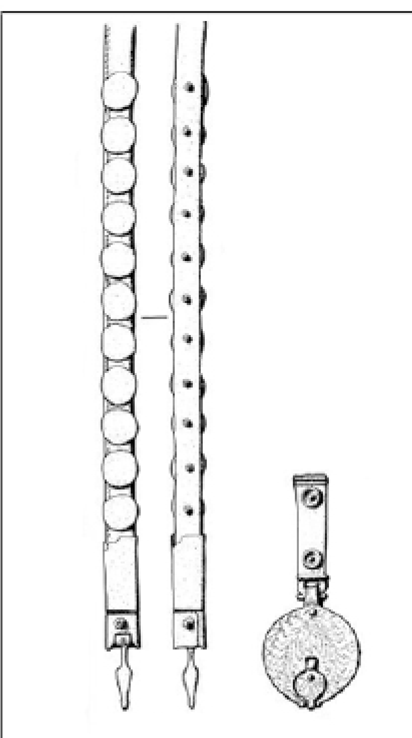
في النتيجة نستطيع القول إنه ثمة تنوع كبير في ألوان اللباس العسكري الروماني، وقد يعكس هذا نظاماً لتمييز الرتب أو ببساطة ربما تمتع الضباط بخيارات انتقاء الألوان، وبالمقابل ربما تم تقييد الجنود العاديين بلباس معين مثل العباءة الصفراء المائلة إلى البني، أو ربما

- السواح، فراس: موسوعة تاريخ الأديان، الكتاب الثالث، منشورات دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٥، ط١، ص٢١٤-٢١٦.

(1) - Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, op.cit, p.14.

(2) - Ibid, pp.14-24.

فضلها الجنود لأنها عملية. وهناك العديد من العوامل الأخرى التي ساعدت في تعدد ألوان اللباس نذكر منها العادات والتقاليد للوحدات المساعدة والاهتراء الناتج عن شن الحملات، وكذلك رغبات الجنود ذوي السلطة والنفوذ بتمييز أنفسهم. كل هذه الاحتمالات أثرت في مظهر ملابس الجنود والضباط الرومان وشكلها ولونها.



الشكل رقم (٣٤)
الحزام العسكري الروماني الرفيع (الضيق) الذي كان سائداً ارتداؤه من قبل الجنود في القرن الأول الميلادي
المصدر: Bishop M.C & Coulston, Jon C.N: Roman Military Equipment from the Punic wars to the Fall of Rome, Batsford, London. 1993, p.99.

٤ – الحزام العسكري (cingulum Militare):

بالرغم من أن النطاق العسكري الروماني كان يعرف بـــ (cingulum Militare)، إلا أنه غالباً ما كان يطلق عليه خلال القرن الأول اسم بالتيوس (balteus)، وتبين شواهد القبور العائدة إلى هذه الفترة أنه كان هناك تغيير تدريجي خلال القرن الأول من ارتداء الجنود نطاقين إلى ارتدائهم نطاقاً واحداً، أو أن الخنجر كان يُرتدى على النطاق والسيف يُعلّق على حمالة تتدلى من الكتف[١]. وفي الواقع ارتدى الجنود الرومان في بداية الإمبراطورية حزاماً عسكرياً مفرداً حول الخصر (الشكل رقم ٣٤)، وكان مزيناً بأطباق برونزية مطلية بالفضة وأحياناً مزينة بنقوش نافرة، وفي حالات أخرى ارتدى الجنود حزامين متقاطعين يتدليان على الوركين، ولا نعرف بالضبط تاريخ ارتداء الجنود لهذا النوع من الأحزمة، ولكن ربما ظهرت في أواخر عهد أغسطس، وربما بدأ الجنود في عهد الإمبراطور تيبيريوس باستخدام خليط معدني مؤلف من الفضة والكبريت أو الرصاص أو النحاس لتزيين أطباق الأحزمة بتصاميم مرصّعة بشكل جميل[٢].

أياً كانت الفترة التي بدأ الجنود فيها باستخدام الحزامين، فإنهم بذلك استخدموها لتوزيع ثقل الدرع الزردي على وركي الجندي ولحمل كلاً من السيف والخنجر[٣]. كان الحزام الأول

---

(1) - Bishop & Coulston: op.cit, p.96.

(2) - Cowan: op.cit, pp.23-24.

(3) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.24.

مخصصاً لحمل السيف، فقد حُمل السيف عن طريق تثبيت غمده بالحزام بواسطة أربع شرائط معلقة بحلقات الغمد، أما الحزام الثاني فكان مخصصاً لحمل الخنجر، حيث ثُبت غمده بالحزام بوساطة عروة مثبتة على إحدى صفائح الحزام. وكان ارتداء الحزام فوق التونك ضرورياً لدرجة أن أغسطس كان يعاقب قادة المائة بجعلهم يقفون خارج خيمته من دون ارتدائه، ولذلك على الأغلب شكل حزام الجندي رمزاً هاماً لهويته، فعندما يكون الجندي الروماني غير مرتدٍ لزيّه العسكري الموحد ومن دون درع أو خوذة، فإن التونك ذا الحزام العسكري كان يميزه كجندي، وتميّز الحزام العسكري بزخارفه الكبيرة التي كانت على شكل أطباق وبإبزيمه الكبير المزخرف(١).

في الواقع حدث تغير كبير في نوع الحزام الذي كان يرتديه الجنود الرومان خلال بداية القرن الثاني، وأصبح الجنود يرتدون أحزمة عريضة بدلاً من الأحزمة الضيقة، وربما يتصادف هذا مع البدء باستعمال الحزام العسكري العريض (الشكل رقم ٣٥) المفرد بدلاً من الحزامين الضيقين، وأصبح الجنود في أواخر القرن الثاني وخلال القرن الثالث يحملون السيف بتعليقه على حزام كتف عريض على الكتف الأيسر بدلاً من تعليقه على حزام الخصر على الجانب الأيمن، كما كان سائداً من قبل، وتبين شواهد القبور العائدة إلى القرن الثالث أن المشاة والخيالة أصبحوا يرتدون حزام خصر مفرد وعريض، له أبزيم كبير على شكل حلقة(٢)، وفي ذلك دليل على أن الحزام العريض المفرد أصبح هو الحزام السائد والموحّد لدى جميع القوات خلال القرن الثالث بدلاً من الحزامين الذين كان يرتديهما الجندي فيما سبق.

في بداية القرن الأول الميلادي ظهر واقي الحقو* الذي أخذه الرومان عن السلتيين الذين كانوا يقسمون نهاية الحزام على أربعة شرائط ويستخدمون واحدة منها فقط لتثبيت الحزام وشده، وكانت الشرائط في أغلب الأحيان تنتهي بقطع ونهايات متعدد الأشكال. وفي منتصف القرن الأول أصبح واقي الحقو قطعة منفصلة تُربط بأحد الحزامين، وغالباً ما كانت تُربط بحزام الخنجر وتزين بشكل جميل(٣). وربما تألف واقي الحقو من واحد إلى تسعة شرائط مرصعة لها نهايات معدنية مزينة، وشكّل حماية لمنطقة وسط الجسم الأمامية، ولكن قد

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.119.

(2) - Bishop & Coulston: op.cit, pp.96,126,152.

* - واقي الحقو: هو عبارة عن مجموعة من الشرائط الجلدية المنتهية بقطع حديدية مزخرفة ومثبتة بحزام الجندي من الأمام، وكانت تُرتدى فوق التونك لتقدم حماية أضافية لوسط مقدمة الجندي

(3) - Simkins: op.cit, p.24.

تكون هذه الحماية نفسية أكثر منها حقيقية وفعلية، والشيء الذي لا يمكن تجاهله هو أن واقي الحقو جعل من أحزمه الجنود أكثر زينة وجمالاً وزادت خشخشته من حضور الجندي عند مسيره[١].

٥ – الحذاء العسكري (caliga militare):

لا نعرف بالضبط تاريخ بدء الجيش باستخدام الحذاء العسكري (caliga militare)،ولكن من المؤكد أنه مثّل الحذاء الموحد والقياسي للجنود الرومان منذ عهد أغسطس حتى أوائل القرن الثالث، وتدل الاكتشافات العسكرية على أنه كان حذاءاً موحداً بشكل كبير من حيث الشكل، وكان عبارة عن صندل متين زود نعله بالكثير من المسامير[٢]، وتألفت كل فردة منه من ثلاث طبقات رئيسية مصنوعة من جلد الثيران والبقر هي: النعل والنعل الباطن (الضبان) والفرعة. ثُبتت الطبقات الثلاثة بوساطة المسامير وكانت الفرعة مزودة بثقوب مما أعطى الحذاء شكل الصندل، وساعدت هذه الثقوب بتهوية القدم في حين سمحت الرباطات في مقدمة الفرعة بتعديل الحذاء ليناسب مقاس قدم الجندي (الشكل رقم ٣٥). وقد تم العثور على أمثلة كاملة من الحذاء العسكري في كلٍ من ماينز (Mainz) وفالكنبورغ (Valkenburg) الواقعتين في ألمانيا حالياً (إقليم جرمانيا قديماً)، ومن خلال الأمثلة التي تم العثور عليها نجد أنه نادراً ما يوجد علامات إصلاح على الأحذية، وهذا يدل على أن الرومان كانوا يتخلصوا منها فور اهتراء الضبان لأنها ستصبح غير ملائمة للقدم بعد أن تصبح الأخيرة ترتكز على مسامير النعل مباشرة[٣].

وقد بلغ وزن الحذاء أقل من ١كغ بقليل وبلغ ثخن نعله الذي كان مزوداً بالمسامير بشكل كبير ٢٠ملم[٤]، لذلك عرّضت هذه المسامير حياة الجنود للخطر، لأنها جعلت الجنود يتزحلقون على البلاط. ومثال عن ذلك ما حدث مع أحد جنود الوحدات المساعدة من أصل سوري يدعى سابينوس (sabinus) عند حصار القدس سنة٧٠م، ففي أثناء الهجوم على أحد الثغرات في أسوار القدس تردد معظم الجنود الرومان في الهجوم واثنا عشر جندياً يقودهم سابينوس حاولوا دخول المدينة، وبعد دخولهم تزحلق سابينوس على البلاط فأحاط به العدو وقتله[٥]،

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.119.

[2] - Cowan: op.cit, p.24.

[3] - Bishop & Coulston: op.cit, p.100.

[4] - Fields, Nic: op.cit, p.13.

[5] - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.204.



الشكل رقم (٣٥)
رسم توضيحي لجندي من الفرقة الثانية أوغسطا يمثل اللباس
والتجهيزات الكاملة لجنود الفرق في القرن الأول الميلادي

١- ترس مقوس ٢- خوذه من النوع الإمبراطوري الإيطالي C ٣- رمح ثقيل مزود بثقل من الرصاص ٤-سيف من نوع Pompeii ٥_ سيف من نوع Mainz ٦_ سيف من نوع Mainz في غمده ٧_خنجر ٨_ الحذاء العسكري ٩_ الحذاء العسكري ذو الفرعة المخرمة ١٠- الحزام العسكري العريض وواقي الحقو ١١- الدرع المصفح

المصدر: Cowan, Ross:Roman Legionary 58 BC-AD 69, Osprey Publishing, 2003, P. 40

ولكن على الأرض الأقل نعومة مكنت هذه المسامير الجنود من التشبث بالأرض. ربما كان الهدف من تزويد النعل بالمسامير هو الحيلولة دون اهترائه بسرعة، لكن رغم كل ذلك كانت النعال تبلى وكانت بحاجة لأن تستبدل، لأننا نجد أن فيسبسيان تلقى في أحد المرات طلباً من

بحارة الأسطول الإيطالي لتخصيص أموال أكثر للأحذية، لأن أحذيتهم بليت بسبب المسير الطويل والمتكرر[١].

توحي الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في أنحاء الإمبراطورية، وخصوصاً في ألمانيا بأن الحذاء العسكري (Caliga) الروماني التقليدي قد بدأ الرومان بالتخلي عن استخدامه تدريجياً في الربع الأول من القرن الثاني[٢]، واستخدموه بالتزامن مع جزمة المسير المغلقة خلال هذه الفترة، ولكن بحلول القرن الثالث اختفى الحذاء التقليدي (Caliga) المفتوح من الأدلة الأثرية نهائياً وحلّت محله الجزمة سابقة الذكر، وربما كانت هذه الجزمة نمطاً قياسياً تم إنتاجه في جميع أنحاء الإمبراطورية من قبل مقاولين تابعين للجيش، فقد تم العثور على أمثلة منها في جنوب مقاطعة ويلز البريطانية وفي دورا يوروبوس السورية استخدمت من قبل المدنيين والعسكريين، وبذلك أصبح هذا النوع من الأحذية هو الوحيد المستخدم من قبل الجنود في هذه الفترة[٣] (الشكل رقم ٣٦-٣٧).

وقد مثّل تصوير الجنود العاديين على عمود تراجان، وهم يرتدون الحذاء (caliga) في حين أن الضباط كانوا يرتدون حذاء إلى فوق الكاحل، دليلاً واضحاً على اختلاف أحذية الجنود عن أحذية الضباط[٤].

ثانياً: تجهيزات الجندي العسكرية

ينسب معظم الكتّاب القدماء نجاح الرومان عسكرياً إلى تفوقهم على خصومهم من حيث الأسلحة الفردية. وقد تألفت الفرق الرومانية من مشاة ثقيلي التسلح أقل اختصاصاً من الوحدات المساعدة، وفي الحقيقة كان جنود الفرق جنوداً ومهندسين في الوقت نفسه وتدربوا كعمال ماهرين لكي يستطيعوا مسح قناة أو ميدان معركة أو تخطيط وشق الطرق، والأهم من ذلك كله بناء أو الأسوار والتحصينات دكها، وكانت الفرق ثقيلة الحركة ومخصصة للقتال في المعارك المفتوحة ضد جيوش منظمة، ولم تكن قادرة على خوض حرب العصابات، وزيادة

---

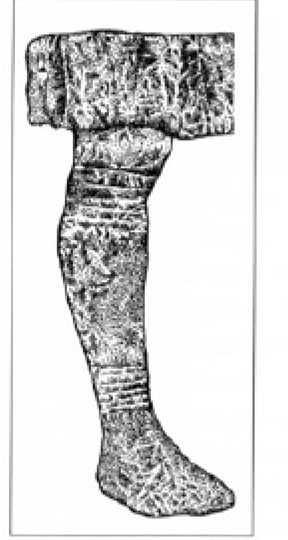
(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.120.

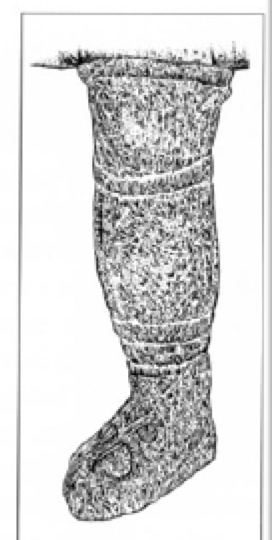
(2) - Bishop & Coulston: op.cit, p.119.

(3) - Summer: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, op.cit, pp.35-36.

(4) - Rosse, op.cit, p.84.







الشكل رقم (٣٧)
جزمة المسير الرومانية بعد إعادة صنعها اعتماداً على المكتشفات الأثرية في دورا أوروبوس

الشكل رقم (٣٦)
نقش يبين الحذاء العسكري من نوع Dura Europo الذي أصبح سائداً في القرن الثالث.

المصدر: Summer, Graham: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, 2003, p.36.

على هذا أسهم فرسان الفرق في تقديم مفارز الكشافة والرسل فحسب، ولم يكونوا ملائمين لاستخدامهم في مواجهة فرسان الأعداء[1].

من خلال ما تقدم نستنتج أن الرومان أدركوا أهمية الوحدات المساعدة المختصة التي تميزت بتنوع أسلحتها وبنيتها التركيبية المناسبة لمختلف أنواع الحروب، وثبت استخدام الرومان للوحدات المساعدة المختصة مثل النبالة ورماة المقاليع السوريين منذ القرن الأول الميلادي، وكذلك استخدموا أنواعاً مختلفة من الفرسان المسلحين تسليحاً خفيفاً (نبالة، رماحين) وتسليحاً ثقيلاً (catphractarii)، حيث يظهر على عمود تراجان الفرسان الموريتانيون الذين تميزوا بسرعتهم الكبيرة وبراعتهم في استخدام الرمح، في حين أن الفرسان ثقيلي التسلح كانوا مختلفين كلياً عن النوع الأول من الفرسان، حيث ارتدوا وخيولهم الدروع الزردية الواقية، وثبت استخدامهم كما سنرى لاحقاً منذ عهد هدريان[2].

ازدادت أهمية الفرسان خلال القرن الثالث، وخصوصاً منذ عهد الإمبراطور غالينوس (٢٥٣-٢٦٨م)، واستمر الإمبراطور أورليان (٢٧٠-٢٧٥م) بعد تسلمه الحكم في أتباع سياسة غالينوس بالاعتماد الكبير على الخيالة خفيفي التسليح، والذين كانوا أغلبهم فرسان الموريتانيين والدلماتيين، ويبدو أنه في الوقت نفسه أدرك بعد حملاته على تدمر أهمية الخيالة ثقيلي

---

(1) - Luttwak: op.cit, pp.40-41.

(2) - Le Bohic: op.cit, p.124.

التسليح، ولذلك وسّع من استخدامهم في الجيش. واستهل أورليان تطورات الجيش العسكرية المستقبلية في نواحي مهمة أخرى نذكر منها تجنيده لأعداد كبيرة من الجرمان في الجيش الروماني، ولكن مع أبقائهم كوحدات تكتيكية منفصلة يترأسها قادتها المحليون بدلاً من دمجهم في بنية الجيش الروماني، ويعرف منها وحدات مشاة من قبائل الألماني (Alamanni)*، ووحدات خيالة من الفاندال (Vandals)** قبلها أورليان سنة ٢٧١م كجزية بعد انتصاره عليهم.

---

* - الألاماني (Alamanni): ظهر الألماني لأول مرة سنة ٢١٣م، وهم اتحاد هائل وفتي من القبائل التي قطنت ما يعرف اليوم بشمال غرب بافاريا (في ألمانيا حالياً)، واجتاحوا أقاليم الراين في عهد كركلا، لكن الرومان استطاعوا الانتصار عليهم وردهم على أعقابهم. تدهور الوضع على الراين في خمسينيات القرن الثالث الميلادي بعد أن أصبح هؤلاء بالتزامن مع اتحاد آخر من القبائل عُرف باسم الفرانك (Franks) يشكلون خطراً على ايطاليا ذاتها، وقطنت قبائل الاتحاد الفرانكي على طول الدانوب الأدنى، وربما يعود تاريخ اتحادهم إلى أواخر خمسينات القرن الثالث. اجتاح كلاً من الألماني والفرانك حدود الراين في عهدي الإمبراطورين فالريان (٢٥٣-٢٦٠م) وغالينوس (٢٥٣-٢٦٨م)، وخسر الرومان في هذه الفترة لأول مرة حدود الراين بعد ان عبرها هؤلاء البرابرة ووصول اجتياح قبائل الاتحاد الفرانكي إلى اسبانيا، وبعد اغتيال اورليان عبر الألماني الراين الأعلى مستغلين مقتل الإمبراطور، لكن استطاع خليفته بروبوس (٢٧٦-٢٨٢م) صدهم في بداية حكمه بعد حملتين متتاليتين. ولمزيد من المعلومات عن البرابرة الجرمان راجع:

- Burns, Thomas: Barbarians within the Gates of Rome, Indiana University Press, 1994.

** - الفاندال (Vandals): هم أحد الشعوب البربرية القاطنة ما وراء الدانوب الأوسط وقدموا إلى هذه المنطقة من شمال أوروبا في نهاية القرن الثاني، وأدى استقرارهم في هذه المنطقة إلى ازدياد الضغط على حدود الإمبراطورية خلال القرن الثالث من قبلهم ومن قبل الشعوب الأخرى المجاورة لهم التي كانت تقطن المنطقة منذ ما قبل القرن الأول الميلادي، مثل الماركوماني (Marcomanni) والأيازيجيزي (Iazyges) والسرماتيين (Sarmati)، وبحلول عام ٢٦٠م بدأ اتحاد من الشعوب السيوبانية (Suebian) يطلقون على أنفسهم اسم الجوثونكي (Juthungi) باحداث تأثير مدمر على منطقة الدانوب الأوسط، حيث سببت الاجتياحات المتزامنة للفاندال والجوثونكي على هذه المنطقة إلى تقدمهم نحو شمال إيطاليا، وفي عهد أورليان تقدموا باتجاه وسط ايطاليا وهزموا هذا الإمبراطور واستمروا بالتقدم شمالاً دون مقاومة تذكر حتى أنهم هددوا روما نفسها، فاستولى الذعر على سكان روما لعد وجود قوة كبيرة تقف في وجههم، لكن الإمبراطور أورليان أعاد تجميع جيشه المشتت وهزمهم سنة ٢٧١م وفرض عليهم جزية، ثم بعد ذلك قام خليفته بروبوس بتطهير المنطقة منهم. ولمزيد من المعلومات عن القبائل الجرمانية القاطنة على الحدود الشمالية للإمبراطورية راجع كلاً من: ⇦

ارتدى جنود الحرس الإمبراطوري المشاة في بداية الإمبراطورية الدروع المصفحة المصنوعة من الصفائح، ولكن في عهد ماركوس أورليوس ارتدوا دروعاً صدرية حرشفية كان جنود الخيالة يرتدونها مسبقاً وكانت دروعاً مميزة لهم، وارتدوا أثناء مشاركتهم في القتال خوذاً دائرية، أما في العروض العسكرية فارتدوا الخوذ المزدانة في الريش، واستخدموا الأسلحة نفسها التي استخدمها جنود الفرق[1].

تهدف هذه المقدمة إلى إظهار الطبيعة الغريبة للأسلحة التي استخدمها الجنود الرومان، والتي كانت مشتقة ومقتبسة من الشعوب الأخرى انطلاقاً من السيف الأسباني (gladius) إلى الترس الغالي (scutum)، ومن القوس السوري إلى الدرع الصدري الأغريقي. إن انتقاء الرومان أفضلَ أسلحة الأمم والشعوب التي تغلبوا عليها وأخضعوها لسلطتهم، أسهم بشكل كبير في كفاءة جنود الفرق والوحدات المساعدة على السواء، ومثل الجيوش المحترفة كافة أجريت تحسينات نسبية بطيئة على تجهيزات الرومان، ولذلك يجب علينا ألا نتفاجأ عندما نجد أن معظم تجهيزاتهم اعتمدت اعتماداً كلياً على النسخ الأصلية لتجهيزات الشعوب المهزومة كما هو الحال في تجهيزات الفرسان، وبناء على ذلك سيقوم هذا الجزء من البحث بدراسة تجهيزات الجيش الروماني مع إيضاح أصلها والتعديلات التي طرأت عليها ودورها التكتيكي.

١ – الخوذ (Helmets):

منذ أواخر العصر الجمهوري ارتدى جنود الفرق المشاة خوذاً مشتقة في الأصل من التصاميم الغالية، وكان النمط الأكثر شيوعاً في العصر الجمهوري هو نموذج مونتي فورتينو(Monte fortino) (الشكل رقم ٣٨) والذي استخدم على الأقل منذ القرن الثالث قبل الميلاد[2]. في القرن الأول قبل الميلاد. وبشكل خاص أثناء حكم أغسطس ظهرت أول خوذة من نوع كولوس (Coolus) (الشكل رقم ٣٨) في الجيش الروماني، والتي كان تجويفها شبيهاً جداً بشكل الجمجمة الذي استوحاه الرومان من الغاليين. ولكن الطراز الروماني المأخوذ من الغاليين تم تحسينه بإضافة حافة ناتئة في منتصف المسافة بين مقدمة التجويف وقمته، وكان

Mommsen, Theodor: A History of Rome Under the Emperors, London & New York, Routledge, 1996, pp.236-237. ; Fields, Nic, Nic: The Walls of Rome, Osprey Publishing, 2008, pp.17-18. ; Watson, Alaric: Aurelian and the Third Century, London & New York, Routledge, pp.8-9.

(1) - Le Bohec: op.cit, p.125.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit,.p.122.

الهدف من وضع هذه الحافة هو صد الضربات الموجهة إلى القسم الأمامي من الجمجمة[١]. وعلى العموم تمثلت المزايا الأساسية للخوذ التي استعملت في القرن الأول الميلادي بتجويف وواقية عريضة للرقبة مقواة بعوارض وواقية لحواجب العينين وواقيات للخدود مثبتة بمفاصل (رزات). أيضاً بدأت الخوذ في هذه الفترة بامتلاك فتحات على جانبي التجويف من اجل الأذنين[٢].

معظم خوذ كولوس امتلكت عقدة في ذروة التجويف، وكذلك كان لها واقي رقبة أعرض من واقي الرقبة في خوذة مونتي فورتينو. في هذه الفترة كلا نوعي الخوذ (كولوس، مونتي فورتينو) أصبح له واقيات للخدود أعرض من نماذج سابقاتها من الخوذ، وذلك لتأمين حماية أكبر لجانبي الوجه، وربما تطورت هذه الواقيات عن نماذج الخود الحديدية الغالية مثل نوع (Agen) (الشكل رقم ٣٨)، وفي كلا نوعي الخوذ السابقة الذكر، والأنواع الأخرى في بداية الإمبراطورية صنع تجويف الخوذة وواقي الرقبة على شكل قطعة واحدة. وانتشرت خوذ كولوس بشكل كبير ولم ينتهِ القرن الأول قبل الميلاد حتى حلّت محلّ خوذة مونتي فورتينو[٣].

يمكن أن نجد مثالاً لخوذة كولوس من نوع (E) (الشكل رقم ٣٨) في المتحف البريطاني، حيث احتوت على رَزّة لتثبيت ريشة مصنوعة من شعر الحصان على قمة التجويف، وكذلك أنابيب برونزية رفيعة مثبتة على جانبي التجويف لتثبيت خصلة من الريش في كل واحدة من هذه الأنابيب. وفي النصف الأول من القرن الأول الميلادي تطورت واقيات الرقبة في خوذة كولوس لتصبح أكبر من سابقاتها، وساعد هذا التطور على ظهور نوع جديد من خوذ كولوس أطلق عليه نوع (G) أو (Haguenau)، واحتوى هذا النوع من الخوذ على واقي رقبة مسطح ونصف دائري تقريباً، وعلى تجويف بصليٍ (منتفخ) ورَزّة للريشة العلوية وأنابيب للريّش الجانبية[٤].

ساعدت النماذج من خوذ كولوس في النهاية على إنتاج الخوذ الإيطالية الإمبراطورية (Imperial Italic Type) (الشكل رقم ٣٨) والخوذ الغالية الإمبراطورية (Imperial Gallic Type) (الشكل رقم ٣٨) ، وفي منتصف القرن الأول الميلادي بدأت الورش في ايطاليا بإنتاج الخوذ الايطالية الإمبراطورية التي امتلكت حافة للأذنان، وتطورت هذه الحافة حتى

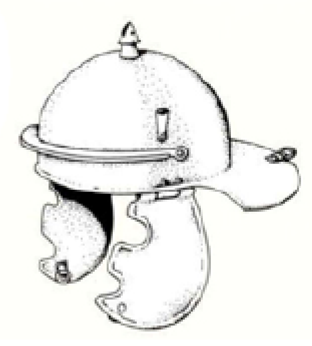
---

(1) - Simkins: op.cit, p.17.

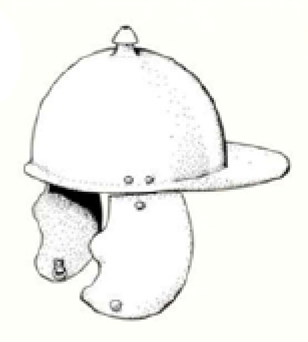
(2) - Bishop & Coulston: op.cit, p.93.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.122-123.

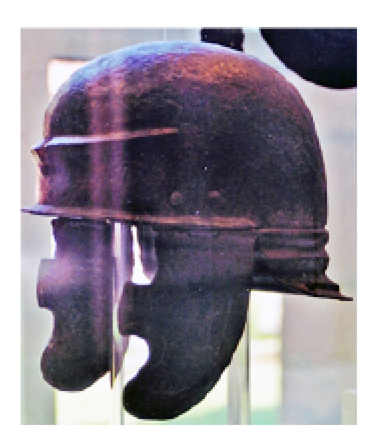
(4) - Simkins: op.cit, p.18.



خوذة من نوع Coolus التي كانت سائدة في
أوائل القرن الأول الميلادي



خوذة من نوع Montefortino التي كانت سائدة في
أواخر العصر الجمهوري وأوائل العصر الإمبراطوري



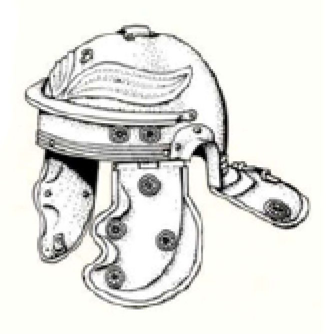
خوذة غالية (Gallic) من نوع Agen



خوذة من نوع Coolus E التي كانت سائدة أوائل القرن
الأول الميلادي. من المحتمل أن الجيش وزع هذه الخوذ على جنود
الوحدات المساعدة بعد ظهور الأنواع الإمبراطورية الأكثر تطوراً.



خوذة من نوع Imperial Italic التي كانت
سائدة في أوائل القرن الثاني الميلادي



خوذة من نوع Imperial Gallic التي كانت
سائدة في النصف الثاني من القرن الأول

الشكل رقم (٣٨)

أنواع الخوذ التي ارتداها جنود الفرق المشاة في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد

المصدر:

Simkins, Michael: The Roman Army from Caesar to Trajan, Osprey Publishing, 1984, p.29.

Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p.123.

أصبحت لاحقاً حاميات للأذن، ولم يعد يبرز واقي الرقبة بشكل كبير من مؤخرة الخوذة، فقد أصبح أخفض وأعمق وفي الوقت نفسه أعرض، وساعدت هذه الصفات التي امتلكها واقي الرقبة على حماية مؤخرة الرقبة والأكتاف أيضاً، وغالباً ما دُعمت مؤخرة الخوذة بصفوف من الأضلاع الحديدية وكانت مقدمة التجويف ملتصقة بالحافة الناتئة تماماً مثل نموذج كولوس، لكنه أصبح الآن أكثر ثخانة(١)، وبلغت ثخانة تجويف الخوذة الإيطالية الإمبراطورية بين (١,٢-٢ملم) وبلغ وزنها بين (٢-٢,٣كغ) تقريباً(٢).

تصنعت الخوذة الإمبراطورية الغالية عادة (Imperial Gallic) من الحديد، حيث كان التجويف يطرّق فوق قالب ويزود بزوج من الحواجب على مقدمته(٣)، وبدأ إنتاج الخوذ الحديدية في بلاد الغال قبل إخضاعها من قبل قيصر في منتصف القرن الأول قبل الميلاد، وبعد ضم بلاد الغال بدأت الخوذ الحديدية بالظهور في الفرق الرومانية، وكانت المصنوعة منها في بلاد الغال أفضل من نظيرتها المصنوعة في معامل إيطاليا، لأن صناعة الحديد أصعب بكثير من صناعة البرونز، وبالإضافة إلى أن التقنية كانت ما تزال جديدة على الصنّاع الإيطاليين(٤). الاختلافات الأساسية بين الخوذ الإيطالية الإمبراطورية والخوذ الغالية الإمبراطورية هي اختلافات شكلية فقط، حيث نجد أن الصفات المميزة للخوذة الغالية الإمبراطورية هي عقدة صغيرة في قمة التجويف وأنابيب على جانبيه لحمل الريش الجانبية، وحافة ناتئة مزودة بشريط من البرونز، وحواجب مرفوعة على مقدمة الخوذة، وإطار نحاسي على حوافها(٥).

في نهاية القرن الأول الميلادي كانت جهود الرومان مركزة لتقوية مقدمة الخوذة وأعلاها، ولذلك تم إضافة حزامين متصالبين من المعدن في أعلى الخوذة مشكلة بذلك صليباً فوق تجويفها (٦). وقد شكلت حماية أعلى الرأس أولوية قصوى عند الرومان، لأن هذه المنطقة المنطقة تبقى دائماً مكشوفة للعدو، ولذلك جعلوا الحافة الناتئة في مقدمة الخوذة والحزامين

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.123.

(2) - Cowan: op.cit, p.41.

(3) - Bishop & Coulston: op.cit, p.93.

(4) - Simkins: op.cit, p.19.

(5) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.123.

(6) - R. Dixon, Karen & Southern, Pat: The Roman Cavalry, Routledge New York, 1992, p. 35.

المتصالبين في قمة تجويفها، بقصد تقديم الحماية الكافية ضد الضربات الموجهة إلى رأس الجندي[١].

مما يثير الاهتمام أيضاً في هذه الفترة هو تطوير واقيات الرقبة، فقد أصبحت أعمق وأعرض لتؤمن حماية أكبر للرقبة والأكتاف، لأنه عندما يوجه العدو ضربة مباشرة إلى أعلى الخوذة قد يخطأ أو تنحرف الضربة للأسفل، لذلك كان لا بد من وجود واقيات تؤمن الحماية للجندي من هكذا ضربات. كل هذه الميزات التي تمتعت بها الخوذة الرومانية اختارها الرومان بعناية فائقة لتؤدي دوراً أمنياً وتكتيكاً في الوقت نفسه، إذْ نجد أن خوذة المشاة الرومان تركت مقدمة الوجه والأذنان مكشوفة، لأنه توجب على الجندي الروماني رؤية العدو وسماع وفهم الأوامر الموجهة إليه من قائده واتباعها [٢]، فكان للخوذ من نوع مونتي فورتينو واقيات خدود عريضة تغطي الأذن، ولكن عُدلت هذه الواقيات في النوع الغالي الإمبراطوري وأصبحت تحتوي على فتحات للأذنين[٣]. وتبين بعض الخوذ الرومانية الباقية حتى الآن آثاراً لبطانة داخل التجويف، فيجعل تجهيز الخوذة بهذا الشكل منها أكثر راحة وملائمة للجندي، ولذلك تساعد البطانة داخل التجويف في امتصاص الصدمة الناتجة عن ضربة موجهة إلى الرأس مباشرة، وبالإضافة إلى البطانة بدأت تظهر خلال القرن الأول الميلادي حمّالات الخوذ المثبتة في واقي الرقبة، وكانت عبارة عن حلقة دائرية صغيرة أو رزة[٤].

لا يوجد لدينا الكثير من الأمثلة عن الخوذ التي استخدمها جنود الفرق في القرن الثاني الميلادي، والنموذجان اللذان يعودان إلى النصف الأول من القرن الثاني هما خوذتان حديديتان عثر على إحداهما في هنغاريا والأخرى في كهف عند الخليل في فلسطين (الشكل رقم ٣٩). تحمل الخوذة التي عثر عليها في هنغاريا إشارات واضحة على أصول غالية، وذلك لوجود الحواجب المنقوشة بشكل نافر على مقدمتها، ولتثبيت الحافة الناتئة بشكل مرتفع فوق مقدمة الخوذة، ولكن التغيير الأبرز في تصميم هذه الخوذة مقارنة مع الخوذ الحديدية الرومانية والغالية الإمبراطورية الأقدم، يظهر في واقي الرقبة الذي أصبح أكبر، وثبت بزاوية أكثر انحداراً وأرفقت به زخارف على شكل عقد على جانبي الواقي. أما الخوذة الحديدية التي عثر

---

(1) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.13.

(2) - Fields, Nic, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), Osprey Publishing, 2009, pp.23-24.

(3) - Cowan: op.cit, p.42.

(4) - Bishop & Coulston: op.cit, p.93.

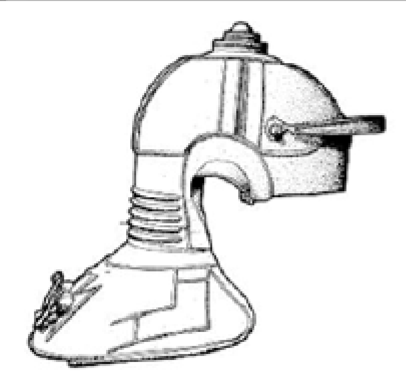
عليها عند الخليل فهي شديدة الاختلاف عن الخوذة التي عثر عليها في هنغاريا، ورغم ذلك لا يمكننا أن نجزم أنها أفضل أو أسوء من ناحية الصنع. وأبرز مزايا هذه الخوذة هي الدعامات الحديدية المتصالبة ذات القَطْعُ نصف الدائري والزخارف البرونزية الرقيقة التي لصقت بالتجويف، والتي أعطته منظراً زخرفياً جميلاً. لصقت صفيحة الجبين بالتجويف بوساطة شريطة حديدية وهذا يقوي المنطقة الضعيفة في حال لم توقف الحافة الناتئة الضربة. ولم تحتوِ قطع الخدود على حواف للرقبة ولم يكن شكلها فنياً أو مزخرفاً، أي على عكس الخوذ الغالية الإمبراطورية في القرن الأول الميلادي. وكان تجويف الخوذة أعلى من تجويف جميع الخوذ الأخرى، مما سمح للأنابيب التي تحمل الريش الجانبية بأن تلتصق بجانبي الخوذة وتبقى عمودية، أما واقي الرقبة فأصبح حجمه أصغر قليلاً وقدّم النموذج الأكثر شيوعاً للتدريجات عند قاعدة الرقبة[١].

شهد القرن الثالث الميلادي تغييرات كبيرة في تجهيزات الجيش، وبالرغم من ظهور أنواع جديدة من خوذ المشاة المتأثرة كثيراً بتصميم خوذ الخيالة، إلا أن الجيش استمر باستخدام نماذج من الخوذ الإيطالية الإمبراطورية من نوع (Imperial Italic H) في العقود الأولى من القرن الثالث، إذ تميزت هذه النماذج بتغطية الأذنين بشكل كامل، وتم ثني واقي الرقبة بشدة نحو الأسفل، وأطلق عليها Weisenau-Niedermormter و Niederbieber نسبةً إلى المناطق التي اكتشفت فيها، ومثّلت هذه الأنواع من الخوذ قمّة تطور الخوذ الرومانية، واستخدمتها كل من الفرق والوحدات المساعدة – الفرسان والمشاة – سواء في الغرب أو الشرق وبقيت قيد الاستعمال حتى الربع الأخير من القرن الثالث الميلادي، حيث ظهر نوع جديد من الخوذ أكثر انفتاحاً عند الوجه، ويعتبر نوع (Intercisa) (الشكل رقم ٣٩)– وهي مدينة رومانية على الدانوب وموجودة حالياً في هنغاريا – من أشهر هذه الأنواع. تميزت الطريقة الجديدة في صنع الخوذ بصناعتها من عدة قطع منفصلة، أي على عكس الطريقة التي كانت سائدة في القرنين السابقين، حيث كان يصنع تجويف الخوذة وواقي الرقبة من قطعة معدنية واحدة (أي جسم واحد)، بينما صُنعت الخوذة من نوع (Intercisa) من أربع قطع من الحديد، وكانت شائعة الاستخدام من قبل الجنود العاديين[٢].

---

[1] - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, Osprey Publishing, 1979, p.21.

[2] - Strobel, Karl: *Strategy and Army Structure between Septimius Severus and Constantine,* ACRA, Blackwell Publishing, 2007, p. 280.



خوذة من نوع Imperial Italic H وأيضاً
يطلق عليها اسم Niedrmormter



خوذة برونزية من نوع Niederbieber



خوذة مصنوعة من الحديد
من نوع Niederbieber



خوذة من نوع Niederbieber مصنوعة
من الحديد ومزودة بواقيات من النحاس,
وموجودة في متحف فرانكفورت الأثري



خوذة عثر عليها في الخليل في فلسطين
تعود إلى منتصف القرن الثاني الميلادي



خوذة من نوع Intercisa

الشكل رقم (٣٩)

الخوذ التي ارتداها الجنود الروماني منذ أواخر القرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث الميلاديين

المصدر:
www.romancoins.info/MilitaryEquipment
Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p.123,
Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, Osprey Publishing, 1979, P.35

وغالباً ما نسب الباحثون التجهيزات الأبسط والأقل زخرفة وإتقاناً في الصنع إلى الوحدات المساعدة، ويبدو هذا منطقياً ومقبولاً ظاهرياً على اعتبار أن جنود الوحدات المساعدة من الدرجة الأدنى، لكن مع ذلك لم يقدم الباحثين أي دليل قوي وجازم حول ذلك. فغالبية المشاة في الوحدات المساعدة ارتدوا خوذاً ودروعاً وحملوا تروساً وكانوا مجهزين برمح أو أكثر وسيف من نوع كلاوديوس[١]. لذلك يجب علينا أن نعالج مسألة تجهيزات الوحدات المساعدة بحذر وعناية كبيرتين.

لا يوجد عدد كبير من الأمثلة الباقية عن خوذ مشاة الوحدات المساعدة، وعلى ما يبدو أن الأمثلة الباقية حتى الآن عن هذه الخوذ لم تُصنع من الحديد، لأنه لم يتم تحديد أو تمييز خوذة حديدية خاصة بالوحدات المساعدة بين المكتشفات الأثرية في الوقت الحاضر. واستمر الرومان خلال القرن الثاني الميلادي باستخدام الخوذ البرونزية المصنعة في القرن الأول الميلادي، وربما استمروا في استخدامها طالما أنها بقيت صالحة للاستعمال. وقد عثر على خوذة جيدة وقوية في منطقة الراين وتحديداً عند مدينة ماينز (Mainz) ومازالت محافظة على شكلها وتفاصيلها (الشكل رقم ٤٠)، حيث يقول Simkins إن شكلها البسيط جداً هو ما جعلنا نتوقع أنه ارتداها جنود من الطبقة الأدنى. فتجويف هذه الخوذة عميق جداً لدرجة أنه الأكثر عمقاً بين جميع خوذ المشاة في القرن الأول، وواقي الرقبة كبير إلى حد ما وينحني باتجاه تجويفَي الأذنين، وصنعت الحافة الناتئة من صفيحة ثقيلة مُدّت إلى تجاويف الأذنين على الأطراف. ولا تحمل الخوذة علامات على تزويدها بسناد لتثبيت الريشة العلوية ولم تحمل علامات على وجود كلابات أو حلقات، لذلك يعتبر(Simkins) هذا دليلاً على النظرية القائلة بأن مشاة الوحدات المساعدة لم يضعوا ريشاً[٢].

ويظهر عمود تراجان جنود الوحدات المساعدة وهم يرتدون خوذ من النوع الذي ارتداه جنود الفرق وأخرى مخروطية الشكل لها من (٦–٨) أضلع للتقوية، وهذا النوع من الخوذ ارتداه النبالة الشرقيون، وأحياناً حلت قبعة مخروطية الشكل محل الخوذة، وأحياناً لم يرتدوا شيئاً على رؤوسهم[٣]. يقدم لنا تصويرُ جنود الوحدات المساعدة بهذا الشكل على عمود تراجان دليلاً كافياً وواضحاً على تسرّع الباحثين في الحكم على التجهيزات المكتشفة ونسب الرديء منها إلى الوحدات المساعدة.

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.136.

(2) - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, op.cit, pp.25-26.

(3) - Rosse: op.cit, pp.85-88.

على العموم إن خوذ النبّالة الشرقيين ميّزتهم عن باقي أصناف الجيش، ويبدو أن هؤلاء النبّالون استمروا بسحب تجهيزاتهم من الولايات الشرقية، لأنه لا يوجد دليل على أن الأقاليم الغربية زودت النبّالة الشرقيون بالخوذ المخروطية. هذا الافتراض قد يكون صحيحاً، لأن الرومان بذلوا جهوداً كبيرة للحفاظ على الهوية المرئية لجنود الوحدات المساعدة، وفي ذلك دعماً آخر لوجهة نظرنا القائلة بأن اختلاف تجهيزات الوحدات المساعدة ليس دليلاً على رداءة هذه التجهيزات، وإنما على الأرجح سبب هذا الاختلاف يعود لجهود الرومان الرامية إلى الحفاظ على الهوية المرئية لجنود الوحدات المساعدة[1].

عُثر على خوذتان في كلٍ من رومانيا وبلغاريا يعتقد الباحثون أنه ربما استخدمها النبّالة الشرقيون، كلتا الخوذتان فقدتا واقيات الرقبة، وعلى الأرجح صنعت واقيات الرقبة في هاتين الخوذتين من الحراشف أو من الأسلاك المعدنية المنسوجة معاً، وفي كلا الخوذتين ثبتت الحراشف أو الأسلاك على أساس قماشي أو جلدي رقيق. وكان شكل التجويف مخروطياً ويحمل زخارف نافرة وله واقيات للخدود، ولكن هذه الواقيات فُقدتْ ما عدا واحدة ما زالت موجودة في الخوذة البلغارية. وقد عكست تجهيزات الوحدات المساعدة هوية الوحدة، لأن الرومان حاولوا الحفاظ على هوية هذه الوحدات، ولذلك عند حاجة وحدة ما متمركزة بعيداً عن وطنها لخوذة أو درع جديد يقوم صناع الخوذ والدروع في المنطقة المتمركزة فيها الوحدة بصنع أو تقديم البدائل، ولذلك فإن هذا البديل سيفقد المظهر الأصلي. وكلتا الخوذتين السابقتين يدعمان هذه الفكرة، حيث نجد أن شكلهما الأصلي ليس رومانيا، لكن زخرفتهما من حيث الأسلوب والمحتوى روماني خالص[2]. وقد ظهر في القرن الثالث الميلادي أنواع جديدة من الخوذ تم الحديث عنها فيما سبق، واستخدمت هذه النماذج الجديدة والتي كان منها نوع (intercisa)، من قبل جنود الفرق والوحدات المساعدة على حد سواء.

أما خوذ الفرسان، فإنها تختلف اختلافاً كبيراً عن الخوذ التي كان يستخدمها المشاة في العديد من الأوجه الهامة. فكانت أذنا الفارس مغطاة بأكملها تقريباً من قبل واقيات الخدود، وبالرغم من أن هذه الطريقة تعيق سمع الفارس، إلا أن بعض الخوذ احتوت على ثقوب صغيرة في واقيات الخدود لحل هذه المشكلة. وعندما تلتحم سريتا فرسان مع بعضهما يحدث قتال صاخب ويقوم الفرسان بعمليات التفاف، ولذلك يصبح من السهولة مهاجمة الفرسان من الجانب أو المؤخرة، وفي هذه الحالة اعتبرت الحماية الإضافية للوجه أهم من فقدان جزء من

---

[1] - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, op.cit, pp. 26-27.

[2] - Ibid, p. 27. ; Bishop & Coulston: op.cit, p. 118.

السمع. وتمثّل الاختلاف الأكثر وضوحاً بين خوذ الفرسان والمشاة في واقيات الرقبة لدى الفرسان، حيث كانت هذه الواقيات ضيقة وعميقة، لأن واقيات الرقبة الناتئة والعريضة، تسبب كسر رقبة الفارس في حال سقط من على جواده[١]. ولكن في النواحي الأخرى كثيراً ما تشابهت خوذ الفرسان مع خوذ المشاة، وكما رأينا فيما سبق أنه في نهاية القرن الثالث وصل التشابه إلى حد ارتداء جميع القوات لنوع واحد من الخوذ. وربما ظهرت في النصف الأول من القرن الأول الميلادي الخوذة الحقيقية الأولى لسلاح الفرسان، والتي صنعت من الحديد وغطيت بطبقة من خليط النحاس وكان شكلها نافراً لكي تبدو أشبه بالشعر المنقوش، وغطت واقيات الخدود الأذنين كلياً وعادة زخرفت بأشكال ورسومات أسطورية نافرة[٢]، كما تألفت من تجويف وواقي رقبة عميق ومنحدر بشدة نحو الأكتاف، والمثال الوحيد عن هذه الخوذة يعود إلى النصف الثاني من القرن الأول الميلادي وموجود الآن في المتحف البريطاني[٣] (الشكل ٤٠).

والتغيير الأبرز في دروع الوحدات المساعدة خلال القرنين الأول والثاني الميلاديين يكمن في خوذ الفرسان، حيث شهد النصف الأول من القرن الثاني ظهور خوذ حديدية كبيرة وعميقة وفخمة، وزودت هذه الخوذة بدعامات برونزية متصالبة فوق تجويفها، وثُبتت هذه الدعامات على تجويف الخوذة بوساطة مسامير مخروطية حادة الرأس، و زاد شكل المسامير من المظهر المروع لهذه الخوذ[٤] (الشكل رقم ٤٠). وواقيات الخدود التي غطت الأذنين كما في القرن الأول، تداخلتا أمام الفك وثبتتا بوساطة خطاف بدلاً من الرباط الجلدي، والعمق الكبير لواقي الرقبة جعله يجلس على كتفي الفارس تقريباً، وقدّم تصميم واقي الرقبة بهذا الشكل حماية أفضل للفارس ضد الضربات الموجهة لمؤخرة العنق، وزُودتْ هذه الخوذة بحلقة للحمل كما في خوذ المشاة، وصنعت الخوذة كلياً من البرونز واستخدمت بالتزامن مع النوع المصنوع من الحديد، ذلك لأنه تم العثور على خوذة فرسان ميدانية حديدية تعود إلى منتصف القرن الثاني ميلادي. في أواخر القرن الثاني وبداية القرن الثالث ظهر نوع جديد من خوذ الفرسان تميز بالزخرفة الدقيقة وبكلفته الكبيرة التي فاقت تكلفة الأنواع السابقة، وربما شكّل هذا النوع من الخوذ دليلاً على تنامي أهمية وحدات الفرسان كقوة ضاربة سريعة الحركة أكثر

---

(1) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.24.

(2) - Bishop & Coulston: op.cit, p.96.

(3) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.20.

(4) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.12.

منها مجرد حراس لأجنحة الفرق. وقد عثر على مثال من هذه الخوذ في هولندا، حيث صنعت الخوذة من الحديد المغطى بطبقة رقيقة من البرونز نقش عليها نقوشاً بالغة الدقة بعضها نافرة وأخرى محفورة، واشتملت هذه النقوش على استخدام شكلاً من الريش استخدمته شعوب قبل ذلك في إقليم ثريس (حالياً بلغاريا)، ولذلك من الممكن أن الخوذ التي تحمل زخارف من هذا النوع استخدمتها وحدات فرسان جندت في الأصل من تلك المنطقة. بالإضافة إلى الريش حمل تجويف الخوذة زخارف تمثل أربعة أفاعي رؤوسها باتجاه الأعلى لتدعم المأبر الذي يحمل الريشة العلوية، والذي كانت قاعدته مربعة الشكل. فُقدت الحافة الناتئة من الخوذة، لكن الثلم عند قاعدة الأفعى الأمامية يؤكد وجودها في الأصل (الشكل رقم ٤٠)، ويبدو أن استعمال هذه الأنواع من الخوذ استمر حتى نهاية القرن الثالث، حيث ظهرت أنواع جديدة من الخوذ والتي كان منها نوع (Intercisa)، وهذه الأنواع تم الحديث عنها في سياق الحديث عن خوذ المشاة[1].

أخيراً هناك سؤال يطرح نفسه ويحتاج إلى إجابة. ما الهدف والغاية من وضع الريش فوق الخوذة؟ حتى الآن الإجابة على هذا السؤال غير واضحة، لأن المصادر الأدبية لم تتحدث عن ذلك الموضوع إلا مصادفة، والمكتشفات الأثرية لم تتوصل إلى نتيجة تتعلق بهذا الموضوع. وهناك العديد من الخوذ في القرن الأول الميلادي وما بعد زودت بسنادات لحمل الريشة المركزية، وبعض هذه الخوذ مثل طراز كولوس زودت بأنابيب على جانبي تجويف الخوذة لوضع الرِيّشْ الطويلة، لكن حتى الآن ليس واضحاً فيما إذا كانت هذه الرِيّشْ الطويلة ترمز إلى رتبة معينة كنائب قائد المائة (Optio) مثلاً، أو لفرقة معينة أو لوحدة معينة. يقول المؤرخ فيجيتيوس إن قادة المائة تميزوا عن الجنود العاديين بارتدائهم لريشة عرضانية عريضة. قد يكون هذا الكلام صحيحاً في أواخر العصر الجمهوري وبداية الإمبراطورية، لأنه على عمود تراجان والنصب المعاصرة له كانت الريش المستعرضة نادرة وكانت مرتبطة فقط بالعروض العسكرية وأيضاً وضع الدعامات المتصالبة القوية على أعلى تجويف الخوذة جعلت من المستحيل وضع ريشة مستعرضة بالطرق التقليدية[2].

على العموم إذا كان الهدف من وضع الريشة غير واضح، فإن وجودها بأشكال متنوعة في أعلى الخوذ لا بد وأنه رمز إلى نظام معين، وقد يكون هذا النظام خاصاً برتب الجيش،

---

(1) - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, op.cit, p.29.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.124-126.



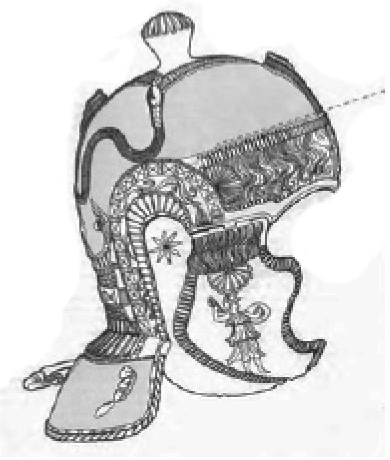
خوذة ارتداها جنود الوحدات المساعدة
المشاة في القرنين الأول والثاني الميلاديين



خوذة ارتداها جنود الوحدات المساعدة
المشاة في القرنين الأول والثاني الميلاديين



خوذة معادة التصنيع إعتماداً على المكتشفات الأثرية من Nijmegen و Leiden في بريطانيا وارتداها
فرسان الوحداة المساعدة في منتصف القرن الأول الميلادي, وهي موجودة الأن في المتحف البريطاني



خوذة ارتداها فرسان الوحدات المساعدة
في القرن الثالث وعثر عليها في هولندة.



خوذة معادة الصنع إعتماداً على الخوذة الأصلية
الموجودة الآن في متحف فرانكفورت الأثري وقد
ارتداها فرسان الوحدات المساعدة في منتصف
القرن الثاني الميلادي

الشكل رقم (٤٠)
الخوذ التي ارتداها جنود الوحدات المساعدة من الفرسان والمشاة

المصدر: Simkins:The Roman Army from Hadrian to Constantine, Osprey Publishing,1979, p.19, 21, 24
Simkins: The Roman Army from Caesar to Trojan, Osprey Publishing, 1981, p. 39.

وربما يكون خاصاً بفرق الجيش ووحداته لتمييزها عن بعضها، ولكن يبقى هذا الكلام مجرد فرضيات غير مؤكدة وتحتاج إلى إثبات.

٢ – الدروع الصدرية (lorica)

اهتم الرومان بسلامة جنودهم وحاولوا قدر الإمكان تأمين الحماية الكافية لهم، واعتبروا أن الدروع الصدرية من أهم الدروع الدفاعية التي تؤمن الحماية لجسد الجندي. لذلك دفعهم الاهتمام الكبير بسلامة جنودهم إلى استخدام وتطوير عدة أنواع من الدروع، حيث تميز كل نوع عن الآخر بصفات دفاعية مختلفة.

أ– الدرع الزردي (lorica Hamata) (الشكل رقم ٤١):

أقدم مثال عن هذا الدرع وجد في القبور الثيكية العائدة إلى القرن الخامس قبل الميلاد، ولكن لا يمكن اعتبار هؤلاء هم من صنع الدرع الزردي، لأنهم كانوا على شاكلة البدو الرحل، وهذا الدرع المتقدم يحتاج إلى مهارة كبيرة وأدوات متطورة لصنعه. والمثال الآخر على استعمال الدرع الزردي هو نقش لأحد الجنود المرتزقة من إقليم غالاتيا (Galatia) في وسط الأناضول يعود تاريخه إلى القرن الثالث أو الثاني قبل الميلاد، حيث يرتدي الجندي في هذا النقش درعاً زردياً قصيراً ومن دون أكمام. يقول المؤرخ ڤارو (Varo) إن الرومان تعلموا صنع الدرع الزردي من السلت الغاليين، وبالرغم من عدم وجود دليل يدحض كلام ڤارو، إلا أن السلتيين كانوا شعباً مبتكراً وخلاقاً وذا مهارة كبيرة في صناعة المعادن، وأخذ عنهم الرومان الكثير من تجهيزاتهم وعاداتهم، ولذلك ربما أنهم كانوا قادريين تماماً على إنجاز هكذا اختراع. والكلام نفسه ينطبق على شعوب الشرق الأوسط ومنهم الآشوريون الذين صنعوا خوذاً حديدية جميلة في القرنين السابع والثامن قبل الميلاد، ولذلك يمكن الافتراض أن التقنية المطلوبة لصنع الدرع الزردي كانت قد طورت في هذه



الشكل رقم (٤١)
الدرع الزردي
المصدر:
Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, Osprey Publishing, 1981, p.21.

المنطقة. وسواء كان أصل الدرع الزردي من غرب أوروبا، أو من الشـــرق الأوســـط، فـــإن الاكتشافات الأثرية دلت على أن صنعه يعود إلى القرن السادس قبل الميلاد[١].

وقد ارتدى غالبية جنود الجيش الروماني دروعاً زردية حامية للظهر والصدر خلال القرن الأول قبل الميلاد وبداية القرن الأول الميلادي، واستمر جنود الفرق والوحدات المساعدة باستخدام الدروع الزردية خلال القرن الأول الميلادي، وهذه حقيقة تعكسها المكتشفات الأثرية والنقوش، فقد أُعتقد حتى وقت قريب أن الدروع الزردية التي يرتديها الجنود المصورون على النقوش ما هي إلا دروع جلدية، لكن عُثر على شاهدة قبر لجندي من الفرقة الثامنة أوغسطا في ألمانيا عند منطقة ويزبادن (Wisebaden) تعود إلى الفترة الفلافية (٦٩-٩٨م)، وضَحت أن هذا الجندي قد ارتدى درعاً زردياً، ويؤكد ذلك نقوش نصب الدمقليسي التي تُظهر أن جنود الفرق استمروا باستخدامه في بعض الفرق خلال عهد تراجان[٢]. تألف الدرع الزردي من حلقات متلاصقة مع بعضها غالباً ما صنعت من الحديد أو البرونز، ونادراً ما صنعت من النحاس الرخيص، وكانت كلّ حلقة تربط بأربع حلقات مجاورة لها مشكلّة صفوفاً متلاصقة متّجهة من الأعلى إلى الأسفل [٣]، وكان ثخن الحلقة (١مم) وقطرها تقريباً (٧مم)، وعادة كانت كل حلقة تربط بأربعة حلقات أخرى[٤]، أما الدروع الزردية التي صُنعت من البرونز فكانت ممتازة وعالية الجودة، وكان قطر حلقاتها (٣مم). وقد استغرق الرومان حوالي مائة وثمانين ساعة في صنع أبسط أنواع الدروع الزردية التي كان يرتديها الجنود المساعدون، واحتوى كل درع منها على اثنين وعشرين ألف حلقة، وكان قطر كل حلقة قُرابة ٧مم[٥]. وكان الدرع الزردي مرن، وليس له شكل معين مما ساعد على ملاءمته للجندي بشكل أفضل من الأنواع الأخرى، وتميزت الدروع الزردية بطيات كتف مضاعفة لتقدم حماية أكبر لهذه المنطقة، وكذلك تميزت بامتدادها نحو الأسفل لتصل حتى الوركين، ويظهر غطاء الكتف في العديد من شواهد القبور العائدة للخيالة، والتي تُظهر بالإضافة إلى ذلك أن الفرسان كانوا يقصون الدرع الزردي بشكل طولاني من عند الوركين ليتمكنوا من الجلوس على الفرس. وارتدى الجنود حزاماً فوق الدرع الزردي لكي يساعد على

---

(1) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trojan, op.cit, p.14.

(2) - Bishop & Coulston: op.cit, p.85.

(3) – Dixon & Southern: op.cit, p.36.

(4) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.126.

(5) - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, op.cit, p.18.

توزيع وزن الدرع البالغ ما بين (١٢-١٥كغ) على كامل الجسم[١]، وفي حال لم يرتدِ الجندي حزاماً فإن ثقل الدرع سيتركز على الأكتاف، وبذلك سيكون هذا متعباً وغير مريح للفارس أو الجندي. وقد قدّم الدرع الزردي حماية كبيرة للجندي، ولكن كان بالإمكان اختراقه بطعنة قوية، أو بضربة سهم من مسافة قريبة، وكان للدرع الزردي علتان: تمثلت الأولى في ثقله، في حين تمثلت العلة الثانية في الوقت والجهد الكبيرين الذين تطلبهُما صنعه[٢].

هناك فرضية تقول بأن استعمال الدرع الزردي استمر بين جنود الفرق الشرقية لفترة طويلة بعد أول ظهور للدروع الحديدية المصفحة في نهاية النصف الأول من القرن الأول الميلادي، واستمر استعماله لبعض الوقت من قبل جنود الفرق الغربية بعد ظهور نوع جديد من الدروع المصفحة في أواخر القرن الأول الميلادي، وربما تكون هذه الفرضية صحيحة لسببين:

الأول: أن عملية إعادة تجهيز حوالي عشرون فرقة (باستثناء فرق الأقاليم الشرقية) لم تكن عملية تتم بين عشية وضحاها، فقد كان هناك العديد من المشاكل التي واجهت الرومان ونميل نحن اليوم إلى إغفالها، ومثال جيد عن هذه المشاكل هو إنتاج الصفائح الحديدية التي صنعت بوساطة المطرقة، والتي استغرقت وقتاً طويلاً في صنعها، ويبدو أن عامل الوقت كان ذا أهمية كبيرة لدى الرومان لدرجة أن أهميته تجاوزت أهمية عامل التمويل، لأن اقتصاد الإمبراطورية كان معتمداً بالدرجة الأولى على العبيد والعمال اليدويين الذين لم يكن من الصعب تأمينهم ولم تكن متطلباتهم كبيرة.

الثاني: بقيت التجهيزات العسكرية التي ما زالت قابلة للاستعمال مفيدة للرومان بغض النظر عن عمرها، ويدعم هذا الكلام النقوش على عمود تراجان، حيث يُظهر هذا العمود أن الدروع الأقدم (الزردية، الحرشفية) ما تزال في خدمة الفرق الرومانية الغربية أثناء الحملة الأولى على داسيا.

أما جنود الوحدات المساعدة فقد استمروا بارتداء الدروع الزردية خلال القرنين الثاني والثالث، وكان شكلها شكل الدروع الزردية نفسه في القرن الأول، باستثناء دروع الخيالة التي لم تعد تزود بطيات للأكتاف[٣]، وتميزت الدروع الزردية التي ارتداها جنود الوحدات

---

[1] - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.216.

[2] - Fields, Nic, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.25.

[3] - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, op.cit, p.18.

المساعدة بأنها أطول من الدروع الزردية التي ارتداها جنود الفرق[1]، ويظهر ذلك على عمود تراجان، حيث يصور جنود الوحدات المساعدة وهم يرتدون دروعاً زردية أطول من دروع الفرق، وأحياناً استبدل الدرع الزردي بالصدرية الجلدية البسيطة[2]. فقد عُثر في الدنمارك عند حصن فيموز (Vimose) على درع زردي كامل يعود إلى القرن الثالث، وكان هذا الدرع طويلاً يصل حتى الركبة وتصل أكمامه إلى المرفق وكان مصنوعاً من خليط معدني يُشكل النحاس تركيبه الأساسي، كما عثر في دورا يوروبوس على دروع زردية كاملة مشابهة لهذا الدرع تحت أنقاض النفق المنهار أسفل البرج رقم (١٩)، وربما يكون هؤلاء الجنود تابعين لأحد الوحدات المساعدة المشاة، وبذلك ربما يكون هذا دليلاً آخر يدعم النقوش الموجودة على عمود تراجان، والتي توضح أن الدروع الزردية التي ارتداها جنود الوحدات المساعدة كانت أطول من تلك التي ارتداها جنود الفرق[3].

ب- الدرع المحرشف (lorica squamata) (الشكل رقم ٤٢)

لم يستخدم جنود الفرق الدرع المحرشف بشكل كبير – كما توضح ذلك النقوش- مثل استخدامهم الدروع الزردية، باستثناء الفرسان وصفّ الضباط المشاة، وربما يعود ذلك إلى عدم قدرته الدفاعية الكبيرة، وعدم تمتعه بالمرونة كالدرع الزردي، إذْ لم تكن الدروع الحرشفية ثخينة بما يكفي لتتلقى ضربة قوية وتبقى سليمة، وكان من الممكن تمزيقها بسهولة نتيجة لطعنة من الأسفل باتجاه الأعلى من سيف أو رمح، ونتيجة لذلك كان الدرع المحرشف غير فعّال لفارس يقاتل مشاة مسلحين برماح[4]، لكن وفقاً لبيشوب وكولستون (Bishop & Coulston) ارتدى جنود الفرق والوحدات المساعدة (مشاة، خيالة) الدرع المحرشف خلال القرن الأول، ويتابعون قولهم بأن المكتشفات الأثرية توضح –على عكس الأدلة النقشية (مثل شواهد القبور)- أن هذا النوع من الدروع كان مستخدماً بشكل كبير من قبل الجنود الرومان[5].

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.136.

(2) - Rosse: op.cit, p.85.

(3) - Bishop & Coulston: op.cit, p.141.

(4) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.14.

(5) - Bishop & Coulston: op.cit, p.85.

غالباً ما صنعت حراشف هذا الدرع من النحاس الرخيص ونادراً ما صنعت من الحديد، وكانت تطلى الحراشف المصنوعة من النحاس الرخيص بالقصدير لإعطاء الدرع لمعة فضية[١]، وربما كان السبب وراء استخدامه هو القدرة على تلميعه (حيث أن



الشكل رقم (٤٢)
الدرع المحرشف
المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p.128

تلميعه أغرى الجنود بارتدائه، لأنه يعطي منظراً باهراً وجذاباً)[٢] وسهولة صنعه وإصلاحه وكلفته الرخيصة مقارنة مع الدروع الزردية[٣]. إذْ لم يتطلب صنعه الكثيرة من المهارة، لأنّه كان من السهل صنع الحراشف وتثبيتها فوق بِطانة من الجلد أو الكتّان، وهذه العملية تطلّبت صبراً أكثر منه اتقاناً [٤]. ومثل الدروع الزردية، احتوت الدروع الحرشفية على طيّة فوق الكتف لتقدم حماية إضافية لهذه المنطقة، واختلف وتنوع حجم الحراشف من درع إلى آخر، ومع ذلك معظم هذه الحراشف كانت صغيرة نسبياً، حيث بلغ طولها بين (١-٥) سم ولم تكن عريضة. وقد تمثلت طريقة صنع الدرع المحرشف في تركيب وتشبيك الحراشف، إذ يتم تثبيتها معاً على شكل صفوف أفقية بوساطة شرائط معدنية لينة تدخل في الفتحات الجانبية لكل حرشفة، وبعد ذلك تثبت الصفوف فوق قاعدة من الكتان الخشن (أحياناً تتألف من جلد رقيق) بوساطة خيوط تدخل من فتحات الحراشف إلى طبقة الكتان، وصُمم كل صف لتغطية الصف الواقع أسفله بثلث أو نصف ارتفاع الحراشف، أي بما يكفي لتغطية القطب سريعة العطب، وتكمن قوة هذا الدرع في تداخل الحراشف التي ساعدت على توزيع قوة الضربة، وكذلك في سطحه الأملس الذي ساعد على انحراف الضربة[٥].

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.127.

(2) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.216.

(3) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.15.

(4) – Dixon, & Southern: op.cit, p. 38.

(5) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.25.

استمر وجود الدروع الحرشفية خلال القرن الثاني، وبقيت في الاستخدام من قبل جنود الفرق حتى ظهور الدرع المصفح من نوع نيوزيتد (Newstead) وانتشاره في منتصف القرن الثاني الميلادي، وكذلك بقيت بنية الدروع الحرشفية خلال القرن الثاني كما كانت في القرن الأول، ولكن اختلف حجم الحراشف ليس من ناحية صغر حجمها فقط، وإنما من ناحية نسبة طولها إلى عرضها فأصبحت تبدو طويلة ونحيفة[١].

وقد ظهر خلال القرن الثالث نوع جديد من الدروع الحرشفية لم يتطلب قاعدة قماشية أو جلدية، وكانت صفوف حراشفه تربط معاً بوساطة شرائط معدنية لينة بشكل عمودي بدلاً من الشكل الأفقي. وقد قدمت هذه الطريقة الجديدة في ربط الحراشف حماية كبيرة للجندي وخصوصاً الفارس، لأن الربط الأفقي للحراشف في النوع الأقدم يمكن اختراقه بسهولة من خلال ضربة باتجاه الأعلى، وهذا شكل خطراً كبيراً على فارس يقاتل جنود مشاة، أما الآن أصبحت حراشف الدرع تربط معاً بشكل عمودي وبمتانة، لذلك فإنها أصبحت مغلقة ولا تسمح لأي ضربة باختراقها[٢].

جـ- الدرع المصفح (lorica segmentata) (الشكل رقم ٤٣):

كان هذا النوع من الدروع مرناً جداً وأكثر ارتباطاً بالرومان، لأنه يمثل أول دفاعات حديدية صنعها الرومان. اكتشف جزء من هذا الدرع أثناء التنقيب في كالكريز (Kalkriese) وهو موقع المعركة التي ُهزم فيها جيش فاروس في غابة تيوتنبرغ عام ٩م، واكتشاف أجزاء منه في هذا الوقت دفع الباحثين والمؤرخين إلى إرجاع البدء في استخدامه إلى حوالي نصف قرن سابقة لتاريخ كارثة فاروس، وبقيت الدروع المصفحة تستخدم حتى القرن الثالث، فقد قل استخدامها وبعد ذلك تم التخلي عنها. وقد تألف هذا الدرع من سلسلة من الصفائح الحديدية المربوطة معاً بشرائط جلدية من الداخل، وقدم حماية جيدةً للأكتاف مثله مثل الأنواع الأخرى من الدروع، فقد أظهرت الصفائح الكتفية صدر الجندي وكتفيه عريضين، وهذا ما جعل من الجندي أكثر تأثيراً في نفوس الأعداء[٣].

---

[1] - Bishop & Coulston: op.cit, p.115.

[2] - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, op.cit, p.20.

[3] - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.216.



الدرع المصفح





الدرع المصفح من نوع Newstead

الشكل رقم (٤٣)

المصدر: Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, Osprey Publishing, 1979, p. 19.
Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, Osprey Publishing, 1981, p.21, 27

ولا يبدو أن الصفائح الحديدية تم تقسيتها بواسطة التطريق، وربما لم يتم ذلك حتى يمتص المعدن الطري الضربة بتشتيت قوتها، حيث أثبتت الاختبارات الحديثة فعالية الدرع المصفح، فكان يحرف أو يوقف معظم الضربات الموجهة من السهام أو الرماح. وقد بلغ وزن الدرع المصفح حوالي ٩كغ، وهذا الوزن يختلف من درع إلى آخر بحسب سماكة الصفائح. وبالرغم من أن الدروع المصفحة كانت أفضل من الدروع الزردية من ناحية الوزن والصنع والصيانة، إلا أن شكله جعل ارتدائه أقل راحة لأنه يحد من التنفس العميق، وتألف هذا الدرع من حوالي أربعين صفيحة مصنوعة من الحديد ومنحنية ومتراكبة أفقياً بواسطة شرائط داخلية، وكان مزوداً بمفاصل وأبازيم عند الظهر لتثبيته على الجسم عند ارتدائه[١]، وتمت تقويته بزوج من قطع الأكتاف وصفائح خلفية وأمامية تحت الرقبة يوضع عليها وشاح لمنع إصابة الذقن[٢].

ومن سلبيات الدرع المصفح عدم توفير حماية للفخذين وأعلى الذراعين، وكذلك تصميمها المعقد بسبب العدد الكبير من الصفائح المربوطة مع بعضها بأبازيم نحاسية ومفصال وكلابات وأحزمة جلدية داخلية، كل هذه أدت إلى مشاكل في الصيانة، لأن هذه الملحقات

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.128-129.

(2) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.2.

البرونزية والنحاسية الضعيفة أو سيئة الصنع غالباً ما تتكسرت وتنفصلت بسهولة كبيرة فتجبرت جنود الفرق على القيام بالكثير من الصيانة، وربما هذا ما يفسر تخلي الرومان عنها نهائياً خلال القرن الثالث الميلادي. وقد شكل الدرع المصفح النوع الأكثر تقدماً بين الدروع، وربما استخدم حصرياً من قبل جنود الفرق، إذ لا يوجد دليل قاطع على أن الوحدات المساعدة استخدمته، باستثناء وحدات الفرسان المدرعة التي أنشأها تراجان في القرن الأول الميلادي، فقد كان فرسان هذه الوحدات يرتدون دروعاً مصفحة وأحياناً حرشفية تغطي كلاً من الفارس والفرس[١].

وفي نهاية القرن الأول الميلادي طور الرومان نوعا جديدا من الدروع المصفحة أطلق عليها الباحثون المعاصرون اسم نيوزتيد (Newsteat)، وهو الاسم الحديث لمنطقة تريمونيتوم في اسكتلندا، حيث وجدت في هذه المنطقة أجزاء مكسرة من هذا الدرع. وقد تميز نوع نيوزتيد بفاعليته وقوته، وكان خالياً من جميع الملحقات التي تتكسر بسهولة ولم تكن ضرورية، حيث أصبحت صفيحات الكتف تثبت معاً بمسامير برشام، وأصبحت الصفائح الصدرية أكبر من ذي قبل، وتم ربطها معاً بالطريقة نفسها التي اُتبعت لربط الحراشف والحلقات الزردية في الدروع الزردية والحرشفية التي تم الحديث عنها[٢]، وشكل هذا النوع غالبية الدروع الموجودة على عمود تراجان، وهذا ما يرجح أنه ظهر في أواخر القرن الأول الميلادي، وربما انتشر وشاع استخدامه في منتصف القرن الثاني. ونعرف من خلال الأشكال النحتية أنه كان هناك نوع آخر

من الدروع المصفحة، وربما تطور في الوقت نفسه الذي تطور فيه نوع نيوزتيد أو بعده بقليل. إلا أن الاختلاف الرئيسي بينه وبين نوع نيوزتيد هو أن الصفائح الصدرية والخلفية العلوية كانت غير مرنة ومصممة بطريقة الحزام نفسها [٣].

ارتدى الجنود الرومان كل أنواع الدروع وفي كل المراحل فوق كساء مبطن وطري، ولم يرتدوها فوق التونك مباشرة، ولكن لم يعرف الكثير عن هذه البطانة، لأنها كانت مصنوعة من أنسجة سريعة التلف، بالإضافة إلى جعلها الجندي أكثر راحة أثناء ارتدائه الدرع، فإن هذه البطانة أكملت الغاية الدفاعية لكل نوع من أنواع الدروع، حيث ساعدت في

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.136,138.

[2] - Bishop & Coulston: op.cit, p.115.

[3] - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, op.cit, p.17.

امتصاص قوة الضربة الموجهة إلى الدرع من الخارج[1]. وبعض الدروع زودت بصف من الشرائط الجلدية المتدلية للأسفل حتى طرف التونك تقريباً وكان الهدف منها حماية أسفل الجسم والفخذين، وأحياناً ارتدى الجنود طبقة إضافية مصنوعة من الجلد للوقاية من الأمطار، وربما ارتدوها بين البطانة والدرع وأحياناً فوق الدرع للحماية من الطقس[2].

٣- ترس جنود الفرق (scutum): (الشكل رقم ٤٤)

يُعتقد أن ترس جنود الفرق (scutum) ذو أصل سلتي، واشتق من الترس البيضاوي المسطح المصنوع من طبقة واحدة من رقائق الخشب الملصقة معاً، وبالرغم من أن ترس جنود الفرق بقي ترساً جسدياً طويلاً وشبه أسطواني، إلا أنه أصبح الآن يتألف من طبقات عدة مصنوعة من رقائق الخشب الملصقة معاً. وقد حمل جنود الفرق قبل إصلاحات ماريوس تروساً بيضاوية، أطرافها الأربعة مقوسة، حيث بقيت هذه التروس تستخدم من قبل الفرق وربما الحرس الإمبراطوري حتى بداية الإمبراطورية، ومع ذلك في بداية القرن الأول قبل الميلاد حمل معظمهم تروساً مستطيلة، ولكن لم يكن هناك قاعدة ثابتة في صناعة أطرافها[3]، فكانت أحياناً الأطراف الجانبية مقوسة وأحياناً أخرى عكس ذلك والكلام نفسه ينطبق على الأطراف العلوية والسفلية[4]. ربما شهد النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد أولى مراحل تغيير ترس جنود الفرق إلى الشكل شبه الأسطواني، ولم يعد هناك أطراف مقوسة، وإنما أصبحت الأطراف مستقيمة. وفي نهاية القرن الأول قبل الميلاد أو بعد ذلك بفترة قصيرة أصبح اللوح الخشبي الذي يصنع منه الترس أخف، وهو ما دفع الرومان إلى وضع مقويات تأخذ شكل زاوية قائمة (لـــــا) على زوايا الجانب الأمامي للترس[5].

إذاً خلال معظم فترة الجمهورية وبداية الإمبراطورية، كانت أغلب التروس المستخدمة في الفرق تروساً بيضاوية، وحسب بوليبيوس بلغ طول ترس جنود الفرق ١٢٠سم وعرضه ٧٥سم، وكان مصنوعاً من طبقتين من الخشب لصقتا مع بعضهما، وغطى السطح الخارجي للترس غطاء قماشي وفوقه غطاء جلدي، وزودت الأطراف العلوية والسفلية بحاشية معدنية، ويوجد في مركزه عقدة حديدية قوية لحرف القذائف وضربات الأسلحة. وقد اكتُشفَ في قصر

---

(1) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.24.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.129

(3) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.22.

(4) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.129.

(5) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.23.

الحريت في مصر ترساً يشبه إلى حد كبير التروس المستخدمة في عصر قيصر يُعرف بترس فيوم (Fayum)، ويعتبر هذا الترس المثال الوحيد والأقدم عن ترس جنود الفرق. ويطابق ترس قصر الحريت وصف بوليبيوس، إذ بلغ طوله ١٢٨ سم وعرضه ٦٣,٥ سم، وتألف من ثلاث طبقات خشبية كانت الوسطى منها عمودية، في حين كانت الطبقات الأخرى أفقية وأضيق من الطبقة الوسطى، ولصقت هذه الطبقات الثلاثة معاً بمادة لاصقة وغطيت بطبقة من صوف الخراف، وربما كانت الطبقة الصوفية بديلاً لطبقة القماش التي تغطي الترس، وربما غطي ترس قصر الحريت بطبقة جلدية رقيقة فوق الطبقة الصوفية مثل معظم التروس البيضاوية في ذلك الوقت، ولكنها أزيلت لاحقاً بعد اهترائها وتلفها نتيجة العوامل الجوية. وقد بلغت ثخانة الترس عند الحواف ١ سم وفي الوسط ١,٢سم، واحتوى على عقدة خشبية وعمود فقري خشبي[1].



الشكل (٤٤)

الترس المقوّس (الأسطواني) الذي استخدمه جنود الفرق خلال الفترة الإمبراطورية

المصدر: Fields, Nic: The Roman Army of the Principate, Osprey Publishing, 2009, p. 26, 27

وأثناء عهد أغسطس تم تعديل شكل الترس وأصبح في النهاية لوحاً مستطيل الشكل ومقوس، وبالرغم من أنه لا يوجد مثال عن ترس جنود الفرق خلال القرنين الأول والثاني بعد الميلاد، إلا أن نقشاً من منطقة غيتا (Gaeta) في إيطاليا يبين أن الترس المستطيل المقوس استخدمه الرومان سنة ١٠ ق.م، وكذلك يبين هذا إحدى العملات العائدة إلى نفس الفترة والموقع، والتي تُظهر جنوداً من الحرس الإمبراطوري يحملونه، ولذلك من الواضح أن استخدامه أصبح شائعاً قبل احتلال بريطانيا سنة ٤٣م، ومع ذلك لم يكن هذا الترس هو الترس الوحيد المستخدم من قبل الفرق الرومانية، لأنه عُثر قرب ماينز (Mainz) في ألمانيا على شواهد قبور تعود إلى الفترة الواقعة قبل عام ٤٣م، والتي تظهر جنوداً من الفرقة الرابعة

---

[1] - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.209.

عشر جمينا يحملون تروساً بيضاوية، ومما تقدم نستطيع القول بأنه بحلول أواخر القرن الأول الميلادي أصبح هذا الترس ترساً نموذجياً مستخدماً من قبل الفرق والحرس الإمبراطوري فحسب، حيث لا تبين النقوش أن جنوداً من الوحدات المساعدة كانوا يحملونه[١].

وقد عثر على ترس مستطيل شبه أسطواني وحالته جيدة من بقايا القرن الثالث الميلادي في دورا يوروبوس تألف من ثلاث طبقات خشبية، وكل طبقة كانت مصنوعة من مجموعة من رقائق الخشب الملصقة معاً بالغراء، و دُعّمَ الجانب الخلفي لهذا الترس بدعامات خشبية عملت كمقويات للترس، وغطي كلا جانبي الترس (الأمامي، الخلفي) بطبقة من جلد الماعز المصبوغة بالأحمر، وبلغ طول الترس ١٠٢سم وعرضه ٨٣ سم، ولم يكن له عقدة وإنما احتوى على قبضة خشبية أفقية سماكتها ٢.٥سم مثبتة في مكانها ومربوطة بجلد لتقويتها[٢]. لم يكن لهذا الترس حاشية معدنية وإنما تم استبدالها بحاشية جلدية خيطت على الأطراف، وربما مثلت هذه الحاشية النموذج الأقل كلفة على عكس الحاشية الحديدية أو البرونزية التي كانت شائعة خلال القرنين السابقين. وبلغت ثخانة ترس دورا يوروبوس ٥ سم، وكان ذا سماكة موحدة على عكس ترس قصر الحريت، وربما هذا يشير إلى أن تروس الفرق في بداية الإمبراطورية كان وسطها أسمك من حوافها. وقد بلغ وزن ترس دورا يوروبوس – بعد إعادة ترميمه، وبعد إضافة عقدة وحاشية من المعدن– حوالي ٥.٥ كغ، ويعتبر وزن هذا الترس أخف من وزن ترس قصر الحريت الضخم الذي بلغ وزنه بعد إعادة تركيبه حوالي ١٠ كغ، وربما لهذا السبب حلّ ترس جنود الفرق شبه الأسطواني محلّ الترس الجمهوري البيضاوي الأكبر[٣].

وبالرغم من أنه لا توجد أمثلة عن تروس تعود إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين، إلا أنه يمكننا أن نستنتج من خلال التروس التي عُثر عليها – في قصر الحريت في مصر ودورا يوروبوس في سورية – بأن ترس جنود الفرق المقوس كان يصنع من ثلاث طبقات خشبية رقيقة، وهو أسمك في المنتصف منه عند الأطراف، وله قبضة أفقية في وسطه من الداخل، وامتلك بالمقابل من الجهة الخارجية عجرة حديدية، وربما تنوع حجمه لكن على الأغلب كان يغطي المنطقة بين الركبة والكتف، وكان له حواف نحاسية، وربما ثبتت الطبقات

---

(1) - Bishop & Coulston: op.cit, pp.81-82.

(2) - Cowan, op.cit, p.26.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.128-129.

الخشبية مع بعضها بمسامير نحاسية أيضاً، بالإضافة إلى هذا كان الجانب الخلفي من الترس مقوّى بعوارض حديدية مثبتة بمسامير لتدعيم القبضة وتقويتها [١].

قدم ترس جنود الفرق (scutum) حماية جيدة للمقاتل، وكان أخفّ عند حمله في المعركة والمسير، لذلك من الممكن أن تبنيه كان نتيجة مباشرة للجيش المحترف الذي أوجب على الجندي أن يحمل معظم تجهيزاته بنفسه، وشكل الترس أهم قطعة بين التجهيزات الدفاعية، ولكن بالوقت نفسه كان سلاحاً هجومياً، فقد كان الجنود الرومان يضربون خصومهم بالتروس لإفقادهم التوازن ثم يطعنوهم بالسيف. يُظهر نصب الدمقليسي جندياً فرقياً يلكم وجه خصمه بعقدة الترس ويطعنه بالسيف في معدته، وساعد كلاً من ثخنه ووزن الترس الروماني بجعله أكثر فاعلية كسلاح هجومي، وأيضاً أعطياه قدرة أكبر على إيقاف ضربات العدو، لكن هكذا ترس كان من الصعوبة تحريكه بسرعة لتفادي هجوم العدو. وغالباً ما كان الجندي يحمل الترس أمامه بشكل عمودي، ويقف خلفه بانحناءة يسيرة، وساقه اليسرى باتجاه العدو وجانبه الأيمن منحرف، وهذه الطريقة في القتال مصورة على عمود تراجان ومنحوتات الدمقليسي وبعض النقوش الأخرى. وغطى الترس جذع الجندي وأعلى ساقيه وأسفل وجهه، وحمت الخوذة النصف الأعلى من الرأس، وغطت قطع الخدود معظم الوجه، وكانت الأجزاء الوحيدة المكشوفة للعدو هي الساقين وخصوصاً اليسرى، والذراع اليمنى، وأجزاء من الوجه. وهذه الحماية شبه الكاملة للجندي جعلت من الترس أهم قطعة دفاعية، وبالإضافة إلى المساحة التي يحميها الترس فإنه كان من الصعب اختراقه، وفي حال اختراقه توجد خلفه الحماية التي يقدمها الدرع الجسدي، وبذلك يكون الجندي قد حصل على الحماية الكاملة التي شكّل الترس العنصر الأهم بها[٢]. وبقي ترس جنود الفرق يشكل الترس الأساسي للفرق حتى نهاية فترة الإمبراطورية حيث استبدل بأنواع دائرية كبيرة[٣].

٤ – ترس جنود الوحدات المساعدة (clipeus): (الشكل رقم ٤٥)

يعتمد التمييز بين تجهيزات نصفي الجيش بالدرجة الأولى على تصوير الجنود في النصب التذكارية والجنائزية، فقد اهتم الرومان بالتمييز الواضح بين جنود الفرق وجنود الوحدات المساعدة خلال تصويرهم على عمود تراجان، فصوروا جنود الفرق وهم يرتدون

---

(1) - Bishop & Coulston: op.cit, p.82.

(2) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200),op.cit, p.211,218.

(3) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.23.

الدروع المصفحة ويحملون التروس المستطيلة المنحنية، في حين يظهر جنود الوحدات المساعدة وهم يرتدون دروعاً زردية طويلة، وغالباً ما يرتدون البناطيل القصيرة ويحملون تروساً بيضاوية مسطحة[١]. ولا يوجد دليل قاطع على أن جنود الوحدات المساعدة ارتدوا دروعاً مصفحة أو أنهم استخدموا الترس شبه الأسطواني، باستثناء عدد قليل من الوحدات التي كانت تدعى (scutata)، فقد حمل جنود هذه الوحدات الحراب والرماح وارتدوا الدروع الزردية وربما المحرشفة، وكانت تروسهم المسطحة مستطيلة الشكل وأحياناً سداسية بدلاً منها بيضاوية[٢]. وغالباً ما ترتبط التروس البيضاوية بالوحدات المساعدة (كما في نقوش نصب الدمقليسي)، في حين حمل حاملوا الرايات وبعض الأخصائيين الآخرين تروساً مدورة صغيرة يمكن وضعها تحت الذراع، وهذا ما توضحه النقوش على عمود تراجان، وكذلك يوضح هذا الأدلة الأثرية التي عُثر عليها في حصن فورد (Castle Ford) في بريطانيا، فقد تم العثور على أغطية جلدية لهذه التروس تعود إلى أواخر القرن الأول الميلادي[٣].



الشكل رقم (٤٥)

الترس البيضاوي الذي استخدمه مشاة وفرسان الوحدات المساعدة خلال الفترة الإمبراطورية

المصدر: Fields, Nic: The Roman Army of the Principate, Osprey Publishing, 2009, p. 26, 27

استخدم الفرسان المساعدون تروساً مسطحة (Clipeus) ومتنوعة الأشكال كتلك التي استخدمها أقرانهم المشاة، وكانت معظم التروس التي استخدموها بيضاوية، لكن بعض وحدات الفرسان استخدمت التروس المستطيلة، في حين أن وحدات أخرى بما في ذلك الفرسان الذين دعموا الحرس الإمبراطوري حملوا تروساً سداسية [٤]. وقد صُنعت تروس الفرسان من طبقتين أو ثلاث طبقات من رقائق الخشب لتكون خفيفة بما يكفي لحملها في المعركة، ولصقت مع بعضها بوساطة غراء بحيث تشكل

---

(1) - Rosse: op.cit, pp.84-85.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.136, 138.

(3) - Bishop & Coulston: op.cit, p.82.

(4) - Dixon, & Southern: op.cit, p. 40.

الطبقة الوسطى زاوية قائمة بالنسبة للطبقات الأخرى، وغُطي وجها الترس بالكتان والجلد الخام وزودت حوافه بحاشية مصنوعة من خليط النحاس، وكان له عُجرة في المنتصف مصنوعة من خليط النحاس أيضاً تغطي قبضة أفقية مقابلة لها من جهة الداخل، ويُحمل الترس على جانبي الحصان في أوقات السلم من خلال تعليقه بقرني السرج[(١)].

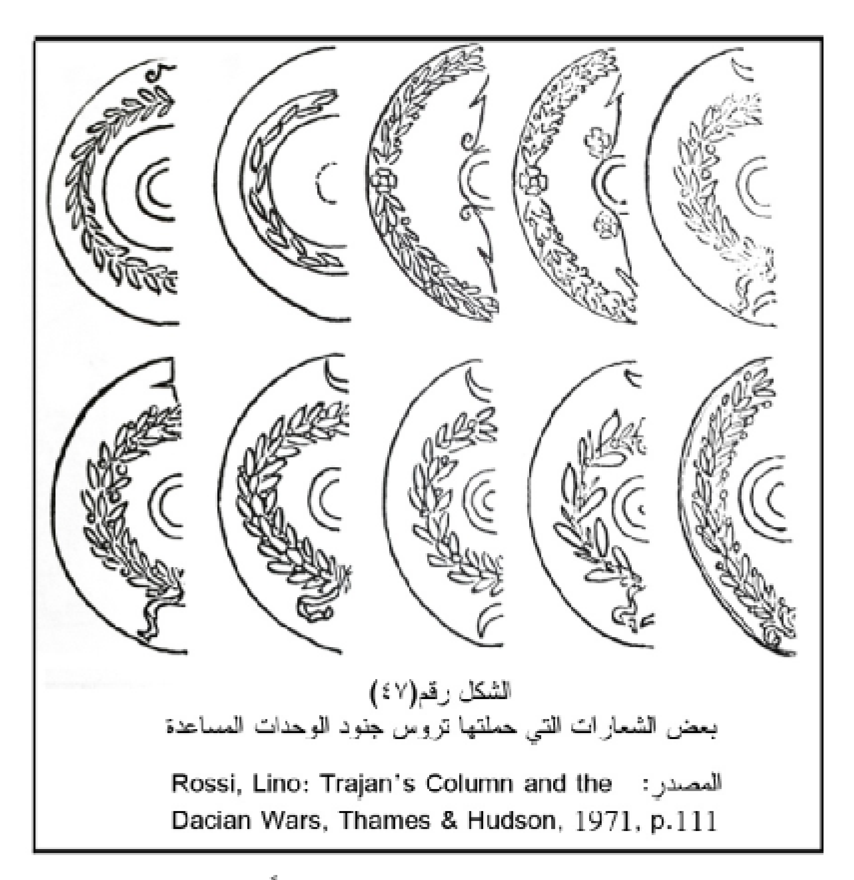
تم العثور على ترس مسطح يعود للقرن الأول الميلادي خلال التنقيبات في أحد الحصون الرومانية في بريطانيا، وربما استخدم هذا الترس من قبل الوحدات المساعدة وعلى الأخص الفرسان، إذ بلغ طوله أكثرمن ١٢٥سم وعرضه ٦٤سم، وكانت أطرافه الجانبية مستقيمة، في حين أن الجانبين العلوي والسفلي كانا مقوسين. تألف الترس من ثلاث طبقات من الخشب مغطاة بجلد رقيق، وكانت قبضة هذا الترس عمودية على خلاف قبضات التروس الأخرى، وبلغ وزنه بعد إعادة تركيبه نحو ٩ كغ، وارتكزت عقدة الترس فوق منتصفه بقليل، ومما يجعل النصف السفلي للترس ينحني باتجاه رجلي الجندي، وربما هذه العملية كانت مفيدة لرجل على ظهر فرس. أمّا بالنسبة للتروس البيضاوية ذات التصميم الأسهل والمصنوعة من طبقة واحدة من رقائق الخشب الملصقة معاً، فتم العثور عليها في دورا يوروبوس مع مخلفات القرن الثالث الميلادي، ووجود هذه التروس خلال الفترة المتأخرة من الإمبراطورية يجعلنا نفترض أن الوحدات المساعدة استمرت باستعمال هذه التروس من بداية الإمبراطورية وحتى نهايتها[(٢)].

قبل أن نختم الحديث عن التروس لا بد لنا من التطرق إلى الشعارات والرموز الموجودة على هذه التروس، فقد كانت مقدمة الترس تُزين بشعار الوحدة أو الفرقة على شكل رسمة غالباً ما كانت متقنة ومحكمة الصنع، حيث نجد أن جميع التروس على عمود تراجان نقشت موجهة باتجاه الناظر لتظهر شعاراتها كشعارات حقيقية ولتسهِّل التعرف على الوحدات. يمكن تصنيف الشعارات الموجودة على أنواع التروس كافة إلى نوعين رئيسين هما: شعارات الفرق والحرس الإمبراطوري، وشعارات الوحدات المساعدة.

---

(1) - Fields, Nic, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, pp. 14-15.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.136, 138.



الشكل رقم(٤٧)
بعض الشعارات التي حملتها تروس جنود الوحدات المساعدة

المصدر: Rossi, Lino: Trajan's Column and the Dacian Wars, Thames & Hudson, 1971, p.111

تألفت الشعارات على تروس الفرق والحرس الإمبراطوري من سلسلة معقدة من التنوعات المرتكزة على فكرة رئيسية مركزها عقده الترس، مثل الصاعقة المتعرجة التي تحمل في رأسها سهماً وأيضاً وميض البرق والأجنحة، وكثيراً ما تستخدم هذه الرموز في الأساطير الرومانية للإشارة إلى القوة العظمى، وتختلف تفاصيلها بين ترس وآخر، وأحياناً تصحبها أفكار مثل الهلال والنجوم (الشكل رقم ٤٦).

أما شعارات الوحدات المساعدة على التروس البيضاوية، فكانت متنوعة ومعقدة بشكل أكبر وبالكاد تُعتبر شعارات صحيحة، ولها معنى أو مغزى محدد، وتألف معظمها من تصاميم ممتازة وأنيقة ومتماثلة ومتناظرة، وكذلك غنية بالدوائر الحلزونية بقصد الزينة أو لهدف معين. ولم يُرسم شعار البرق والصاعقة على تروس جنود الوحدات المساعدة إلا في حالات نادرة، ولكن الأمر الأكثر ندرة هو تمثيل النسر الروماني جاثم على شعار الصاعقة، أو على سهم في النصف الأعلى من مقدمة الترس، وهناك حالة واحدة تم فيها رسم الذئبة والتوأم على أسفل مقدمة الترس، ولكن الشعارات الشائعة تمثلت بالتيجان الورقية والأكاليل المفردة أو المزدوجة المرتبطة بالهلال والنجوم، وكما هي شعارات الفرق ارتبطت شعارات الوحدات المساعدة بفكرة رئيسة هي عقدة الترس[1] (الشكل رقم ٤٧).

بذل نحاتوا عمود تراجان جهوداً كبيرةً لنحت الشعارات على التروس وربما الهدف من ذلك هو تسهيل التعرف على الوحدات والفرق وتمييز كل واحدة من الأخرى، ولكن يستحيل الآن مطابقة هذه الرموز مع وحدات معينة، وعدد قليل فقط من رموز الوحدات تم التعرف عليها

---

[1] - Rosse: op.cit, pp.108-113.

بسبب ظهورها الواضح على شواهد القبور. ولا يوجد دليل واضح فيما إذا تشاركت الفرقة بأكملها شعاراً موحداً لترس، أو فيما إذا تم تمييز كل كوهورت بطريقة ما، مثل استخدام الألوان، حيث نجد أن ترس دورا يوروبوس كان قد طلي بلون أحمر وردي على كلا الجانبين، وبالإضافة إلى الأسد والنسر، كانت مقدمته مزينة برسومات هندسية عالية الدقة، وربما يكون هذا الشعار هو شعار الفرقة المشكلة للحامية المتواجدة في هذا الموقع، والذي اشتركت به كل كوهورتات الفرقة، وقد يكون اللون هو الذي يميز كل كوهورت عن الآخر، ولكن هذا الافتراض يبقى نظرياً ويحتاج إلى الأدلة الداعمة. وكانت هذه التفاصيل الدقيقة عرضة للبلاء السريع، وخصوصاً عند استخدام الترس في المعارك والحملات، وحتى من دون الاستخدام المتكرر للترس المصنوع من الخشب والجلد، فإنه من غير المرجح أن يدوم طوال فترة خدمة الجندي البالغة خمس وعشرون سنة، وعلى عكس ذلك كانت الدروع المعدنية مثل الخوذ التي حملت في بعض الأحيان علامات تشير إلى امتلاكها من قبل أكثر من جندي واحد[1].

ارتبط المعنى المفترض لشعارات التروس باعتبارات متنوعة، مثلاً شعار البرق والصاعقة استخدم في الفن الروماني كعلامة رسمية للقوة الإلهية (جوبيتر)، وارتبط بالقوة العظمى للإمبراطورية وبقوة سلطة روما، وغالباً ما أمسك نسر الفرقة هذا الشعار بمخالبه. أما بالنسبة للوحدات المساعدة فهذا الشعار يرمز إلى المعنى نفسه، ولكن وجود هذا الشعار على تروس الفرق والحرس الإمبراطوري وندرته على تروس الوحدات المساعدة دفع بعض الباحثين إلى اعتباره إقراراً وتصديقاً على المواطنة الرومانية، أي إن جميع جنود الفرق والحرس الإمبراطوري تمتعوا بالمواطنة وقلة من الوحدات المساعدة تمتعت بها، لكن برأي الباحث (Rosse) ومن خلال وجهة نظري التي توافق رأي روسي لا يمكن اعتبار هذا التفسير صحيحاً للأسباب الآتية:

- بعض جنود الفرق والحرس الإمبراطوري حملوا تروساً لها شعارات مختلفة مثل التاج والإكليل.
- إذا كان هناك شعاراً يشير إلى المواطنة الرومانية فإن شعار ذئبة روما والتوأم هو أفضل شعار يشير إلى هذه الفكرة، والذي وجد فقط على تروس الوحدات المساعدة الذين تمتعوا بالمواطنة كاستثناء وليس كقاعدة، في حين أن هذه الرموز غابت عن تروس الحلفاء

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.130-131.

الذين لم يمنحوا المواطنة أبداً، ومن الأمور المهمة أيضاً هي أن الترس البيضاوي ذا شعار الصاعقة والبرق حمله جنود الحرس الإمبراطوري في نقش شهير للإمبراطور دوميتان.

وحملت التروس شعارات مثل الأكاليل والتيجان الورقية وهي رمز طبيعي للنصر في الفرق، ومن الممكن أيضاً أن هذه الشعارات على تروس الوحدات المساعدة رمزت إلى الهدف نفسه[١].

٥ - السيف (gladius):

اعتبر السيف الروماني سلاحاً جانبياً هجومياً، وواحداً من أهم الأشياء الجمالية التي صنعها الرومان. استوحى الرومان السيف (gladius) من الخنجر الأيبيري، لذلك يعتبر السيف الروماني سليلاً لسلاح السلتيين الأسبان[٢]. وما زال البعض إلى وقتنا الحاضر يعتقد أن جنود الفرق تسلحوا بسيف قصير يُعرف باسم كلاديوس، وفي الواقع يعتبر هذا الاعتقاد خاطئاً، ولذلك يجب علينا هنا توضيح سبب الخطأ في هذا الاعتقاد. وكانت كلمة كلاديوس تعني للرومان وبكل بساطة "سيف"، ولا تعني سيفاً قصيراً على وجه الخصوص، وغالباً ما كان السيف الاسباني الشهير (gladius Hispaniensis) – الذي يشير إليه بوليبوس – سلاحاً متوسط الطول يستخدم للطعن والجرح، حيث تراوح طول نصلته بين عامي (٦٤-٦٩) سم وتراوح عرضه بين (٤-٥) سم، وكانت نصلته متوازية الأطراف أو مخنصرة في الوسط بشكل طفيف، ويستدق خمسها الأخير حتى يصبح على شكل رأس حاد. وقد أخذ الرومان هذا السلاح عن الأيبيرين (Iberians) في اسبانيا ربما بعد معركة كاناي سنة ٢١٦ق.م بوقت قصير، وفي الواقع بدورهم الأيبيريون أخذوه عن السيف السلتي الطويل، واستمرت بعض القوات الرومانية باستخدام السيف الاسباني حتى سنة ٢٠ق.م، ولكن سرعان ما حلّ محله سيف بديل أطلق عليه علماء الآثار تسمية ماينز (Mainz) نسبة إلى المكان الذي عُثر فيه على عدد كبير من هذه الأسلحة[٣].

ساد نوع ماينز (Mainz) في بداية القرن الأول الميلادي وتميز بنصلة مخنصرة وذات رأس طويل جداً، حيث بلغ طول نصلته في السيوف الباقية حتى الآن ما بين (٤٠-٥٥) سم وتراوح عرضها ما بين (٥,٤-٧,٤) سم عند المقبض وما بين (٤,٨-٦) سم قبل رأس

---

(1) - Rosse: op.cit, p.111.

(2) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.20.

(3) - Cowan: op.cit, p.28.

السيف، وتميز هذا النوع من السيوف برؤوس طويلة ومثلثيه الشكل تراوح طولها ما بين (٩,٦-٢٠) سم، وتألفت القبضة من ثلاث أجزاء هي: واقي اليد والمقبض والعجرة. وصُنع المقبض من العظم، وغالباً ما كان مثمن الشكل وفي أحيان نادرة سداسي الشكل، واحتوى المقبض على أربعة فرزات مقعرة للأصابع، لكي تساعد الجندي على إمساك السلاح بشكل جيد، وغالباً ما صُنعت العجرة التي كانت بيضاوية الشكل وواقي اليد من الخشب الصلد، لكن أحياناً كانت تصنع من العاج والعظم وتغلف بطبقة فضية، وثُبتت هذه القطع الثلاثة بسيلان* النصلة عن طريق مسامير برشام مصنوعة من خليط النحاس[١] (الشكل رقم ٤٨).



الشكل رقم (٤٨)

سيف المشاة من نوع Mainz مُعاد الصنع

المصدر:

Simkins: The Roman Army from Caesar to Trojan, Osprey Publishing, 1981, p. 22.

صُنع غمد هذا السيف من الخشب وغُطي بطبقة جلدية تخاط فوقه عندما يكون الجلد رطباً، ويحيط أطراف الغمد حاشية وحلقات أو شرائط معدنية عرضانية تثبت في نهايته[٢]، وطُلي الجزء المعدني منه بالفضة والقصدير وزين بنقوش جميلة نافرة ذات مواضيع متعددة. بلغ وزن الأمثلة التي عُثر عليها من هذا السيف بين (١,٢-١,٦) كغ[٣]، وخدمت العجرة كثقل يعطي السلاح توازناً، أما رأس السيف الطويل الذي كان يصل طوله في بعض الأحيان إلى ٢٠سم، فإن الهدف منه كان اختراق الدروع. واستخدام الفرسان الرومان سيفاً أطول وأنحف من السيف (gladius) عرف باسم (spatha) (الشكل

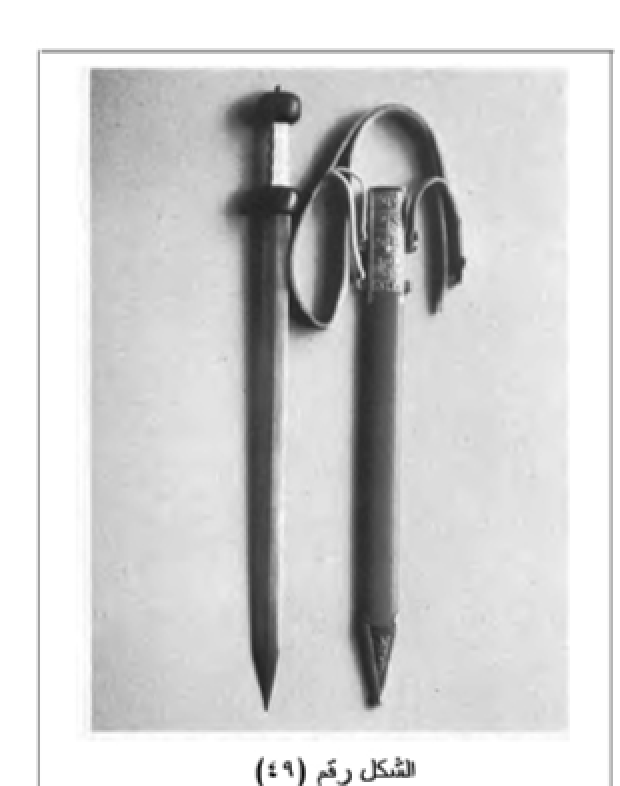
* – السيلان: وهو ما يدخل من النصلة في المقبض.

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.133. ; Bishop & Coulston: op.cit, p.71.

(2) - Southern, Pat: The Roman Army, A Social and Institutional History, ABC-CLIO, Inc. California, 2006, p.213.

(3) - Cowan: op.cit, p.29.

رقم ٤٩)، لأن الفارس كان بحاجة إلى سلاح ذي مدى أطول وخاصة لضرب العدو الراجل، وتتراوح نصال هذا السيف بين (٦٥-٩١) سم، ويتراوح عرضها بين (٤-٦) سم، وكانت كل من العجرة والقبضة والواقي مشابهة لتلك التي في سيف كلاديوس[١]. ووضع هذا السيف على الجانب الأيمن للفارس كما يبين ذلك العديد من شواهد القبور، ويُعلق بحزام للخصر أو حمالة كتفيّه يمكن تعديل طولها بوساطة صف من الأزرار المعدنية، ومن القرن الثاني وما بعد بدأ الجنود بارتداء السيف على الجانب الأيسر لكن ليس بشكل حصري[٢].



الشكل رقم (٤٩)
سيف الفرسان (spatha) مُعاد الصنع
المصدر:
Simkins: The Roman Army from Caesar to Trojan, Osprey Publishing, 1981, p. 22.

وفي منتصف القرن الأول الميلادي وبالضبط قبل غزو بريطانيا ظهر نوع جديد من سيوف المشاة أطلق عليه نوع بومبي (Pompeii) (الشكل رقم ٥٠)، والذي حدد الشكل النهائي لسيوف المشاة الرومان إلى أن أثرت الأسلحة البربرية في التجهيزات الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي. وقد أُطلق على نوع بومبي (Pompeii) هذا الاسم، لأنه تم العثور على ثلاثة سيوف من هذا النوع في مدينة بومبي، وتميز النوع الجديد بنصال مستقيمة وأطراف متناظرة ومتشابهة تماماً، وكذلك تميز برؤوس قصيرة وقوية[٣]. وقد بلغ طول هذه النصال ما بين (٤٢-٥٠) سم وعرضها ما بين (٤,٢-٥,٥) سم، وبلغ وزن السيف حوالي ١كغ. وعُلقت جميع السيوف بالحزام أو الحمالة بوساطة أربع حلقات، ومن ناحية مدة استخدام هذا النوع من السيوف، ربما كان السلاح الأقصر عمراً بين السيوف الرومانية، فقد دخل قيد الخدمة في منتصف القرن الأول الميلادي وتوقف الرومان عن استخدامه بحلول نهاية النصف الأول من القرن الثاني الميلادي. وتقلد الجنود

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.133.

(2) - Fields, Nic, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.16.

(3) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.22.

العاديون سيوفهم على الجانب الأيمن، أما قادة المائة وحاملي الرايات والضباط الأعلى رتبة، فتقلدوا سيوفهم على الجهة اليسرى كعلامة على رتبهم[١].

وبالرغم من أن الرومان استمروا بتصوير السيوف في فنهم خلال القرن الثاني ميلادي، ورغم دعم الشواهد الأثرية لهذا كما هو الحال في السيفين الذين عُثر عليهما في منطقة نوى السورية، والذين بلغ طول أحدهما ٥١سم والآخر ٧١سم، إلا أن الرومان استخدموا شكلاً جديداً من السيوف خلال القرن الثاني، وقد تم العثور على أمثلة منها في عدد من مواقع الحصون المنتشرة في أرجاء الإمبراطورية، وتميز هذا النوع بنصل مستقيم الأطراف وقبضة وواقي يد مصنوع من الحديد، وعجرة حديدية على شكل حلقة. تصور شاهدة قبر تعود إلى القرن الثاني عُثر عليها عند أكوينكم (Aquincum) – في هنغاريا حالياً – جندياً يضع على جانبه الأيمن سيفاً له عجرة على شكل حلقة (الشكل رقم ٥١)، وفي الواقع جميع السيوف المكتشفة من هذا النوع عُثر عليها في القبور السرماتية والجرمانية، وربما يُفسَر هذا على أن الرومان تبنوا هذا السلاح نتيجة الاتصال بهذه الشعوب[٢].

الشكل رقم (٥٠)
سيف مشاة من نوع Pompeii مُعاد الصنع
المصدر: Simkins:The Roman Army from Hadrian to Constantine, Osprey Publishing,1979. p. 31.

تدنت نوعية الأسلحة الجانبية الرومانية خلال القرن الثالث نتيجة تدني أهمية المشاة وزيادة التأثير البربري في تجهيزات الرومان، ولذلك اختفى السيف الروماني (gladius) كلياً خلال القرن الثالث وظهر نوع غريب من الأسلحة الجانبية على شكل خنجر كبير عُثر على مثال عنه عند مدينة لندن، وكان

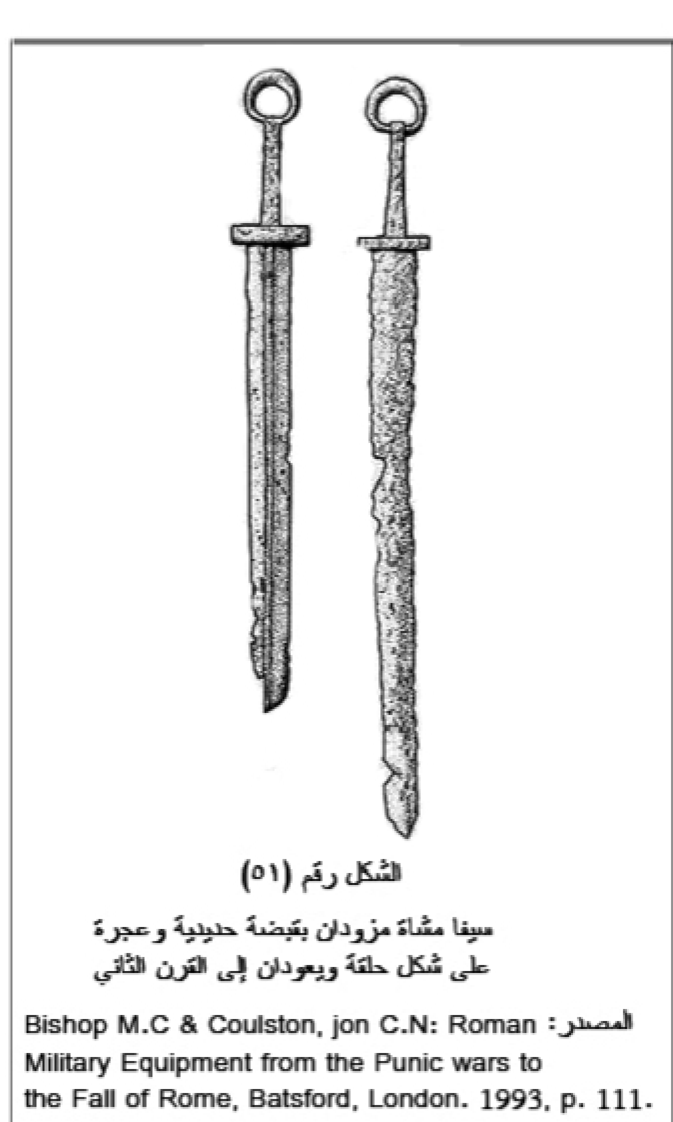
---

(1) - Cowan: op.cit, p.29.

(2) - Bishop & Coulston: op.cit, pp.111-112.

طول هذا النوع من السيوف تقريباً ٤٠سم، ومن الواضح أن هذا السلاح كان شائعاً جداً خلال القرن الثالث، لأنه تم العثور على كمية كبيرة منه في أحد الحصون في النمسا، وعلى اعتبار أن هذا الحصن كانت تحميه وحدة مختلطة فربما هذه السيوف تعود إلى مشاة هذه الوحدة[١].

وعلى العموم طرأت تغيرات رئيسة على السيوف الرومانية خلال القرن الثالث الميلادي، حيث اختفى السيف القصير من نوع بومبي، وحل محله السيف الطويل (spatha) لجميع انواع القوات، وأصبح الجنود يحملون السيف بتعليقه في حزام الكتف العريض على الكتف الأيسر وليس الأيمن كما كان سائداً من قبل، وتصنف السيوف خلال القرن الثالث إلى صنفين بالاعتماد على أبعاد النصل هي:



الشكل رقم (٥١)

سيفا مشاة مزودان بقبضة حديدية وعجرة على شكل حلقة ويعودان إلى القرن الثاني

المصدر: Bishop M.C & Coulston, jon C.N: Roman Military Equipment from the Punic wars to the Fall of Rome, Batsford, London. 1993, p. 111.

- السيف الطويل: كان ذو نصلة مستقيمة الحواف تقريباً، وبلغ طولها ما بين (٦٥-٨٠) سم وعرضها ٤,٤سم.
- السيف القصير: كانت حواف النصلة مستقيمة تماماً ورأسها مثلثي الشكل، وبلغ طولها ما بين (٥٥,٧-٦٥,٥) سم وتراوح عرضها بين (٦,٢-٧,٥) سم.

وقد تمتعت بعض نصال السيوف العائدة إلى القرن الثالث الميلادي بزخارف على شكل رسومات للآلهة والرايات ومواضيع عديدة أخرى، وامتلكت معظم هذه النصال قنوات متوازية على كلتا جانبيها، وتم العثور على قبضات محززّة ومضلعة ومسطحة، وكذلك تم العثور على

---

(1) - Simkins: The Roman Army from Hadrian to Constantine, op.cit, p.31.

عجرات بيضاوية الشكل مصنوعة من العظم، وأيضاً كانت واقيات اليد شبه بيضاوية أو مستطيلة الشكل صنعت من العظم أو الحديد أو خليط النحاس[1]. وقد بيّن تحليل أمثلة عدة من نصال السيوف الرومانية أنها غالباً ما كانت تصنع من نوعية عالية جداً، فقد تألفت هذه النصال من الفولاذ الموحد مع الكربون، وأيضاً من الحديد الذي يحتوي على القليل من الكربون[2].

٦- الخنجر(pugio):

شكّل الخنجر سلاحاً آخر من بين الأسلحة التي تبناها الرومان عن السلتيين الأسبان، وكان نسخة مصغرة عن السيف الروماني (Gladius) وذو نصلة مختصرة بلغ طولها ما بين (٢٠-٣٥) سم، وكان الجنود العاديون يتقلدونه على الورك الأيسر وفق نظام تقلد السيف نفسه، أي يُعلق بالحزام بوساطة أربع حلقات. ومنذ عهد أغسطس أصبح مقبض الخنجر وغمده - التي أصبحت الآن مصنوعة كلياً من المعدن[3] - مرصعين ومزخرفين بالفضة والذهب بشكل دقيق ومتقن، وكذلك كانا في بعض الأحيان يطليان بطلاء أحمر، أما النصلة فصنعت من البرونز أو الحديد[4] (الشكل رقم ٥٢).

استمر الرومان باستخدام الخنجر بشكل واسع حتى نهاية القرن الأول الميلادي، وبالرغم من أن هناك بعض الآراء تقول بأن استعماله أصبح أقل شيوعاً خلال القرن الثاني لأن عمود تراجان لا يظهر الجنود حاملين لهذا الخنجر[5]، إلا أن الحقيقة الأكيدة هي أن الرومان استمروا باستخدام الخنجر ذي النصلة المختصرة حتى نهاية القرن الثالث، وهذا واضح من خلال التجهيزات الكثيرة التي عُثر عليها عند منطقة كونزنغ (Kunzing) في ألمانيا، والتي اشتملت على إحدى وخمسين نصلة وتسع وعشرين غمداً، وبلغ طول نصال الخناجر الطويلة بينها حوالي ٢٨سم، في حين بلغ الطول الإجمالي للخنجر ٤٠سم، وتميز معظمها بخصر واضح وقناتين طولانيتين في وسط النصلة، وتميز بعضها الآخر بنصال متوازية الحدين، أي من دون خصر، أما الخناجر الأخرى التي عُثر عليها في مناطق الراين

---

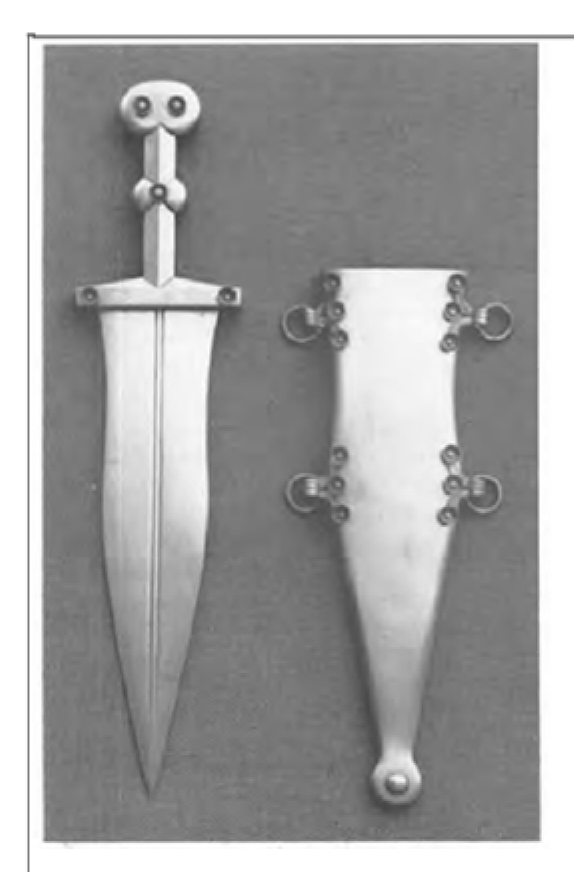
[1] - Bishop & Coulston: op.cit, p.126.

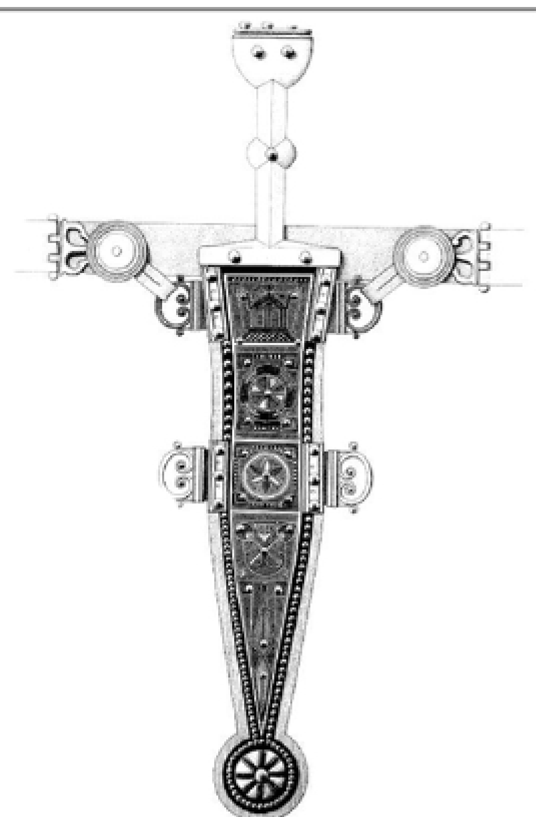
[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.134.

[3] - Cowan: op.cit, p.30.

[4] - Southern: op.cit, pp.212-213.

[5] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.119.





الشكل رقم (٥٢)
الخنجرالذي استخدمه الجنود المشاة في الجيش
الروماني وهو معاد الصنع من قبل المؤلف

المصدر: Bishop M.C & Coulston, jon C.N: Roman Military Equipment from the Punic Wars to the Fall of Rome, Batsford, London. 1993, p.78.
Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, Osprey Publishing, 1984, p. 32.

والدانوب وبريطانيا، والتي تعود إلى القرن الثالث، فإنها غالباً ما كانت نصالها أطول وأعرض مقارنة بالنصال التي تعود إلى فترات أسبق، فقد بلغ مثلاً طول نصلة أحد الخناجر التي عُثر عليها في لندن حوالي ٣٠سم وعرضها ٨سم وكانت مختصرة[1].

٧- الرمح الثقيل (pilum):

اعتبر الرمح الثقيل سلاح قذف مميت بدأت الفرق باستخدامه في تاريخ غير معروف، وبقي قيد الاستخدام لقرون عدة. وتقدم السجلات الأثرية تصميمات مختلفة للرمح الثقيل، فقد تنوعت هذه التصميمات من حيث الحجم وشكل الرأس والطريقة التي يثبت فيها الساق المعدني بالقصبة الخشبية، ولكن بقي الرمح الثقيل (pilum) محافظاً على أجزائه الرئيسة الثلاثة التي

---

(1) - Bishop & Coulston: op.cit, p.135.

تألف منها وهي: الرأس والساق المعدني والقصبة الخشبية، وكذلك بقي الرمح الذي يميز جنود الفرق. وظهر الرمح الثقيل في الأمثلة الأقدم له ساق حديدية قصيرة جداً، وكان رأس الساق الحديدية مثل رأس السهم الكبير، بينما في الأمثلة الأحدث العائدة إلى نهاية الجمهورية وبداية الإمبراطورية، أصبحت الساق الحديدية طويلة والرأس أصبح شبيهاً بهرم صغير، ووصِلت الساق الحديدية بالقصبة الخشبية بوساطة سيلان مسطح ومثبت بالقصبة بوساطة مسمارين برشام. وقد اختفت طريقة الوصل هذه في منتصف القرن الأول، لأنه لم يتم العثور على رمح ثقيل موصول بهذه الطريقة ضمن مخلفات الدانوب والراين، ويبدو أن النوع الأكثر شيوعاً أصبح شبيهاً بالرمح الثقيل الذي عُثر عليه عند (Oberaden) في ألمانيا، حيث تدخل الساق المعدنية داخل كتلة خشبية شكلها مثل هرم مسطح أعلاه وتثبت بواسطة ثلاثة مسامير برشام[١]، وعُثر على هذا الرمح قبل الحرب العالمية الثانية، إذْ تميز برأس وساق حديديتين سليمتين وأجزاء كبيرة من قصبته الخشبية، ويبين هذا الرمح الطريقة الجديدة التي اتبعها الرومان في تثبيت سيلان الساق بالقصبة، والتي تم الحديث عنها قبل قليل، ومع ذلك استخدم الرومان أنواع أخرى من الوصل تمثلت بتزويد الساق الحديدية بمحجر (سوكة)، وتدخل القصبة فيه وتثبت داخله بواسطة طوق حديدي[٢] (الشكل رقم ٥٣).

وعلى العموم زود الرمح الثقيل الإمبراطوري بثقل كروي خلف محجر الوصل، ربما هُدف منه زيادة قدرته على الاختراق، ويبدو أن هذا الثقل صنع من الرصاص في الرماح التي يستخدمها جنود الفرق، في حين صنع من البرونز في الرماح التي استخدمها الحرس الإمبراطوري ورسم عليه نسر، ويظهر ذلك نقش كانسيلليريا (cancelleria) الذي عثر عليه في روما، حيث يصور هذا النقش الحرس الإمبراطوري في عرض عسكري وهم يحملون الرمح المزود بثقل برونزي مرسوم عليه نسر[٣]، وكذلك توجد هذه الميزة في الرماح المصورة في نقوش نصب الدمقليسي[٤].

---

(1) - Southern: op.cit, p.209. ; Cowan: op.cit, p.25.

(2) - Bishop & Coulston: op.cit, p.65.

(3) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.23.

(4) - Bishop & Coulston: op.cit, p.65.

ونادراً ما عثر على أجزاء معدنية كاملة للرمح الثقيل، لكن بالمقابل لم يتم العثور على أية قصبة خشبية كاملة له، لذلك من الصعب جداً تحديد طول دقيق له، مع ذلك غالباً ما أُقتُرح أن الساق الحديدية كان طولها بين (٤٠-٩٠) سم وطول القصبة الخشبية حوالي ١٢٠سم، وبذلك يمكننا الافتراض أن الطول الوسطي للرمح الثقيل (pilum) حوالي ٢ م[1]. وبلغ وزنه ١.٧كغ تقريباً، وثبت بعد ترميمه أنه كان قادراً على اختراق معظم التروس[2].

كانت الساق الحديدية للرمح الثقيل نحيلة وطويلة بما يكفي لدفع رأسه داخل جسم العدو، فتركُز وزن الرمح خلف رأسه الصغير الهرمي الشكل أعطاه قوة كبيرة على اختراق الدروع والتروس، وعندما يُحدث رأسه ثقباً في الترس، فإن طول الساق الحديدية ووزن السارية الخشبية المزودة بثقلٍ ساعدا على إصابة الجندي خلف الترس[3]. وقد بلغ المدى الأقصى للرمح الثقيل ٣٠م، ولكن كان المدى الفعال له ١٥م، وقد لا يعطي هذا المدى وقتاً كافياً لرميه ضد عدو يشن هجوماً مفاجئاً، ولكن عندما يُرمى باتجاه جنود مجتمعين فإنه قلما يخطئ هدفه، وسيكون تأثيره فعالاً وفظيعاً إذا تبعه هجوم الفرق السريع، والعلة الوحيدة لهذا الرمح هي أن قذفه تطلّب أن يركض الجندي بضع خطوات أو يرجع خطوة



الشكل رقم (٥٣)
رسم توضيحي يمثل الرمح الثقيل الذي استخدمه جنود الفرق

المصدر: Cowan, Ross: Roman Legionary 58 BC-AD 69, Osprey Publishing, 2003, p. 33.

---

(1) - Cowan: op.cit, p.25.

(2) - Thorne: op.cit, p.220.

(3) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.198.

إلى الخلف ثم يقذفه من أجل تحقيق المدى الفعال، وغالباً ما كانت هذه المسافة غير متوفرة، حيث يقول تاكيتوس: لم يستطع الرومان استخدام رماحهم بشكل فعّال ودقيق عند القتال في المستنقعات، لأن أرجلهم كانت في الماء والوحل(١).

استمر جنود الفرق والحرس الإمبراطوري باستخدام الرمح الثقيل خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، كما يوضح ذلك عدد من شواهد القبور العائدة إلى القرن الثالث، والتي تصور جنوداً من الحرس الإمبراطوري يحملون رمحاً ثقيلاً، وكذلك توضح الأمثلة الموجودة في متحف نابولي استمرار وجود الثقل البصلي الشكل بين القصبة والساق، لكن زودت القصبة خلال هذه الفترة بطبقة معدنية لتقويتها. وتصور شاهدة قبر لضابط فرقي من أفاميا رمحاً ثقيلاً مزوداً بقبضة في نهاية قصبته وثقّالتين وساق معدني ورأس مثلثي الشكل، وتم العثور على خمس وخمسين رأس رمح ثقيل وأجزاء من قصباتها في بريطانيا عند منطقة كارليون (Caerleon) تميزت بأنها أطول وأنحف من الأمثلة العائدة إلى القرنين الأول والثاني الميلاديين(٢).

نستنتج مما تقدم أن الرماح الثقيلة بقيت قيد الاستخدام من قبل الجنود الرومان خلال القرون الثلاثة الأولى بعد الميلاد، إلا أنها ربما لم تعد الأسلحة المفضلة لجنود الفرق خلال القرن الثالث على عكس ما كان سائداً في الفترات السابقة، ومع ذلك استمرت مرتبطة بقوات الفرق والحرس الإمبراطوري.

٨ - الرماح الخفيفة (hastae):

استخدم جنود الوحدات المساعدة عدد من الرماح الخفيفة التي أطلق عليها تسميات متنوعة، مثل اللانسيا (lancea) والجافلين (javeline)، ووجدت هذه الأنواع في جميع مراحل الفترة قيد الدراسة، ولذلك من الصعب تصنيفها نتيجة عدم توفر الأدلة الأثرية والأدبية حول شكل وطول وطبيعة استخدام كل نوع منها، وبذلك لا يمكننا تقديم صورة واضحة حولها وكل ما نستطيع تقديمه يعتمد على الفرضيات والتخمين، ولكن على العموم يمكن القول إنها استخدمت كسلاح للطعن أثناء القتال القريب وكقذيفة ترمى على العدو من بُعد، وهناك خيار

---

(1) - Thorne: op.cit, p.221.

(2) - Bishop & Coulston: op.cit, p.122.

آخر يستخدمه الجندي في حالات الضرورة القصوى أو عند الأشراف على الهلاك يتمثل في استخدام أصغر الرماح المخصصة للقذف في الطعن، وعلى العكس يستخدم أطولها كقذيفة[١].

استخدمت رماح "اللانسيا" من قبل فرسان ومشاة الوحدات المساعدة، وما يدل على ذلك هو تصويرها على العديد من شواهد قبورهم، وعثر على أنواع عديدة ومختلفة من هذه الرماح في المواقع العسكرية الرومانية، لذلك من غير الممكن تصنيفها في مجموعات، أو نسب أنواع معينة منها إلى أصناف معينة من القوات[٢]. وعلى العموم استخدمت اللانسيا (lancea) في الطعن والقذف، وكانت أخف وزناً من الرمح الثقيل، ولذلك يمكن قذفها لمسافة أبعد منه، لكن كان تأثيرها أقل من تأثير الرمح الثقيل، وخصوصاً ضد الأهداف المدرعة، أما بالنسبة لاستخدام اللانسيا في الطعن، فهناك العديد من شواهد القبور العائدة إلى بداية الإمبراطورية توضح استخدامها من قبل الفرسان في الطعن واليد مرفوعة للأعلى[٣] (الشكل رقم ٥٤).

كانت رؤوس رماح اللانسيا شائعة بين الاكتشافات الأثرية أثناء عمليات التنقيب في المواقع المختلفة، وكانت على شكل ورقة الشجر[٤]، في حين لم يتم العثور على أي قصبة خشبية لها، لذلك لا يمكن تقدير طول قصبة هذه الأسلحة، لكن ربما كان طول الرماح المستخدمة في القتال والطعن حوالي ١٨٠سم[٥]، بينما لم يتجاوز طول الرماح المصممة للاستخدام كقذائف أكثر من (٣-٤) أقدام، أي ما يعادل ١٢٥سم. ومعظم الفرسان حملوا رمحاً قتالياً يحمل بيد واحدة و رماح عدة أصغر للرمي، فقد عثر على نص في شمال بريطانيا يوثق أسلحة وحدة فرسان (ala)، ويتكلم النص عن حراب قتالية (lancias–pugnatorias)، وعن رماح أصغر (Minores subarmales)، وأن كل جندي يجب عليه أن يمتلك حربة قتالية واحدة ورمحين من النوع الأصغر للقذف، بالإضافة إلى السيف. ربما كان هذا نظاماً خاصاً لتجهيز هذه الوحدة من الفرسان[٦]، ولكن المؤرخ يوسيفوس يتكلم عن فرسان مساعدين رومان في جيش فيسبسيان يحملون رمحاً طويلاً واحداً، ويحملون ثلاثة رماح صغيرة أو أكثر للرمي وضعت في كنانة (جعبة) مثبتة على سرج الفرس، ويؤكد هذا الكلام المؤرخ والقائد أريان من

---

(1) - Bishop & Coulston: op.cit, p.69.

(2) - Southern: op.cit, p.211.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.28.

(4) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, p.23.

(5) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.28.

(6) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.133.

الشكل رقم(٥٤)
شاهدة قبر من ماينز يظهر فيها فارس من الوحدات المساعدة يطعن عدوه برمح خفيف وإلى جواره يقف خادم يحمل أكثر من رمح

المصدر: Holder, Paul: The Auxilia from Augustus to Trajan, B.A.R International Series, 1980, plates, 3.

خلال وصفه لتدريبات الفرسان الذين كان عليهم رمي خمسة عشر رمحاً خفيفاً في عدوة واحدة للحصان[١].

في الواقع كانت معظم وحدات الفرسان (ala) الرومانية خفيفة التسلح، وبمعنى آخر كانوا فرساناً مجهزين ومدربين لمهاجمة العدو من بعيد من خلال قذفه برمح خفيف يسمى جافلين (Javeline) أو بقوس، وكذلك مدربين على مضايقته وإنهاكه في قتال قريب باستخدام رمح للطعن (lancea) أو بالسيف[٢]، لكن في بداية القرن الثاني ميلادي شكل تراجان أول وحدة فرسان مدرعة ومسلحة برمح طويل (contos) يمسك بكلتا اليدين أطلق عليهم اسم كتافراكتاري (cataphractarii)، ثم بعد ذلك شكل هدريان وحدة الفرسان المدرعة الأولى البانونية والغالية (ala I gallorum et pannoniorum cataphracta)، وأطلق على هذا النوع من الوحدات اسم وحدات الفرسان ثقيلة التسلح، حيث كان الفارس والفرس محميين بالدروع الحرشفية[٣]. وبلغ طول الرمح (contos) حوالي ٣,٦٥م وكان يحمل بكلتا اليدين، ولذلك لا يحمل فرسان هذه الوحدات تروساً، ولكن أمن التدريع الكامل للجندي والفرس الحماية الكاملة لهم. وكان الهدف الأول من إنشاء وحدات الفرسان المدرعة هو إحداث الصدمة لجيش العدو، فقد مكنت الرماح الطويلة الفرسان من جرح العدو المجهز

---

(1) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.28.

(2) - Luttwak: op.cit, p.43.

(3) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.240.

بأسلحة قصيرة قبل أن يصل هؤلاء إلى الفارس، وخلال القرون اللاحقة شكل هؤلاء الفرسان نسبة متزايدة من فرسان الجيش الروماني[١].



الشكل رقم (٥٥)
شاهدة قبر من الجزائر يظهر فيها
جندي راجِل من الوحدات المساعدة
حاملاً أكثر من رمح خفيف

المصدر: Holder, Paul: The Auxilia from Augustus to Trajan, B.A.R International Series, 1980, plates, 10.

أما مشاة الوحدات المساعدة، فحملوا على الأرجح أكثر من رمح (lancea) واحد، حيث يوجد نقش عُثر عليه في معقل مدينة ماينز الألمانية يصور أحد جنود الوحدات المساعدة يلوح برمح في يده اليمنى ويضع اثنان آخران خلف ترسه[٢].

تألفت الرماح الخفيفة خلال القرن الأول الميلادي من رأس حديدي مطرّق (مسطح) ومثبت بالقصبة بواسطة محجر، في حين كانت القصبة تصنع من خشب الدردار والبندق ولها نهاية حديدية. مُثِّل جنود وحدات المشاة المساعدة على شواهد القبور العائدة للقرن الأول حاملين أكثر من رمح خفيف، وهذا يوحي بأنه استخدم واحداً منها على الأقل كقذيفة (الشكل رقم ٥٥)، وغالباً ما صورت شواهد قبور الفرسان خدماً يحملون قذائف احتياطية، لذلك قد يوحي تزويدهم بأكثر من رمح على استخدام بعضها كقذائف وأخرى للطعن. لم تختلف رؤوس الرماح الخفيفة العائدة إلى القرن الثالث عن تلك العائدة إلى القرن الأول، فمثلاً رؤوس الرماح المكتشفة في بريطانيا تقسم إلى نوعين رئيسين من حيث الساق المعدنية المتصلة بها وهي:

- رأس رمح له ساق حديدية ضيقة الطرفين وعريضة في الوسط.
- رأس رمح له ساق حديدية عريضة نوعاً ما عند التصاقها برأس الرمح وتستمر بالاتساع حتى يبلغ أقصى عرض لها عند المحجر (الشكل رقم ٥٦).

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.138.

(2) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.28.

ربما صمم النوع الأول من أجل الرمي والاختراق بالدرجة الأولى، في حين صمم النوع الأعرض للطعن مع التركيز على سهولة سحبه بعد ذلك. هناك نوع ثالث كان شائعاً منذ القرن الثاني له رأس طويل ونحيف ويتصل به ساق معدني ذو مقطع عرضي مربع أو مستطيل، أما قصبات الرماح الخفيفية العائدة إلى القرن الثالث والمكتشفة في مستنقعات الدنمارك، فكانت في بعض الأحيان منقوشاً عليها أسفل المحجر بقصد الزينة(١).

كذلك توحي أعداد من شواهد قبور تعود لجنود الفرق في أباميا إلى أن الفرقة الثانية بارثيكا ضمت خلال القرن الثالث رجالاً ماهرين في استخدام عدد كبير من الأسلحة بما في ذلك الرماح الخفيفة لانسيا (lancea)(٢)، وهذا قد يشير إلى أن بعض جنود الفرق كانوا يستخدمون الرماح الخفيفة. وعلى العموم استخدم جنود الجيش الروماني أنواع عدة من رماح القذف والطعن الطويلة والقصيرة، واستخدم جنود الفرق المشاة رماح ثقيلة للقتال القريب، وأُطلقَ على حاملي هذه الرماح اسم الهستاتي (Hastatii). أما الفرسان فيمكن تقديم عرض كامل عن تجهيزاتهم من خلال وصف أريان للجيش الروماني في الشرق أثناء حكم هدريان، حيث يقول:

"ربما الفرسان زودوا بالدروع، أو ربما لا، بالنسبة للفرسان المدرعين كان الرجال والخيول محميون، الحصان محمي من الجوانب والمقدمة، والجندي محمي بدرع زردي والكتفة وواقيات للفخذين، والأنواع الأخرى من الفرسان لم يرتدوا درعاً واقياً كهذا، بعضهم حمل الرماح (Contos) وبعضهم الآخر حمل الرمح الخفيف (Javeline)، وبعضهم الآخر استخدم فقط القذائف. حاملي الرمح الطويل



الشكل رقم (٥٦)
مجموعة من رؤوس الرماح الخفيفة التي عثر عليها في مناطق الراين والدانوب وبريطانيا
المصدر: Bishop M.C & Coulston, J.C.N : Roman Military Equipment from the Punic Wars to the Fall of Rome, Batsford, London. 1993, p. 124

---

(1) - Bishop & Coulston: op.cit, p.126.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.132.

(Contos) هم الذين يقاتلون على مسافة قريبة ويدفعون العدو إلى الخلف في هجمات سريعة مثل الآلانيين والسورماتي، ومطلقي القذائف يدربون على استخدام القذائف لمدى بعيد مثل الأرمينيين وبعض البارثيين، والسابقين حملوا تروساً مستطيلة، وآخرين قاتلوا بدون تروس، فقط برماحهم، وبعضهم بالقذائف فقط، وبعضهم استخدم الجافلين، وبعضهم الأقواس والسهام.... سيفهم الطويل ذو النصلة المنبسطة تدلى من على أكتافهم وحملوا تروساً مستطيلة وارتدوا خوذ حديدية ودروعاً صدرية ودروعاً صغيرة للساق.... أيضاً حملوا فؤوساً صغيرة حافتها دائرية "

يقدم هذا الوصف صورة واضحة عن تجهيزات وحدات الفرسان (ala) وخصوصاً النقطة الأخيرة التي أثبتتها شاهدة قبر عند جدار هدريان تُمثل نبّالاً يحمل في يده اليسرى قوساً وفي الأخرى يحمل فأساً، وينطبق وصف أريان مع التفاصيل على جدار هدريان، حيث قدمت رسومات الجدار العديد من الأمثلة عن الحصان الخفيف الذي ارتدى فارسه درعاً زردياً وسترة جلدية من دون أكمام، ووشاحاً حول الرقبة، وبنطالا ضيقا ربما صنع من الجلد، وخوذة، وحمل ترساً بيضاوياً مزخرفاً[(١)] (الشكل رقم ٥٧).

٩ – رماة المقاليع (funditor):

كانت بعض الوحدات ذات التكتيكات المحلية المختصة مثل رماة المقاليع والنبّالة تجهز بشكل مختلف تماماً عن باقي القوات منذ بداية الإمبراطورية، وبالرغم من تصوير هؤلاء الرماة على عمود تراجان غير مرتدين دروعاً جسدية ولا يحملون ترساً أو سيفاً، إلا أن طريقة تجهيزهم غير واضحة، ولا نعرف فيما إذا كانوا يتشكلون في وحدات خاصة، أم يشكلون جزءاً من وحدة معينة، لكن في الواقع تدرب هؤلاء الجنود على الرماية بالمقلاع بشكل روتيني خلال فترات التدريب في أوقات السلم ليكتسبوا مهارة على التصويب، وربما توزع الأخصائيون في هذه الأسلحة على قواعد الجيش المتناثرة في أنحاء الإمبراطورية ولم يجتمعوا في مكان واحد[(٢)].

ألقى الإمبراطور هدريان التحية لفرسان أحد الوحدات المساعدة على شجاعتهم وقدم لهم المقاليع في عرض عسكري للقوات الرومانية في Lambaesis في شمال أفريقيا. لذلك من الممكن جداً أن بعض الوحدات دربت كل جنودها أو بعضاً منهم على استخدام هذا السلاح، والأهم من ذلك كله أن هذه القوات المزودة بالمقاليع استطاعت تحقيق حاجات التنقل السريع والقوة القتالية العالية كونها قوات مختصة في القذائف، فكانت المقاليع خفيفة بحيث

[(1)] - Webster: op.cit, p.152.نقلاً عن

[(2)] - Bishop & Coulston: op.cit, p.79.



الشكل رقم (٥٧)

رسم توضيحي يمثل فارساً من الوحدات المساعدة وتجهيزاته. يمثل هذا الجندي فارساً من عهد حروب تراجان على داسيا.

المصدر: Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14_193, Osprey Publishing, 2006, Plate C.

يقدر أي شخص على حملها بالإضافة إلى أسلحته الأخرى، وكانت القوات المتسلحة بالمقاليع فقط هي القوات الأسرع والأرشق حركة بين كل المشاة، وبالإضافة إلى ذلك كان بالإمكان قذف أي شيء صغير بواسطة المقلاع وفي ذلك حل لمسألة نقص الذخائر، ولكن فضّل الرومان قذائف الرصاص لأنه ثبت أن مداها أبعد ودقتها أعلى وضربتها أقوى من ضربة الحجارة، وكان بالإمكان صناعة قذائف المقلاع بسرعة كبيرة حتى ولو أثناء المعركة، حيث انه بعد إذابة الرصاص بدرجة ٣٨٠ ْس يُصبُّ بحُفرٍ في الرمل، وبعد أن يبرد يتحول إلى كتل تستخدم كقذائف[١]. عثر على أكثر من قذيفة مقلاع مصنوعة من الرصاص عند مدينة (Burnswark) في اسكتلندا التي كانت حصناً يتدرب فيه الجيش، وأيضاً عثر على حجارة مدورة تملئ اليد عند مدينة (South Shields) في شمال بريطانيا، ربما رميت بوساطة القوات المسلحة بالمقاليع[٢].

وبالرغم من أن هذا السلاح يبدو بدائياً إلا انه كان فعالاً جداً في المعركة، فكانت رمياته مميتة أكثر من السهم أو الرمح، لأن الأخيرة كانت مرئية بالنسبة للجنود لذلك كان بإمكانهم تجنبها باستخدام الترس، أما قذائف المقلاع فلا يمكن مشاهدتها وبذلك لا يمكن تجنبها. وكان رماة المقاليع وبعض الرمّاحين وأحياناً النبالة يعملون في نظام مفتوح ضد العدو، ولذلك سمح لهم هذا النظام باستهداف هدف معين والتصويب نحوه. وأعطاهم هذا النظام في القتال قدرة على المراوغة وتجنب القذائف القادمة نحوهم من العدو. يقول فيجيتيوس أن نحو ١٨٣م هو مدى التدريب لكلا المقلاع والقوس، لأنه ربما أعتقد أنه المدى التكتيكي الأفضل[٣]. ولكن يبقى من الصعب تقدير المدى الفعال للقوس أو المقلاع في المعركة، لأن ذلك اعتمد على مهارة الرجل الذي يستخدم السلاح. أخيراً حمل رماة المقاليع على ظهورهم كنانة أو حقيبة لوضع الرميات فيها، وهذا ما أظهره عمود تراجان عندما صور هؤلاء وهم يحملون على ظهورهم مقلاع وحقيبة جلدية للرميات[٤]، ولكن يبدو أنهم يحملون هذا الكيس على صدورهم أثناء القتال كما هو موضح في الشكل رقم (٥٨).

---

(1) - Thorne: op.cit, p.222.

(2) - Southern: op.cit, p.217.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, op.cit, p.180.

(4) - www.wikipedia.org /auxiliaries/, (صفحة مطولة)

١٠- النبّالة (sagittarii):

استخدم الرومان عنصر النبالة في الجيش، حيث تم تنظيمهم في وحدات مشاة وأخرى فرسان، وغالباً ما جُندّ هؤلاء من الولايات الشرقية للإمبراطورية الرومانية، حيث تمتعت شعوب هذه الولايات بقدرة ومهارة عالية على استخدام القوس، ولا نبالغ إذا ما قلنا لا يمكن أن يكون القوس إلا للشعوب الشرقية. صُوّر النبّالة على عمود تراجان وشواهد القبور يرتدون زيّاً شرقياً مؤلفاً من ثياب طويلة متدلية وخوذة مخروطية الشكل مميِّزة لهم[1] (الشكل رقم ٥٩).استخدم النبالة الرومان قوساً مركباً منحنياً، باتجاه عكسي من الوسط ومركباً من طبقات خشبية عدة ملصقة معاً ويلفها غلاف، ولا يوجد مثال عن هذا القوس لأن الخشب يتلف بسرعة، ومعظم الاكتشافات الباقية المتعلقة بهذا السلاح هي بعض القطع العظمية والعاجية من قرون الوعل التي كانت توضع على المقبض وفي نهايات القوس لتدعيم

الشكل رقم (٥٨)
مشهد من عمود ماركوس أوروليوس يظهر رماة المقاليع الرومان
المصدر: Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 44.

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.137.

وتثبيت الوتر[1]. وكان من ضمن هذه الاكتشافات رؤوس السهام التي صنعت من الحديد، وغالباً ما كانت مثلثية

الشكل، وكانت تثبت مع القصبة الخشبية بوساطة السيلان أو المحجر، وغالباً ما صنعت قصبات السهام الخشبية من الخيزران أو الصنوبر أو الجوز، واحتفظت المناطق الشرقية من الإمبراطورية بهذه القصبات بسبب مناخها الجاف، ولكن مع ذلك عُثر على بعض رؤوس السهام وما زالت متصلة بالقصبة في (Housesteads) و(Corbridge) في شمال بريطانيا، وغالباً ما استخدمت السهام ذات الأشواك في الغرب، حيث كانت فعّالة جداً ضد رجال القبائل الذين لا يرتدون دروعاً جسدية[2].

الشكل رقم (٥٩)

شاهدة قبر من ماينز في ألمانيا يظهر فيها نبال فارس شرقي يحمل قوسه بيده

المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p. 136.

احتُفظ بالسهام في كنانة اسطوانية تُحمل عالياً على الظهر لكي يستطيع النبّال استلال السهم من فوق الأكتاف[3]، وأحياناً توضع على الجانب الأيمن للنبّال (الشكل رقم ٦٠)، وفي الحالات التي لا تستخدم فيها الأقواس كانت ترخى أوتارها، ولإعادة شدّها يستخدم النبّال رجله لثني القوس حتى يستطيع تعليق الوتر، ولأن الأقواس وأوتارها تأثرت بالطقس الرطب وفي العواصف المطرية، كان يستبعد النبالة من المعركة في هذه الحالات. ربما استخدم النبّالة

---

(1) - Bishop & Coulston: op.cit, p.79.

(2) - Southern: op.cit, pp.211-212.

(3) - Webster: op.cit, p.155.

الفرسان أقواساً أقصر وأخف من تلك التي استخدمها المشاة، لذلك من الممكن أن مدى سهام المشاة أطول من مدى سهام النبّالة الفرسان[1]. وكانت الوظيفة الرئيسة للنبالة المشاة والرماة هي تقديم الدعم والتغطية للقوات المتقدمة والمتراجعة، في حين كانت وظيفة النبالة الفرسان هي شن الغارات مع الفرسان خفيفي التسلح على خاصرة جيش العدو ومطاردته عند انسحابه أو هروبه[2].



الشكل رقم (٦٠)
رجل يمثل أحد رماة السهام السوريين
الذين خدموا في الجيش الروماني
المصدر: www.tripod.com

ثالثاً: تجهيزات الخيل

انحدرت تجهيزات الفرس الخاصة بخيالة الفرق والوحدات المساعدة من أصول سلتية، وتألفت هذه التجهيزات مما يأتي:

١-السرج وطقم الفرس:

أصبح السرج جزءاً من تجهيزات الخيالة الرومان منذ عهد يوليوس قيصر على الأقل، وظهر أول مرة في المنحوتات الرومانية في بداية الفترة الإمبراطورية. ولم يحتوِ السرج العسكري على مقعد، وإنما كان مصنوعاً من الجلد المقسى بصفائح برونزية داخلية ومزوداً بأربعة نتوءات (قرون) طويلة لمساعدة الفارس على الثبات، ولم يكن مزوداً بركاب، لكن مكنهم من استعمال هذا النوع من السروج على أطلاق القذائف بفعالية أثناء المناوشات، وكذلك على استخدام كلتا اليدين للتحكم بالرمح أو السيف والترس في الوقت نفسه، وذلك لأنه عندما يضع الفارس ثقله على هذا النوع من السروج تنغلق القرون الأربعة الطويلة على فخذيه وتمسك بهما (الشكل رقم ٥٧)، وبذلك تثبت الفارس على الفرس و بالوقت نفسه لا تعيق حركته، وكانت هذه العملية مهمة جداً للخيالة

---

(1) - Southern: op.cit, pp.211-212.

(2) - Luttwak: op.cit, p.44.

المتسلحين بالرمح الطويل (contos) الذين تطلبت تدريباتهم القيام بحركات بهلوانية على ظهر الفرس[١].

تألف الطقم الرئيسي للفرس من خمس وصلات كانت مهمتها تثبيت السرج في مكانه بقوة، وكانت عبارة عن أحزمة صدرية ووركية ورباط يمر من تحت السرج عبر بطانة صوفية من سرج يوضع تحتها قطعة صغيرة من الفرو لحماية ظهر الفرس من الاحتكاك، وكانت مهمة هذا الرباط تثبيت السرج عبر بطن الفرس. زود طقم الفرس بمجموعة من المكونات التزينية التي كانت عبارة عن ميداليات برونزية وحلي متدلية[٢]، وغالباً غُطي السرج بطبقة قصديرية لامعة، وكذلك كانت حلقات الرسن واللجام ملمعة بطلاء برّاق[٣].

٢ – درع الفرس:

ظهرت دروع الأحصنة في بداية القرن الثاني الميلادي عندما شكّل الرومان وحدات الفرسان المدرعة (cataphractarii) في عهدي الإمبراطورين تراجان وهدريان، حيث وجد في دورا يوروبوس درعا حصانين للخيالة ثقيلي التسلح. بلغ طول الدرع الأول ١,٦٩م وعرضه ١,٢٢وصُنع من صفيحات حرشفية نحاسية رقيقة، أما الثاني فبلغ طوله ١,٤٨م وعرضه ١,١م وصنع من صفيحات حرشفية حديدية. تألف كلا الدرعين من صفيحات معدنية رقيقة متراكبة خيطت فوق بطانة من الكتان الخشن والمزود بحزام جلدي عريض على طول العمود الفقري للحصان لمنع الاحتكاك بظهره، وتم قص فتحة في وسط كلاً من الدرعين للسماح بوضع السرج، وزود كلاهما بواقٍ للذيل مثلثي الشكل. و شملت دروع خيول الفرسان ثقيلي التسلح درعاً لوقاية رقبة الحصان وغطاءً لوقاية رأس الحصان ووجهه، وبالرغم من أن هذه الدروع قللت من حركة الحصان إلا أنها وفرت له حماية من ضربات أسلحة الطعن والجرح وأحياناً من السهام[٤] (الشكل رقم ٦١).

---

(1) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, pp. 17-18.

(2) - Bishop & Coulston: op.cit, p.105.

(3) - Webster: op.cit, p.152.

(4) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, pp. 20.



الشكل رقم (٦١)
لوحة جدارية من دورا أوروبوس تظهر فارساً ثقيلاً
وجواده المدرع من الوحدات الثقيلة التدريع (cataphractarii)

المصدر: Bishop M.C & Coulston, J.C.N : Roman Military Equipment from the Punic Wars to the Fall of Rome, Batsford, London, p. 157

رابعاً: آلات الحصار

١ – المجانيق ومطلقات السهام (tormenta):

بدأ الرومان في فهم أهمية المجانيق ومطلقات السهام في الحصار والمعارك المفتوحة منذ بداية القرن الثالث قبل الميلاد، وربما خلال الحرب ضد القائد الإغريقي بيروس (Pyrrhus)، وكذلك في معاركهم ضد المدن الإغريقية في جنوب إيطاليا، في حين استخدموها بكثرة خلال الحرب البونية الثانية ضد قرطاجة، حتى أنهم أخذوها معهم إلى أفريقيا سنة ٢٥٦ق.م ليستخدموها في معاركهم ضد قرطاجة وفي الهجوم على مدينة قرطاجة نفسها[١].

---

[1] - Marsden: op.cit, p. 84.

استخدم الرومان أنواع عدة من المجانيق ومطلقات السهام سواء في المعارك أو الحصار، لكن حتى الآن تحيط الشكوك والغموض حولها، ويعمل جيل جديد من المؤرخين المعاصرين لحل هذا الغموض، ومن النقاط التي ما زالت عالقة هي الالتباس في المصطلحات التي تُطلق على هذه الأسلحة من قبل الكتّابْ والمؤرخين القدماء والمعاصرين[١].

هناك العديد من الكتّاب القدماء الذين كتبوا عن المجانيق ومطلقات السهام الرومانية، و اثنين من هؤلاء الكتّاب فحسب، تم تحديد الفترة التي عاشوا فيها بشكل شبه أكيد وتم تحرير كتاباتهم وهما:

هيرون الاسكندري (Heron of Alexandria): الذي عاش في النصف الثاني من القرن الأول الميلادي، والأقل ترجيحاً أنه عاش في النصف الأول من القرن الأول الميلادي، وتُنسب إلى هذا المؤرخ دراستين متعلقتين بالمجانيق ومطلقات السهام يطلق على الأولى اسم بيلوبويكا (Belopoeica) ويطلق على الثانية اسم شيروبالستا (Cheiroballista). يصف هيرون في عمله الأول بإسهاب بناء الآلة الأقدم المطلقة للسهام التي تعتمد على اللي، والتي كان يطلق عليها اسم غاسترافيتس (Gastraphetes) ثم يكتب تاريخاً مهماً عن مطلقات السهام ابتداءً بالتصاميم البدائية الأولى وحتى الآلات المتقدمة التي صنعت بما يتوافق مع عيارات القذائف وبذلك يغطي التطورات التقنية المتعلقة بآلات اللي في الفترة الممتدة بين عامي (٣٥٠-٢٧٠)ق.م، في حين كتب هيرون في عمله الثاني بشكل متخصص عن مكونات وأبعاد المجانيق المعاصرة له[٢].

ماركوس ڤتروڤيوس بوليو (Marcus Vitruvius Pollio): الذي عاش في القرن الأول قبل الميلاد، وكان مهندساً عسكرياً ومعمارياً رومانياً كتب عشر مؤلفات تحت اسم "عن العمارة" (De Architectura)، واشتهر اسمه في الفترة بين عامي (٤٦-٣٠)ق.م، واشترك في الحروب الأفريقية بقيادة قيصر سنة ٤٦ق.م[٣]، ويُعتقد بأنه نشر كتبه العشرة نحو سنة ٢٥ق.م، وفيما يتعلق بالفصول الثلاثة التي كتبها عن المجانيق في كتابه العاشر، فربما كتبها في عهدي قيصر وأوكتافيان، لأنه خدم مع الاثنان كمهندس عسكري (Architectus)، وكان

---

[1] - Campbell, Duncan: Greek and Roman Artillery 399 BC-AD 363, Osprey Publishing, 2003, pp. 33, 42.

[2] - Marsden E.W: Greek and Roman Artillery: "Technical Treatises", Oxford, 1971, pp. 1

[٣] - قاسم، عبير عبد المحسن: المرجع السابق، ص٣.

معنياً بالدرجة الأولى بصنع المجانيق المطلقة للحجارة (ballista) وإصلاحها، والمطلقة للسهام (scorpio)، والشيء الهام في مؤلفات ڤتروڤيوس هو أنها كانت معاصرة لفترته واحتوت على التعديلات المهمة التي أجريت على المجانيق ومطلقات السهام خلال الفترة بين عصره وعصر فيلون البيزنطي* (Philon of Byzantium) (١).

على العموم يبقى نص ڤتروڤيوس عن المجانيق أهم نص في هذا المجال، والذي قدم دراسة شاملة عن المجانيق والآلات الرومانية القديمة، لكن لسوء الحظ أصاب نصه سوء النقل بشكل كبير، ويحيط الغموض بالعديد من المقاطع الرئيسة فيه، ومن هذه المقاطع ما يتعلق بربط حجم الآلة مع وزن القذيفة، ولكن رغم كل ذلك يقدم لنا الكتاب معلومات وخطوط عريضة مهمة، حيث يشير ڤتروڤيوس في كتاباته إلى أن المؤرخين اللاتينيين القدماء مالوا إلى إطلاق المصطلح "آلات اللي والفتل" (tormenta) على المجانيق ومطلقات السهام الرومانية بشكل عام، وأطلقوا على الآلات المطلقة للسهام مصطلح "كتابولتا" (catapultae) (الشكل رقم ٦٢)، باستثناء النماذج ذات العيار الصغير التي أطلقوا عليها اسم "العقرب" (scorpio)، أما الآلات القاذفة للحجارة فأطلقوا عليها مصطلح "بالستا" (ballista)(٢) (الشكل رقم ٦٢)، واستمرت المجانيق ومطلقات السهام الرومانية في بداية الفترة الإمبراطورية تحمل الأسماء نفسها التي حملتها خلال الفترة الجمهورية وربما استمر ذلك حتى أواخر القرن الأول الميلادي(٣)، ولكن هذه المصطلحات تغيرت خلال الفترات اللاحقة، إذْ نجد صور الآلات المطلقة للسهام على عمود تراجان قد اختلفت عن نظيراتها الأقدم من حيث نوابض اللي والفتل، والتي أصبحت الآن موضوعة في اسطوانات مقاومة لعوامل الطقس، وأصبحت منذ

---

* - فيلون البيزنطي (Philon of Byzantium): هو مؤرخ بيزنطي الأصل – أي ولد في مدينة بيزنطة– وذكره فيتروفيوس في قائمة الكتّاب الهندسيين الواردة في كتاباته، و أيضاً أشار إليه هيرون في كتاباته. ربما عاش فيلون في أواخر القرن الثالث قبل الميلاد، لكن الرأي الأكثر ترجيحاً انه عاش في أواخر القرن الأول قبل الميلاد، وكتب كتاباً شرح فيه المجانيق القياسية وأطلق عليه اسم بيلوبويكا (Belopoeica)، ويقول فيه أنه استخلص معلوماته المتعلقة بهذه الآلات من خلال ارتباطه الشخصي الوثيق والطويل بالحرفيين في الترسانة الحربية في رودوس والاسكندرية. لمزيد من المعلومات راجع:

Marsden: Greek and Roman Artillery "Technical Treatises", op.cit, pp. 6-9.

(1) - Marsden: Greek and Roman Artillery "Technical Treatises", op.cit, pp.3-4.

(2) - Campbell, Duncan: op.cit, .pp.24, 33, 37.

(3) - Marsden: Greek and Roman Artillery: "Historical Development", op.cit, p.188.



الشكل رقم (٦٢)
رسم توضيحي للمدفعية القاذفة للحجارة (ballista) والمدفعية المطلقة للسهام(catapultae)
التي استخدمها الجيش الروماني في عام ٦٩م خلال الحرب الأهلية

المصدر : Campbell, Duncan: Greek and Roman Artillery 399 BC–AD 363, Osprey Publishing, 2003, p. 28–29

هذه الفترة (منذ حكم الإمبراطور تراجان وما بعد) تعرف بالبالستا أثناء ذكرها من قبل المؤرخين القدماء، وهذا ما أربك المؤرخين المعاصرين[١].

ربما كان هذا الالتباس في المصطلحات وراء ندرة ورود مصطلح "الكتابولتا" – الذي ذكره ڤتروڤيوس في كتابه – وقلة تكراره في الأعمال المعاصرة على خلاف مصطلح "بالستا" الذي يطلقه الكتّاب المعاصرون على كل أنواع الآلات الرومانية سواءٌ كانت مطلقة للسهام أو الحجارة. وأطلق الكتابولتا السهام متعددة الأطوال، وأطلق البالستا القذائف الحجرية، ولكن ربما لأنها تعمل في طريقة (اللي والفتل) نفسها كقوس كبير أصبح التمييز بينها غير هام جداً، ورغم ذلك يقول المؤرخ المعاصر مارسدن (Marsden ١٩٦٩م) كان مصطلح "كتابولتا" المصطلح الرئيس المستخدم حتى القرن الرابع الميلادي، وبعد ذلك حل مصطلح "بالستا" محله[٢].

كان على المسؤوليين عن تأسيس الجيش الإمبراطوري الروماني المبكر وتطويره عدم تجاهل المجانيق ومطلقات السهام ومعالجة النواقص والعيوب والأخطاء الواضحة في إنتاجها وصيانتها، والتي مثّلت نقاط ضعف واضحة طيلة أواخر الجمهورية، فلم يكن هناك مراكز

---

(1) - Campbell, Duncan: op.cit, pp.24, 33, 37.

(2) - Southern: op.cit, p.214.

إنتاج منظمة لها واعتمد ذلك على مبادرة قائد الجيش الفردية، ومن أجل تفادي ذلك عمل الرومان في بداية الفترة الإمبراطورية على إنشاء مركز إنتاج كبير للمجانيق ومطلقات السهام في روما كانت مهمته تزويد الفرق بهذه الآلات أثناء الحالات الطارئة، وبالإضافة إلى ذلك تم تزويد كل فرقة باختصاصيين قادرين في أي مكان أو زمان تقريباً على صنع الآلات المتضررة وصيانتها أو استبدالها [١].

على العموم كان للمجانيق ومطلقات السهام منذ عهد أغسطس – الذي كان مسؤولاً عن تنظيمها وتوزيعها على الفرق – إلى عهد تراجان أثر كبير من عمليات الجيش، وشهدت المجانيق ومطلقات السهام خلال هذه الفترة توزيعها بشكل موحد على فرق الجيش، أي أصبح لكل فرقة عدد معين من هذه الآلات كما سنلاحظ ذلك بعد قليل، ومثلت هذه العملية خطوة بارزة ومُمَيّزة للمجانيق ومطلقات السهام خلال الفترة الإمبراطورية. وشهدت هذه الفترة تطوراً آخراً لهذا السلاح، وخصوصاً مطلقات السهام، تمثل في محاولة الرومان تحقيق سرعة أكبر لها أثناء الحركة، وذلك من خلال صنع عربة نقالة لحملها، وهذا ما نشاهده على عمود تراجان. وكذلك أصبح الجيش الروماني يمتلك منذ عهد تراجان نوعين من الآلات هي:

- مطلقات السهام الجديدة التي أطلق عليها مصطلح "كاروبالستا" (carroballistae)، والتي أصبحت هياكلها (اسطوانات) التي تحتوي النابض مصنوعة من الحديد كما يوضح ذلك عمود تراجان (الشكل رقم ٦٣).
- قاذفات الحجارة القديمة ذات الذراعين، والتي كانت هياكلها مصنوعة من الخشب المصفح بالمعدن، وبحلول القرن الرابع استبدلوا بهذه القاذفات قاذفات الحجارة أحادية الذراع التي أطلق عليها مصطلح "حمار الوحش" (onager) [٢].

أطلق المؤرخون اللاتينيون القدماء في نهاية الجمهورية وبداية الإمبراطورية اسم "العقرب" (scorpio) على مطلقات السهام من العيار الخفيف، ولكن نجد أن مؤرخي القرن الرابع الميلادي أمثال إميانوسِ (Ammianus) وفيجيتيوس يطلقون على هذا النوع من الآلات مصطلح "حمار الوحش" وذلك لقوة ضربته التي شبهوها برفسة حمار الوحش، ووفقاً

---

(1) - Marsden: Greek and Roman Artillery: "Historical Development", op.cit, pp.179, 184.

(2) - Ibid, pp.187-190.



الشكل رقم (٦٣)
مشهد من عمود تراجان يبين المدفعية من نوع carroballista مثبتاً فوق عربة ذات عجلتين تجرها البغال.
المصدر: .Campbell, Duncan: Greek and Roman Artillery 399 BC–AD 363, Osprey Publishing, 2003, p. 37

لأميانوس أطلق هذا المصطلح خلال القرن الرابع على نوع من الآلات كان يطلق عليه سابقاً اسم "العقرب"[1].

في الواقع تألفت آلات اللي والفتل الرومانية من من آلات أحادية الذراع وأخرى ثنائية الذراع، وكانت الآلات أحادية الذراع وفقاً للمؤرخ المعاصر غولدزورثي (Goldsworthy) نمطاً نادر الوجود قبل القرن الرابع الميلاد، وبقيت من دون تغيير جوهري حتى العصور الوسطى، واحتوت على ذراع رمي عمودي واحد، فقد كان باستطاعته رمي الحجارة بقوة كبيرة، وأطلق عليه الرومان مصطلح "حمار الوحش" وذلك لضربته القوية[2]، في حين يرى المؤرخ مارسدن (Marsden) أنه من المستحيل تحديد الفترة التي أصبحت فيها المجانيق ذات الذراع الواحد السلاح الثقيل الموحد في الفرق الرومانية، ويرجح القول القائل بأن هذه الآلات دخلت الخدمة في الجيش الروماني خلال أوائل القرن الثالث معتمداً في ذلك على نتائج التنقيبات التي أجريت في حصن هاي روشيستر (High Rochester) في ألمانيا والعائد إلى سنة ٢٢٠م تقريباً، ويرى أن الدلائل على وجود هذه الآلة في حصن وحدات مساعدة يثير الشك، ولكن وفقاً له ربما تولى تشغيلها وصيانتها في هذا الحصن جنود من

(1 - Webster: op.cit, p.242.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, .p.188.

الفرق كمهمة خاصة على اعتبار أن المجانيق ومطلقات السهام اقتصرت على جنود الفرق والحرس الإمبراطوري فحسب[١].

يصف المؤرخ أميانوس المجانيق أحادية الذراع "حمار الوحش" كما يأتي: ساريتين من خشب السنديان مقطوعتان ومنحنيتان قليلاً حتى تبدوا واقفتان كالسنامين، وتثبت هذه السواري معاً مثل المنشار، وكان على كلا جانبي الساريتين فتحات كبيرة نوعاً ما تمر من خلالها حبال قوية لإحكام الآلة ومنعها من الانهيار. ويرتفع من منتصف هذه الحبال ذراع خشبية بشكل منحرف للأعلى مثل سارية المركبة ذات العجلتين، وتُربط هذه الذراع من الأعلى بحبلين لرفعها للأعلى وخفضها للأسفل، وتثبت في أعلاها خطافات حديدية يتدلى منها مقلاع مصنوع من القنب أو الحديد، وتوضع أمام الذراع مسندة كبيرة من الشعر مثبتة بحبال قوية، وتوضع هذه الآلة على كومة من التراب أو الآجر المجفف بالشمس، لأن الآلة الثقيلة من هذا النوع تحطم كل شيء أسفلها بفعل صدمتها العنيفة أكثر منه بسبب وزنها، ثم توضع حجرة كروية في المقلاع، ويقوم أربعة رجال من كل جانب بسحب الرتاج (المتصل بالذراع بواسطة حبلين) إلى الخلف للي الذراع حتى تصبح مسطحة تقريباً، ويقوم أحد الرجال بضرب الرتاج بمطرقة قوية لتنطلق الذراع وتندفع للأمام بسرعة، وبعد ارتطامها بالمسندة المصنوعة من الشعر تقذف الذراع الحجر بقوة كبيرة[٢] (الشكل رقم ٦٤).

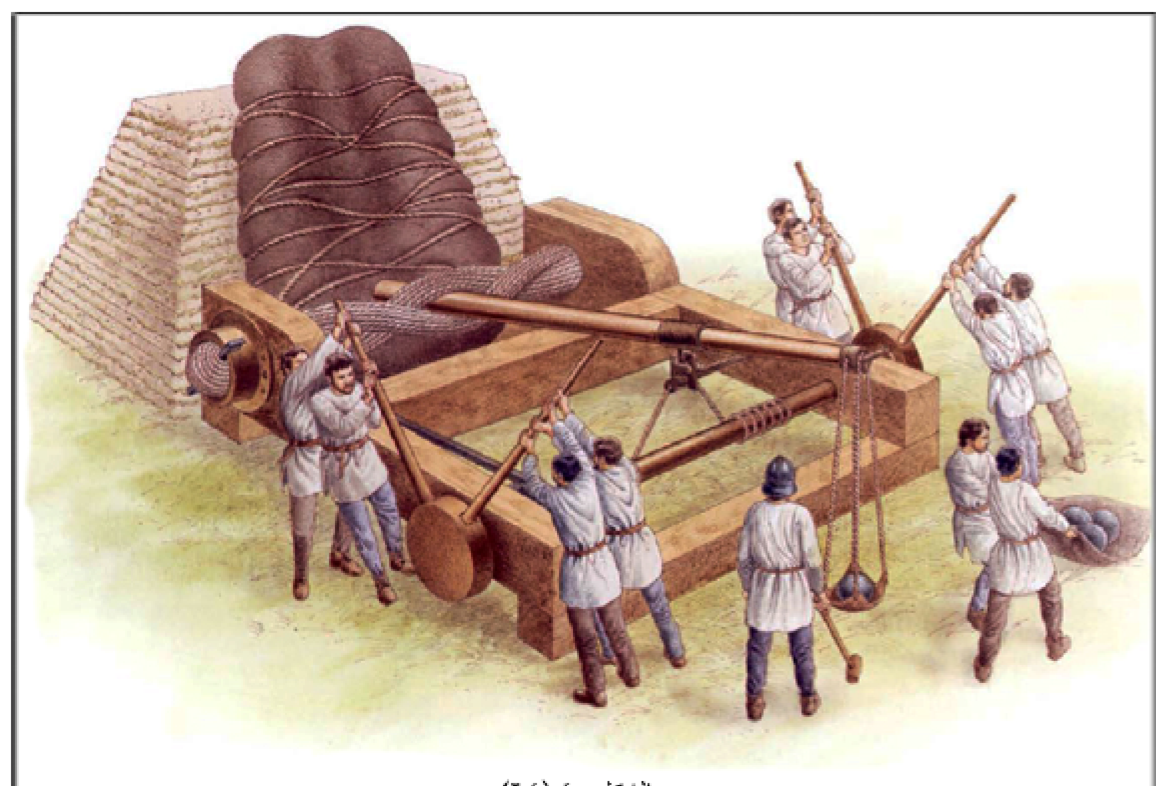
أما المجانيق ثنائية الذراع فكانت آلات أكثر تعقيداً وإحكاماً، وكانت شائعة الاستخدام طوال الفترة الجمهورية والقرون الثلاثة الأولى من الإمبراطورية، وأطلق عليها الرومان اسم قاذفات الحجارة (ballista) وقاذفات السهام (scorpio, catapultae)، وتبدو هذه الآلات كالقوس بالرغم من أنها عملت وفق مبادئ مختلفة، فالقوة لم تكن مستمدة من التوتر الناتج عن شد الذراعين، وإنما استمدت قوتها من قوة لفّ النابض المصنوع من الوتر، وتنوعت هذه الآلات من حيث الحجم ابتداءً من الآلة التي يحملها رجل واحد إلى الأنواع التي كانت تُحمل على عربة، وكان باستطاعتها قذف السهام والحجارة بدقة وقوة كبيرتين[٣].

---

(1) - Marsden: Greek and Roman Artillery "Historical Development", op.cit, p.191.

(2) - Webster: op.cit, p.243.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.191.



الشكل رقم(٦٤)
رسم توضيحي للمدفعية القاذفة للحجارة أحادية الذراع التي أطلق عليها الرومان اسم «حمار الوحش» (onager)
المصدر: Campbell, Duncan: Greek and Roman Artillery 399 BC–AD 363, Osprey Publishing, 2003, p. 32.

تألفت المجانيق الرومانية ثنائية الذراع من قاعدة تتمركز على ثلاث قوائم، ومن درع أمامي يتمركز على جانبيه حجرتي النوابض العموديتين، وكانت المواد المستعملة لصنع نوابض اللي مرنة بشكل ملائم، ولكن ليس لدرجة شد النابض بسهولة، و يجب أن تكون هذه المواد قابلة لأن تُحاك على شكل حبل للإبقاء على طرفي الوتر متساويين في الطول، واستخدم المهندسون القدماء الأوتار العضلية وشعر الحصان في صنع نوابض المجانيق، ولكنهم فضلوا شعر النساء بشكل خاص لهذه الغاية*، وكانت تجمع هذه المواد على شكل حزم ثم تلف معاً

* - بلا شك استخدم الرومان الشعر على نطاق واسع في صنع نوابض المجانيق ومطلقات السهام، وربما استخدموا شعر الحصان كقاعدة عامة، ولكن يرى مارسدن – الذي درس الآلات الرومانية معتمداً على المصادر الأدبية للمؤرخين القدماء مباشرة – ان الوتر (العصب) كان أقوى قليلاً من الشعر وتم استخدامه في أنواع خاصة من هذه الآلات نظراً لعدم توفره مقارنة بالشعر، معتمداً في ذلك على المؤرخ هيرون، والذي يقول أن الوتر أفضل مادة للنوابض. أما فتروفيوس فيرى أن شعر النساء هو الأفضل، في حين نجد أن فيجيتيوس يؤكد بقوة على أهمية العصب لصناعة النوابض، ويعتبر ان الشعر المأخوذ من عرف الحصان وذيله بديلاً مفيداً. لمزيد من المعلومات راجع:

- Marsden: Greek and Roman Artillery "Historical Development", op.cit, p.87.

لتشكل النابض، وتوضع النوابض داخل حجراتها ويدخل فيها قضيب حديدي حتى يتم فتلها لصنع مفعول الالتواء، وبعد ذلك تثبت هذه النوابض داخل حجراتها بواسطة أداة حديدية (Modiolus)، ويطلق على هذه الأداة اليوم اسم "رنديلة"، وبعد ذلك يدرج ذراعا الآلة داخل النوابض ويتصل الذراعين معاً بوساطة وتر يُربط في نهاية كل ذراع[١]، ويسحب الوتر إلى الخلف بوساطة بكرة مسننة وظفر مثبت على القاعدة، ويُطلق السهم أو الحجرة بوساطة زناد، فتنقذف القذيفة (سهم أو حجر) إلى الأمام عبر مجرى لتخرج من خلال فتحة في الدرع[٢](راجع الشكل رقم ٦٢).

كان من المهم التأكد من سحب ذراعي الآلة إلى الخلف بشكل متساوي لكي يعطيها هذا قوة دافعة متساوية، وإلا ستنحرف القذيفة عن مسارها، وحلّ هذه المشكلة- كما يقول فتروفيوس- يكمن في دوزنة وتوليف النوابض التي يجب أن تستجيب بالصوت نفسه عندما تضرب باليد. وكان للمجانيق أحجام مختلفة، والعامل الذي يحدد هذه الأحجام هو حجم السهم أو الحجارة المقذوفة، ويشرح فتروفيوس كيف يؤثر هذا العامل في أحجام قاذفات السهام (catabulta) وقاذفات الحجارة (ballistae) عند صنعها، ويقول إنه كان هناك شخص يحسب وزن الحجارة ويربط هذا الوزن بأحجام الآلات التي ستصنع، ولكن كانت نوابض آلات قذف الحجارة أثخن من نوابض مطلقات السهام[٣].

كانت رؤوس سهام قاذفات السهام من بين المكتشفات الأثرية الشائعة خلال التنقيب في المواقع العسكرية الرومانية، وتم تمييز نوعين من هذه الرؤوس، الأول هرمي الشكل ويشبه رأس الرمح الثقيل (pilum)، والآخر كان شكله بسيطاً مسطحاً ورأسه مثلث الشكل ومزود بسوكة[٤] (الشكل رقم ٦٥).

وفي الواقع كانت هذه السهام ملائمة لكي تنزلق على طول المجرى في قاذفات السهام ومنحها تصميم رؤوسها بهذا الشكل قدرةً كبيرةً على الانطلاق عالياً في الهواء، ومع ذلك لوحظ أن رؤوس هذه القذائف قد تأتي من رماح خفيفة، وإن فُسرت هذه الرؤوس على أنها قذائف مطلقات السهام فإن أحجام هذه الرؤوس يجب أن يشير إلى اختلافات في عيار هذه الآلات. ويعتقد المؤرخون المعاصرون أن رأس السهم مثّل عموماً حوالي ٢/١٥ من القذيفة

---

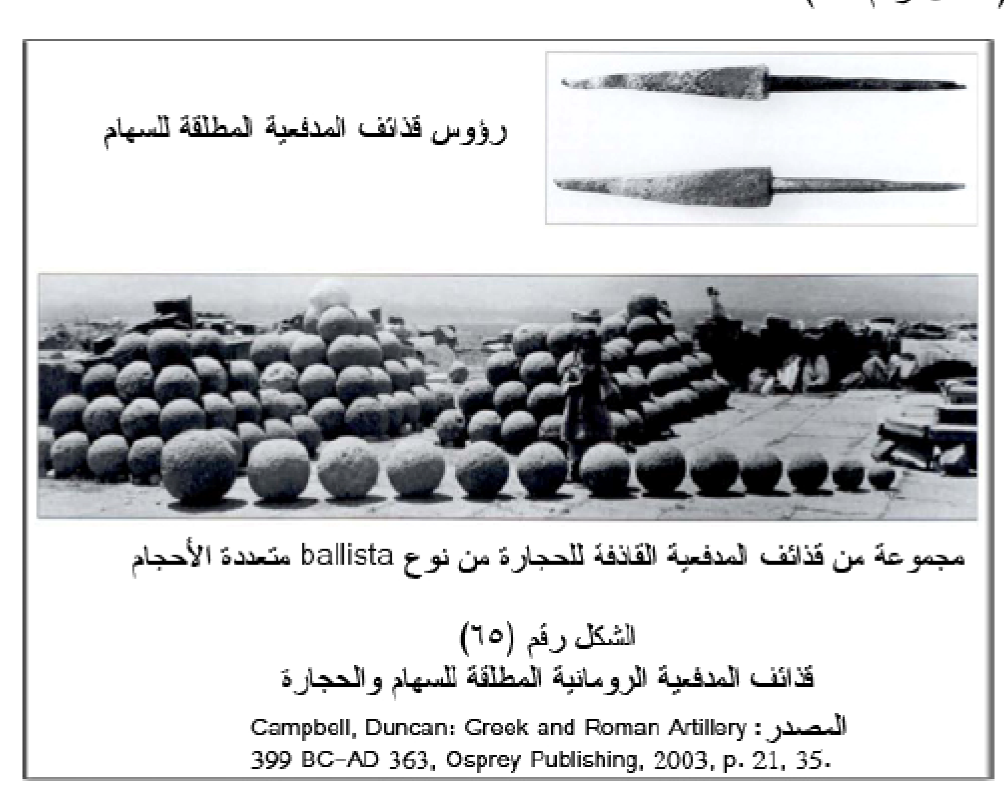
(1) - Southern: op.cit, pp.214 - 215.

(2) - Webster: op.cit, p.244.

(3) - Southern: op.cit, p.216.

(4) - Webster: op.cit, p.245.

بأكملها، وارتبط الطول الكلي للقذيفة بحجم الآلة، وربما يعود رأس السهم البالغ طوله ١٠سم، والذي عثر عليه في إيفيرا (Ephyra)، إلى سهم طوله ٧٧سم ووزنه ٢٠٠غ. أما قذائف مطلقات الحجارة، فتم دراسة بضعة مجموعات منها تعود إلى الفترة الرومانية، وربما كان للحجارة التي عثر عليها في المواقع العسكرية الرومانية وظيفة بديلة مثلها مثل رؤوس سهام الآلات المطلقة للسهام، لأنه من المعروف أن القدماء غالباً ما قذفوا حجارة كروية باليد، لذلك يجب توخي الحذر في تفسير جميع الأمثلة التي عُثر عليها على أنها قذائف مجانيق. تقدم لنا مواقع الحصار المعروفة في فترة الحرب اليهودية بين عامي (٦٦-٧٤)م أفضل الدلائل حول قذائف المجانيق المطلقة للحجارة، لأن معظم هذه المواقع بقي في حالة جيدة حتى الآن، حيث عُثر عند جمالا (Gamala) في فلسطين التي حاصرها الرومان سنة ٦٧م على ألفي قذيفة منجنيق يبلغ وزنها الوسطي بين (٣-٤)كغ، وعلى النقيض عند جوتاباتا (Jotapata) التي استولى عليها الرومان بالحصار قبل أشهر من حصار جمالا، وظهرت مجموعة من كرات المجانيق التي لم يتجاوز وزن أية منها ٢كغ، وعثر على مئتي قذيفة حجرية في القدس يمكن تصنيفها في ثمان مجموعات حسب الوزن تبدأ من نصف كيلو غرام وتنتهي بست وعشرين كيلو غرام. وربما كان الوزن الأخير تطلقه قاذفات الحجارة الأضخم في الخدمة الرومانية[1] (الشكل رقم ٦٥).



مجموعة من قذائف المدفعية القاذفة للحجارة من نوع ballista متعددة الأحجام

الشكل رقم (٦٥)
قذائف المدفعية الرومانية المطلقة للسهام والحجارة
المصدر: Campbell, Duncan: Greek and Roman Artillery 399 BC–AD 363, Osprey Publishing, 2003, p. 21, 35.

---

[1] - Campbell, Duncan: op.cit, pp.35-37.

يقول المؤرخ يوسيفوس إنه عند حصار القدس سنة ٧٠م قذفت آلات الفرقة العاشرة فرتنسيس حجارة بلغ وزنها ٤٥كغ من مسافة ٣٦٥م أو أبعد من ذلك، لكن الدراسات والحسابات الحديثة التي أجراها المؤرخون المعاصرون على قاذفات الحجارة أثبتت أن مدى قذائفها يقارب ثلاثمائة متر[١]، ويرى مارسدن (Marsden) أن مدى مطلقات السهام التي استخدمها الرومان بعد عام ١٠٠م بلغ نحو ٤٥٧م، في حين أن مدى قاذفات الحجارة الضخمة التي تزن قذيفتها ٤٥كغ بلغ أقل من ١٣٧م [٢].

ووفقاً للمؤرخ فيجيتيوس زودِت كل مئينة في الفرقة بآلة تسمى العقرب (scorpio) متحركة أو آلة محمولة على عربة (carroballistae) مطلقة للسهام، بينما امتلك كل كوهورت في الفرقة قاذفة حجارة (Ballistae) واحدة[٣]. إن فكرة أعطاء عدداً معيناً من المجانيق وتخصيصه لكل فرقة يعود إلى أغسطس، لكن يستحيل تحديد العدد خلال فترة حكمه، إلا أنه سنة ٦٦م امتلكت كل فرقة آلة واحدة لكل مئينة، وسنة ١٠٠م تقريباً أصبحت الآلات المخصصة لكل فرقة تتألف من آلات مطلقة للسهام وأخرى مطلقة للحجارة، وتختلف أحجامها ونوعيتها في كل فرقة وفقاً لعيارات المقذوف الملائم لها، وربما تنوعت هذه العيارات من فرقة إلى أخرى نتيجة الظروف المحلية التي تواجهها كل فرقة. وكان يطلق على الرجال الذين يعملون على تشغيل المجانيق ومطلقات السهام مصطلح "رجال المجانيق" (ballistarii)، واعتبر هؤلاء من ضمن الأخصائيين (immunes)، ويقول فيجيتيوس إنه خُصص جماعة مؤلفة من أحد عشر رجلاً من كل مئينة لتشغيل الكاروبالستا الخاصة بها، إلا أن عمود تراجان يُظهر أن رجلين فقط يشغلون مطلقات السهام سواء كانت متحركة أو ثابتة، وعلى الأغلب أن عمود تراجان لم يُظهر العدد الكلي لطاقم المجانيق ومطلقات السهام اختصاراً للمساحة التي سيشغلها هؤلاء، وكان هناك في كل كوهورت من كوهورتات الفرقة مئينة تمتلك قاذفة حجارة تشرف عليها جماعة مساوية في العدد للجماعة التي ذكرت آنفاً[٤].

وبالرغم من أن حجم آلات اللي والفتل الرومانية كان كبيراً وامتلكت قوة قذف كبيرة، إلا أنها لم تكن قادرة على اختراق سور حجري أو ترابي قوي وحسن البناء، وإنما استطاعت هدم المتاريس الرقيقة والأبنية المؤقتة التي تبنى حول التحصينات الدائمة، مع ذلك كان عمل

---

(1) - Webster: op.cit, pp.243-244.

(2) - Marsden: Greek and Roman Artillery "Historical Development", op.cit, p.91.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.192.

(4) - Marsden: Greek and Roman Artillery "Historical Development", op.cit, p.192.

هذه الآلات الرئيس ضد الأفراد، فقد استخدم المهاجمون المجانيق ومطلقات السهام لإزاحة المدافعين عن الأسوار، والذين كان هدفهم إعاقة أعمال الحصار أو إعاقة الهجمات بوساطة الكباش وبروج الحصار، حيث امتلكت قذائف هذه الآلات قوة كافية لا تصمد أمامها الدروع والملابس الدفاعية التي يرتديها الجنود[١].

٢ – السقائف والأغطية:

تنوعت أدوات الحصار الرومانية وأُبتكرت بطريقة ماهرة، وكـــان الهدف الأســـاس منها فتحَ ثغرة في الأسوار أو البوابات، لكن كانت البواباتُ أكثرَ المناطق قوة في الحصن ومحمية بشكل كبير، لذلك غالباً ما فضل الرومان اختيار نقطة في الأسوار لفتح ثغرة فيها، ومن أجل فتح الثغرة في الأسوار توجب على الرومان ملء الخنادق الدفاعية بمواد قوية تسمح للأدوات الثقيلة بالاقتراب من أسفل الأسوار[٢]. وقد تطلبت عمليات نقل التراب والمواد – لردم الخنادق والدفاعات الخارجية المعقدة تحت رابية (agger) ترابية كبيرة – نوعاً مختلفاً من الحماية، فقد احتاج الجنود الذين يمررون الأغصان والسلال المليئة بالتراب اللازمة لبناء الرابية الترابية إلى حماية تقدمها لهم أغطية وسقائف على شكل ممرات طويلة تُبنى بعيداً عن مدى قذائف العدو ويتمّ مدّها حتّى تصل إلى السور [٣]. وغالباً ما استعمل الرومان ما يسمى بالـــ"ڤينيا" (vinea) من أجل هذه الغاية، والذي يصفه فيجيتيوس ببناء خشبي خفيف مفتوح من الأمام والخلف وجوانبه مقواة بالأملود*، وذو سطح مصنوع من الألواح الخشبية، ومغطى بغطاء مضاد للنار مصنوع من الجلد الخام (غير المدبوغ). وكانت الڤينيا عبارة عن دهليز طويل (الشكل رقم ٦٦)، واحتاج الجنود الذين يخرجون من طرفه الأمامي إلى حماية أمامية وربما أمنها غطاء يطلق عليه اسم ال"بلوتيوس" (pLuteus)، والذي كان عبارة عن غطاء مصنوع من الأملود وسطحه مقوس. يقول فيجيتوس إن قاعدة البلوتيوس مثلثية الشكل ارتكزت على ثلاث عجلات، ولم تكن هذه الأداة ثقيلة وإنما كان من السهل نقلها يدوياً إلى المكان المطلوب. وفي الواقع وبلا شك تم ارتجال أغطية أخرى مصنوعة من الجلد و الأملود

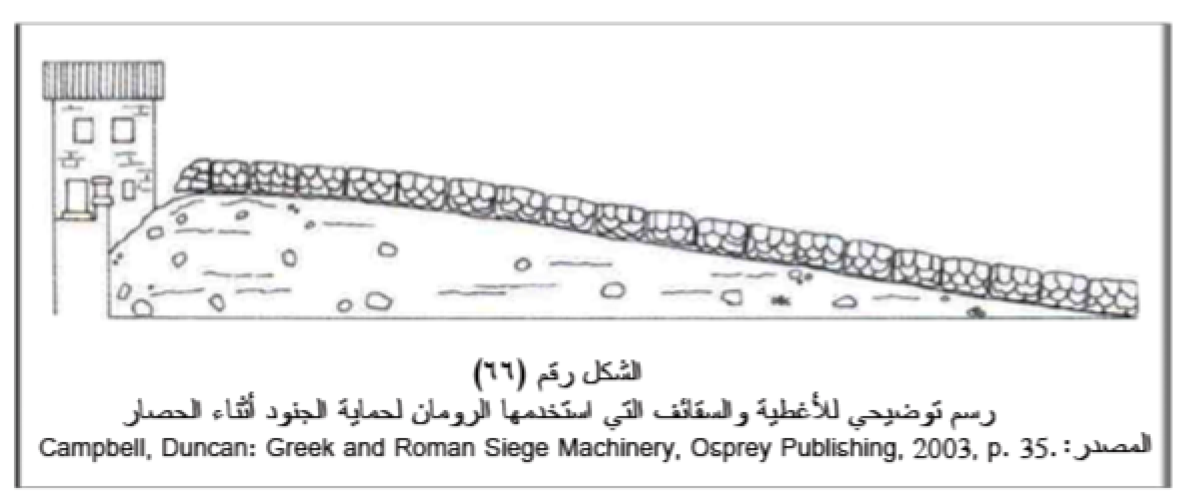
---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.192.

(2) - Webster: op.cit, p.240.

(3) - Nelson, Eric: The Complete Idiot's Guide to the Roman Empire, Alpha Publishing, 2002, p. 169.

* - الأملود: هو الأغصان النحيلة الطرية التي تُظفر مع الأغصان الثخينة لتشكيل جدار أو سطح قوي.



الشكل رقم (٦٦)
رسم توضيحي للأغطية والسقائف التي استخدمها الرومان لحماية الجنود أثناء الحصار
المصدر: Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, Osprey Publishing, 2003, p. 35.

لكي تلائم حالة الحصار، ولكن ربما وجود الفينيا والبلوتيوس بشكل كبير في أشغال الحصار كان سببه الفائدة الكبيرة التي تقدمها هذه السقائف في جميع مراحل الحصار[١].

استخدم الرومان غطاءً آخر أثناء الحصار أطلقوا عليه اسم ال"موسكولوس" (musculus)، والذي تم استخدامه أثناء تقدّمهم واقترابهم من أسوار العدو، وذلك من أجل صد قذائف المدافعين المتمركزين على شرفات الأسوار[٢]. ويصف فيجيتيوس الموسكولوس على أنه آلة صغيرة تستخدم لحماية الجنود عند إحضارهم مواد البناء إلى الأمام، ولكن بالتأكيد كان فيجيتيوس مخطئاً في وصفه للموسكولوس، لأنه من خلال وصف قيصر لهذه الآلة، وهي قيد العمل أثناء حصار مدينة ماسيليا (Massilia) سنة ٤٩ق.م يتوضح لنا أن هذا الغطاء كان رواقاً قوياً جداً، وأنه كان يُبنى عندما تخفق الأغطية (الفينيا والبلوتيوس) في الصمود في وجه آلات المدافعين، وكانت نسخة قيصر من الموسكولوس بطول ١٨م وعرض ١,٢م وارتفاع ١,٥م، وذات سقف منحدر بُني من أخشاب بلغت ثخانتها ٦٠سم، وكانت السقيفة مغطاة كلياً بطبقة مصنوعة من الآجر والطين مضادة للنار، وكان فوق هذه الطبقة طبقة أخرى مضادة للماء مصنوعة من الجلد الخام لإحباط أية محاولة من قبل المدافعين لتفكيك الطين. وربما لم يكن من المعتاد صنع هكذا غطاء وتحريكه، ولذلك غالباً ما كان المدافعون يؤخذون على حين غرة عندما يتقدم الموسكولوس فجأة باتجاه الأسوار على مجموعة من المزلاجات الاسطوانية التي تستخدم عادة في نقل السفن إلى المياه، وحالما يصل

---

(1) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery 399 BC-AD 363, Osprey Publishing, 2003, p.35.

(2) - Webster: op.cit, p.240.

الموسكولوس إلى أسفل السور يعجز المدافعين عن منع الرومان من هدم أحد أبراج المدينة عن طريق الحفر أسفله(١).

وهناك نوع آخر من الأغطية يذكره أبولودوروس الدمشقي (Apolloorus)* – المهندس المعماري والعسكري للإمبراطور تراجان – في كتابه " فن الحصار"(Polior KetiKa)، والذي استدعاه الإمبراطور تراجان لابتكار آلات حصار وفق تصاميم جديدة. فغالباً ما دحرج المدافعين جذوع الأشجار والبراميل والعربات من أعلى الأسوار لتمزيق صفوف المهاجمين، ولذلك ينصح أبولودوروس في الجزء الأول من كتابه بنظام من المتاريس والخنادق والسقائف المصممة خصوصاً لحرف مسار هذه الأشياء، وبعد ذلك يصف أبولودوروس السقائف التي يحتاجها الجيش الروماني لحماية جنوده أثناء حفرهم للأنفاق(٢)، فيقترح أبولودوروس بإنشاء سلسلة من الخنادق المنحرفة مع سياجات خشبية داعمة لها لإيقاف المواد المتدحرجة من الأعلى، وينصح بأن تحتشد القوات المهاجمة داخل درع السلحفاة الذي كان على شكل مقدمة السفينة، والذي ساعد شكله المثلثي مع القمة المقواة والموجهة إلى أعلى الهضبة في حرف الأشياء المتدحرجة. كان هذا النوع من الأغطية بلا سقف وخفيفاً كفاية لكي يتقدم به الجنود إلى الأمام وكأنه موضوع على مزلاجات، وكان عند تثبيته يُدعّم بدعائم قوية. يُوضّح هذا النوع من السقائف على عمود تراجان في مشهد أسيء فهمه باستمرار، وذلك نتيجة التصاق الأغطية بجذوع الأشجار والبراميل التي يدحرجها المدافعون من أعلى الأسوار(٣) (الشكل رقم ٦٧).

٣ – سلحفاة الكبش (testudo aries):

بقي الكبش (Aries) أحدَ أكثر الأسلحة الرومانية فاعلية لفتح ثغرة في الأسوار بالرغم من بساطة فكرته، وغالباً ما تجنب الرومان ضرب البوابات بالكبش لأن براعة المهندسين المدافعين سُخّرت لحماية البوابات، باستثناء بوابات التحصينات البسيطة(٤). ولقد قاومت الأسوار المبنية من لبنات الطوب ضربات الكبش بفاعلية أكبر من الأسوار الحجرية التي

---

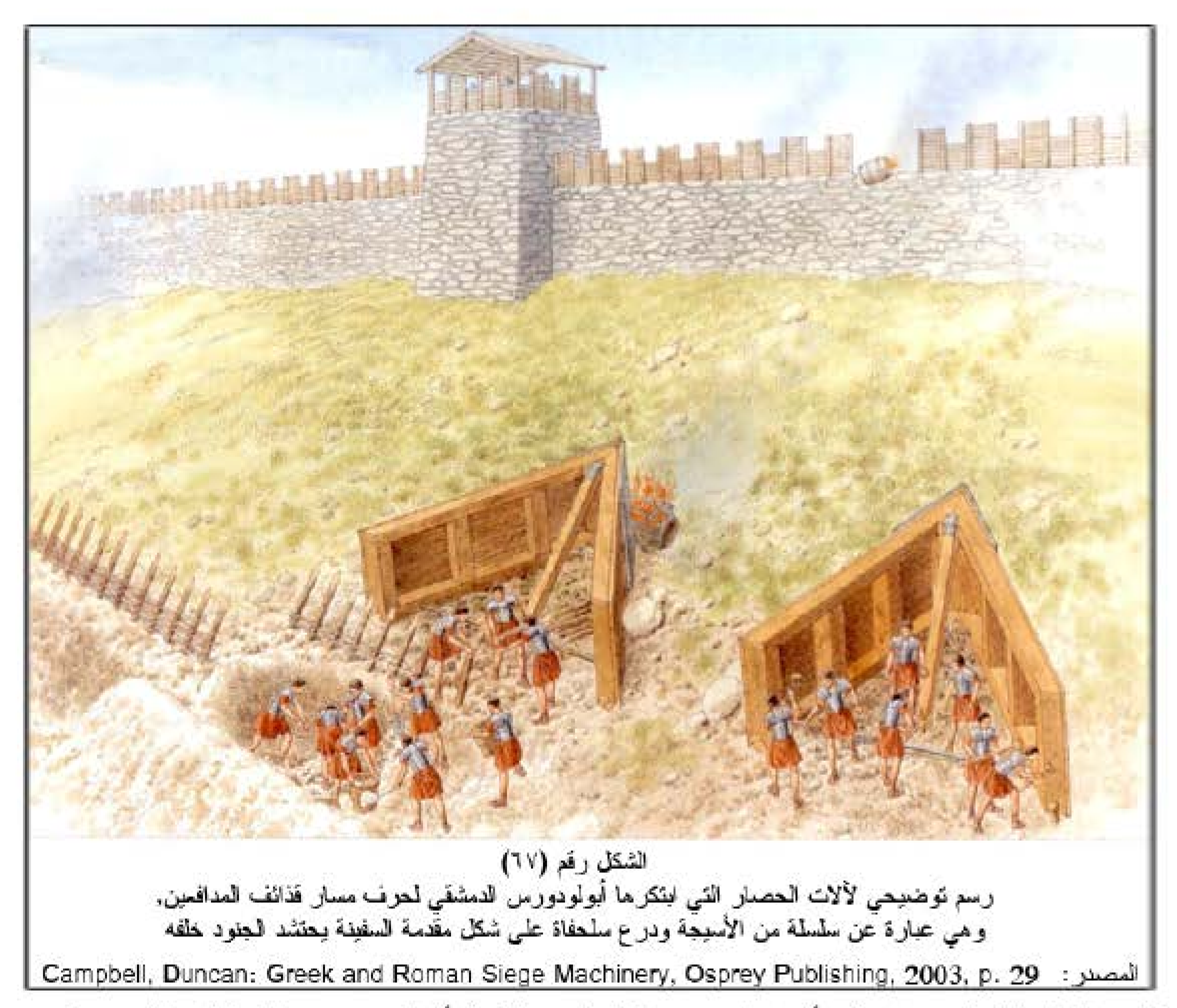
(1) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery 399 BC-AD 363,op.cit, p.36

* - لمعلومات عن أبولودوروس الدمشقي أنظر: المهندسين العسكريين والاختصاصيين، الفصل الثالث.

(2) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World 146 BC-AD 378, Osprey Publishing, 2005, p.54.

(3) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p. 36.

(4) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p. 194.



الشكل رقم (٦٧)
رسم توضيحي لآلات الحصار التي ابتكرها أبولودورس الدمشقي لحرف مسار قذائف المدافعين،
وهي عبارة عن سلسلة من الأسيجة ودرع سلحفاة على شكل مقدمة السفينة يحتشد الجنود خلفه
المصدر: Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, Osprey Publishing, 2003, p. 29

كانت لبناتها المفردة تتحطم أو تزاح من مكانها، ويلاحظ أبولودوروس الدمشقي الشيء نفسه، والذي يقول بأن الأسوار المصنوعة من الطوب تمتص الصدمة، في حين أن الضرب يخلخل الأسوار الحجرية، مع ذلك كانت الدفاعات الأكثر شيوعاً في عهد الرومان مصنوعة من الدبش المكسو بالحجارة، وهدم الكساء الخارجي سيؤدي إلى انهيار النواة[١].

[1] - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p. 40.

الشكل رقم (٦٨)
رسم يوضح عارضة الكبش ورأسه

المصدر: Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery 399 BC–AD 363, Osprey Publishing, 2003, p. 28

أبدع الرومان أكباشاً هائلة توضع تحت سقيفة ذات عجلات أو برج متحرك، وتألف الكبش من عارضة خشبية طويلة لُفت بحبال ثخينة لكي لا تتشقق وتتفلق، وكان لها رأس حديدي على شكل رأس الكبش الذي يقوم بعملية النطح[1]. كتب يوسيفوس واصفاً الكبش الروماني أثناء الحرب اليهودية بين الأعوام ٦٦-٧٤ م قائلاً: "كان عارضة ضخمة تشبه سارية السفينة، وغطي رأسه بكتلة حديدية صورت على شكل رأس الكبش، والذي اشتق منه اسمه ". وعلى العموم تألف الكبش الروماني من عارضة خشبية أسطوانية الشكل، ولُف عليها حبال ثخينة حتى لا تتشقق أثناء ضرب الأسوار، وثُبت على رأس هذه العارضة كتلة حديدية على شكل رأس الكبش، وثبت رأس الكبش بالعارضة الخشبية بوساطة سيلان حديديّ يدخل في شق محفور في العارضة الخشبية، ويقوى هذا الشق بطوق حديدي لمنع الخشب من التشقق (الشكل رقم ٦٨).

يتكلم أبولودوروس الدمشقي عن سلحفاة الكبش في حديثه عن آلات الحصار، يقول يجب أن تكون الحبال التي يُعلق بها الكبش طويلة لكي تسمح لعارضته التحرك بحرية حركة كاملة، ولكي تُنتج ضربات قوية، وكذلك يجب أن يكون درع السلحفاة محكماً ويسهل نقله، ولا بد لأطرافه أن تنحدر بشدة لكي تنحرف القذائف من دون أن تسبب ضرراً، وأخيراً يجب حماية رأس الكبش من الأعلى بوساطة سقف ناتئ[2]. وكان كلٌ من الكبش وهيكله محميين بسقفية قوية جداً، وغالباً ما كانا محمولين على عجلات، وأطلق على سقيفة الكبش اسم السلحفاة (testudo) لأنها تشبه درع السلحفاة الثقيل والكبش يشبه رأس السلحفاة الذي يدخل ويخرج[3].

وفي الواقع كان تصميم سلحفاة الكبش بسيطاً جداً، إذْ تـــألف هيكل السلحفاة الذي بلغ عرضه ٣,٥م من زوجين من العوارض في كل طرف، وثُبتت العجلات بين كل زوج من هذه

---

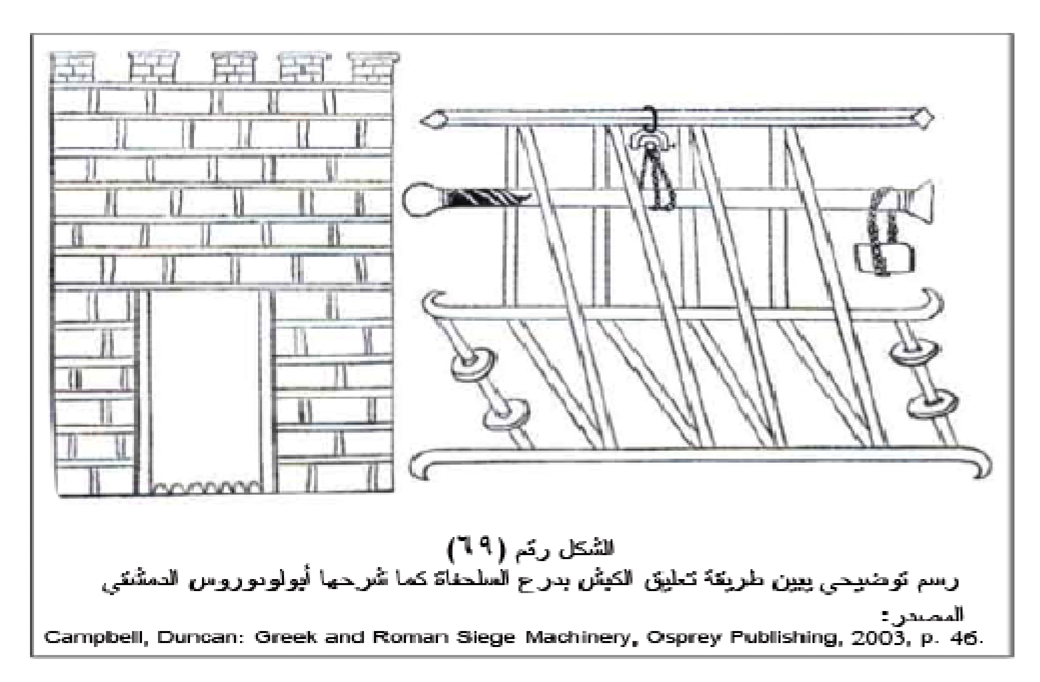
[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p. 194.

[2] - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, pp. 41, 24.

[3] - Webster: op.cit, p.240.

العوارض، وكان هناك على طول العوارض الخارجية أربعة عوارض خشبية ارتفعت بشكل مائل في زاوية شديدة الانحدار لدعم حافة الكبش الطولانية، ودُعمت العوارض المائلة من منتصفها بدعائم منتصبة ترتكز على العوارض السفلية الداخلية، أما البناء بأكمله تمت تقويته بكساء من الألواح الخشبية بلغ سمكها ٧سم[1]. ويُشكل السقف أهم جزء في درع سلحفاة الكبش، لأنه كان عليه مقاومة الحجارة الثقيلة التي يلقيها المدافعون على الكبش من فوق الأسوار، وكذلك القطران المشتعل وجذوع الأشجار. ولذلك كان هذا السقف منحدراً جداً من كلا الجانبين ليساعد على التخلص من المواد المقذوفة من الأعلى، وغُطّي بطبقة من الجلد ثم بطبقة أخرى من الطين المعجون بالشعر، والتي تمتعت بثخانة تمنع النار والمواد المشتعلة من الوصول إلى الخشب أو الرجال تحتها[2] (الشكل رقم ٧٠).

ينصح أبولودوروس بأن يُرفع هيكل السلحفاة على أوتاد لمنع الآلة من الرجوع إلى الخلف مع كل ضربة، وكذلك ينصح بحماية رأس الكبش بواسطة السقف الناتئ الذي نتج عن جعل العارضة الخشبية العلوية في هيكل السلحفاة أطول من عوارض الهيكل الأخرى، وربما بلغ طول هذه العارضة ٩م. ويقترح أبولودوروس أن يتم تعليق عارضة الكبش بحيث يكون النصف الأمامي للكبش أطول من النصف الخلفي، ويُرفق النصف الخلفي بثقل رصاصي لاستعادة التوازن، وستكون النتيجة حسب قول أبولودوروس كما لو أن عارضة الكبش الخشبية كانت أثقل (الشكل رقم ٦٩).



الشكل رقم (٦٩)
رسم توضيحي يبين طريقة تعليق الكبش بدرع السلحفاة كما شرحها أبولودوروس الدمشقي
المصدر:
Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, Osprey Publishing, 2003, p. 46.

---

(1) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p.41.

(2) - Webster: op.cit, p.241.



الشكل رقم (٧٠)
رسم توضيحي لدرع السلحفاة الخاصة بالكبش يتبعه درع سلحفاة آخر لحماية الرجال الذين يعملون على تشغيل الكبش
المصدر: Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, Osprey Publishing, 2003, p. 32.

ولحسن الحظ يمكن رؤية سلحفاتي كبش على إحدى الألواح المنحوتة على قوس الإمبراطور سبيتميوس سيفيروس، والذي نصبه سنة ٢٠٣م، وكلا السلحفاتين تصوران السقف المنحدر لسلحفاة الكبش والمقطع العرضاني المثلث الشكل الذي يمثل الصفة المميزة للنسخة الرومانية من هذه الآلة. ونصيحة أبولودوروس المتمثلة في أنه يجب أن تتبع سلحفاة الكبش سلحفاة أخرى في الخلف لحماية طاقم الكبش كانت موضحة على قوس سبتيموس سيفيروس[1] (الشكل رقم ٧٠).

٤ – أبراج الحصار (turris ambulatoria):

استخدم الرومان أبراج الحصار بشكل كبير منذ سنة ٢٠٠ق.م، وذلك من أجل الارتفاع إلى مستوى أسوار البلدة أو الحصن المحاصر ولتسهيل اقتراب الجنود من الأسوار تحت التغطية التي يقدمها وابل قذائف المجانيق والنبّالة، ولتحقيق اختراق الأسوار بأعداد كبيرة[2]. ويقدم لنا فيجيتيوس وصفاً شاملاً لكنه مختصر للبرج المتحرك كما ظهر في منتصف

---

[1] - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, pp.41-42.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.196.

القرن الأول الميلادي، فيذكر قواعد مختلفة الأبعاد لأبــراج مختلفــة مثــل (٨,٩م٢ و١١,٨م٢ و١٤,٨م٢). ولذلك يبدو أن الارتفاعات المختلفة للأبراج تطلبت قواعد ذات أبعاد مختلفة مــن أجل الثبات، ولسوء الحظ لا يذكر فيجيتيوس ارتفاعات أبراج هذه القواعد، ولكن مــن غيــر المحتمل أنها كانت عالية جداً. وبالرغم من توثيق أبراج حصار مؤلفة من عشرة طوابق منــذ أيام قيصر، إلا أن الأبراج التي بنيت أثناء الحرب اليهودية تنوعت ارتفاعاتها بشكل كبيــر[1]، حيث تم بناء أبراج حصار مغطاة بالحديــد بلــغ ارتفاعهــا ١٥م أثنــاء حصــار جوتاباتــا (Jotapata) في فلسطين عام ٦٧م[2]، وتم بناء أبراج حصار بلــغ ارتفاعهــا ٢٢,٢م أثنــاء حصار القدس سنة ٧٠م، وبلغ ارتفاع أبراج الحصار أثناء حصار ما سادا (Masada) ســنة ٧٣م حوالي ٢٦,٦م. وفي الواقع كان الاختلاف في ارتفاع أبراج الحصار يتناسب مع دورهــا في تأمين الحماية للجنود، وكذلك يتناسب مع ارتفاع أسوار الحصــون المحاصــرة وطبيعــة التضاريس المحلية المحيطة بالحصن. ولذلك من الواضح أنــه منــذ منتصــف القــرن الأول الميلادي أصبحت الغاية النفعية والعملية هي القاعدة الرئيسة في الهندسة الرومانية بــدلاً مــن التصاميم الهلنستية ذات الحجم الكبير والمخيف. يذكر فيجيتيوس ثلاث طبقات بارزة في بــرج الحصار الروماني خلال الفترة الإمبراطورية، فقد زود الطابق الأرضي للبرج بكبش، وحمــل البرج في الطبقة الوسطى جسراً من الألواح الخشبية، واحتوى عند القمة منصّة قتالية من أجل النبّالة والرماحّين الذين كانت مهمتهم تأمين التغطية للجنود والكبش وإزاحة المــدافعين عــن شرفات الأسوار، ويشير فيجيتيوس أيضاً إلى امتلاك برج الحصار للعديد من العجلات، ويبدو من خلال ذلك أن هناك دلالة على وجود عجلات أخرى غير العجلات الأربعة الأساسية. وقد كُسِيَ البرج بالجلد الخام وبطبقات من الخرق البالية كدفاع ضد النار، لأن هذه الخرق والجلود كانت غير قابلة للاشتعال إلا في حال حُشيت لتشكيل طبقة موسّدة[3] (الشكل رقم ٧١).

كان المدافعون يحاولون إبطال مفعول أبراج الحصار بوساطة القذائف النارية، أو مــن خلال رمي الحجارة الكبيرة عليها من فوق الأسوار، أو بهجمات تنفذها مجموعات صغيرة من الجنود الشجعان لإضرام النار فيها أو قلبها[4]، وربما لمواجهة هذه الأعمــال كُســيت أبــراج

---

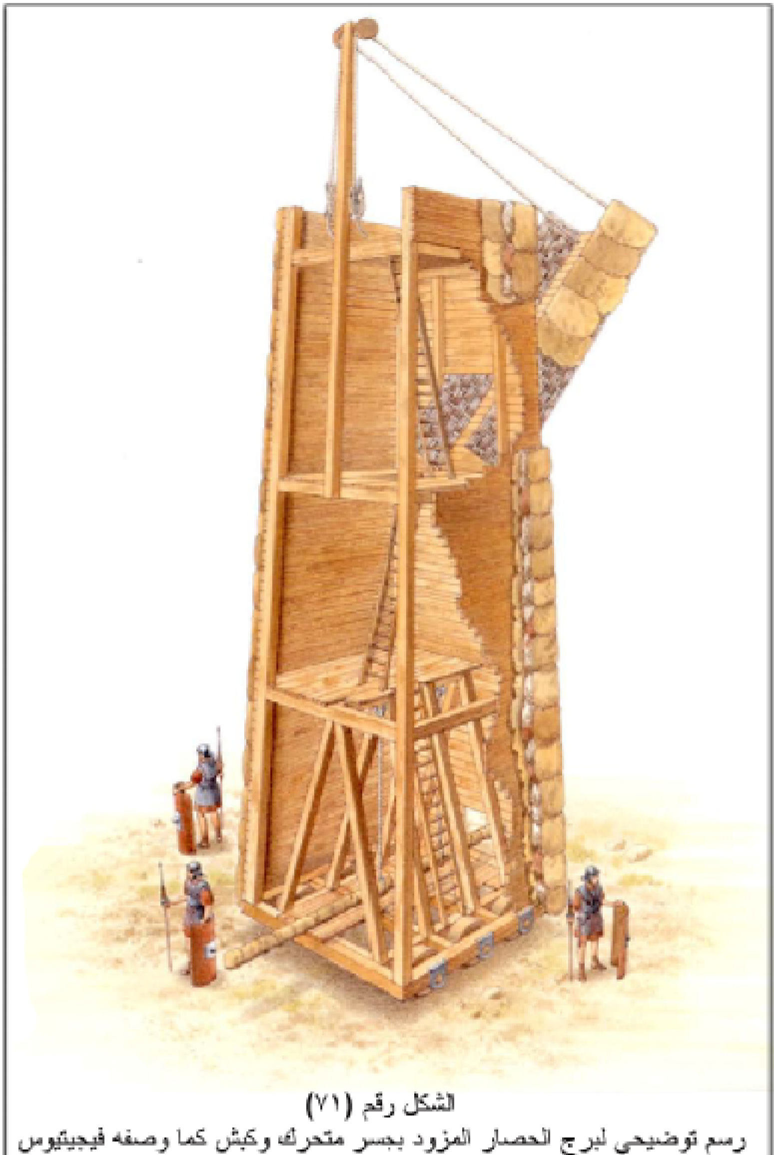
(1) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p.37.

(2) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, p.3.

(3) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p.37.

(4) - Webster: op.cit, p.241.

الحصـــار أثنـــاء الحـــرب اليهودية بصفائح حديدية[١]. ويصف فيجيتيــوس جســر برج الحصار بالجسر



الشكل رقم (٧١)
رسم توضيحي لبرج الحصار المزود بجسر متحرك وكبش كما وصفه فيجيتيوس
المصدر: Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery 399 BC–AD 363, Osprey Publishing, 2003, p. 31

الذي يثبته الجنود بين برج الحصار والسور، والذي يتم بسطه فجأة لكــي يخــرج الجنود من البرج ويعبرون عليه إلى شرفات الأســوار من أجل احــتلال أســوار حصون الأعداء[٢]، ويمكن تزويــد أبــراج الحصـــار بجســور ثابتــة وأخــرى متحركة. وكانت الجســور الثابتة تُمد عن طريق دفعها للأمام من قبــل الجنــود، وعلـــى الأغلـــب كانـــت أطرافها محمية بدعائم لمنع الجنـــود مـــن الســـقوط ولإعطـــائهم القليـــل مـــن الحماية، أما الجسور المتحركة فيتم إنزالها بوساطة البكرات[٣]، ويطلق عليها فيجيتيوس اســم "السامبوكه" (sambuca)، وسمي هذا الجسر بذلك لأنه يشبه القيثارة، كمـــا للقيثـــارة أوتـــار كذلك للجسر المتحرك حبال تخفضه من الأعلى إلى الأسفل بوساطة بكـــرات، وهـــذا شـــبيه بالسامبوكة المستخدمة في السفن لعبور المشاة عليها من السفينة إلى الرصيف وبالعكس[٤].

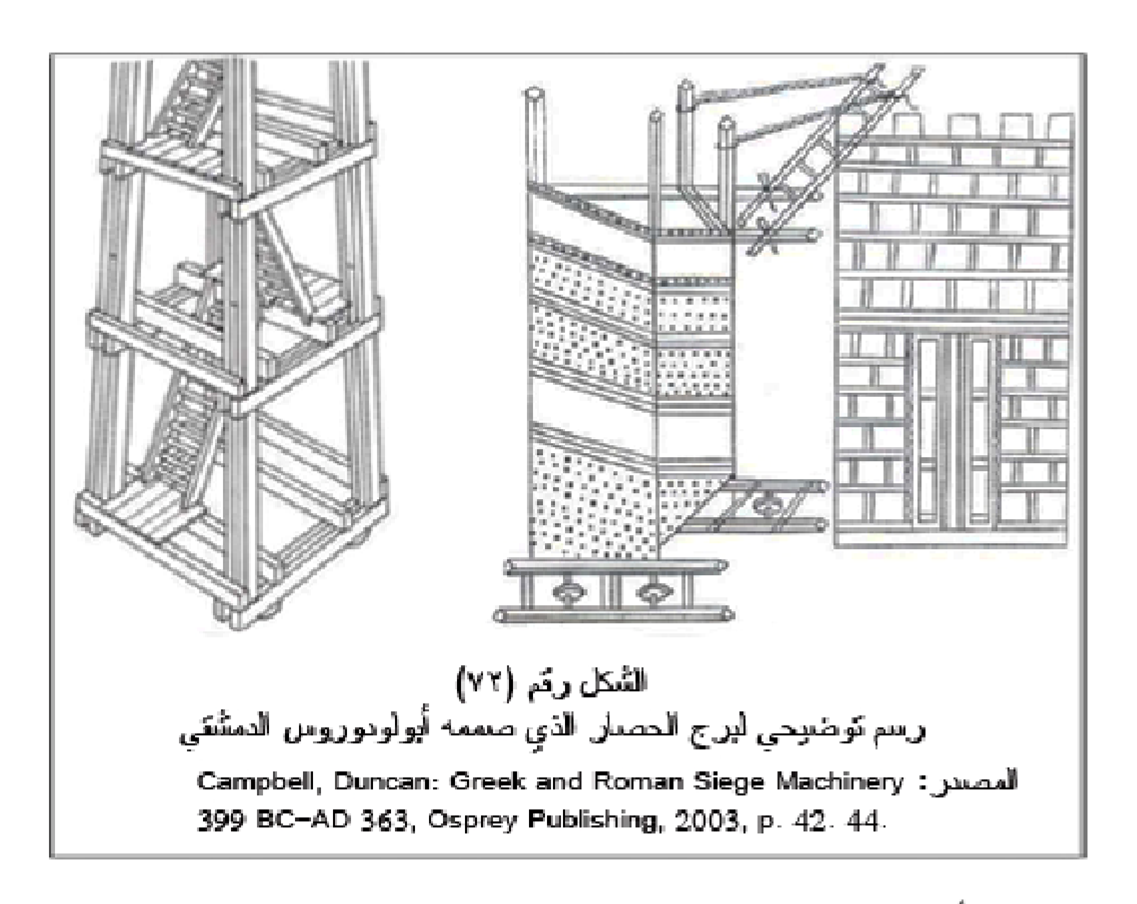
---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.195.

(2) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p.38.

(3) - Webster: op.cit, p.241.

(4) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p.38.



الشكل رقم (٧٢)
رسم توضيحي لبرج الحصار الذي صممه أبولودوروس الدمشقي
المصدر: Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery 399 BC–AD 363, Osprey Publishing, 2003, p. 42- 44.

يصف أبولودوروس الدمشقي وهو مهندس الإمبراطور تراجان برج الحصار الذي صممه بنفسه (الشكل رقم ٧٢)، ويبدو من خلال وصفه أن تصميم هذا البرج كان خاصاً ليناسب الظروف التي تكون فيها كميات الخشب قليلة. يبدأ أبولودوروس وينصح من أجل السلامة بأن يتم نصب برج الحصار على مسافة لا بأس بها من أسوار العدو، وكان هذا السبب الرئيس وراء تزويد آلات الحصار العديدة بالعجلات، والذي سيصبح عادة شائعة فيما بعد. ولم تكن عادة شائعة أن يُقيد المهندس العسكري نفسه بعوارض خشية قصيرة، ولكن يكمن اهتمام أبولودوروس الرئيس في المواد المتوفرة، ويعلن بفخر أن اتباع تعليماته "باستخدام أخشاب قليلة وقصيرة يتم رفع برج كبير يساوي ارتفاعه ارتفاع الأسوار". وفي الواقع كان أطول الأخشاب في برج حصار أبولودوروس حوالي ٤,٧م وعرضها ٣٧سم و ثخانتها ٢٢سم، وكانت ثخانة زوايا البرج الأربعة العمودية ثلاثة أضعاف القياسات السابقة. وتألفت قاعدة البرج من زوجين من العوارض المتوازية، وثُبتت كل عَجَلة على محور قصير بين كل زوج من هذه العوارض، ولسوء الحظ لا يسهب أبولودوروس في شرحها، ولكن حالما يتم الانتهاء من بناء البرج يتم تغطيته بالألواح الخشبية، ويقترح أبولودوروس أن يتم تعليق الجلود الخام بشكل رخو على جوانب البرج لاعتراض القذائف، وبعد ذلك تثبت الألواح الخشبية بمسامير، وتغطى الألواح الخشبية بطبقة ثخينة من الطين لكي تكون مقاومة للنار، وفيما بعد ينصح أبولودوروس بجهاز يدعى "سيفون" (siphon) وهو خرطوم مياه بدائي يتألف من أمعاء الثور

الموصولة بأكياس جلدية مليئة بالماء، ونظرياً عند اشتعال البرج تُعصر الأكياس من أجل خروج الماء وإطفاء النيران.

كانت الغاية من تصميم هذا البرج هي تشكيل سُلّم محمي، حيث أُنجزت هذه الغاية بوساطة نظام داخلي من السلالم تؤدي إلى جسر يُسحب سحباً في الطابق العلوي الذي كان من دون سقف، لكن زود بمتراس من الألواح الخشبية على كافة جوانبه، يثبت الجسر بمفاصل على أرضية الطابق العلوي، وبلغ طول عوارضه الجانبية حوالي ٥,٩م، لكن فقط ربع هذه المسافة كانت صلبة، أما الباقي كان إطاراً مفتوحاً مثل النافذة، وكانت الغاية من ذلك هي أنه عندما يكون الجسر منتصباً يبدو استمراراً لمتراس الطابق العلوي، ويشكل دفاعاً للمقاتلين في البرج. يتم تشغيل جسر السحب بحبال شبيهة بالسامبوكة الخاصة بفيجيتيوس، وعندما يتم تحرير الحبال ينخفض الجسر ويتم مد حصيرة مقواة بالقطع الخشبية المتعارضة على القسم الخالي من الألواح الخشبية لإنشاء جسر صلب. وربما تطلب برج أبولودوروس ثلاثة أو أربعة طوابق فحسب لضمان أن يكون جسر السحب على مستوى ارتفاع الأسوار، وربما كان أبولودوروس واعياً لثبات البرج عندما ينصح بأرض مستوية "إن كانت الأرض غير ناعمة، وكان فيها فجوات علينا بناء قاعدة للبرج مما يسوي انحدار الأرض ويصنع سطحاً مستوياً "، ومن الممكن أن هذه الجملة القصيرة تمثّل وصف أبولودوروس للرابية (agger) التي أصبحت الصفة المميزة لفن الحصار الروماني[١].

---

[1] - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, pp.38-40.

الفصل الثالث

تكتيكات المعركة وحرب الحصار

أولاً- تكتيكات المعركة

١- نظام المسير إلى المعركة

٢- معسكر المسير

٣- حجم القوات ونشرها لتشكيل خط المعركة

٤- خطّ المعركة

أ- الخط المفرد أو البسيط (simplex acies)

ب- الخط الثنائي (duplex acies)

جـ- الخط الثلاثي (acies triplex)

٥- المسافات الفاصلة في خط المعركة

٦- القيادة والتوجيه في المعركة

٧- آليات القتال في المعركة

أ- اختيار ميدان المعركة وإعداده

ب- التقدم والالتحام

جـ- المطاردة وإنهاء المعركة

ثانياً- التشكيلات الهجومية والدفاعية للجيش الروماني

١- التكتيكات الهجوميّة

أ- تكتيك التطويق

ب- تشكيل الإسفين (cuneus)

٢- التشكيلات الدفاعية

أ- تشكيل المربع المفرغ (orbis)

ب- تشكيل درع السلحفاة (testudo)

ثالثاً: فن حرب الحصار الروماني:

١- المهندسون العسكريون والاختصاصيون

٢- تكتيكات فن الحصار

٣- حصار جوتاباتا (Jotapata)

٤- حصار ماسادا (Masada)

رابعاً: الإمدادات اللوجستية للجيش الروماني في الحرب

١- قواعد العمليات

٢- القواعد التكتيكيّة

أولاً: تكتيكات المعركة

كانت روما خلال العصر الجمهوري ومعظم العصر الإمبراطوري القوة العسكرية المهيمنة في حوض البحر المتوسط، وحققت هذه الانتصارات بوساطة جيشها المحترف، ولكن بالرغم من أن الجيش الروماني مثله مثل أيّ قوة محاربة وجد لشن الحروب، إلا أن جنوده قضوا معظم فترة الإمبراطورية في أداء الأعمال الروتينية في أوقات سلام داخل الثكنات، وكانت المشاركة في الحملات الفعلية الكبرى أمراً نادراً، وخصوصاً القوات المتمركزة في الأقاليم الأكثر استقراراً، وفي حال شاركت القوات في عمليات ضد العدو، فإن معظم الحملة سيكون مسيراً وعملاً شاقاً أكثر منه قتالاً فعلياً، لأن العدو على الأغلب سيهرب قبل أن يواجه الفرق الرومانية. وربما يستمر الحصار شهوراً قبل أن ينتهيَ، أما المعارك الفعلية فكانت نادرة وقد تحسم في يوم واحد أو يومين، باستثناء بعض الحالات النادرة.

وقد اختلفت الأسباب التي شن الرومان حروبهم من أجلها وتنوعت من حيث الحجم، ولكنهم غالباً ما كانوا هم المبادرين في الهجوم أولاً، وإذا ما شنَّ العدو الهجوم أولاً فإن الرومان شنّوا هجوماً مضاداً بأسرع ما يمكن، وكان هدف الرومان الأول في حروبهم هو إجبار العدو على خوض معركة مفتوحة، لأنهم اعتقدوا أنهم الأفضل وبذلك هزيمة العدو محققة. وقد اتصفت عمليات الجيش الروماني بطابع المرونة والتكيف مع المعركة، وبطابع الاستعداد والتصميم على النصر فيها، وحققت كل من بنية القيادة المتفوقة والانضباط والتدريب والتجهيزات أفضلية للجيش الروماني على أي عدو في ذلك الوقت، وغالباً ما مكنته هذه العوامل من تحقيق انتصارات حاسمة على عدو يمتلك أفضليات عددية في ساحة الميدان، وعلاوة على ذلك كان جنود الفرق والوحدات المساعدة متمرسين وخبراء في الحروب الصغيرة عندما يكون ذلك مطلوباً، وغالباً ما استطاعوا هزيمة أعداء اتبعوا أسلوب الغارات والكمائن[1].

وعندما نأتي إلى القتال الفعلي نجد أن وصفه في الدلائل الأدبية مختصراً وغير شامل، باستثناء حملات قيصر على بلاد الغال، وغالباً ما نجد أن الروايات التي كتبها المؤرخون في

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.162.

الفترة الإمبراطورية عن الحملات تفتقر إلى تفاصيل الكتّاب الأقدم مثل: بوليبيوس وليفي. ربما اشتكى تاكيتوس (المؤرخ غير العسكري) من قلة الحروب ومعارك الفتوح في عهده ليصفها في كتاباته، إلا أنه عندما امتلك الفرصة أثناء الحملات الرومانية على بارثيا في عهد الإمبراطور نيرون نجد أنه تعامل معها بطريقة سطحية ومختصرة. لذلك شكلت تعليقات قيصر على حروبه الأهلية والغالية أفضل وصف عن الحروب في العصور القديمة، وتكمن قيمتها في تجنب قيصر للصيغ الأدبية الشائعة في كتب التاريخ التي كتبها كتاب قدماء هدفوا من وراء كتاباتهم تسلية جماهيرهم أكثر من تركيزهم على الوصف الدقيق للأحداث، وبالرغم من أن الجيش الروماني في العصر الإمبراطوري مثّلّ القوة القتالية الأكثر تعقيداً حتى يومنا هذا، إلا أن معظم الدراسات الحديثة حول هذا الجيش تميل إلى التركيز على مسائل مثل السلاح والتجهيزات والتنظيم والتحصينات وهيكل القيادة والمعتقدات الدينية والعادات، أكثر من تركيزها على الجيش كقوة محاربة. وقد شعر المؤرخون المعاصرون بهذا النقص خلال العقد الأخير[1]، ولذلك بدأ هذا النقص يُسد ويرمم من خلال ظهور العديد من الدراسات التي كتبها هؤلاء المؤرخون والتي تناولت هذا الجانب. لذلك سيتم الحديث عن هذا الجانب في هذا الجزء من البحث مع محاولة تقديم صورة شبه كاملة عن تكتيكات الرومان في المعارك البرية وحروب الحصار.

١ – نظام المسير إلى المعركة

شكل المسير الخطوة الأولى من تكتيكات الرومان في المعارك التي خاضوها، وبما أن الجيش الروماني لم يمتلك تقنيات الجيوش المعاصرة توجب عليه إتباع نظام مسيرمعين للوصول إلى أرض المعركة بأمان، ولذلك اتبع الرومان نظام مسير منظم يسمح للجيش بالوصول إلى هدفه من دون التعرض للخسائر، ويساعده على الانتشار في خط معركة بأسرع وقت ممكن فيما حال تعرض رتل المسير إلى هجوم مفاجئ. ويقول فيجيتيوس أن الجيش يكون عرضةً للخطر أثناء المسير أكثر من أي وقت آخر لأن القوات تكون غير جاهزة وقد

---

[1] - Gilliver, Catherine M: Battle, CHGRW, vol II, Cambridge University Press, 2007, p.122.

تكون غير مسلحة تسليحاً جيداً. و يقول ثرون (Throne) نقلاً عن تاكيتوس أن نشر القوات وتوزيعها بحذر أثناء المسير هو أحد صفات القائد الناجح[١]، ولذلك يجب القيام بالاستطلاع بحذر ودقة من خلال إرسال مقتطعات من الجنود تسير أمام الجيش لاستطلاع طريق المسير واستكشافه والتأكد من عدم وجود الكمائن و الأفخاخ ووضع خريطة للمناطق التي يسير فيها الجيش إن أمكن[٢].

افتقرت الجيوش الرومانية في العصر الجمهوري إلى جمع المعلومات وغالباً ما دفعت ثمن إهمالها هذا بتعرضها لخسائر وهزائم كارثية، ونظرية الاستخبارات وجمع المعلومات عرفها بوليبيوس الذي مدح هانيبال لاستكشافه ليس فقط الطرق المؤدية إلى مناطق العدو، وإنما لاستكشافه الأراضي الكثيرة التي كان على وشك دخولها، ودَرَسَ طرق السكان المحليين وأساليبهم وولاءاتهم السياسية ودرجة حبهم أو كرههم لروما، وبعد ذلك بفترة طويلة تعلم الرومان الكثير حول نظرية الاستخبارات وجمع المعلومات، فقد أكد فيجيتيوس على أهمية معرفة عادات العدو وانتقد القادة الذين يدخلون أرض العدو من دون أن يكتشفوها بشكل كامل[٣]. ولم يكن تدمير فرق فاروس الثلاثة في غابة تيتونبرغ سنة ٩م، إلا نتيجة لسوء التنظيم أثناء المسير وعدم استكشاف الطريق داخل الغابة[٤].

وأدرك الرومان خلال العصر الإمبراطوري أن نظرية الاستخبارات وجمع المعلومات عن العدو غالباً ما تلعب الدور الأبرز في العمليات العسكرية، وربما لأنه في ذلك الوقت كانت الجيوش صغيرة مقارنة مع المساحات الشاسعة التي وجب على الحملة تغطيتها، ولذلك اعتبرت عملية تحديد موقع العدو العملية الأهم في مسير الحملة. وقد أرسل الرومان خلال العصر الإمبراطوري وحدات من الكشافة المدربين بشكل جيد على طريقة الاستكشاف للسير أمام الحملة من أجل استكشاف مناطق سيرها ولتحديد مكان العدو، ونجد هذا التدبير عند أريان حاكم إقليم كبادوكيا في عهد الإمبراطور هدريان في حملته ضد الآلانيين (Alans)،

---

(1) - Throne: op.cit, p.226.

(2) - Webster: op.cit, p.224.

(3) - Southern: op.cit, pp.225-226.

(4) - Ibid, p.232.

ونجده أيضاً عند تيتوس أثناء مسيره إلى القدس خلال الحرب اليهودية سنة ٦٧م، حيث نجد في كلا المثالين السابقين إرسال فرسان من الوحدات المساعدة لاستكشاف طريق المسير ولاكتشاف فيما إذا كان هناك كمائن في منطقة الغابات[1]. وكذلك بعد معركة جبال غروبيوس عام ٨٤م في اسكتلندا أرسل اغريكولا الكشافة للبحث عن البريتونيين وللاستكشاف فيما إذا كانوا يحشدون قواتهم من جديد[2].

وعندما يصبح العدو قريباً كان لا بد من جمع المعلومات الكاملة عن حجمه ونواياه، لأن ذلك يؤثر في خطة الحملة، ويمكن استخلاص المعلومات حول العدو بطرق شتى منها: يمكن للسكان المحليين سواء كانوا متعاونين أو حياديين تقديم معلومات مهمة عن العدو، وكذلك يمكن استخلاص المعلومات من أسرى الأعداء الذين غالباً ما استجوبهم الأباطرة بأنفسهم وخصوصاً الإمبراطور فيسبسيان، حتى أن مظهر الأسرى والفارين استخدم لتقدير مدى تجهيز العدو وإمداده ودرجة روحه المعنوية. ولكن تمثلت الطريقة الأمثل لاستخلاص كل شيءٍ عن العدو في الذهاب والنظر، حيث أرسل الرومان قوات الاستطلاع أمام الجيش لجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن العدو، وكلما اقترب العدو أكثر كلما أبقاه الاستطلاع الروماني تحت المراقبة أكثر[3].

بالرغم من إرسال الرومان للكشافة أمام الجيش، إلا أنهم لم يُعيّنوا بالضرورة بشكل دائم لتأدية مهام الاستكشاف، ولم تظهر وحدات الكشافة الدائمة إلا في منتصف أو في أواخر القرن الثاني، فقد بدأت تظهر وحدات كشافة مختصة ودائمة على الحدود يطلق عليها اسم: (numeri Exploratorium). وكان أيضا للجواسيس دور مهم في جمع المعلومات، وكان ذلك أمراً شائعاً لدى الرومان ولدى أعدائهم، فمثلاً أثناء الحرب الأهلية أرسل بومبي جنوداً إلى معسكر قيصر لجمع المعلومات متظاهرين بأنهم فارين من الخدمة، ولكن تم اكتشافهم وافتضح أمرهم على أنهم مضاربون (speculators). ولا تشير النقوش العديدة التي تحيي ذكرى المضاربين إلى الجواسيس، وإنما تدل على رتب محددة في الجيش، وبالرغم من أن

(1) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.126.

(2) - Southern: op.cit, p.226.

(3) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.126.

المضاربين الإفراديين أصبحوا أكثر شيوعاً غي نهاية القرن الثاني، وأنهم لم يُستَخدَموا لجمع المعلومات، إلا أن العديد منهم كانت مهمتهم جمع وتقصي المعلومات. لم يكن لدى الرومان مكتب مركزي للاستخبارات، ولكن من الممكن أن أمين السر الإمبراطوري (Ad Epistulis) كان مسؤولاً عن مراقبة التقارير القادمة من الجنود الذين أطلق عليهم تسمية الــ Beneficiarii*، ومعظم الرجال الذين شغلوا منصب أمين السر الإمبراطوري كانوا مدنيين، إلا أنه منذ حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس أصبح الجنود يعينون في هذا المنصب، لذلك نستطيع الاستنتاج أن الاستخبارات أصبحت أولوية لدى الرومان منذ سنة١٦٠م، في وقت أصبحت فيه التحركات العدوانية للقبائل الشمالية تشكل تهديداً حقيقياً لروما[١].

وقد وقع على عاتق قائد الحملة استنتاج نشاطات العدو الحقيقية ونواياه من خلال التقارير الواردة إليه، فالغيوم الغبارية دلّت على حركة مجموعة كبيرة من الجنود في جميع الظروف ماعدا الظروف الرطبة والباردة، وغيمة غبارية رقيقة وشفافة ومرتفعة أشارت إلى حركة الفرسان، وغيمة غبارية أخفض وأكثف أشارت إلى حركة المشاة أو التنقل، وكذلك كان ضرورياً جمع معلومات طبوغرافية عن المنطقة التي يتحرك فوقها العدو والأرض التي سيتمركز عليها، وإذا كان الرومان لم يرسموا المعلومات الطبوغرافية على شكل الخرائط التي نرسمها في الوقت الحاضر، إلا أنّهم أدركوا أهمية التضاريس وسعوا لاستغلالها في صالحهم[٢].

اعتبر ترتيب نظام مسير القوات من النقاط المهمة التي ركز عليها الكتاب القدماء في مؤلفاتهم، حيث يقول فيجيتيوس إنه كان على الفرسان السير في المقدمة ثم يتبعهم المشاة، ثم تتبعهم قافلة الأمتعة، ثم يتبع قافلة الأمتعة أفضل وحدات الجيش، لأنّه غالباً ما يُهاجم الجيش من الخلف على أمل الاستيلاء على قافلة المؤن، كما تم تدريب الخدم على التمركز في

---

* - كان البنيفيكاري جنوداً ذو امتيازات متنوعة، وعادة جنود فرق يمتلكون خبرة طويلة في الجيش، وكانوا ضمن طاقم الحاكم الإقليمي، وغالباً ما تمركزوا في أماكن هامة على الحدود أو داخل الإقاليم، وربما تولوا أعمال الشرطة والاستخبارات وجمع المعلومات.

(1) - Southern: op.cit, p.227.

(2) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.127.

مواقعهم ضمن القافلة وعلى اتباع الأوامر عند بداية هجوم ما، وذلك كان أمراً ضرورياً لأن إصابتهم بالذعر والهلع تؤدي إلى تشويش القوات[1].

إن تحريك عشرات الآلاف من الجنود مع خيولهم وحيوانات الجر والحمل، بالإضافة إلى الخدم والأشخاص غير المقاتلين عبر الأرياف والصحاري لم يكن مهمة سهلة، ولذلك أعطى الرومان الكثير من الاهتمام للحفاظ على الانضباط أثناء المسير. وفي بداية عهد تيبيريوس قاد القائد جيرمانيكوس جيش الراين لقتال بعض القبائل الجرمانية وفق ترتيب مسير يؤكد على أهمية الأمتعة، فقد أحاطت بها القوات كما يقول تاكيتوس على الشكل الآتي:

« القائد... وضع ترتيبات من أجل المسير والقتال، فكان جزء من الخيالة ومشاة الوحدات المساعدة في المقدمة، ثم تأتي بعدهم الفرقة الأولى لحماية الأمتعة، وشُكلت الخاصرة اليسرى من جنود من الفرقة الحادية والعشرون، أما الخاصرة اليمنى فتألفت من جنود الفرقة الخامسة، وتشكلت مؤخرة الجيش من جنود الفرقة العشرون يتبعهم جنود الحلفاء »

ولاحقاً اتبع تيتوس في مسيره أثناء حروبه مع اليهود في فلسطين سنة ٦٧م نظام المسير نفسه الذي سار عليه قيصر من قبل تقريباً، كما يشير إلى ذلك وصف يوسيفوس الدقيق لتنظيم قوات تيتوس أثناء المسير والذي قال:

« خلال تقدمه في أرض العدو نشر تيتوس خيرة جنوده وكل الوحدات المساعدة في طليعة الجيش وتبعهم الرواد (ممهدي الطريق) والمساحين، ثم تبعهم أمتعة الضباط التي أوكل إلى الجنود حمايتها، وأتى بعدهم تيتوس مع نخبة جنوده، وخصوصاً الرماحين، وسار خلفه خيالة الفرق الذين يسبقون آلات الحصار، ويتبعهم مباشرة التريبونات وقادة الوحدات مع جنود نخبة، ويسير بعدهم حاملي الرايات المجتمعين حول النسور، ثم تأتي الفرق بشكل متتالي منتظمة في صفوف عرضها ستة جنود، ويأتي خلفهم مراسلو الفرق تسبقهم أمتعتهم، وتألفت مؤخرة الجيش من جنود مرتزقة يراقبهم حرس خلفي »

وفي كلا المقطعين السابقين نستطيع رؤية الأهمية التي أعطيت للأمتعة، فقد أحاطت بها خيرة القوات من الجوانب كافة، وبذلك نجد أن الرومان خلال الفترة الإمبراطورية استمروا باستخدام نظام المسير نفسه الذي كان سائداً في أواخر الجمهورية، وهذا ما نجده عند المؤرخ أوناساندروس (Onesandros) الذي كرس في منتصف القرن الأول الميلادي كتاباً

---

[1] - Webster: op.cit, p.234.

تحت عنوان (Strategikos) تحدث فيه عن واجبات قائد الجيش، ونصح فيه أن يختار القائد الأرض المفتوحة أثناء المسير، ولكن في حال كان ذلك غير ممكن عليه جعل أولى أسبقياته احتلال الأرض المرتفعة في حال توجب على جيشه المرور من ممر ضيق، وتُذكّر أطروحة أوناساندروس بالخيارات التي اختارها جرمانيكوس أثناء المسير [١].

ومثل الاستراتيجيات كافة ينصح أوناساندروس بوضع الخيالة في الطليعة وبأن يُرسل الجنود بحثاً عن الطعام وفي الوقت نفسه يعملون ككشافة لإحضار معلومات عن العدو. وشكل التقدم والمسير في أرض العدو أمراً بالغ الأهمية، ولذلك كرس المؤرخ والقائد أريان بحثاً بعنوان "ترتيبات المسير وترتيب المعركة ضد الآلانيين" (Ektaxis Kata Alanōn)، فقد نصح فيه بخطة عمل مشابهة جداً لتلك التي تبناها جرمانيكوس قبل ذلك بما يزيد عن قرن من الزمن، ووفقاً لأريان يجب أن يكون في طليعة القوات أثناء المسير الكشافة الفرسان ووحدات الخيالة والمشاة المساعدة، ويتبعها الفرق والقوات الحليفة، ثم يتبعها الأمتعة، في حين يجب أن تتألف مؤخرة الجيش من قوات مساعدة أخرى، وتُوزّع وحدات مساعدة مشاة وخيالة لحماية الأجنحة[٢].

وفي الواقع يكمن الفرق الرئيس بين القائدين في تخصيص جرمانيكوس جنود الفرق لحماية جناحي الجيش، بينما استخدم أريان جنود الوحدات المساعدة للقيام بهذه المهمة، وأما باقي النقاط فيتفق القائدان بها وخصوصاً مكان تمركز الأمتعة ضمن رتل المسير، ويتطابق وصف يوسيفوس لنظام مسير الرومان إلى القدس مع وصف أريان لنظام مسير الجيش الروماني عند قتالهم الآلانيين في كبادوكيا، حيث نجد أن كلا الوصفين أظهر الترتيب الاعتيادي للقوات الرومانية[٣]، وكذلك أظهر وصف يوسيفوس لنظام مسير الجيش الروماني أن ترتيب مسير القوات ينظم وفقاً لوضع ووظيفة الجنود، وأن الرومان باستطاعتهم تبني أنظمة مسير محددة توافق الحالة الأمنية التي يواجهونها.

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.174. ; Le Bohec: op.cit, p. 129.نقلاً عن

(2) - Le Bohec: op.cit, p. 130.

(3) - Speidel, Michael.p: Guards of the Roman Armies, Bonn, 1978, p.46.

يذكر أوناساندروس أن خط مسير طويل وضيق سيسهل على العدو مهمته، وبالعكس كان رتل المسير الأقصر والأعرض أكثر أماناً[1]، فعندما سار تيتوس إلى القدس في نظام مسير ضيق وطويل لم يكن يتوقع أن يواجه أي جيش ميداني للعدو، أما عندما يكون هناك احتمال مواجهة جيش ميداني أثناء المسير فكان الرتل الروماني يسير بجاهزية كاملة على شكل أرتال متوازية تسمح للجيش بالتجمع وتشكيل خط معركة خلال فترة قصيرة جداً[2]، وحتى أنه من الممكن أن يسير على شكل خط قتالي تأهباً للمعركة[3]. وعندما تراجع جيش فاروس أثناء كارثة الغابة لم يستطيع الجنود الحفاظ على التشكيل، وأصبح الرتل طويلاً جداً بسبب الغابة الكثيفة وقافلة الأمتعة الثقيلة والأشخاص غير المقاتلين[4].

أما نظام مسير أغريكولا أثناء تقدمه في اسكتلندا فكان مختلفاً، فقد نظم قواته في ثلاث أرتال قصيرة خوفاً من هجوم العدو ومعرفته الكبيرة بالأرض التي يسير عليها الرومان. أيضاً تاكيتوس يقول: إنه سنة ١٤م نظم جرمانيكوس قواته أثناء المسير بما نستطيع أن نسميه الاتصال المباشر، أي أنه لم يكن هناك فاصل بين تشكيلات نظام المسير وتشكيلات المعركة، فقد تقدم جرمانيكوس بنظام مسير تكون فيه قواته مشكلة لخطوط المعركة مباشرة، فكان في مقدمة المسير فرسان ومشاة مساعدين كإجراء احترازي، ويتبعهم أربعة فرق على شكل الماسة، وشكلت الفرقة الأولى المقدمة، والفرقة العشرون المؤخرة، ومثلت الفرقة الإحدى والعشرون الجناح الأيسر، والفرقة الخامسة الجناح الأيمن، وغطت قوات مساعدة المؤخرة. ربما شكّل جرمانيكوس قواته على هذا النحو احترازا لاحتمال وشيك لهجوم العدو، ولكن يبقى مسير القوات على شكل خط معركة صعباً وشاقاً جداً، لأنه من الصعب الحفاظ على التنسيق وعلى الصفوف في ظل مسير طويل[5].

---

[1] - Elise Phang, Sara: Roman Military Service, Cambridge University Press, 2008, p. 56.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.174.

[3] - Thorne: op.cit, p.226.

[4] - Elise Phang: op.cit, p.56.

[5] - Thorne: op.cit, p.226.

وعلى العموم نص أريان السابق الذكر يجعلنا ندرك أن تكتيكات الرومان في نظام المسير مثلها مثل أسلحتهم، تغيرت تبعاً للمواقف والحالات المختلفة، ولكن مع ذلك يمكن رؤية عدداً من الثوابت في هذا النظام، مثل وضع الخيالة في الطليعة والأمتعة في الوسط ووحدات المشاة المساعدة والحلفاء في الخلف.

وبالرغم من محاولة الرومان جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات عن العدو من حيث حجمه ومكان تمركزه، إلا أنهم نادراً ما حصلوا على معلومات دقيقة تتعلق بذلك[1]. ولذلك في حال عدم التأكد من اتجاه العدو وحجمه كان الجيش الروماني ينتشر على شكل مربع فارغ، والذي يشير إليه فيجيتيوس بعبارة (Acies quadrata)، أي خط المعركة رباعي الجوانب. وقد استخدم هذا النظام الإمبراطور مكسيمنوس عندما سار نحو مدينة (Emona) سنة ٢٣٨م، حيث كانت المؤن والأمتعة في الوسط ومشاة الفرق المقدمة، في حين كان مكسيمنوس في المؤخرة مع الحرس الإمبراطوري ووحدات أخرى، أما الأطراف فتشكلت من الخيالة والقوات الخفيفة التسلح بما في ذلك الفرسان الثقيلة التسلح والنبالة الفرسان. وربما صُمم هذا النوع من نظام المسير لكي يساعد القوات على الانتشار بسرعة، أو ربما لمواجهة عدو قام بهجوم مفاجئ على القوات الرومانية كما حدث سنة ٢٣٣م في المعركة التي دارت بين الرومان والساسانيّين. فقد قرر الرومان سنة ٢٣٣م مهاجمة طيسفون (Ctesiphon) عاصمة الساسانيين فأرسلوا ثلاثة جيوش، و انطلق الجيش الأول عبر أرمينيا إلى ميديا، والثاني سار بمحاذاة الفرات باتجاه طيسفون متوقعين الالتقاء بجيش ثالث تحت قيادة الإمبراطور سيڤيروس ألكسندر[2].

تخلى ازدشير (Ardashir) عن محاولات احتواء الرومان في الشمال وجمع قواته المؤلفة من الفرسان النبالة والرماحين الثقيلين ليشنّ هجوماً شاملاً على الجيش الروماني الثاني الذي كان غير متأهب تماماً، واستطاع الساسانيّون من خلال هجوم مفاجئ تطويق الجيش الروماني، وعندها تشكّل الرومان على شكل كتلة واحدة لمواجهة الجيش الساساني من كلّ

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.174.

(2) - Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, pp.22, 48.

الجهات ولحماية جوانبهم المكشوفة التي شكلت هدفاً سهلاً للعدو، إلا أنّ ذلك لم ينفع الرومان الذين قتلوا جميعاً في النهاية. وقد مثلت هذه الكارثة الكبيرة للرومان نكسة مروعة، لأن جيشاً كاملاً دمر تدميراً كلياً، ومن الواضح أن الرومان دفعوا هذا الثمن الباهظ لأنهم لم يسيروا في نظام المسير المربع المفرغ، والذي كان بإمكانه مساعدة القوات على تشكيل خط معركة بسرعة كبيرة، وكذلك يمنع العدو من تطويقهم لأن القوات ستقاتل على أربعة جبهات، والأهم من ذلك كله أنهم استخفوا بالعدو وساروا من دون كشافة، فقد أغراهم تقدمهم مسافات طويلة من دون أن يواجهوا أيَّة مقاومة على إهمال الاستطلاع والاستخفاف بحجم العدو وقدرته [١].

ومن النقاط المهمة الأخرى التي ركز عليها الكتاب القدماء في وصفهم لنظام المسير هي التركيز على سريَّةِ مسار القوات أثناء الحملات وحساب المسافة الفاصلة بين نقطة بداية المسير ونقطة نهايته بدقة كبيرة، مع الأخذ بعين الاعتبار طبيعة الأرض التي تسير عليها القوات، وكذلك يجب ضمان توفر المياه للجنود والخيول أثناء المسير في الصحاري وخلال فصل الصيف[٢]. يقول تاكيتوس كان ترتيب سرعة المسير وتنسيقه ضرورياً لدى الرومان من أجل عدم إرهاق الجنود وتفادي تشتيت القوات، وكان مسير القوات مع كامل التجهيزات لمسافة ستة عشر ميلاً خلال فترة الحرب الأهلية سنة ٦٩م أمراً معتاداً، ومع ذلك حذر قادة الجيوش ومنهم بولينيوس من أن هذا المسير سيرهق القوات ويدفعهم إلى العصيان. ويقول تاكيتوس سارت قوة مشكَّلة من ست فرق تابعة لفيتيللوس مسافة ٤٥كم، ثم قاتلت هذه القوة في معركة كريمونا الثانية أثناء الليل وخسرت المعركة، وكذلك يقول تاكيتوس إن أطول مسير سمعنا به كان مسير قوات القائد (Caesennius Paetus) التي سارت مسافة ٦٤كم بعد خوضها أحد المعارك في أرمينيا سنة ٦٢ م، ومع ذلك لم يكن هذا المسير (التراجع) منظماً، بل كان أشبه بالفرار أكثر منه مسيراً منظماً، لأنه ترك خلفه المصابين وربما الكثير من التجهيزات[٣].

---

(1) - Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p. 57.

(2) - Webster: op.cit, p.234.

(3) - Thorne: op.cit, p.226.

٢ – معسكر المسير

إن أكثر ما تميز به الرومان خلال عصري الجمهورية والإمبراطورية هو معسكرات المسير، وربما قضى الرومان في نهاية مسير كل يوم ساعتين أو ثلاث ساعات لتشيد معسكر مؤقت كمحطة توقف ليلية للقوات أثناء الحملات، وأحياناً بنيت هذه المعسكرات وفككت يومياً[١].

شكّل معسكر المسير في العصر الإمبراطوري إجراءاً روتينياً لم يختلف عن الروتين المتبع من قبل الجيش الروماني منذ القرن الثالث قبل الميلاد إلا في تفاصيله الداخلية. ونادراً ما تم التنقيب عن معسكرات المسير، لأنه على الأرجح لم يُخلّف الجيش وراءه الكثير من الآثار على اعتبار أن معسكر المسير شكل استراحة لفترة قصيرة جداً، وبذلك يجب دراستها عن طريق المصادر الأدبية والتمثيل على عمود تراجان والأعمدة والأقواس الأخرى التي قام بتشيدها الأباطرة. وتبقى أصول التحصينات الرومانية أمراً غامضاً ويقول المؤرخ فرونتينوس (Frontinus) إنه في البداية تجمّع الرومان في وحدات داخل أكواخ، وربما اقتبسوا فكرة بناء سياج لمعسكراتهم من بيروس ملك إيبيروس (King Pyrrhus of Epirus) وذلك لحماية أنفسهم، فقد قام جنود إيطاليون بدراسة أحد معسكراته بعد أن احتلوها[٢].

والوصف الدقيق لمعسكر المسير يأتينا من أحد المؤلفات القديمة التي ربما كتبت في أواخر القرن الثاني، والتي تُنسب إلى المؤرخ هيجينيوس[٣]، وكان الهدف من الكتاب أن يكون دليلاً يستخدمه المسّاحون العسكريّون، واشتمل على تفاصيل حول دفاعات معسكر المسير وعن الأفضلية في ترتيب الوحدات داخل المعسكر، ويقدم المؤلف في هذا الكتاب جيشاً افتراضياً مؤلفاً من حرس إمبراطوري وثلاث فرق وقوات مساعدة وبحارة وحتى قوات من راكبي الجمال، ثم يقدم المؤلف شرحاً عن طريقه بناء معسكر المسير. وفقاً لهيجينيوس يتقدم المسّاحون بعيداً أمام الجيش ويختارون موقعاً مستوياً إلى حد ما يتميز بقدرته على تصريف

---

(1) - Luttwak: op.cit, p.55.

(2) - Le Bohec, Yann: op.cit, p. 131.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.171.

المياه بدلاً من تجميعها، ويكون خالياً من الأشجار والشجيرات الصغيرة، ثم بعد ذلك أول عمل يقوم به هؤلاء بعد تحديد مكان المعسكر هو تحديد مكان خيمة القائد التي تعتبر مقر الإقامة والقيادة معاً، وانطلاقاً من خيمة القائد المركزية يتم شق طريقين رئيسين، حيث يبدأ الأول من مقدمة مقر القيادة باتجاه الموقع المركزي للعدو، والثاني يتقاطع مع الأول بزوايا قائمة مشكلاً معه حرف (T)، ويبلغ عرض الطرق الرئيسة ١٨,٣م، وعرض الطرق الأضيق ١٥,٢٥م، في حين يبلغ عرض النوع الثالث من الطرق ٦,١م. وبعد ذلك يُحدد مكان نصب الخيام من خلال رسم الخطوط وكلّ خط يكون في مكانه المعتاد بحيث تعرف كل وحدة أين تنصب خيامها بالضبط. وكانت توزع خطوط الخيام خلف مقر القائد وعلى جانبي الشارع العمودي، بحيث ينتشر ما معدله مئتان وعشرون جندياً في أقل من نصف هكتار[(١)].

وفقاً لهيجينوس تكون خيام الحرس الإمبراطوري بجانب خيمة الإمبراطور وبشكل مشابه، يقول بوليبيوس إن حرس القادة خيموا بالقرب من خيمة القائد، ولذلك من الممكن أن نفترض أن حُرّاس حكّام الأقاليم خيموا بجانب خيمة قائدهم[(٢)]، أما خيام التريبونات فكانت تنصب على طول الطريق الرئيس، وفي حين تشغل خيام الجنود المناطق المحيطة بهذه الطرق. وبلغت مساحة خيمة الجنود ٢,٩٦م^{٢}. وضمت ثمانية جنود مع تجهيزاتهم وصُنعت من أفضل أنواع جلود الماشية والماعز، وكان لها مدخلان أمامي وخلفي وارتفاع مناسب يسمح للرجل بالوقف في داخلها، ويمكن طي الخيمة على شكل سجادة طويلة وتحمل على بغل أو فرس صغير، وبلغ طول خيمة قائد المائة ضعف طول خيمة الجنود، بينما كانت خيام التريبونات والرتب الأعلى على شكل صندوق وأطول من ذلك، وترصف أرضها بطبقة من التربة العلوية[*].

---

(1) - Webster: op.cit, p.171.

(2) - Speidel: Guards of the Roman Armies, op.cit, p.48.

* - المقصود من الطبقة العلوية للتربة: هي الطبقة التي تحتوي على الأعشاب وجذورها، وتقدر سماكتها بقرابة ٥ سم وما فوق.

أما خيمة القائد المتمركزة في منتصف المعسكر كان شكلها يشبه المعبد كما يقول يوسيفوس، وترصف أرضها بطبقة من التربة العلوية أيضاً[1]. يصف هيجينيوس في كتابه المتاريس والخنادق الدفاعية التي تحيط بالمعسكر، حيث يقول إن الخندق على شكل حرف (V) ولا يتجاوز عرضه ١,٥ م تقريباً وعمقه ١م. أما المتراس الترابي فكان عرضه ٢,٥م وارتفاعه ٢م تقريبا، ويعلو هذا المتراس سياج خشبي[2]. ولكن فيجيتيوس يقول: بأن أبعاد المعسكر تُضبط وتنظم بحسب موقعها، ويحيط بها خندق بعرض ٢,٧م وعمق ٢,١م ، وسور ترابي ارتفاعه ٩١سم في الأماكن الآمنة، أما في المناطق المعادية فيبلغ عمق الخندق ٢,٧م وعرضه ٣,٦ م، ويبلغ ارتفاع السور ١,٢ م[3].

وعلى العموم إن الأرقام التي ذكرها فيجيتيوس قد تكون مستبعدة نوعاً ما ومبالغ فيها لأن هذه الأرقام أقرب إلى قياسات دفاعات الحصون الدائمة، وعلى اعتبار أن معسكر المسير كان يشيد لقضاء ليلة أو ليلتين فحسب، فمن المستبعد أن يقوم الرومان بحفر مثل تلك الخنادق لقضاء فترة قصيرة، وخصوصاً بعد مسير يوم كامل، ولكن بالرغم من مبالغة فيجيتيوس فهو يقدم لنا فكرة ما عن شكل معسكر المسير.

وغالباً ما يتم اختيار موقع المعسكر بالقرب من أحد الأنهار ليشرب ويغتسل منه الجنود والحيوانات، وبحسب هيجينيوس بلغت المسافة الفاصلة بين الجانب الداخلي للمتراس الترابي وأول خط من خطوط الخيام ١٨,٣م، وكان جزء من هذه المسافة يستخدم كموقف للعربات، ومن دون شك وجد أيضاً في هذا الجزء خيام اغتسال خاصة، حيث يوضح عدد من المشاهد على عمود تراجان هذه النشاطات (الشكل رقم ٧٣)، ويُصوّر العمود طابورين من الحرس الإمبراطوري يتقدمان ويصلان إلى المعسكر، ويتقدم كلٌ طابور مجموعةٌ من الضباط ويعطي أحدهم الأمر لنافخي الأبواق ليطلقوا إشارة التوقف، وبعد ذلك ينظر الجميع إلى الراية في

---

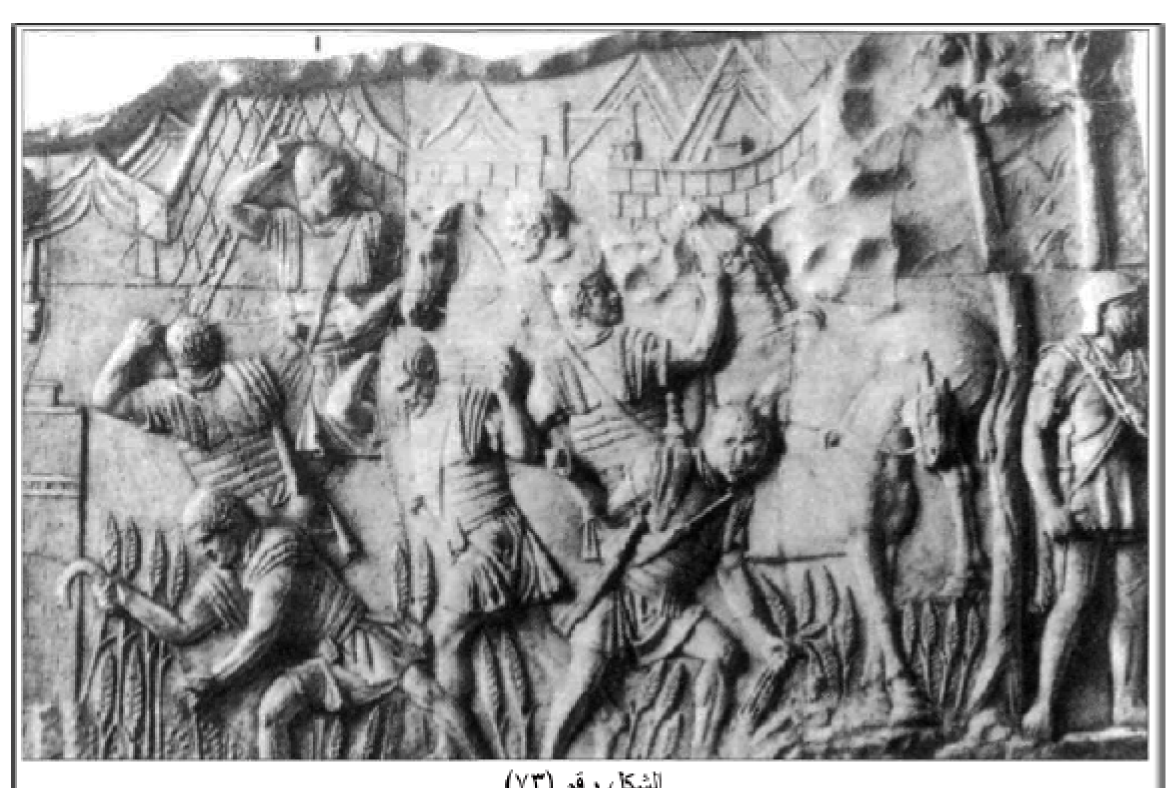
(1) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p. 51.

(2) - Webster: op.cit, p.172.

(3) - Elise Phang: op.cit, p.68.

الأعلى ثم ينظرون إلى الأسفل، وبعد ذلك يتوقف كل طابور كأنه رجل واحد. ويصور العمود زاوية المعسكر وفي داخله جنود يفرغون الخيام والأمتعة من العربات، وخارج المعسكر على ضفة النهر تم إنشاء مكان لنضح المياه، فقد تمّ وضع لوح على الضفة حتى لا يطأ الجنود على ضفة النهر ويلوثوا الماء بالوحل، ويظهر على هذا اللوح حاجب يملأ إبريق. ولا يوجد الكثير من بقايا معسكرات المسير من الناحية الأثرية، وغالباً ما يبقى الخندق المحيط بالمعسكر فقط، وتم التعرف على العديد من معسكرات المسير في بريطانيا من خلال الصور الجوية، ولكن لم يظهر في هذه الصور إلا الخندق ونادراً ما اكتشفت مزايا أخرى. وأظهرت الصور الجوية في اسكتلندا سلسلة مميزة من المعسكرات التي احتوى معظمها على جوانب غير متماثلة ومستطيلة الشكل، والبعض الآخر له شكل المَعَين.

افترض المؤرخون تسلسلاً زمنياً لهذه المعسكرات، بحيث تناسب المجموعة الأولى منها حملات إغريكولا المعروفة تاريخياً في الفترة الفلافية، وتطابق المجموعة الثانية الفترة الأنطونية، في حين تطابق المجموعة الثالثة فترة سيفيروس، وتحتوي المجموعة الأخيرة من هذه المعسكرات على معسكرات ضخمة تبلغ مساحتها بين (٤٨-٦٦) هكتار، ومعسكر



الشكل رقم (٧٣)
مشهد من عمود تراجان يبين جنوداً رومان أثناء بناء معسكر المسير
المصدر: Fields, Nic: Hadrian's Wall, Osprey Publishing, 2003, p. 40.

ريدكيس (Raedykes) هو الأفضل بينها من حيث المحافظة على حالته، ويوضح هذا المعسكر أنّ خندق معسكر المسير في الأحوال العادية كان صغيراً نوعاً ما، ولا يتجاوز عمقه ١م وعرضه ١م[١].

وتقدم بريطانيا أكبر عدد من معسكرات التدريب في الإمبراطورية، وغالباً ما تبعد هذه المعسكرات بين ١-٢ كم عن موقع الحصن، وتكون قريبة على طريق روماني، وتدرب الجنود فيها على بناء معسكرات المسير وخصوصاً الأقسام الأصعب في المعسكر وهي الزوايا والبوابات. تم التعرف على معسكر تدريب عند (Cawthorn) في بريطانيا، حيث تمركز جنود الفرقة التاسعة هيسبانا عند يورك القريبة، وتم تدريب الجنود داخل المعسكر على بناء الأفران وحفر الخنادق وأعمال التحصين[٢]، بالإضافة إلى خنادق مُبطّنة بالأعشاب لتشكّل أسرّة دافئة للضباط[٣].

إذاً من خلال الأدلة والشواهد السابقة نستطيع الاستنتاج أن معسكر المسير كان يحاط بخندق لا يتجاوز عمقه ١م وعرضه ١,٥ م، وبمتراس ترابي لا يتجاوز ارتفاعه ٢م، يصنع من التراب المستخرج من حفر الخندق، ويثبت في أعلى المتراس الترابي سياج خشبي مؤقت، حيث كان كلّ جندي من جنود الفرق يحمل وتداً أو اثنين مصنوعين من البلوط ولهما طرفان حادان، واعتبر جنود الفرق حمل هذه الأوتاد جزءاً من تجهيزات نظام المسير، وتبين الأمثلة المكتشفة أن طول هذه الأوتاد بلغ ١٤٨سم فقط، وربما لم تُثبّت هذه الأوتاد شاقولياً على المتراس الترابي، لأن ضربها بمطرقة من الأعلى سيؤثر على نهايتها الحادة. ولذلك من المرجح أكثر أنه تم تثبيتها على المتراس الترابي على شكل زمر تتألف كلّ زمرة من ثلاثة أو أربعة أوتاد تربط معاً برباطات جلدية أو أملود ليّن، وهذا يدعمه وجود مكان ضيق في منتصف كلّ وتد يساعد على ربطها معاً[٤] (الشكل رقم ٧٤). وقد أشرف التريبونات وقادة المائة على حفر الخندق وصنع المتراس الترابي والسياج الخشبي، وحمل قادة المائة عصا

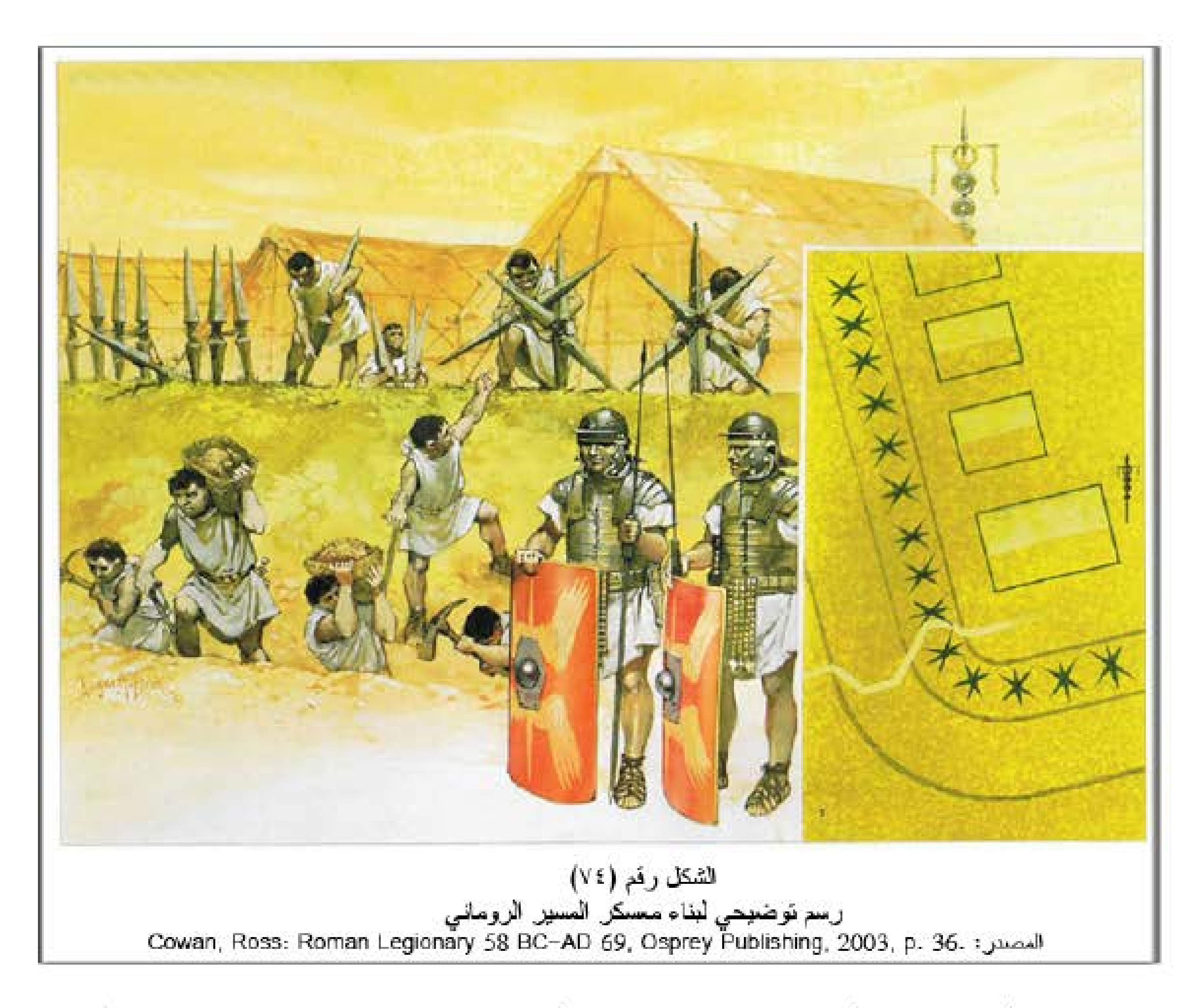
---

(1) - Webste: op.cit, pp.171- 173.

(2) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.52.

(3) - Webster: op.cit, p.174.

(4) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.51.

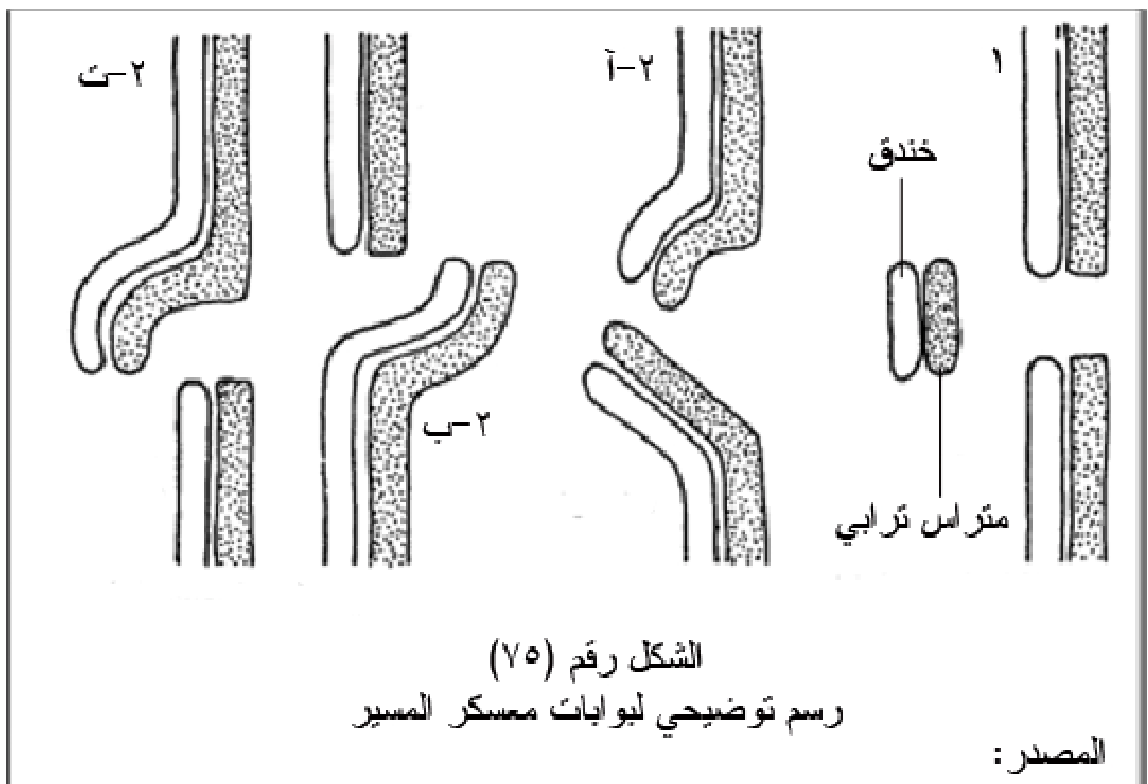


الشكل رقم (٧٤)
رسم توضيحي لبناء معسكر المسير الروماني
المصدر: Cowan, Ross: Roman Legionary 58 BC-AD 69, Osprey Publishing, 2003, p. 36.

طولها ثلاثة أمتار لقياس أعمال الحفر والبناء وليتأكدوا من دقة العمل وعدم ارتكاب الأخطاء الناجمة عن كسل أحد الجنود، وضُبط حجم المعسكر بالتناسب مع حجم القوة التي تشغله، وتمثلت أحد الحيل الشائعة بإنقاص حجم المعسكر أو تكبيره لتشجيع العدو على الاستخفاف بالقوة الموجودة فيه أو لإرهاب العدو بمنظر القوة التي تشغله[1].

و احتوى معسكر المسير على مداخل محمية بتدابير احترازية لمنع العدو من دخول المعسكر بسهولة من خلالها، وكان النوع الأول من المداخل محمي بوساطة خندق ومتراس قصيرين يبعدان بضعة أمتار داخل المعسكر عن المدخل الموجود في المتراس الرئيس، ويكون طول هذا الخندق والمتراس بعرض فتحة المدخل في المتراس الرئيس، ونظرياً هذا النوع من المداخل يكسر هجوم العدو (الشكل رقم ٧٥-١). أما النوع الثاني من المداخل فكان محمياً بامتدادات منحنية إلى الخارج على شكل ربع دائرة من المتراس والخندق الرئيسين،

(1) - Elise Phang: op.cit, p.68.



الشكل رقم (٧٥)
رسم توضيحي لبوابات معسكر المسير

المصدر:
Webster, Graham: The Roman Imperial Army, Barnes & Noble Books, 1985, p. 147.

بحيث تساعد على صُنع طريق ملتوٍ باتجاه المدخل، ويساعد هذا النوع من المداخل على حرمان المهاجم من استخدام سيفه وترسه، لأن ترسه سيواجه المتراس الترابي وبذلك سيفقد الحماية التي يؤمنها له هذا الترس[١] (الشكل رقم ٧٥-٢).

ورأى بعض المعلقين المعاصرين أنّ الجهد والوقت الطويل اللازم لبناء معسكر المسير سبب في تقليص السرعة الإستراتيجية للقوات الرومانية، ويعتبر هذا التعليق بعيداً من الصحة، لأن معدل المسير حددته سرعة قوافل الجر والحمل وتحملها أولاً، وثانياً تم بناء معسكر المسير بعد نهاية مسير يوم كامل وليس في منتصف اليوم. وعلق بعض المعاصرين بأنّ قوة دفاعات المعسكر لم تكن متكافئة مع الجهد الكبير الذي بذله الرومان في بنائها[٢].

وبالرغم من أن الدفاعات المؤلفة من الخندق قليل العمق والمتراس الترابي والسياج الخشبي الضعيف المصنوع من الأوتاد لن تستطيع إيقاف هجوم كبير، إلا أننا سنخطئ لو قللنا

---

(1) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate (27 BC-AD 117), op.cit, p.51; Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69, op.cit, p.44.

(2) - Luttwak: op.cit, p.55.

من الجدوى التكتيكية لدفاعات معسكر المسير، حيث ستكفي المتاريس الترابية المتواضعة والأوتاد الخشبية الضعيفة لكسر قوة هجوم الفرسان، لأنه في الواقع لن يحاول الفرسان الهجوم على هكذا دفاعات، وزيادة على ذلك في الواقع فالمسافة الفاصلة بين الجانب الداخلي للمتراس الترابي والخط الأول من الخيام والبالغة ١٨,٢ م شكّلت منطقة مفتوحة تضمن وقوع جميع الخيام خارج مدى القذائف التي يطلقها العدو من خارج المعسكر، والأهم من ذلك أعطت هذه المسافة مساحة كافية للجيش لكي يتشكل استعداداً للانتشار في ترتيب خط معركة. وضمنت الشوارع العريضة حشد القوات بطريقة منظمة في حال تعرض المعسكر للهجوم، وبذلك تتجنب القوات الاضطرابات والفوضى والهلع الذي قد يحدث نتيجة اندفاع الجنود في مساحة ضيقة ومليئة بتجهيزات الجيش. في الحقيقة عزّزَ معسكر المسير بناء الروح المعنوية أيضاً، فكان له تأثير انضباطي وعملي وشكّلت دفاعاته أداة نفسية قوية، لأنها تعطي القوات التي تدخل أرضاً معادية ومحيط غريب، إحساساً كبيراً بالأمان وتساعدها على فصل السكان المحليين والوحوش الشاردة عن المعسكر، ويصبح باستطاعة الجنود الاغتسال والاعتناء بتجهيزاتهم والتحادث والتسلية في جوٍّ آمن. وسمح الإحساس بالأمان للجنود بالنوم بعمق لكي يبقوا لائقين جسدياً للمسير أو القتال في اليوم التالي، فالتعب الجسدي والإرهاق المتراكم جراء الحراسة الليلية في حال عدم وجود معسكر سيؤدي إلى تعب الجنود وعدم قدرتهم على الاستمرار في القتال. كذلك شكل معسكر المسير وسيلة لتوفير الجهد والعمل بالإضافة إلى توفير طاقات الجنود، لأنه في الواقع احتاج الرومان وقتاً كبيراً لبناء معسكر المسير، لكن في حال اكتمل بناءه لقضاء الليلة فيه، لن يحتاج المحيط المحمي إلى الكثير من الجنود لحراسته، لأن ستة عشر جندياً فقط من المئينة يتولون الحراسة أثناء الليل[1].

وغالباً ما قدم معسكر المسير نوعاً من الضمان التكتيكي، لأنه لم يكن من عادة الجيش أن يسير مسافة طويلة ثم يقاتل بدون أن يستريح أولاً، وكان من النادر جداً أن يخوض الجيش الروماني معركة من دون معسكر مسير قريب، فعند الضرورة يتم بناء معسكر أثناء المعركة بوساطة قوات غير مشتركة في قتال، أو بوساطة قوات تسحب من الصفوف الخلفية من أجل

---

[1] - Luttwak: op.cit, p.56.

هذه الغاية، وغالباً ما كانت معسكرات المسير تُحمى من قبل جنود جنّدوا حديثاً، أو من قبل المحاربين القدماء والخدم في الجيش، وغالباً ما كانت تنشر القوات من أجل خوض المعركة من داخل معسكر المسير مباشرة، أو بعد مسير قصير. ولذلك في حال هُزمت القوات الرومانية في ميدان القتال كانت تقوم بالعودة إلى معسكر المسير وإعداد نفسها للقتال في يوم آخر. ولا يوجد شيء أصعب من تحويل الهزيمة المنكرة إلى تراجع منظم، لذلك يوفر موقع المعسكر القريب نقطة استجماع للقوة وإطاراً جاهزاً مسبقاً من أجل إعادة الانتشار[١].

وقد جمع المعسكر الروماني بين المزايا التكتيكية للمعسكر المؤقت ومزايا البيت الآمن الذي يختاره الجندي للإقامة فيه، ولكن الأهم من ذلك شكّلت معسكرات المسير رمزاً لسلطة روما الإمبراطورية، حيث أرهب بناء معسكرات المسير العدو وأظهر تقدم الجيش الروماني الذي لا يلين، وأثرّت معسكرات المسير في المراقبين الأجانب مثل بوليبيوس ويوسيفوس الذين بُهروا بتعقل الرومان وقدرتهم على فرض نظامهم على الطبيعة، ويقارن بوليبيوس بين معسكرات الإغريق التي تكيفت مع الطبيعة ومعسكرات الرومان الذين كيفوا الطبيعة في بنائها، وفي الخلاصة يمكن تشبيه المعسكر الروماني بخلية النحل التي تمثل خير مكان مرتب هندسياً وعقلانياً، ويقطنه أعضاء متشابهون ويعملون بجد لخير الجميع[٢].

٣ – حجم القوات ونشرها لتشكيل خط المعركة:

اختلف حجم القوات الميدانية من فترة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى بحسب طبيعة الاعتداء، وخصوصاً قوات الحملات الصغيرة التي تُشن لتأديب ومطاردة البرابرة المغيرين. وقد يتألف هذا النوع من الحملات كلها من الوحدات المساعدة، وفي الحقيقة شكلت الوحدات المختلطة في جوهرها جيشاً مصغراً من الفرسان والمشاة، ومع ذلك غالباً ما رافق هذه القوات مقتطعاً فرقياً من إحدى الفرق. وتمتعت الفرق بمستويات أعلى في بنية القيادة من الوحدات المساعدة، وتجمعت في مجموعات بلغ عدد جنودها خمسة آلاف جندي تقريباً، وشكلت قلب معظم الجيوش الرومانية. وبلغ أكبر حجم للقوات المرجح أن تقاتل معاً في ميدان المعركة

---

(1) - Gilliver: op.cit, p.126.

(2) - Elise Phang: op.cit, p.69.

خلال العصر الإمبراطوري ثلاث أو أربع فرق، وربما أضيف إليها مقتطعات مؤقتة من فرق أخرى، باستثناء حرب كبرى يقودها الإمبراطور شخصياً. لم يكن هناك قوة مكمّلة ثابتة من الوحدات المساعدة تدعم الفرقة، حيث يذكر تاكيتوس أن ثماني وحدات من المشاة والنبالة الراكبين وأعداد كبيرة من قوات مسلحة بالقذائف كانت ضرورية لمواجهة فرسان البارثيين والقبائل البدوية مثل الآلانيين (Alans) بالإضافة إلى القوات الحليفة الوكيلة، وهو أمر كان شائعاً في الشرق وخصوصاً خلال القرن الأول الميلادي[١].

ومن خلال ما تقدم نجد أنّه نادراً ما تجاوزت جيوش الرومان الميدانية أكثر من أربعين ألف جندي، وغالباً ما كان نصف ذلك العدد أو أقل من ذلك خلال الحملات الصغيرة. ومع أنّ جيوش الأعداء كانت أكبر بكثير من الجيوش الرومانية، إلا أن الأرقام التي تعطينا إياها المصادر القديمة لا يعتمد عليها في هذه النقطة، لأن الكتاب القدماء دائماً بالغوا في أعداد العدو لتعظيم نصر الرومان النهائي. ولأنه نادراً ما حصل الرومان على معلومات دقيقة فيما يتعلق بحجم قوات خصومهم، وربما في العديد من الحالات قادة الأعداء امتلكوا فكرة تقديرية عن عدد القوات تحت قيادتهم. في وصف تاكيتوس لمعركة سيتونيوس بولينوس (Suetonius Poulinus) ضد بوديكا في بريطانيا سنة ٦١م، ويذكر أنه بعد انتهاء المطاردة قُتل ثمانون ألف بريتوني في حين خسر الرومان أربعمائة جندي فقط[٢]. ومن خلال هذا الوصف نجد أن المبالغة واضحة في تقدير عدد جيش البريتونيين وكذلك في عدد القتلى. وليس هناك وصف دقيق ومعلومات كثيرة عن ترتيب الرومان وتنظيمهم ونشرهم لقواتهم قبيل المعركة خلال العصر الإمبراطوري، ولكن يوحي وصف تاكيتوس لحملات كوربولو على بارثيا أن نشر القوات على أرض المعركة خلال العصر الإمبراطوري كان شبيهاً جداً بنشرها في العصر الجمهوري[٣]، وجاءت الاختلافات في انتشار القوات وأساليب القتال استجابة إلى طبيعة التهديدات المختلفة، ومع تمركز القوات بشكل دائم في الأقاليم الإمبراطورية لا بد أن هذه الاختلافات تزايدت. عموماً ولم يختلف كثيراً نشر الجيوش

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.168.

[2] - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.47.

[3] - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op .cit, .p.45.

الرومانية في خط المعركة خلال العصر الإمبراطوري عن نشرها في منتصف العصر الجمهوري[١].

يقدم لنا وصف بوليبيوس لترتيب القوات في المعركة أثناء العصر الجمهوري دليلاً واضحاً على عدم وجود اختلاف في ترتيبها في العصر الإمبراطوري حيث يقول بوليبيوس: تشكل قلب الجيش من مشاة الفرق الثقيلين، وفرسان ومشاة آخرين على أجنحته، وأحياناً الفرسان يمتزجون مع المشاة الخفيفين أو النبّالة. وشكّل ترتيب القوات بهذا الشكل الترتيب التقليدي للقوات في العصر الإمبراطوري، فقد تم تقسيم الجيش إلى قلب يشغله جنود الفرق مع تمركز الوحدات المساعدة على جانبي الفرق، وجناحين يشغلهما الفرسان لحماية المشاة وصدّ القوات المعادية ومطاردتها، في حين نشر القوات الاحتياطيّة من المشاة أو الخيّالة لنصب الكمائن أو الالتفاف على العدو وتطويقه أو لصدّ الاختراقات[٢].و يعتبر التشكيل الذي استخدمه الرومان ضد تاكفاريناس (Tacfarinas) في شمال افريقيا سنة ١٧م تشكيلاً نموذجياً، حيث شكلت الفرقة الثالثة أوغسطسا القلب، وتركزت كوهورتات المشاة الخفيفة على جانبيها، بينما شكل الفرسان الأجنحة[٣] (الشكل رقم ٧٦).

نستطيع أن نطلق على التشكيل الذي تبناه سوتينيوس بولينوس ضد الملكة بوديكا في بريطانيا سنة ٦١م بالتشكيل النموذجي لمجموع القوات وترتيبها. إذْ تألفت قوات بولينوس من الفرقة الرابعة عشرة ومقتطع من الفرقة عشرين ومشاة وخيالة من الوحدات المساعدة، ويقول "ديو" إنه بلغ العدد الكلي للقوات الرومانية عشرة آلاف جندي في وجه مئتين وثلاثين ألف محارب يقفون إلى صف بوديكا[٤]. وشكّل بولينوس القلب من مشاة الفرق، ونشر الوحدات المساعدة على جانبي الفرق، بينما تمركز الفرسان على الأجنحة (الشكل رقم ٧٧). أما التشكيل البديل عن التشكيل النموذجي في ترتيب القوات أثناء المعركة فقد تمثّل في أن تأخذ

---

(1) - Gilliver: op.cit, p.128.

(2) - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome31 BC–AD284, 2002. Routledge, London, 2002, p.51.

(3) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.8.

(4) - Ibid, p.46.

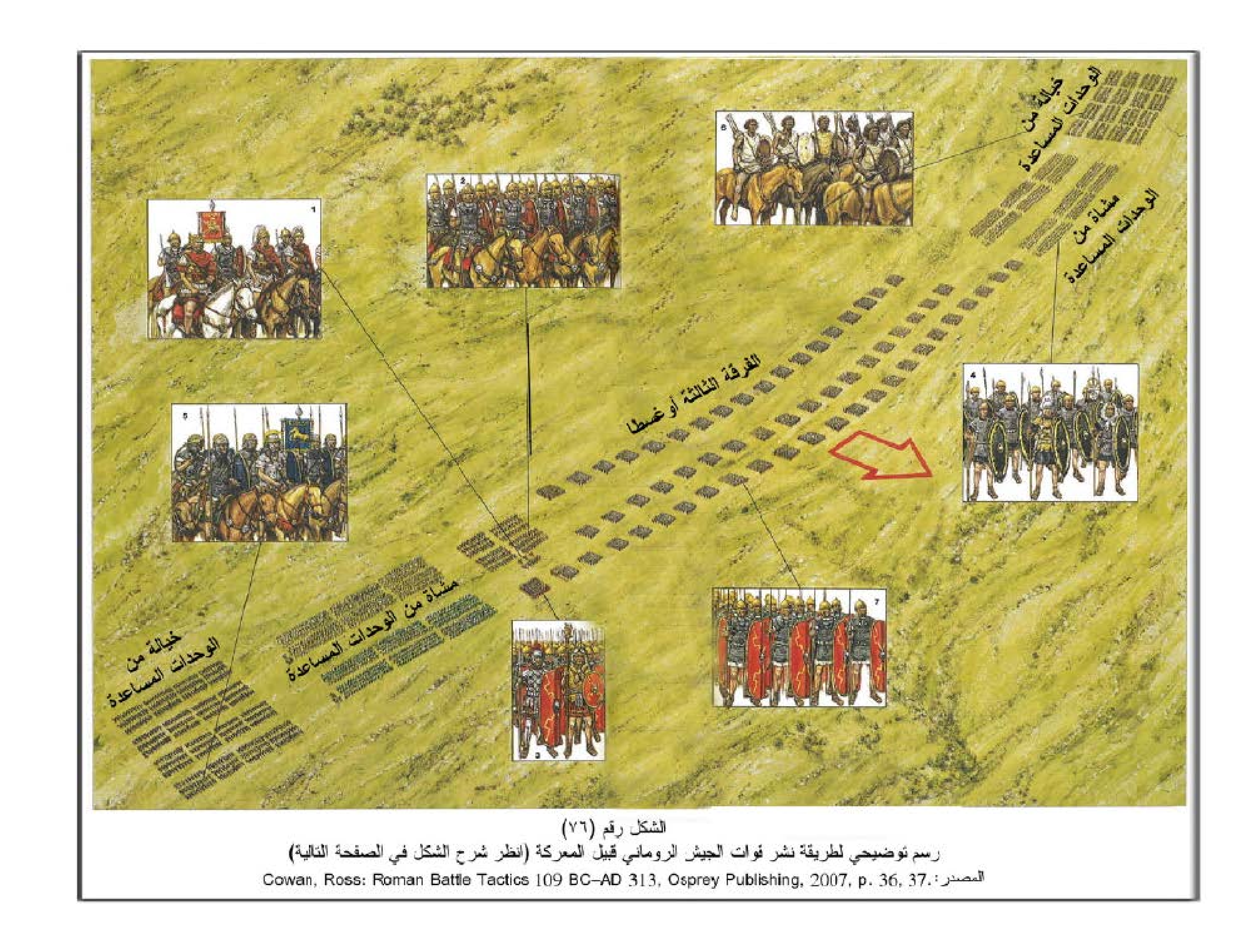
الوحدات المساعدة الدور الذي تأخذه الفرق عادة، ويبقى جنود الفرق كاحتياط خلف خط المعركة ولا ينشرون إلا عند الحاجة فقط. ويقدم لنا تشكيل القائد الروماني اغريكولا لقواته في معركة (Mons Graupius) سنة ٨٤ م مثالاً عن التنوع في التشكيل النموذجي للقوات في أثناء المعركة[1]، حيث شكل اغريكولا قلب الجيش من الوحدات المساعدة الباتافية (Batavi) والتنغارية (Tungrian)، ونشر الفرسان على الأجنحة[2]. أما الفرق فقد بقيت كقوات احتياط أمام معسكر الجيش[3] (الشكل ٧٨).

---

(1) - Goldsworthy: The Roman Army at war (100 BC-AD 200), op.cit, p.134.

(2) - Cowan: op.cit, p.8.

(3) - Goldsworthy: The Roman Army at war (100 BC-AD 200), op.cit, p.134.



الشكل رقم (٧٦)

رسم توضيحي لطريقة نشر قوات الجيش الروماني قبيل المعركة (انظر شرح الشكل في الصفحة التالية)

المصدر: Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 36, 37.

شرح الشكل رقم (٧٦)

شرح طريقة نشر قوات الجيش الروماني قبيل المعركة ضد تكفاريناس في شمال أفريقيا سنة ١٧ ميلادي والذي يظهر استخدام الرومان للخط الثلاثي في هذه المعركة، إذ استخدم هذا التشكيل في أواخر الفترة الجمهورية وأوائل الفترة الإمبراطورية على نطاق واسع.

هنا يمكننا مشاهدة فرقة في الوسط مؤلفة من ستين مئينة أو عشرة كوهرتات موزعة في ثلاثة صفوف بطريقة ٤-٣-٣، ويتألف الخط الأول من أربع وعشرين مئينة (أربع كوهرتات)، أما الخطان الثاني والثالث يتألف كل منهما من ثماني عشرة مئينة (ثلاثة كوهرتات في كل خط)، ويمكن ملاحظة المسافات الفاصلة بين كل مئينة وأخرى بحيث تساوي هذه المسافة عرض المسافة التي تشغلها المئينة، أما المسافات الفاصلة بين الخطوط الثلاثة فهي أوسع. ويسمح هذا للخط الأول من الفرقة بالهجوم على العدو على شكل إسفين صغير، وفي حال فشل الهجوم تتقدم المئينات في الخط الثاني لتأخذ محل المئينات في الأمام، أو لملء المسافات الفاصلة بينها، أما الخط الثالث في الفرقة فيبقى كقوة احتياطية.

١- يظهر في هذه الصورة قائد الفرقة ورايته وستة تريبيونات متمركزون خلف الكوهورت الأولى، ونافخي الأبواق الذين يصدرون الإشارات بأبواقهم، ويستطيع قائد الفرقة من موقعه هذا توجيه المعركة وإرسال التريبيونات لنقل الأوامر إلى مختلف الوحدات.

٢- يعمل فرسان الفرقة المتمركزون خلف القائد وهم مائة وعشرون فارساً كحرس شخصي وكقوات احتياطية.

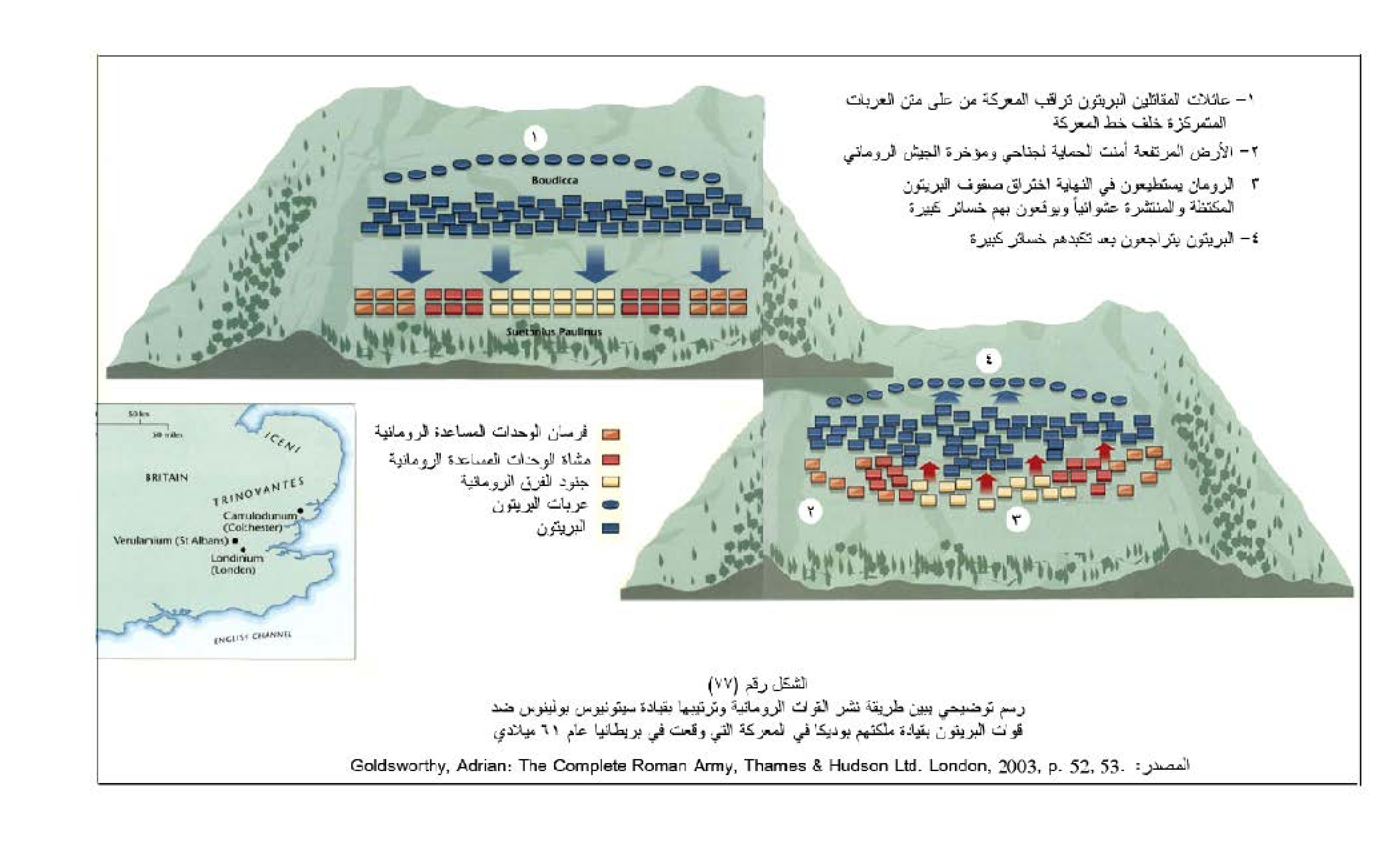
٣- تمركز حامل راية النسر وقائد المئة الأعلى في الصف الأمامي في الكوهورت الأولى.

٤- تدعم الفرقة من كل جانب وحدتا مشاة من القوات المساعدة خفيفة التسليح وتضم كل وحدة ما يقرب من أربعمائة وثمانين رجلاً، وتنتشر هذه الوحدات في تشكيل مفتوح يناسب الطرق القتالية للقوات المطلقة للقذائف والمناوشات، وتبقى وحدة المشاة المساعدة الثانية عند كل جانب من جانبي الفرقة كقوة احتياطية. تمركز قادة المائة في الوحدات المساعدة وحاملي الرايات في الصفوف الأمامية من المئينات.

٥- تمركزت وحدتا خيالة من القوات المساعدة عند كلا الجانبين، وتتألف كل وحدة من خمسمائة فارس تقريباً موزعين في ست عشرة سرية، وتمركز قائد هذه الوحدة وحامل الراية ونافخ البوق في الصفوف الأمامية. وتمثل هذه الوحدات قوات مساعدة من بلاد الغال أو ثريس.

٦- يمثل هؤلاء الجنود فرساناً من نوميديا.

٧- عندما يشن جنود الفرق الهجوم يبادر مشاة الوحدات المساعدة إلى دعمهم بإطلاق وابل من القذائف ويحاول فرسان الوحدات المساعدة صد أو هزيمة قوات الأعداء أو فرسانهم ويمنعوهم من شن الهجمات الهادفة إلى تطويق الجناحين، وبعد ذلك يستديرون باتجاه الداخل للهجوم على قلب جيش العدو وجناحيه ومؤخرته.



الشكل رقم (٧٧)
رسم توضيحي يبين طريقة نشر القوات الرومانية وترتيبها بقيادة سيتونيوس بولينوس ضد قوات البريتون بقيادة ملكتهم بوديكا في المعركة التي وقعت في بريطانيا عام ٦١ ميلادي

المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p. 52, 53.

وبالرغم من أن تاكيتوس وبعض المؤرخين المعاصرين اقترحوا أن الهدف من هذا التشكيل هو الحفاظ على حياة جنود الفرق المواطنين، إلا أن الحقيقة المعاصرة لهذه المعركة تكمن في تحمل هذه الفرق مهمة ترجيح ميزان القوى لصالح الرومان في حال أخفقت الوحدات المساعدة في حسم المعركة ، وكذلك تم نشر القوات المساعدة في الصفوف الأمامية لتقاتل على أرض صعبة، ربما لأن تجهيزاتهم ومهاراتهم القتالية كانت أكثر ملاءمة لهذه الأرض من تجهيزات جنود الفرق. وبالرغم من الطبيعة المحافظة للتكتيكات الرومانيّة أثبت القادة قدرتهم على تعديل أساليبهم وتكتيكاتهم القتاليّة وتطويرهما كي تلائم أنواع الحروب الجديدة أو غير التقليديّة، مثلا قد كان على بلاسوس (Blaesus) حاكم أفريقيا التعامل مع تكفاريناس (Tacfarinas) سنة ٢٢م وفق تكتيك قتالي مختلف يتوافق مع حرب العصابات الذي سلكه تكفاريناس حيث قسّم القائد الرومان جيشه إلى تشكيلات صغيرة مستقلّة وسريعة الحركة بقيادة ضباط متمرسين، كما بنى الحصون لتطويق العدو وأبقى على القوات في جاهزية قتالية دائماً لإنهاك تكفارناس بالهجمات المتواصلة طيلة فصل الشتاء، وفي ذلك نجد طريقة جديدة في القتال تهدف لمعالجة نوع معيّن من الظروف التي واجهها الرومان. أمّا عندما واجه الرومان جيشاً مؤلفا من فرسان ثقيلي التدريع مثل البارثيين والآلانيين فإنّهم لجؤوا في البداية إلى تشكيل المربع المفرغ ووضع قافلة الأمتعة في الوسط، ولكنْ بعد سحق هذا التشكيل في معركة كارهاي سنة ٥٣ ق.م من قبل البارثيين أصبح الاعتماد عليه نادراً نوعا ما وبدأ الرومان باستخدام النبّالة ورماة المقاليع لإبعاد الخيّالة ومنعهم من الاقتراب من المشاة، وتطوّره أيضاً استخدام درع السلحفاة في المعركة [1] (انظر فقرة التشكيلات الدفاعية في نفس الفصل).

يقدّم لنا النشاط العسكريّ الروماني في الشرق الصورة الوحيدة الواضحة عن تطوّر التكتيكات وتطبيقها عملياً للتعامل مع الخيّالة ثقيلي التسليح والنبالة الفرسان إذ إنّه بعد معركة كارهاي (Carhae) وجد الرومان ضرورة ابتكار تشكيل دفاعي قوي جداً لمواجهة هجمات الخيّالة ثقيلي التسليح والنبالة الفرسان، فاستخدم الرومان في البادية النبّالة ورماة المقاليع

---

[1] - Campbell Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC–AD2 84, op.cit, p. 53.

لمواجهتهم كتشكيل بديل عن المربع المفرغ (انظر فقرة التشكيلات الدفاعية) وكان ذلك من قبل مارك أنطوني في حربه ضد البارثيين سنة ٣٦ ق.م، وكان ذلك من خلال نشر قوة كبيرة من الرماحين ورماة المقاليع والنبالّة الذين أطلقوا قذائفهم المركّزة على البارثيين ثقيلي التدريع وكانت المقاليع فعّالة جداً لأنّ مداها أبعد من مدى سهام النبّالة البارثيين، وبعد ذلك حلّ تشكيل درع السلحفاة محل المربع المفرغ، ولكنه في عهد تراجان فقط عندما احتل بارثيا سنة ١١٤م سنحت الفرصة للرمان بتطبيق التكتيكات الميدانية الخاصة وتطويرها لمواجهة الفرسان البارثيين والنبّالة المدرعين. ولكن فيما يبدو في عهد هدريان فقد طوّر الرومان فكرة إحباط هجوم الخيّالة ثقيلي التسليح وذلك من خلال مواجهتهم بتشكيل دفاعي متراصٍ ناتج عن تعديل تشكيل الكتيبة الإغريقيّة كتحسين للمربع الأجوف أو لتشكيل درع السلحفاة. وأصبح رماة المقاليع والنبّالة والخيّالة يشكلون الأسلحة الهجوميّة الرئيسة في الجيش الروماني، ولم يكن هذا نتيجة لقراءة الأعمال الإغريقية النظرية فحسب، وإنما نتيجة لما تعلّمه الرومان من تجربتهم في الشرق منذ منتصف القرن الأول قبل الميلاد [١].

اختلف دور قوات القذائف قليلاً عن دور جنود الفرق، لذلك لم يكن موقعهم في خط المعركة محدداً بدور معين وإنما اختلف وتنوع حسب ظروف المعركة. وتمركزت هذه القوات ورماة السهام والمقاليع على أجنحة الجيش وأحياناً في مؤخرة خط المعركة، لذلك انتقد بعضُ المنظرين العسكريين نشرَ النبالة في مؤخرة خط المعركة، لأن نشر النبّالة– كما يرون– خلف خط المعركة أوجب عليهم إطلاق السهام من فوق رؤوس المشاة وبذلك ستكون قذائفهم أقل قوة ودقة. ورغم ذلك نستطيع القول إن نشر النبّالة بهذا الشكل قد سمح لهم بالاستمرار في إطلاق السهام حتى بعد تقدم خطوط الأعداء، وسيكون ذلك فعّالاً أكثر عندما ينتشر الجيش على أرض مرتفعة مما يمنحه مدى أبعد لإطلاق السهام. أضافت قوات القذائف تأثيراً مادياً ونفسياً إلى قوة الجيش، حيث كانت العقارب (scorpio) المطلقة للسهام القصيرة سريعة الحركة، ويمكن تثبيتها بسهولة على الأرض أو على العربات[٢]. وعدم تقيد جنود القذائف

---

[1] - Campblell, Brian: Teach Yourself How to Be A General, JRS, Vol LXXVII, 1987, pp. 25- 26.

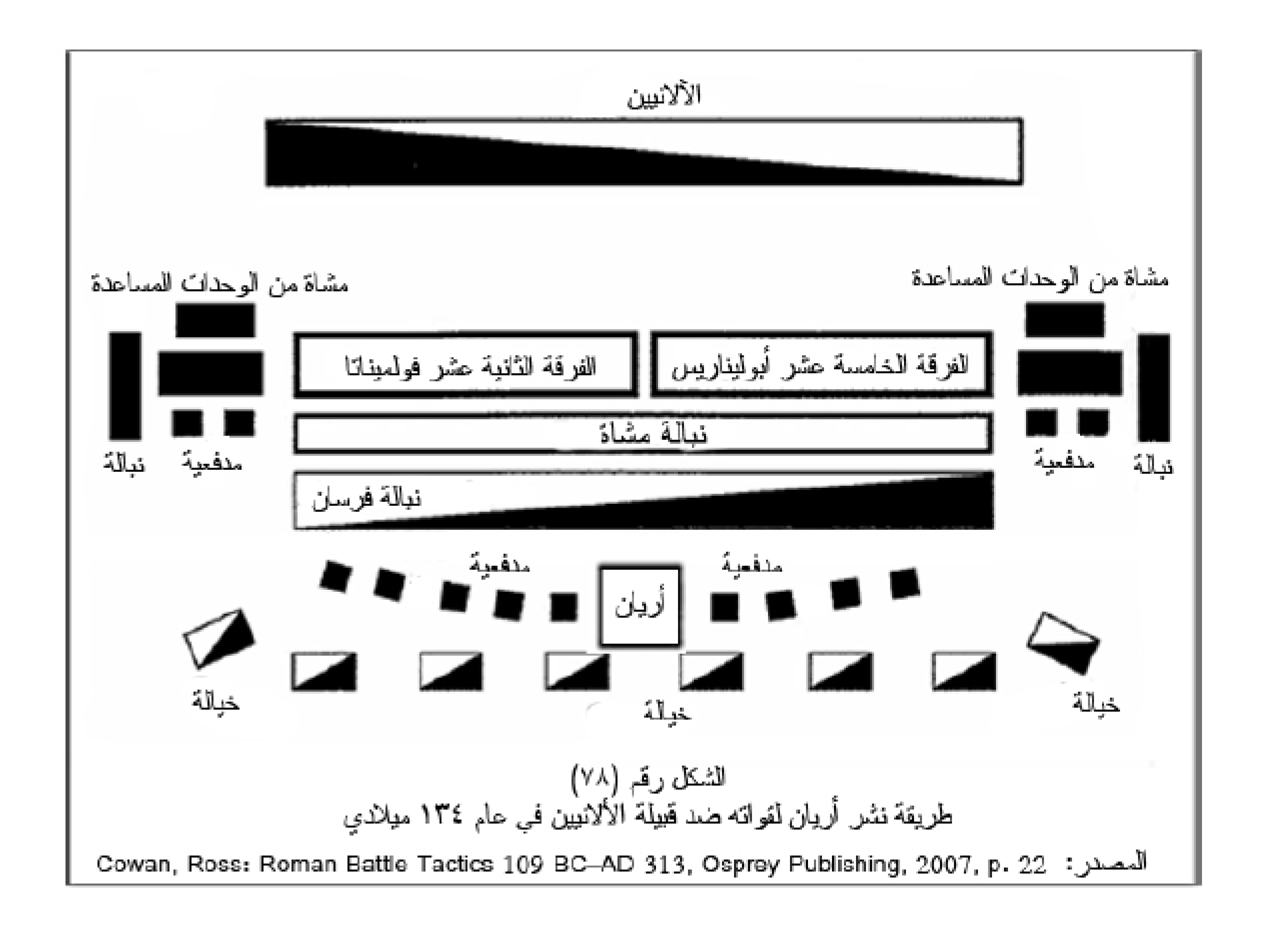
[2] - Gilliver: op.cit, p.128.

ورماة المقاليع بنظام ترتيب معين في خط المعركة ساعد على اتخاذهم مواقع إفرادية لإطلاق القذائف على أهداف معينة وتحقيق إصابات دقيقة[١].

ومنذ سنة ١٠٠ م كان بحوزة الرومان آلات مطلقة للسهام هي الأقوى في العالم القديم، وهي أكثر ملاءمة للاستخدام في ميدان القتال وربما استخدموها أول مرة في حرب داسيا الأولى، وربما كانت معظم المجانيق التي استخدمها أريان ضد الآلاني سنة ١٣٤ م من نوع كاروبالستا (Carroballista) وقد توجب عليها أن تأخذ موقعاً في رتل المسير إلى المعركة وغالبا ما كان هذا الموقع خلف فرسان الوحدات المساعدة وحرس الفرسان الشخصيّ، ولكنها أمام جنود الفرق. وقد نصت أوامر أريان أنّه عندما يصل العدو إلى ميدان المعركة تتشكل قواته على شكل خط شبيه بالهلال يتوجّه تجويفه إلى العدوّ، وتنشر مطلقات السهام على طرفي الهلال كي تطلق القذائف على العدو محققة أطول مدى ممكن عندما يتقدّم باتجاهها، وتم نشر آلات أخرى خلف خط المشاة الرئيس. ونظرا لموقع القاذفات المكشوف نوعا ما على جانبي الهلال رجّح أن تكون هذه الآلات من نوع الكاروبالستا المتحركة، في حين كانت الآلات الأخرى المتمركزة خلف المشاة إمّا مجانيق قاذفة للحجارة أو قاذفات سهام ثابتة، وربما شكل نشر أريان التكتيكي للقوات في معركته ضد الآلاني أحد خطط الرومان المألوفة خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين (الشكل رقم ٧٨)، وبإمكاننا تصور العديد من المعارك التي تمركزت فيها القاذفات على الجناحين وخلف الخط الرئيس، ولكنْ في واقع الأمر لعبت ظروف المعركة وتضاريس الأرض دوراً كبيراً في طريقة نشر القوات ولمّح فيجيتيوس في كتاباته إلى ترتيب مختلف قليلا فيما يتعلق بنشر القاذفات فيرى أن الفرقة تشكلت من ستة صفوف متوازية يقف خلف الصف الأول مشغلو القاذفات من نوع مانوبالستا (manuballistae) وأركوبالستا (arcuballistae) وكان هناك في الصف الخامس بعض القاذفات من نوع كاروبالستا وعددٌ أكبر من نوع المانوبالستا، في حين تتمركز الكاروبالستا الأكبر حجماً وذات المدى الأعظم في الخلف، ولم يأتِ فيجيتيوس على ذكر

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op, cit, p. 180.



الشكل رقم (٧٨)
طريقة نشر أريان لقواته ضد قبيلة الألانيين في عام ١٣٤ ميلادي
المصدر: Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 22

قاذفات الحجارة الضخمة ذات الذراع الواحد (onager) في ترتيبه التكتيكي، وربما كان ذلك يعود إلى أنّها لم تكن مناسبة تماماً للاستخدام في الميدان، ويجب التنويه هنا إلى أن الرومان طبقوا هذا النظام في نشر القاذفات عندما انتشرت قواتهم على شكل خط مستقيم [١].

أمّا فيما يخصّ تشكيلات الفرسان، فالإشارات غامضة حولها في المصادر التاريخيّة، لكنْ بعض المؤرخين المتأخرين أشاروا إلى أن الرومان شكلّوا خيّالتهم بعمق صفين أو أربعة صفوف، ويقول المؤرخ يوسفوس أنّ الرومان نشروا الفرسان في خط مكوّن من ثلاثة صفوف خلف تشكيلات المشاة، وينصح أريان بتشكيل وحدات الخيّالة الكبيرة بعرض أكبر من العمق، ومع ذلك يتابع القول بأنه يمكن استخدام التشكيل شديد العمق لاختراق خط العدو[٢] (الشكل رقم ٧٩).

---

[1] - Marsden: Greek and Roman Artillery" Historical Development", op.cit, pp. 190 – 191.

[2] - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, pp. 50 -51.

يقدم لنا المجموع الكلي لقوات أريان ضد الآلانيين عام ١٣٥م أدق التفاصيل التي نملكها عن خطة نشر القوات في أي جيش روماني. تشكل قلب جيش أريان من الفرقة الخامسة عشرة أبوليناريس وجزء من الفرقة الثانية عشرة فولميناتا، وانتشرت في خط مفرد من الكوهورتات بحيث يضم الخط ثمانية صفوف. تمركز خلف هذا الخط صف واحد من النبّالة المشاة وتمركز خلف صف النبّالة المشاة صف آخر من النبّالة الفرسان، وكلا صفي النبّالة أطلقوا السهام من فوق رؤوس المشاة دعماً لهم. وتمركز فرسان الأجنحة على أرض مرتفعة، وكل جناح تحميه مشاة ثقيلة وخفيفة. أما الحرس الشخصي للقائد فشكل قوات احتياطية مؤلفة من الفرسان لحراسة الأجنحة ودعمها عند الضرورة (راجع الشكل ٧٨). وكان العدو في هذه المعركة قبيلة



الشكل رقم (٧٩)
وحدة خيالة مساعدة خمسمائية تنتشر قبيل المعركة في تشكيل عميق. تألفت هذه الوحدة من ست عشرة سرية، وكل سرية ضمت ثلاثين فارساً. ويمكن رؤية حامل الراية يترأس كل سرية. أما الوحدة كاملة فترأسها القائد وحامل راية الوحدة. إلا أن الرومان نادراً ما استخدموا هذا التشكيل العميق في معاركهم.

المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson, 2003, p. 56.

الآلانيين، الذين تكّون تكتيكهم الوحيد من هجوم سريع وطائش بوساطة عدد كبير من الفرسان ثقيلي التسلح. وتشكيل أريان صُمِمَ لمواجهة هذا التهديد فحسب، فقد بقي خط المشاة ثابتاً حتى لا يستطيع فرسان الآلانيين اختراقه، وقدمت المجانيق والنبّالة دعماً لقوات المشاة بإطلاق السهام والقذائف من فوق رؤوسهم، وكان الهدف من هذا الدعم بقاء المشاة في أماكنهم والحفاظ على تشكيلهم الثابت. أما الفرسان فكانوا مستعدين لمنع أية تهديد للأجنحة، ولمطاردة العدو ودفعه بعيداً بعد صده. تمكّن هذا التشكيل من كسر هجوم الآلانيين ومنعهم من الاقتراب كثيراً من الجيش الروماني، ولكن هذا التشكيل كان ملائماً لحالة تكتيكية واحدة، أي لموجهة جيش كله من الفرسان بجيش يضم نسبة كبيرة من المشاة. ولذلك لا يجب علينا أخذ هذا التشكيل كدليل على التغيرات في العادات التكتيكية للقوات الرومانية على امتداد الإمبراطورية خلال القرن الثاني، ولكن من الأفضل اعتباره علامة أو إشارة على مرونة النظام الروماني الذي استطاع بنجاح تطوير تكتيكات مختلفة من المزيج نفسه من القوات لمواجهة أنواع مختلفة جداً من الجيوش[1].

وعلى العموم نستطيع الاستنتاج أن ترتيب خط المعركة في العصر الإمبراطوري أخذ أشكالاً متنوعة، لكن ترتيب القوات في قلب وميمنة وميسرة بقي رائجاً وسائداً حتى القرن الثالث الميلادي . وقد جعلتنا معركة أريان ندرك أن تكتيكات الرومان مثلها مثل أسلحتهم تتغيّر تبعاً للمواقف والحالات المختلفة التي تواجههم، وقدمت لنا شرحاً كاملاً عن المزايا التي استخدمها الرومان في تكتيكاتهم، فقد أظهرت طريقة ترتيب القوات والاحتفاظ بقوة احتياطية من الفرسان، وكذلك أوضحت هذه المعركة أنه في حال تفوق العدو في عدد فرسانه لا بد من دعم الفرسان بقوات من المشاة خفيفي التسليح، أو يجب على الفرسان التمركز خلف خط مشاة كثيف، وفي هذه المعركة نرى أهمية تشكيل المربع الدفاعي المتراص لصدّ هجوم الفرسان.

٤ – خطّ المعركة:

بعد هذا العرض عن حجم القوات وترتيبها في خط المعركة لا بد من تقديم عرض آخر يتعلق بأنواع الخطوط التي عرفها الرومان خلال تاريخهم العسكري.

---

(1) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op,cit, p.135.

أ- الخط المفرد أو البسيط (Simplex acies):

شكل الخط المفرد خط المعركة الأساس والجوهري بين أنواع الخطوط التي تبناها الرومان، وانتشرت القوات في هذا النوع من الخطوط على شكل خط مفرد من الكوهرتات مؤلف من صفوف عدة. وأحياناً توجب على جيش كبير القتال بهذه الطريقة حتى ينتشر بسرعة لمواجهة عدو هاجمه بشكل مفاجئ، وأحياناً أخرى أُجبر القادة على استخدام هذا الخط بسبب عدم انضباط الجنود[١]. وكذلك كانت القوات التي تتمتع بأكبر قدر من الثقة والانضباط تميل إلى التشكّل في خط مفرد قليل العمق، وربما تألف هذا الخط من ثلاثة أو أربعة صفوف، بينما تشكلت القوات الأقل خبرة وثقة بنفسها من خط مفرد أعمق من الأول، وربما يكون عمقه ستة أو ثمانية أو حتى عشرة صفوف كما حدث في معركة أريان ضد قبيلة الآلاني[٢].

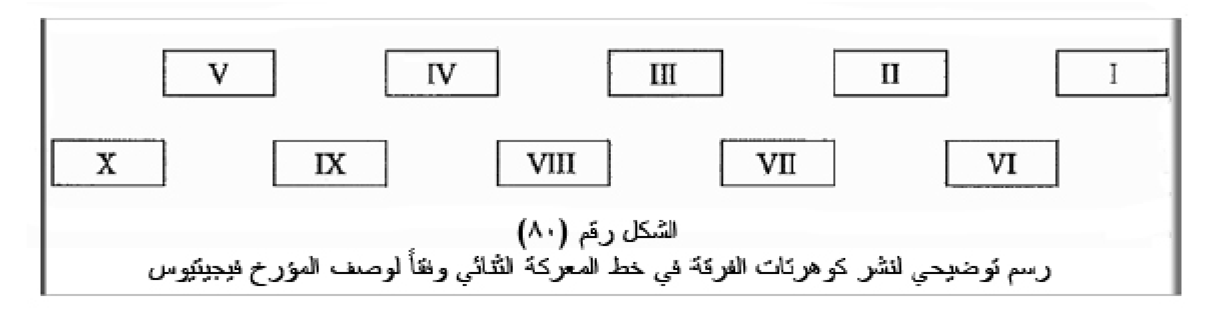
شكّل الرومان جيشهم في معركة (Nisibis) سنة ٢١٧م في ترتيب نموذجي، وعلى شكل خط مفرد كما فعل كراسوس في معركة (Carrhae) سنة ٥٣ ق.م، حيث أحبط الرومان في معركة نيسيبيس طيلة ثلاثة أيام كل محاولات الخيالة البارثيين الرامية إلى تطويق جناحي الجيش الروماني، وذلك من خلال استمرارهم في مد خط المعركة، ومن خلال مناورات الفرسان الرومان القوية لحماية الأجنحة. بسبب إرهاق الجيشين المتحاربين، وبسبب جثث الجنود والخيول والجمال التي ملأت ساحة المعركة بحيث أصبح مستحيلاً التقدم عبرها، فانتهت المعركة بدون أن تحسم لأحد الطرفين.

ب- الخط الثنائي (duplex acies):

طابق فيجيتيوس تشكيل الخط الثنائي مع وصفه الفرقة الإمبراطورية القديمة، ولذلك اقترح بعض المؤرخين أن هذا الوصف اشتق من المصادر الإمبراطورية القديمة. يوحي ذلك بأن الخط الثنائي (٥-٥) شكّل تنظيم المعركة النموذجي بالنسبة للفرق في العصر الإمبراطوري. تشكلت كوهورتات كلّ فرقة في هذا النوع من خطوط المعركة من خطين، بحيث يضم كلّ خط خمسة كوهورتات جنباً إلى جنب (٥ – ٥) (الشكل رقم ٨٠)، وكلّ خط

(1) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.13.

(2) - Goldsworthy: the Complete Roman Army, op.cit, p.180.



الشكل رقم (٨٠)
رسم توضيحي لنشر كوهرتات الفرقة في خط المعركة الثنائي وفقاً لوصف المؤرخ فيجيتيوس

يتألف من عدة صفوف[1] يبقى فيجيتيوس مرجعنا الوحيد فيما يتعلق بترتيب كوهورتات الفرقة في خط المعركة الثنائي، ويقدم لنا بعض الإشارات إلى الأهمية النسبية لبعض هذه الكوهورتات. يقول فيجيتيوس: تمركزت الكوهورت الأولى على يمين الخط الأول للفرقة، وتمركزت الكوهورت الثالثة في منتصف الخط الأول، والكوهورت الخامسة تمركزت على يسار الخط الأول للفرقة، أما الكوهورت الثانية والرابعة فتمركزتا بين الكوهورتات الثلاثة السابقة. أما الخط الثاني للفرقة فضم الكوهورتات من السادسة حتى العاشرة، حيث تمركزت الكوهورت السادسة على يمين الخط الثاني خلف الكوهورت الأولى، وتمركزت الكوهورت الثامنة في منتصف الخط الثاني، في حين كانت الكوهورت العاشرة على يسار الخط الثاني، أما الكوهورتات السابعة والتاسعة فتمركزت بين كوهورتات الخط الثاني [2].

ضمت كوهورتات يمين الفرقة ووسطها ويسارها في الخطين الأول والثاني أفضل الجنود لاحتمال تعرضها لهجوم على الأجنحة، ويمكن توقع وجود مجندين قيد التدريب في الكوهورتات السابعة والتاسعة. ويقول فيجيتيوس انتشر الجنود في مئيناتهم في الترتيب نفسه الذي أدرجوا فيه في وحداتهم، وفي الحقيقة لا يتوفر لدينا أكثر من ذلك عن ترتيبات كوهورتات الفرقة في المعركة خلال العصر الإمبراطوري[3].

يوحي وصف تاكيتوس لمعركة جبال غروبيوس(Mons Graupius) بخط ثنائي من الكوهورتات المساعدة في الوقت الذي كانت فيه الفرق تبقى في الخلف كقوات احتياط. ومن خلال وصف تاكيتوس لمعركتي كريمونا الأولى والثانية أثناء الحرب الأهلية سنة ٦٩م يعطينا

---

(1) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit,.pp.20-21.

(2) - Webster: op.cit, p.111.

(3) - Elise Phang: op.cit, p.55.

انطباعاً عن استخدام الخط الثنائي. وكذلك يخبرنا وصف أريان لخط المعركة الذي شكله ضد الآلانيين سنة ١٣٥م أن جنود الفرق ساروا إلى ساحة المعركة في ثمانية صفوف، ولكن سارت كل أربعة صفوف منفصلة عن الأربعة الأخرى، وفي تشكيل المعركة تسلحت الصفوف الأربعة الأمامية بالرمح الثقيل (Pilum)، بينما تسلحت الصفوف الأربعة الخلفية بالرماح الخفيفة (Lancea, Gaveline). ربما يقدم لنا هذا الوصف المكونات الطبيعية للخط الثنائي في الفرقة، ولكن عندما بدأت المعركة انغلقت هذه الصفوف واحداً خلف الآخر لتشكّل خطاً مفرداً قوياً[1].

سار مشاة أريان مشكلين أربعة صفوف يسيرون جنباً إلى جنب ضمن رتل المسير، وانتشروا في ثمانية صفوف أثناء المعركة مما يوحي إلى نظام معتمد على مضاعفات العدد أربعة. يقول يوسيفوس سارت القوات الرومانية ستة جنود جنباً إلى جنب في مسيرهم إلى فلسطين أثناء الحرب اليهودية بين عامي ٦٧-٧٢م، ويذكر أن كلا المشاة والفرسان انتشروا في ثلاثة صفوف. ويشير كلام يوسيفوس إلى نظام تدريب مرتكز على مضاعفات العدد الثلاثة، لذلك ربما تبنى الجيش الروماني نظاماً جديداً في التدريب مرتكزاً على مضاعفات أعداد معينة، ولكن قد يكون هذا النظام متنوعاً في تفاصيله من فرقة إلى فرقة ومن فترة إلى فترة[2]

جـ- الخط الثلاثي (triplex acies):

شكّل هذا الخط التنظيم التقليدي لفرق الكوهورتات في أواخر العصر الجمهوري، وانتشرت كوهورتات كل فرقة في هذا النوع من الخطوط في تشكيل (٤-٣-٣) (راجع الشكل رقم ٧٦). استخدم الرومان هذا التشكيل في فرق المانيبل خلال العصر الجمهوري، لكن عندما نمتلك تفاصيل عن خط المعركة في الفترة الإمبراطورية (النادرة باعتراف الجميع) نادراً ما نجد فيها إشارة إلى الخط الثلاثي. ويتضح لنا من خلال الدلائل الأدبية أن الخطوط الخلفية في

---

(1) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.21.

(2) - Goldsworthy: the Complete Roman Army, op.cit, p.179.

الخط الثلاثي كانت قادرة على أن تحل محلّ مقاتلي الخط الأول عندما يتعب ويرهق هذا الخط، حيث نجد أن خط قيصر الثالث فعل هذا في معركة فرسالوس ضد بومبيوس(١).

وأخيراً نستطيع القول إن ندرة الأدلة المتعلقة باستخدام الخط الثلاثي من قبل الرومان خلال العصر الإمبراطوري لا يعني أن الرومان لم يستخدموه قط في معاركهم أثناء هذه الفترة، وربما تظهر اكتشافات جديدة تقدم دليلاً على ذلك. ولكن في الوقت نفسه نقول ومن خلال المعطيات التي بين أيدينا أن الفرق خلال العصر الإمبراطوري انتشرت في خط مفرد بعمق ثمانية صفوف على الأكثر، أو انتشرت في خط معركة ثنائي يكون كل خط فيه بعمق أربعة صفوف بدلاً من خط المعركة الثلاثي. والتشكيلات قليلة العمق تعطي مؤشراً على الثقة بالنفس والروح المعنوية العالية والتدريب الجيد والانضباط العالي، لأن مثل هذه التشكيلات تكون منفتحة وممتدة بشكل كبير وتسمح لنسبة كبيرة من المشاة بالاشتراك في المعركة، وهذه حالة لا يرغب بها إلا الجيش الذي يتمتع بالصفات المذكورة.

٥ – المسافات الفاصلة في خط المعركة:

اقتضت تكتيكات المشاة الرومان أن يحتفظ الجنود بمواقعهم في تشكيل متباعد نسبياً، حيث يقول فيجيتيوس يجب على الجنود المحافظة على صفوفهم وألا يقتربوا من بعضهم بشكل كبير حتى لا يصبحوا غير قادرين على القتال، ويجب أن لا يتباعدوا كثيراً حتى لا تصبح الثغرات بين الجنود عريضة جداً، مما يسمح للعدو باختراقها. ويصور فيجيتيوس خط المعركة كصف متعامد من دون انحناءات أو ثنيات ويصطف الجنود فيه متساوي البعد من بعضهم(٢). نستنتج من خلال وصف فيجيتيوس أن الخطوط الرئيسة للمعركة يجب أن تبقى واضحة، لأنه من المستحيل أن تقاتل الجيوش الرومانية على شكل كتلة عشوائية، ويجب على الجنود أن لا يحتشدوا بشكل قريب جداً من بعضهم، لأن التشكيلات المتراصة فوق الحد اللازم تعيق القتال بالسيف ولا تسمح للجنود باستخدام أسلحتهم بحرّية. ويقول بوليبيوس إن جندي المشاة شغل

---

(1) - Gilliver: op. cit, p.128.

(2) - Elise Phang: op.cit, p.55.

مسافة جانبية قدرها ١,٨م في التشكيل، وشغل مسافة قدرها ١,٨م من عمق التشكيل[١]. وعلى النقيض يقول فيجيتيوس إن المسافة الجانبية لكل جندي كانت ٩٠سم، وشغل كل جندي مسافة قدرها ٢.١م من عمق التشكيل. ربما يكون العمق بين ١,٨-٢,١م ضرورياً ليسمح للجندي برمي الرمح الثقيل من دون إصابة الجندي خلفه، وأما مسافة جانبية قدرها ١.٨م ربما تكون عريضة جداً، وربما الأكثر احتمالاً أن ٩٠سم كانت المسافة الجانبية القياسية[٢] (الشكل رقم ٨١).

وبناءً على ما تقدم يمكن لكوهورت مؤلفة من أربعمائة وثمانين جندياً أن تغطي مساحة (١٤٦×٦,٣م) إذا انتشرت في ثلاثة صفوف، وستغطي مساحة قدرها (١١٠×٨,٤م) وإذا انتشرت في أربعة صفوف. ويمكن لكوهورت تتألف من ثمانيمائة جندي أن تغطي حوالي (٢٤٧×٦,٣م) وإذا انتشرت في ثلاثة صفوف، وستغطي مساحة قدرها (١٨٠×٨,٤م) في حال انتشرت في أربعة صفوف. مع ذلك من الصعب حساب المساحة التي تغطيها الفرقة، لأننا لا نملك معلومات عن طول المسافة الفاصلة بين الكوهورتات. وكانت الفواصل بين الكوهورتات ضرورية من أجل الحفاظ على تماسك الوحدات التي تشكل خطوط المعركة، ولمنع هذه الوحدات من التفكك والتحول إلى كتل عشوائية مضطربة. ساعد تشكيل خطوط المعركة على شكل وحدات صغيرة تعمل معاً على سهولة تقدم هذه الخطوط مع المحافظة في الوقت نفسه على تنظيم هذه التشكيلات (راجع الشكل ٧٦)، وعلى العكس تماماً فَتَشَكُّل خط المعركة على شكل خط متواصل يجعل منه خطاً ضخماً وثقيل الحركة[٣].

وإذا حاولت الفرقة التقدم في كتلة متراصّة واحدة، فإنها ستتقدم ببطء وسيفقد الضباط قدرة السيطرة على جنودهم، وعند ذلك تصبح المناورة مستحيلة، لأنه من الصعب جداً السير في خط مستقيم تماماً، وتغيير صغير في الاتجاه من قبل جندي ما في التشكيل سينتقل إلى الجنود الآخرين مما ينتج عنه انحراف تراكمي في التشكيل ككل. ولذلك كانت المسافات

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.179.

[2] - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, p.57.

[3] - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.9.

الفاصلة بين الوحدات ضرورية في حال خطط الجيش تحرك ولو إلى مسافة قصيرة. وبالرغم من أننا لا نملك أية معلومات عن المسافات الفاصلة بين الكوهورتات، إلا أنه من غير المرجح أن تكون هذه المسافة أكبر من واجهة الكوهورت نفسها، وربما كان هناك مسافات فاصلة بين الكوهرتات على الأقل حتى لحظة الالتحام مع العدوّ [١].

افترض معظم الباحثين أنه بالرغم من وجود فواصل بين كوهورتات الفرقة أثناء تقدمها، إلا أنها قاتلت كخط متواصل صلب، وافترضوا أيضاً أنه في حال لم تقاتل الفرقة كخط متواصل فإن هجوم العدو السريع سيدخل ويتغلغل في الفواصل الموجودة في الخط الروماني مما يؤدي إلى انهياره. ونرد على أصحاب هذه النظرية بالقول إن هؤلاء يتجاهلون الحقيقة القائلة بأن جيش العدو لكي يتقدم فلا بد أنه يحتوي على فواصل بين وحداته[٢]. وقد سمحت المسافات الفاصلة بين الكوهورتات للقوات الخفيفة بشن هجمات خاطفة على العدو ثم التراجع إلى منطقة الأمان، و سمحت لخيالة الاحتياط بالمرور عبر صفوف المشاة وشن هجمات على مقدمة العدو. وساعد خط المعركة المتقطع في معركة (Nisibis) وحدات المشاة الثقيلة بالحفاظ على تشكيل دفاعي قوي، بينما تمتعت القوات الخفيفة المتمركزة بين الوحدات الثقيلة بحرية في شن هجمات خاطفة على النبّالة البارثيين والخيالة ثقيلي التدريع والذين امتطى بعضهم الجمال[٣].

وبالرغم من تخطيط أريان في معركته ضد الآلانيين على إبقاء خط الفرقة ثابتاً من خلال تشكيل الكوهورتات في كتلة واحدة ممتدة، إلا أنه بعد إجبار العدو على الانسحاب توجب على الفرق العودة إلى تشكيل الكوهورتات المنفصلة تاركة مسافات فاصلة في خط المعركة. وساعد وجود المسافات الفاصلة بين الكوهورتات على مرور الفرسان عبرها ومطاردة الآلانيين، ثم بعد ذلك ساعد المشاة أنفسهم على التقدم بشكل منظم[٤].

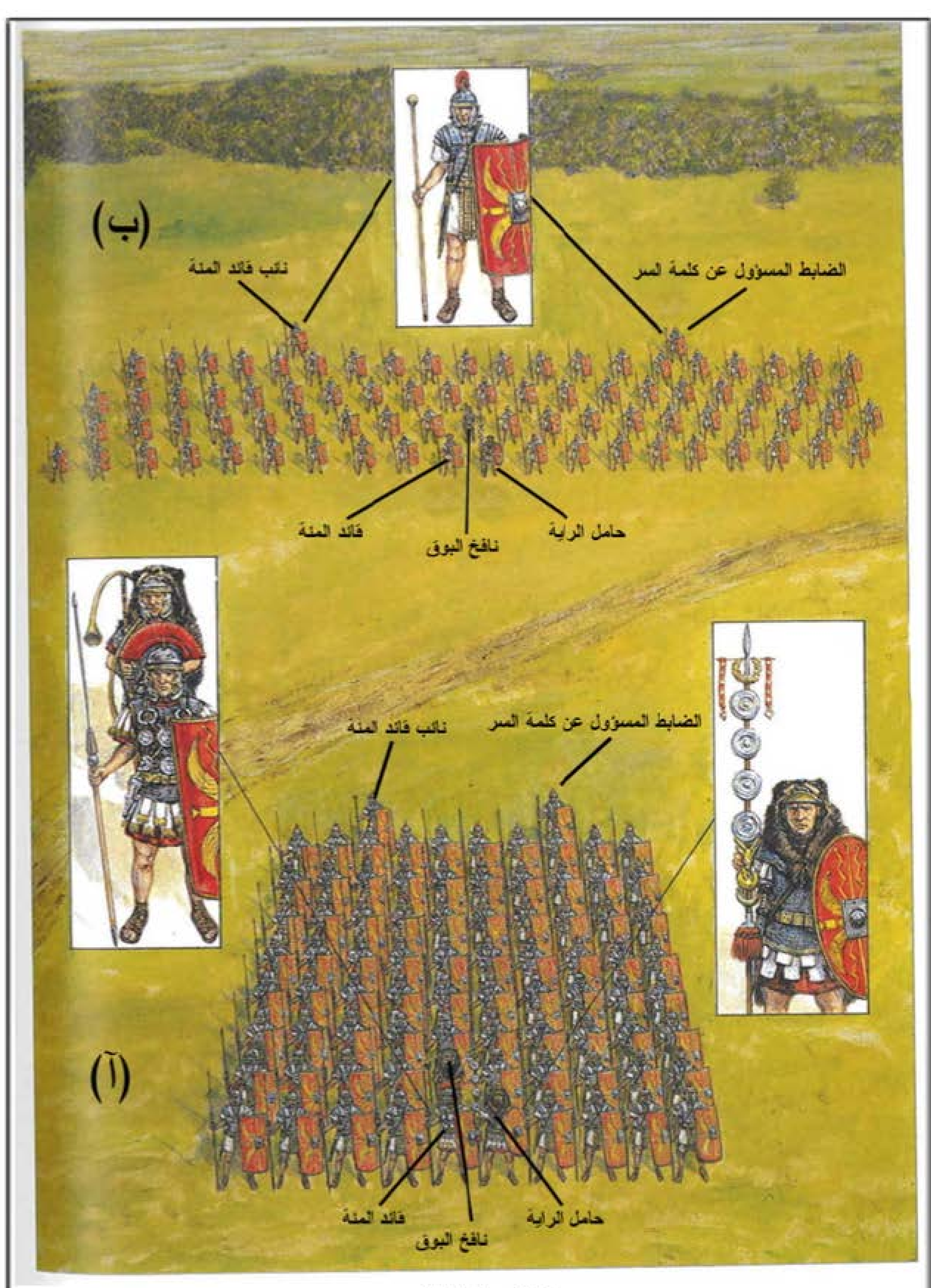
---

(1) - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, p. 51.

(2) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op, cit, p.140.

(3) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.9.

(4) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit , p.138.



الشكل رقم (٨١)

رسم توضيحي لترتيب مئينات الفرقة في التشكيلين المفتوح والمغلق

المصدر: Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 33.

قد يتعرض الجيش الذي يبقي على ثغرات في خط معركته إلى خطر تدفق العدو عبرها وتطويقه لوحدات فرعية مفردة، ولكن مع ذلك فالأعداء الذين يشنون هجوماً على مسافة فاصلة قد يجدون أنفسهم عالقين تحت قذائف متقاطعة من جهات مختلفة تقذفها القوات الخفيفة، وفي حال تشكل خط المعركة الروماني من أكثر من خط واحد، فإن العدو المخترق سيواجه هجوماً فورياً مضاداً من الخط الروماني الأول، وفي بعض الأحيان أغرى الرومان أعدائهم في دخول المسافات الفاصلة من أجل غلقه من الخلف والإيقاع بهم في الفخ من خلال محاصرتهم وتطويقهم[١].

٦ - القيادة والتوجيه في المعركة:

خلال العصر الإمبراطوري كان الإمبراطور هو من يختار ويعين القادة، وبمعنى آخر لم يكن عند الرومان أكاديمية عسكرية لتدريب وتخريج الضباط والقادة، لذلك توجب على الرجل الذي يتم إرساله لقيادة جيش ما أن يتعلم المهارات بنفسه عن طريق قراءة الكتب العسكرية، أو عن طريق الدروس الأصعب في ميدان المعركة. واستمر القادة المؤرخون مثل فرونتينوس وأريان بكتابة كتيبات عن التكتيكات العسكرية وفن القيادة لهدف رئيس تمثّل في شرح المسائل العسكرية وانتفاع قادة الجيش وحتى الإمبراطور نفسه منها. ومن خلال الاطلاع على هكذا مؤلفات سيتزود قادة الجيوش بأمثلة عن التخطيط الجيد والفراسة وبعد النظر، وبذلك ستتطور قدراتهم الخاصة وتدفعهم للتفكير بتنفيذ عمليات عسكرية مشابهة. وربما من الممكن بعد قراءة هذه الكتب وأخذ النصائح منها يمكن لرجل متوسط الكفاءة أن يصبح قادراً على قيادة جيش روماني وتوجيهه [٢].

يقدم لنا تاكيتوس فكرة واضحة عن واجبات الجنرال الناجح عندما قارن بين مسير قوات كل من تيتوس وفيتلليوس، يقول تاكيتوس:

« عندما دخل تيتوس منطقة العدو تقدمت قواته بنظام صارم، وأجرى الاستطلاعات بشكل كبير، وكان دائماً مستعداً للمعركة، لكن أظهر فيتلليوس جهله العسكري لأنه لم يتمتع ببعد النظر، ولم

---

[1] - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.10.

[2] - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit , p.40.

يكن مطلعاً على التنظيم الملائم في المسير، ولم يستخدم الكشافة، ولم يكن لديه معرفة بالظروف التي على القائد أن يسرّع الحملة أو يؤخرها وفقاً لها »[١].

ويوضح لنا تاكيتوس من خلال وصفه لإحدى حملات كوربولو في أرمينيا أن القيادة وتنظيم العمل الجسدي شكلتا إحدى صفات القائد الناجح، حيث يقول تاكيتوس:

« في إحدى فصول الشتاء في أرمينيا حيث تجمد الحراس حتى الموت وكان كوربولو خفيف اللباس ورأسه مكشوفاً، وكان موجوداً باستمرار مع رجاله أثناء المسير وأثناء أعمالهم المتعبة، وأثنى على الشجاع، وأراح الضعيف، وكان قدوة للجميع »[٢].

دُرس دور القائد في المعركة بتفصيل مسهب، وتبين أن دوره كان فعالاً ومؤثراً أكثر مما كان يُعتقد سابقاً. ولم تكن معارك الرومان بسيطة. بل كانت تكتيكاتهم معقدة جداً، وأدركوا أنه يجب على القائد أن يعمل على صوغ الظروف التي ستجري المعركة وفقاً لها، وقد ارتبط الهدف الرئيسي والأساسي في الحرب بترتيبات القائد قبل المعركة وليس أثنائها: نشر خط معركة بطريقة يستطيع فيها الجيش الإبقاء على الاتصالات مستمرة بين القائد وتابعيه، الجاهزية والاستعداد لشن هجوم مضاد، المرونة في وجه مناورات غير متوقعة من قبل العدو، الإبقاء تكتيكياً على قوة احتياطية خلف خط المعركة، كل هذه العناصر شكلت نظاماً أساسياً في القيادة الناجحة، وكان للقائد تأثير كبير على جنوده، فنجد أن مسألة الروح المعنوية للجنود الشخصية قبل المعركة غالباً ما تطلبت وجود القائد بين القوات المنتشرة [٣]. ولذلك كثيراً ما خاطب القائد احتياجات الجنود الشخصية قبل المعركة من خلال تشجيعهم وإلقاء الخطابات، أو زيارة القوات في الليلة التي تسبق يوم المعركة لكي يتأكد من قوة روحهم المعنوية ويشجعهم من خلال وجوده معهم[٤]. ويوضح لنا ديو هذه الصورة من خلال وصفه لحملة تراجان على بارثيا حيث يقول:

---

(1) Tacitus: Histories, 3.65, Translated by Moore, Clifford H, LOEB Classcial Library, 1925

(2) - Thorne: op.cit, p.223.نقلاً عن

(3) - Campblell, Brian: Teach Yourself How to Be a General, op.cit, pp. 13- 14, 24.

(4) - Gilliver: op.cit, p.136.

« دائماً تقدم تراجان الجيش سيراً على الأقدام وتفقد انتشارات القوات بأكملها أثناء الحملة، وكان يشرف على التشكيلات، وعبر جميع الأنهار التي مروا بها سيراً على الأقدام، وأحيانا كان ينشر التقارير الزائفة من خلال المستكشفين لكي يمارس الجنود المناورات ويكونوا جاهزين ومستعدين لمواجهة أي احتمالية »[١].

ويقول تاكيتوس إن القائد الفلافي أنطونيوس بريموس امتطى جواده في معركة كريمونا الثانية عام ٦٩م في ضوء القمر الساطع وطاف حول رجاله يحثهم « البعض بالتوبيخ ومناشدتهم بعزتهم، والعديد بالثناء والتشجيع، والجميع بالأمل والوعود ». كذلك كتب أريان وصفاً عن التحضيرات التي أجراها قبيل حملته على اللآلانيين لصد غاراتهم، حيث تولى أريان نفسه مسؤولية التنظيم والتنسيق مدركاً الحاجة الماسة للقيادة الشخصية والمباشرة [٢].

استدعى القائد الروماني قبل المعركة مجلساً، وبالرغم من أنه يدعى عادة مجلس حرب، إلا أنه لم يكن مجلساً للنقاش، وإنما كان مجموعة تصدر منها الأوامر وتشرح لضباط الجيش. وحضر قادة الفرق والتريبونات هذا المجلس، ومن المحتمل أن قادة الوحدات المساعدة وقادة المائة الأعلى في الفرق حضروه، وكان هناك رجل واحد في كلّ كوهورت من كوهورتات الفرقة مسؤولاً عن القاذفات، يطلق عليه اسم المقدم أو الرئيس (Principalis) يحضر المجلس الحربيّ، وشملت الأوامر الصادرة عن هذا المجلس تشكيل الجيش وتكتيكاته والإجراءات الضرورية لتنفيذ هذه الأوامر، وبدورهم يقوم الضباط الذين حضروا هذا المجلس بإطلاع تابعيهم على هذه الإجراءات في جلسات مشابهة [٣]. وقد شكّل تحريكُ الجيش إلى المكان المحدد، والتأكدُ من أن كل وحدة وصلت إلى المكان الصحيح في الوقت المناسب، و علمُ كلِّ وحدة ماذا يفترض بها أن تفعل، كلُّ ذلك شكل مهمة كبرى وأساسية تتطلب إشرافاً دقيقاً من قبل كلّ الضباط في الجيش بما فيهم القائد نفسه.

---

[1] - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, p.73.نقلاً عن

[2] - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.41.

[3] - Marsden: Greek and Roman Artillery: "Historical Development", op.cit, p. 193.

مثّل توزيع القادة على كل تشكيل في خط المعركة وظيفة أخرى للمجلس الحربي، حيث كان لكل فرقة قائد (legatus) يقود ويتحكم بالكوهورتات العشرة، وغالباً ما ترأس مقتطعات من الفرق أحد التريبونات (Tribunus) كقائد مؤقت. ولم تتمتع وحدات المشاة المساعدة ووحدات الفرسان (ala) ببنية قيادة عالية، حيث كانت وحدات مستقلة يقودها قائد برتبة بريفيكت (prefectus)، وأحياناً كانت تلحق وحدات إفرادية بفرقة معينة لتشكل مجموعة قوات مؤقتة تحت إمرة ضابط من قادتها وغالباً ما يكون (prefectus). قسم قيصر جيشه إلى قلب وميمنة وميسرة، وكان كل قسم تحت إمرة قائد (legatus) من الضباط الكبار، وعلى ما يبدو أن هذه العادة استمرت في العصر الإمبراطوري. وكان كلّ هؤلاء القادة التابعين مسؤولين بشكل مباشر وغير مباشر أمام القائد الأعلى[١].

تقدم لنا كتيبات أريان التي يشرح جزء منها معركته ضد الآلانيين مثالاً على هيكل قيادة الجيش الروماني الإمبراطوري في أرض المعركة، حيث نجد أنه تمركزت على ميسرة الجيش فوق هضبة قوة من المشاة المساعدين ثقيلة وخفيفة التسلح وقاذفات حجارة وسهام، وكانت كل هذه القوات تحت قيادة سيكونديوس (Secundius)، أما في الميمنة، فتمركزت على أرض مرتفعة قوة مختلطة من النبّالة الأرمينيين والقاذفات والكوهورت الإيطالية، وكلها كانت تحت قيادة قائد الكوهورت الإيطالية البريفيكت بولتجر (Pulcher)[٢]. الذي كان تحت إمرته ضابطين لمساعدته، فقد كان عليهما الاستجابة للتطورات والحالات الطارئة في المنطقة الخاصة بهم ضمن ميدان المعركة. وكذلك وجب عليهما أن يراقبا ويدونا التصرفات الشجاعة من قبل الجنود الذين تحت قيادتهم[٣]. ولم يقد القائد (legatus) فالنز (Valens) الفرقة الخامسة عشر أبوليناريس فحسب، وإنما قاد كل القوات على يمين الجيش بما في ذلك النبّالة المشاة والفرسان خلف فرقته، أما فرسان الاحتياط فغطوا الجناح الأيمن وكلّ قوات بولتجر، وسلطة مشابهة على الجناح الأيسر أنيطت بتريبونات الفرقة الثانية عشرة فولميناتا،

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.177.

(2) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.141.

(3) - Gilliver: op.cit, p.137.

حيث شملت هذه السلطة قيادة الفرقة والفرسان خلفها وسرية القوات المساعدة التابعة لسيكونديوس. أما قيادة الجيش بأكمله فأنيطت إلى أريان نفسه[١].

نُصح القادة بقيادة الجيش من المؤخرة وأن لا يخاطروا بأرواحهم في القتال مع الجنود، لكنهم في الواقع قادوا المعركة وقاتلوا أحياناً يداً ليد، وخصوصاً في الحرب الأهلية عندما كانت المكافآت على النجاح العسكري والترقية السياسية تمنح بسخاء كبير للقادة الأوفياء[٢]. اختار القادة الرومان في بعض الحالات الاستثنائية قيادة إحدى الوحدات في الخط الأمامي، وقاتلوا معها يداً ليد تيمناً بالقادة الهلنستتين أمثال الأسكندر الكبير، لأن هذه القيادة البطولية كانت تلهم الجيش وتشجعه. ولكن عندما يشترك القائد في القتال يصبح في موقع لا يكون فيه مُطّلعاً أو دارياً بما يجري ويدور في بقية ميدان المعركة، ويصبح في موقع لا يمكنه من إصدار الأوامر. وتبنّى العديد من القادة الرومان فكرة معاكسة في القيادة، حيث تمركزوا خلف الجيش تماماً وفضّلوا الأرض المرتفعة التي أمنت لهم رؤية جيدة. فقد استطاع القادة من خلال هذا المكان مراقبة كل المعركة، واستجابوا للحالات والأوضاع المتقلبة، وأصدروا الأوامر الفورية بواسطة الرسل، وتلقوا التقارير التي يرسلها إليهم تابعيهم بسهولة لتمركزهم في مكان ثابت. لكن من غير المرجح أن يستطيع القائد البعيد كهذا إلهام جنوده وتشجيعهم، وقد لا يكون دائماً قادراً أن يحكم على سير المعركة وعلى عمل شيء ما إلا بعد أن يكون قد فات الأوان[٣]. ضرب كلاً من أغريكولا في معركة جبال غروبيوس(Mons Graupius) وأريان ضد الآلانيين (Alans) مثالاً على القائد المتقيد بتعاليم الإمبراطورية، لأن كلاهما وجها المعركة من المؤخرة. ربما كانوا مرئيين لجنودهم وقادرين على التحكم بالمعركة وإشراك قوات الاحتياط في القتال، إلا أنهم لم يكونوا بحاجة لان يضربوا مثالاً عن الشجاعة والقيادة في الصفوف الأمامية[٤]. يقدم لنا الكاتب اوناسندير (Onasander) الأساس المنطقي لأسلوب

---

[1] - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.141.

[2] - Gilliver: op.cit, p.136.

[3] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.178.

[4] - Gilliver: op.cit, p.136.

القيادة عندما يقول " بأن القائد يستطيع مؤازرة جيشه بدرجة أقل في القتال من أن يؤذي الجيش في حال قُتل، لأن معرفة القائد أهم بكثير من قوته الجسدية "[١].

الغالبية العظمى من القادة الرومان تبنوا نظاماً وسطاً في القيادة بين النظاميين السابقين المتناقضين، وتمثل هذا النظام الوسط في توجيه المعركة من خلف خط المعركة مباشرة؛ إذ استطاع القائد من هذا المكان أن يحكم بشكل أفضل على سير القتال، لأنه كان قادراً على رؤية ومراقبة قتال الوحدات ومدى ثقة كل طرف.وسمح له هذا المكان أن يقرر ويحكم فيما إذا كان استدعاء وحدات الاحتياط ضرورياً أم لا، لتعزيز نجاح، أو لمنع اختراق وشيك. وكذلك كان القائد القريب من القتال قادراً على تشجيع رجاله وتحفيزهم، لأن اعتقاد الجنود أن قائدهم يراقبهم قد يدفعهم إلى القتال ببسالة، والأهم من ذلك اعتبر القائد في موقعه هذا شاهداً على سلوك جنوده فيكافأ الشجاع ويعاقب الجبان[٢]. قاد انطونيوس بريموس (قائد قوات فلافيوس في معركة كريمونا الثانية سنة ٦٩م) قواته بهذه الطريقة، حيث تحرك على طول الخطوط وسيفه بيده واضعاً بذهنه أحداث المعارك الكبيرة والمعقدة، وأرسل قوات الاحتياط للقتال عند الضرورة، وخاطب قواته في نقاط مختلفة من المعركة لتعزيز الروح المعنوية من دون أن يشترك في القتال[٣].

لم يتقيد القادة بجزء معين من ميدان المعركة، وإنما كانوا يتحركون على طوله جيئة وذهاباً ليظهروا أنفسهم للجنود المهددين بالخطر، وليثنوا على الشجاع، وليهددوا الجبان، وليشجعوا الكسالى، وليسدوا الثغرات، وليساعدوا المرهقين، ويحبطوا المحن قبل وقوعها[٤]. كان أسلوب الرومان في القيادة فعّالاً جداً، لكن في الوقت نفسه كان خطراً، لأن شخصيات القادة كانت مميزة بعباءاتهم الحمر وأحياناً بزيهم اللافت للنظر، وتحركهم خلف خط المعركة

---

(1) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.41.نقلاً عن

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.178.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.41.

(4) - Thorne: op.cit, p.224.

عرضّهم لخطر الإصابة بالقذائف، ولخطر أن يقوم جندي من العدو بالانفراد بهم في محاولة لكسب المجد والشهرة المتمثلة بقتل قائد العدو(١).

على طول خط المعركة، قام الضباط المسؤولون عن كل قسم من أقسام الخط بالشيء نفسه الذي قام به القائد الأعلى، وأكمل قادة الوحدات المساعدة وقادة المائة وقادة العشرة في وحدات الفرسان السلسلة إلى الوحدة والمئينة والسرية(٢). شكل قادة المائة من بين كل الضباط المفتاح لنجاح الجيش في المعركة، وكان قادة المائة مجموعة قوية لعبت دوراً جوهرياً في الحفاظ على انضباط الجيش وتنظيمه وتأمين الاستمرارية في القيادة، ومع ذلك كانوا مدينين لموقعهم في القيادة والاحترام على شجاعتهم وفاعليتهم في المعركة. وكان قادة المائة مسؤولين بشكل مباشر عن قيادة جنودهم إلى الأمام في ميدان المعركة، وشكل فهمهم لخطة المعركة التي سيخوضها الجيش عاملاً أساسياً في النجاح لأنهم ببساطة شكلوا القيادة الفعلية على أرض المعركة(٣).

لذلك لا نتفاجأ إذا علمنا أن أكبر الخسائر كانت تقع بين صفوف قادة المائة وحملة الرايات، وإن كل اللوم يقع عليهم عند الهزيمة(٤).أما نائب قائد المائة (Optio) في كل مئينة فكان يتمركز في مؤخرة المئينة ويحمل قصبة رمح من دون نصلة ليضرب ويعيد كل جندي يتردد أو يهرب من الخلف إلى مكانه(٥) .

لعب حاملوا النسور والرايات دوراً قيادياً هاماً في المعركة، لكنه ثانوي نوعاً ما لقادة المائة. ويمكن نقل الأوامر من القائد الأعلى إلى قادة الوحدات بوساطة الرسل، ولكن نقلها إلى جنود الوحدات كان يتم بوساطة الرايات والأبواق. ينظر المشاة والفرسان في المعركة إلى نسورهم وراياتهم ويتبعونها حيثما تحركت، لذلك قد يسبب اختلاط الرايات، أو وقوعها بيد الأعداء مشاكل كبيرة في خط المعركة. وشكل فقدان نسر الفرقة أو أحد الرايات عاراً كبيراً

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.179.

(2) - Gilliver: op.cit, p.137.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.43.

(4) - Gilliver: op.cit, p.137.

(5) - Elise Phang: op.cit, p.66.

لجنود الفرقة أو الوحدات التي خسرتها، ولذلك كان على حملة النسور والرايات أن يقودوا ويشجعوا جنودهم عند اللحظات العصبية، وكان عليهم إظهار الشجاعة والمبادرة عند تردد الجنود من خلال اندفاعهم براياتهم إلى الأمام(١) (راجع الشكل رقم ٨١).

يقول تاكيتوس أن سوتينيوس بولينوس شكل جيشه قبالة مونا (Mona) في بريطانيا، وكان جاهزاً لشن الهجوم، لكن جنوده تذبذبوا عند رؤيتهم المنظر المخيف والغريب لشعب الدرويدز (Druids) ومنظر النساء المسعورات على الساحل، ولم يتشجعوا ويهاجموا إلا عندما دفعتهم راياتهم إلى الأمام(٢). عند تردد حملة الرايات في التقدم كان القائد يحمل احد الرايات ويندفع بها إلى الأمام مجبراً رجاله على اللحاق به وإلا سيلحقهم العار. مثلاً قتل أنطونيوس بريموس أحد حاملي الرايات الهارب برمح في معركته عند مونا ثم التقط الراية نفسه(٣).

كان نافخ البوق (cornicen) مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بالرايات، حيث وجد نوعين من الأبواق عند الرومان. الأول كان على شكل أنبوب برونزي محني على شكل دائرة كاملة، والثاني كان اسمه (tuba) وهو بوق مستقيم ينفخ فيه (Tubisen). يقول تاكيتوس أن الموسيقى استخدمت للنوم وللإيقاظ عند الفجر وعند تبديل الحرس، لكن كانت مهمتها الرئيسة مهمة تكتيكية. صيحات مختلفة، على أرض المعركة، تصاحبها إشارات مرئية كرفع الرايات ستطلق الإنذار، أو تأمر بتراجع الجنود. وعندما يهجم العدو كان طبيعياً أن تطلق صيحات الحرب حيث ينفخ عازفوا الأبواق في أبواقهم لتشجيع رفاقهم وتثبيط همة العدو(٤).

ويشير أوناساندروس في كتابه "فن القيادة" إلى مجموعة من الأفكار تتعلق بسلوك القائد وتوجيهه إلى المعركة مركزاً على الحذر واليقظة أكثر من تركيزه على امتلاك المعرفة والمناورات المعقّدة، ويرى أوناساندروس أنّ على القائد أخذ النصائح من ذوي الخبرة وتوجيه الجيش أثناء المسير في أرض العدو بحذر وعناية كبيرين، مع تجنّب الممرات الضيّقة، ويجب

---

(1) - Gilliver: op.cit, p.137.

(2) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.43.

(3) - Thorne: op.cit, p.224.

(4) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.43.

عليه تقدير حجم العدو وخداعه فيما يتعلق بعدد جنوده وإذا ما كان الانسحاب ضروريا فيجب عليه أنْ يخفي ذلك ويموّهه[1]. ولعلّ هذا العمل الأخير يعدّ أصعب المسائل التي يضطلع بها القائد، فلا أصعب من تحويل الهزيمة الممكنة إلى تراجع منظّم، وهذا نجده في وصف المؤرخ يوسفوس لهزيمة الرومان على يد اليهود سنة ٦٦ م أثناء تمردهم في فلسطين إذ قدم وصفا دقيقاً يعدّ الفريد من نوعه للمزايا الحاسمة في المعركة، فقد ذكر أنّه سنة ٦٦م سار حاكم سورية سيستيوس جالوس (Cestius Gallus) لقمع تمرد اليهود في القدس، وكان على رأس جيش مؤلف من الفرقة الثانية عشرة فولميناتا ومقتطعات من ثلاث فرق أخرى من سورية وست وحدات مساعدة مشاة وأربع وحدات مساعدة خيالة بالإضافة إلى جنود أسهم بهم الملوك الأصدقاء[2]، لكنّه اضطر إلى التراجع لعدم قدرته على الدفاع عن جانبي جيشه ومؤخرته، والهجوم على الثائرين في القدس وتحقيق الأمن في الإقليم في آن واحد، ولكنّ تراجعه تحوّل إلى هزيمة بعد أنْ وقعت قواته في كمين وهزمت عند منطقة بيت هورون (Beth Horon) في شمال غربي القدس وهو ما سبب صدمة للقيادة الرومانية [3]، حيث يقول يوسيفوس واصفاً التراجع:

" في اليوم التالي تابع سيستيوس انسحابه مما شجع العدو على تصعيد عملياته فضغط اليهود على مؤخرة الجيش وقتلوا الكثير من الرجال في الخلف، وتقدموا أيضا على طول جانبي الطريق ورشقوا الجناحين بالرماح ولم يجرؤ حرس مؤخرة الجيش على الاستدارة لمواجهة الرجال الذين يترلون بهم الإصابات من الخلف لاعتقادهم بوجود حشد كبير من المتمردين، وراءهم (أي وراء اليهود) ولم يحاولوا صدّ المتمردين الذين يهاجمونهم من الجانبين لأنهم كانوا ثقيلي التسليح وخشوا من خلخلة صفوفهم إذ اكتشفوا أن اليهود كانوا خفيفي التسليح ومتأهبين لصد الهجمات المباغتة، ونتيجة لذلك تعرض الرومان للكثير من الضرر من غير أن يستطيعوا الردّ على أعدائهم وتعرض الرومان طوال المسير إلى الهجوم أو زحزحوا من مواقعهم في الصفوف، وسقطوا على الأرض وبعد أنْ قتل الكثير منهم بما فيهم بريسكوس (Priscus) قائد الفرق السادسة ولونغينوس (Longinus) التريبون وأحد قادة وحدات الخيالة المساعدة الذي يدعى إيمليوس جوكوندوس (Aemilius

---

[1] - Campblell, Brian: Teach Yourself How to Be a General, op.cit, p.13.

[2] - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, p.61.

[3] – رستم، أسد: المرجع السابق، ص ٢١٨.

Jucundus) وبعد عناء طويل وصل الجيش إلى منطقة جاباو (Gabao) وهي موقع معسكرهم الأسبق بعد أن تخلوا عن الكثير من مؤنهم..... لكي يسّرع عملية التراجع أمر سيستيوس رجاله بالتخلص من كل شيء يعيق الجيش فلجؤوا إلى ذبح البغال والحمير وكلّ حيوانات الجرّ، ما عدا التي تحمل القذائف والمجانيق التي احتفظوا بها لحاجتهم إليها ولخشيتهم من وقوعها بأيدي اليهود الذين سيستخدمونها ضدهم، وبعد ذلك قاد سيستيوس الجيش باتجاه بيت هورون فشن اليهود هجمات كانت أقل وطأة في الأراضي المفتوحة، ولكنّ عندما احتشد الرومان معا في الطريق المنحدر والمار من ممرٍّ ضيق انبرى بعض اليهود لهم ومنعوهم من عبوره في حين دفع بعض اليهود الآخرين حرس المؤخرة إلى الوادي وأما القوة الرئيسية فتمركزت فوق القسم الأضيق من الطريق، وأمطرت الرتل الروماني بالقذائف وفي هذا الموقف واجه كلّ الجيش حتى المشاة صعوبة كبيرة في الدفاع عن أنفسهم وكان وضع الخيالة أكثر خطراً إذ كانوا تحت وابل القذائف و لم يتمكنوا من التقدم بنظام أسفل الطريق، وكان مستحيلا على الخيول أن تكرّ على الأعداء في أعلى المنحدر الشاهق إذ كان هناك جروف صخرية على الجانبين وأودية تودي من يسقط بها إلى الهلاك و لم يكن باستطاعة أحد إيجاد سبيل إلى النجاة أو للدفاع عن النفس فاستسلموا للعويل والأنين الناجم عن اليأس ، فردّ اليهود بإطلاق صيحات الحرب والصرخات التي تمزج بين الابتهاج والثورة، وفي الواقع أوشك سيستيوس وجيشه كاملاً على الهلاك لولا حلول الظلام، حين استطاع الرومان الانسحاب إلى بيت هورون بينما طوّقهم اليهود وانتظروهم حتى يخرجوا، وفي هذه اللحظة فقد سيسيوس الأمل في مواصلة المسير في الأرض المفتوحة وخطط للهرب فاختار أربعمئة من خيرة جنوده وأمرهم بالتمركز على أسطح المنازل وأن يصيحوا بصوت عالٍ كلمة السرّ ليسمعها حرس المعسكر، ولكي يوهم اليهود بأنّ الجيش الروماني مازال باقياً مكانه بأكمله ثم تقدّم مع بقية الجيش بصمت لمسافة ثلاثة أميال ونصف وعند بزوغ الفجر اكتشف اليهود أنّ الرومان قد أخلوا المعسكر فانقضوا على الرجال الأربعمئة الذين خدعوهم وقتلوهم ثم انطلقوا وراء سيستيوس الذي سبقهم بمسافة كبيرة تحت جنح الظلام وبعد طلوع الفجر أسرع الخطا فكانت النتيجة أنْ تركوا وراءهم المجانيق ومعظم آلات الحرب بسبب الخوف والذعر الذي حل بهم أثناء الهرب.... خسر اليهود بضعة رجال فقط في حين فقد الرومان وحلفاؤهم خمسة آلاف وثلاثمئة راجل وأربعمئة وثمانين فارساً"[1].

---

[1] - Josephus: The Jewish War, Vol 7.13–16. Translated by H. St. J. Thackeray, LOEB Classical Library, 1927.

يعدّ هذا التقرير أحد أفضل التقارير التي كتبت عن المعارك القديمة ولاسيما أنّه كتب بيد رجل ضالع في الشؤون العسكرية إذ نجد فيه أنّ يوسيفوس يذكر بحذر وعناية الوحدات المختلفة أثناء القتال وكذلك المشاكل التي واجهها الجيش بشكل عام والخيّالة وخصوصاً نتيجة الأرض وهجمات اليهود خفيفي التسليح ويشرح تحفيز جالوس وقراراته منوّهاً إلى الإجراءات العسكرية الصحيحة التي اتخذها قبل أن يدّب الهلع في قلوب الجنود والمتمثلة بخدعة تمويه التراجع، ويصف يوسيفوس الأرض والأسلحة والجلبة والارتباك بين الجنود ويقدّم تصويراً نفسيّا مؤثرا للمعركة عندما كانت الفرق الرومانية عاجزة عن استخدام مهاراتها، كما أنّه قدّم دقّة غير متناهية في توثيق عدد الإصابات وفي ذكر أسماء الضباط القتلى، وكذلك يوضح لنا مسير القوات في ممر ضيّق قلّة حذر القائد في اختيار طريق المسير، وعدم التقيّد بالنصائح الواردة في الكتيبات العسكرية.[1]

٧- آليات القتال في المعركة

اتّبع الرومان في معاركهم خطوات تقليديّة وعملية في آن واحد، وكانت هذه الخطوات تبدأ باختيار ميدان المعركة وإعداده بما يتوافق وطبيعة تركيبة قواتهم انتقالاً إلى تشكيل خط المعركة والتقدم ثمّ الالتحاق وتنتهي بدور الفرسان والمطاردة، وفي هذا الجزء من البحث سيتم تقديم شرح كاف لعمل آليات المعركة.

أ- اختيار ميدان المعركة وإعداده:

كانت الأرض في معظم المعارك الكبرى مفتوحة إلى حد ما، لكن كان هناك بعض الاستثناءات لهذه القاعدة، فقد قاتلت الجيوش الرومانية بكفاءة عبر الحصون والمستنقعات إذا كان ذلك المكان الوحيد الذي استطاعوا استدراج العدو إليه[2]. ركزّ الجيشان المتحاربان في معركة كريمونا الثانية سنة ٦٩م قلبي الجيشين على طريق بوستوميا (Postumia) الضيق، وكان ميدان المعركة مليئاً بخنادق السقاية والأشجار التي أعاقت الانتشار الصحيح للوحدات. ولم تكن هذه الظروف مثالية، ولذلك فضل القادة الرومان الأرض الأكثر انفتاحاً وتسطيحاً

---

[1] Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, pp.61-63.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.175.

لنشر القوات عليها[١]. وقد استُخدمت طبيعة الأرض ومزاياها في تكتيكات الرومان لحماية أجنحة جيوشهم ومؤخرها، وخصوصاً إذا كان جيش العدو أضخم وأكثر قدرة على الحركة من الجيش الروماني، فقد قاتل القائد الروماني سوتينيوس بولينوس في بريطانيا سنة ٦٠م ضد جيش بوديكا المتمرد الضخم في وادٍ ضيق، واستُخدمَتْ الأرض المرتفعة والغابات الكثيفة لحماية أجنحة ومؤخرة الجيش. أيضاً في كبادوكيا سنة ١٣٥م خطط أريان لإرساء أجنحة جيشه على أرض مرتفعة لمنع فرسان الآلانيين الرشيقي الحركة من تهديدها[٢].

استخدام الرومان في بعض المعارك الأرض المرتفعة قليلاً من أجل رمي القذائف بكفاءة أكبر، ولكي تهجم صفوف الرتل بقوة دافعة أكبر، ولإعطاء أفضلية نفسية لمظهر القوة، لأنه عندما ترتكز القوات على أرض مرتفعة قليلاً يمكن للعدو رؤية الجيش بأكمله، مما يؤثر في نفسية جنود الأعداء. واستفادت الجيوش المدافعة عند نشرها لقواتها من العوائق وتضاريس الأرض الطبيعية بشكل كبير، وخصوصاً لمنع جيوش الأعداء من تطويقها، بينما تُعدّل ساحة القتال التي تترك الجيوش عرضة للهجمات على الأجنحة قبل بدء المعركة، حيث لعبت الهندسة العسكرية دور كبيراً في تجهيز أرض المعركة من خلال حفر الخنادق لتقييد منطقة العمليات ولحماية المشاة من هجمات التطويق، ومن خلال تحصين معاقل صغيرة لتثبيت المجانيق، ومن خلال ردم الحفر والخنادق غير الضرورية لتسهيل الاتصالات، أو من خلال وضع العوائق في ساحة القتال لإعاقة تقدم العدو وجعله عرضة للهجوم بالقذائف حالما تتعثر صفوفه. وكانت تتم مثل هكذا أعمال من دون مخاطرة كبيرة، لأن التدريب في أوقات السلم على حفر الخنادق واستخدام الجيش في مشاريع الأبنية وتحصين معسكرات المسير بالخنادق والمتاريس أثناء الحملات، كل ذلك ضمن اعتياد الجنود على هذا النوع من الأعمال الشاقة[٣]. مثلاً في بونتوس (Pontus) عند (Chaeronea) سنة ٨٦ ق.م، حفر سُلاً (Sulla)

---

(1) - Gilliver: op.cit, p.125.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.176.

(3) - Gilliver: op.cit, p.126; Le Bohec: op.cit, p.131.

سلسلة من المتاريس والخنادق ليحرس أجنحة فرقه من قوات ميثريداتس (Mithridates) التي فاقت قوات الرومان بأعداد هائلة(١).

ارتكز مبدأ الرومان في خوض المعارك على إستراتيجية أين ومتى تقاتل في معركة، لذلك تجنبوا خوض بعض المعارك على أمل أن تتوفر فرصة أكثر ملاءمة في المستقبل، ودائماً تمثلت عقيدتهم أثناء القتال في كسب أكبر قدر ممكن من الأفضليات على العدو، حيث أمّن القادة هذه الافضليات من خلال تركيبة من المهارات التي تمتعوا بها، وبراعة القائد ساعدت على المناورة وجر العدو إلى موقع ملائم له لإجباره على القتال فيه.

ب- التقدم والالتحام:

بعد تجهيز الأرض تتشكّل الجيوش لملاقاة بعضها البعض، وربما لا يبعد الطرفان عن بعضهما أكثر من نصف كيلو متر، وربما العديد من المعارك وقعت بعد أن وقفت الجيوش المحاربة تراقب بعضها لساعات أو حتى لأيام. وكان الجيش الروماني خلال هذه الفترة يقوم ببعض العروض، ليشهد الجنود على تضحيات رفاقهم، ويستمعوا إلى خطاب القائد، وكان هدف الرومان من المناورات العسكرية رفع الروح المعنوية للجنود، لأن تحقيق بعض الانتصارات الصغيرة في مناوشات فردية قد يؤدي إلى رفع معنويات الجنود الرومان وإضعاف روح العدو المعنوية(٢).

هناك فكرة خاطئة عن سير عمل المعركة وآليتها، حيث تمثلت هذه الفكر باستمرار القتال القريب بين الجيوش المتحاربة حتى إبادة أحد الطرفين، وقد تساعدنا فكرة أو مفهوم الأمان على فهم كيفية المحافظة على الاتصال بين خصوم مجهزين بشكل كبير لفترات طويلة من دون إبادة الطرف الخاسر، ومع ذلك لا تعني هنا كلمة "الاتصال" أن القوات المنضبطة حاربت كالآلات إلى ما لا نهاية، فكان الاتصال في المعركة يعني أن القوات تبقى معظم الوقت في مسافة الأمان، والتي تعني المدى الذي توقع فيه القذائف إصابات خفيفة نسبياً في صفوف الطرفين وقد يشن الجنود الشجعان أو مجموعات صغيرة ضربات سريعة وعنيفة على

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.176.

(2) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, pp.145, 191.

العدو وتؤدي إلى اشتباكات وقتال يداً ليد لفترة قصيرة جداً لا تتعدى الدقائق، وهكذا تسمح هجمات لقسم أكبر من الجيش بالتقدم إلى الأمام والاشتباك مع العدو في قتال قريب وقصير المدة، لكنّ الخوف والتعب وموت الجنود الشجعان قد يؤدي إلى انسحاب طرف أو كلا الطرفين إلى منطقة الأمان، وربما ينتج عن عدد من هذه الهجمات والارتدادات ضعف الروح المعنوية لأحد الطرفين ومن ثم تراجعه وهروبه(١).

لعب الفرسان الرومان دوراً مهماً جداً في المعارك التي يكون فيها جيش العدو مؤلف من الفرسان مثل جيوش السامارتين والبارثيين، لكن في معظم المعارك شكّل عامل الصدمة أو سلسلة من الالتحامات بين المشاة الدور الحاسم في تقرير مصير المعركة، لأن المشاة فقط بإمكانهم الاستيلاء على موقع ما والتشبث به. طغى مبدأ الهجوم على إستراتيجية الجيش الروماني وتكتيكاته ولو فاقهم العدو عدداً كما حصل عند تمرد بوديكا عام ٦٠م، ولكن في حال قرر الرومان أن تكون المعركة دفاعية تبقى خطوط المعركة ثابتة، ولا تتقدم ولا تبدأ بالهجوم إلا عندما يقترب العدو مسافة كافية لرميه بالرماح الثقيلة (pilum)(٢) (الشكل ٨٢).

أما عندما تكون المعركة هجومية، فتتقدم الوحدات الرومانية مستخدمة أبواقها لتكرير إشارات بوق الجنرال، وربما كان ذلك للتركيز على إبقاء نظام الصفوف واضحة أثناء التقدم وللمحافظة على الصمت، لأن العادة السائدة في العصر الإمبراطوري تمثلت في إبقاء الصفوف متناسقة قدر الإمكان خلال تقدم الجنود للاشتباك في المعركة، والإسراع في التقدم فقط خلال الثلاثين متراً القريبة من العدوّ، بحيث يصل معظم الجنود إلى خط العدو كمجموعة وليس كحشد متناثر من الأفراد. ويمكن التخلي عن هذا النظام فقط في حال كان الأعداء رماة ونبّالة، عند ذلك يركض جنود الفرق لتغطية المسافة القاتلة لأسلحة العدو، ولتقليل عدد القذائف الموجهة إليهم. وأثناء تقدم الجيوش للالتحام أمل كل طرف أن يرعب عدوه قبل أن يلتحم معه، واعتمد عامل الرعب على المظهر المرئي للقوات، حيث نجد المقاتلين البارثيين والجرمان يربطون شعرهم في أعلى رؤوسهم ليظهروا أطول، وكذلك الجنود الرومان وضعوا

---

(1) - Thorne: op.cit, p.220.

(2) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200),op.cit, pp.193,227.



الشكل رقم (٨٢)

صورة توضح التشكيل الذي طبقه القائد الروماني أريان ضد قبيلة الآلاني في عام ١٣٤م, ولمقاومة هجوم الخيالة الألانيين الثقيلي الدروع انتشر جنود الفرق الرومان في ثمانية صفوف, يدعمهم صف تاسع من النبالة المشاة وصف عاشر من النبالة الفرسان. وتسلح الجنود في الصفوف الأربعة الأمامية بالرمح الثقيل, أما الجنود في الصفوف الأربعة الأخير فتسلحوا بالرمح الخفيف, وأما النبالة في الصفين التاسع والعاشر تولوا مهمة إمطار الآلانيين بوابل من سهامهم. ونرى في هذه الصورة أهمية التشكيل المتراص والمحكم لمقاومة هجوم الخيالة.

المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson, 2003, p. 179.

الريشة في أعلى خوذهم، وارتدوا الدروع اللامعة والتروس المطليّة بشكل برّاق لإظهار أنفسهم بمظهر المقاتل العتيد[١].

شكّل الضجيج أيضاً عاملاً مرعباً في المعارك القديمة، حيث نجد أن القبائل الجرمانية استخدمت صراخ الجنود وصوت الطبول والأبواق وفي بعض الأحيان استخدموا حشود النساء التي تصرخ مشجعة من وراء خط المعركة، وكان هذا الوابل العظيم من الضجيج مرعباً ومخيفاً، لكنه بالوقت نفسه سبب التشويش والارتباك وساعد على التسريع بفقدان النظام والسيطرة [٢]. تبنى الجيش الروماني في العصر الجمهوري هذا النظام أثناء تقدمه، فقد كان جنود الفرق يصرخون ويضربون السيوف بالتروس أثناء تقدمهم، ولكن الجيش الروماني المحترف في العصر الإمبراطوري اتبع أسلوباً مغايراً تماماً عن أسلوب جيش الجمهورية، وتمثل هذا الأسلوب في تقدم القوات ببطء للحفاظ على التشكيل الجيد قدر الإمكان، وللحفاظ على الصمت المطلق، وكان نائب قائد المائة (Optio) في كل مئينة يسير خلف الخط لمنع الجنود من ترك تشكيلاتهم أو التكلم أثناء التقدم، وعند اقتراب العدو لمسافة (١٠-١٥م) تقوم كوهورتات الفرقة برمي الرمح الثقيل باتجاه العدو، وعندها تصرخ القوات صرخة المعركة المرعبة وتنفخ في الأبواق وتشن هجومها السريع[٣].

مثلاً في وصفه لمعركة الرومان ضد الملكة بوديكا سنة ٦١م يقول المؤرخ ديو: « اقترب الجيشان من بعضهما وأطلق البرابرة الكثير من الصراخ الذي امتزج بأغاني الحرب التهديدية، ولكنّ الرومان تقدّموا بتهديد وصمت إلى أن أصبحوا على مسافة رمية رمح خفيف » **وفي معركة أريان ضد الآلانيين** سنة ١٣٥م أمر أريان جنوده بالبقاء صامتين إلى حين اقتراب العدو، وبعد ذلك أمرهم بإطلاق صرخة مرعبة[٤]. استطاع الرومان من تنفيذ هذه التكتيكات بفضل انضباط الجيش الاستثنائي، لأن هكذا تكتيك يتطلب تحكماً هائلاً بالنفس أثناء تقدم بطيء بخطًا ثابتة، بينما أعداد هائلة من

---

(1) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200),op.cit, pp.193-195.

(2) - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, p.59.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.184.

(4) - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, p. 60. نقلاً عن

الأعداء تركض نحوك وهي تصرخ صراخاً عالياً. شن الرومان قبل الالتحام صدمتين هائلتين على العدو كانت الصدمة الأولى موجهة إلى معنويات العدو، ونتجت عن عدو بطيء الحركة وفجأة يشن هجوماً سريعاً يصحبه صرخة المعركة العالية جداً، ولذلك شكل الصمت المرعب والغريب لهجوم الرومان ذعراً وخوفاً أكثر من التقدم الصاخب. أما الصدمة الثانية، فتمثلت في وابل الرمح الثقيل التي يرميها جنود الفرق على جيش العدو[١].

عندما يصبح العدو بعيداً حوالي ٣٠م عن خط معركة الرومان تعطى أوامر التحضير لرمي الرماح، وليس واضحاً فيما إذا كان ذلك أمراً شفهياً، أو إشارة من بوق الوحدة، لكن عند إعطاء الأمر يمسك كل جندي رمحه بيده اليمنى ويتأهب لقذفه وعند إعطاء أمر آخر يرمي كل جندي رمحه النحيل البالغ طوله حوالي مترين، وساعدت المسافة بين الصفوف على رمي الرمح من دون أن يصيب الجنود في الصف الخلفي. تألف الرمح الثقيل من رأس هرمي بلغ طوله ٥سم، وسارية خشبية بلغ طولها حوالي ٥٥ سم، وتوصل السارية مع رأس الرمح بوساطة مقبض حديدي نحيل وطويل(٤٠–٩٠ سم). زُوِّد رأس الرمح بأسنان لكي يصبح من الصعب انتزاعه بعد اختراقه للترس، وصمم المقبض الحديدي للرمح الثقيل لكي ينحني عند اختراقه ترس العدو، وكذلك ساعد وزنه على منع العدو من استخدام ترسه بشكل جيد، كل هذه الميزات التي تمتع بها الرمح الثقيل أجبرت العدو على التخلي عن ترسه والقتال من دون حماية [٢].

كانت وظيفة الرمح الثقيل قاتلة أكثر من مجرد إعطاب تروس الأعداء، لأن كل وزن السلاح تركز خلف رأسه الصغير الهرمي الشكل، وهذا أعطاه قوة كبيرة على اختراق التروس والدروع، فعندما يحدث الرمح فجوة في ترس العدو فإن مقبض الرمح الذي تدفعه السارية الخشبية سيتبع الرأس بسهولة، وساعد طول المقبض الحديدي على اختراق جسد الرجل المحمي بالترس[٣]. وكان الهدف من رمي جنود الفرق للبيلوم هو كسر خط المعركة المعادي وتفكيكه، بما يفقد العدو التماسك الجسدي ويصبح أكثر عرضة للخطر عندما يبدأ

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.184.

(2) - Cowan: Roman Legionary 58 BC- AD 69, op.cit, p.25.

(3) - Bishop &Coulston: op.cit, p. 108.

القتال يداً ليد. وقد أمّنت تروس جنود الفرقة الكبيرة دفاعاً فعّالاً ضد وابل قذائف العدو، حيث حمل الجنود الرومان تروسهم أمامهم وفوق رؤوسهم عند تقدمهم للالتحام مع العدو، وهذا قدم لهم حماية كبيرة من قذائف العدو. يقول ديو أن جنود سيفيروس فعلوا ذلك في معركة (Issus) سنة ١٩٤م أثناء الحرب الأهلية، ووصف طريقة وضعهم للتروس بدرع السلحفاة[(١)].

حمل العديد من المشاة بما في ذلك الوحدات المساعدة الرماح الخفيفة (javeline)، أو نوعاً ما من أسلحة القذائف أخف وزناً من الرمح الثقيل. ومعظم هذه الرماح قذفت على مسافة أبعد من الرمح الثقيل، لكن كانت قوة اختراقها أقل من قوة اختراق الرمح الثقيل. وعملياً كان رمي الرماح على العدو من مسافة قريبة مدمراً، لأن أعداداً كبيرة من المقاتلين ستصاب، أو على الأقل سيفقدون تروسهم. وغالباً ما دمّر وابل الرماح والهجوم السريع معنويات العدو وهرب قبل أن يحدث قتال حقيقي، مثلاً الانهيار السريع لخط البريتون الأمامي سنة ٦٠م بعد الهجوم الأول، وأيضاً ما حدث سنة ١٤م عندما قاد جرمانيكوس الفرقة الحادية والعشرين راباكس ضد قبائل الــ (Bructeri)، (Tubuntes)، (Usipetes)، حيث استطاع هزيمتهم في هجوم واحد سريع. لكن في المقابل هربت في بعض الأحيان الوحدات الرومانية بسبب هجوم البرابرة السريع والمرعب بالرغم من انضباطها الشديد ومثالٌ على ذلك ما حدث سنة ٢٠م عندما أحاطت قوات (Tacfarins) بالحامية الرومانية في شمال أفريقيا عند (Pagyda). بالرغم من أن قائد الحامية دكريوس حاول تشجيع جنوده بالهجوم على العدو وحده، إلا أن الكوهورت الرومانية هربت أمام تقدم العدو المرعب وقتل القائد الروماني وحُلّت الوحدة بعد ذلك لتخاذلها[(٢)].

وفي حال لم يهرب أحد الطرفين نتيجة وابل الرماح وعملية الصدمة التي يشكلها الهجوم السريع الأول، فإن الجيشان يلتحمان ويبدأان القتال يداً ليد. وكان القتال الحقيقي مؤقتاً وعلى شكل اندفاعات قصيرة المدة وبعدها ينفصل الطرفان ويقفون على بعد مسافة قصيرة عن بعضهم يطلق عليها مسافة الأمان. لا يمكن للقتال يداً ليد أن يستمر طويلاً، لأن الإجهاد

[(1)] - Gilliver: op.cit, p.130.

[(2)] - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, pp.200-203.

الجسدي والتوتر النفسي يكون هائلاً[١]. ولذلك ربما معظم القتال اليدوي قاطعته فترات راحة يقف فيها الجيشان في مسافة الأمان، وعلى الأغلب تكون الهجمات اللاحقة للهجمة الأولى فاقدة لقوة الهجمة الأولى وزخمها، وربما يكون ذلك بسبب تعب الجنود وإرهاقهم، وربما لعدم وجود الرماح لرميها بعد أن قذفت خلال الهجوم الأول[٢]. وأثناء هذه المرحلة من القتال قد تستمر السهام بالسقوط على كلا الطرفين فتوقع الإصابات بالصفوف الأمامية والخلفية[٣].

تمثّل التكتيك الأكثر كفاءة للنبّالة في نشر صف من النبّالة خلف وحدات المشاة المساعدة أو الفرق، فيستطيع النبّالة رمي السهام من فوق رؤوس المشاة، وحدث هذا الترتيب أثناء التمرد اليهودي بين عامي (٦٦-٧٣م)، حيث تم دعم تشكيل من ثلاث صفوف من المشاة ثقيلي التسليح بصف رابع من النبّالة. وحدث هذا في كبادوكيا سنة ١٣٥م عندما تم دعم صفوف أريان الثمانية بصف تاسع من النبّالة المشاة وصف عاشر من النبّالة الفرسان، بالإضافة إلى تمركز مطلقات السهام على أرض مرتفعة وكلهم يطلقون السهام من فوق رؤوس المشاة[٤] (راجع الشكل رقم ٧٨).

كانت دقة القوس بين ٥٠-٦٠ متر، وكانت أفضلية القوس على الرمح الثقيل في كمية السهام الأكبر، وليس في مداه الأبعد، حيث حمل جنود الفرق المشاة رمحين فقط، بينما حمل النبّالة عدداً كبيراً من السهام. واستخدم الرومان النبّالة ورماة المقاليع لهدف واحد تمثل في تقديم التغطية للمشاة المتقدمين أو المتراجعين، مثلاً استخدام جرمانيكوس سنة ١٤م رماة السهام لدفع قبيلة الجاتي عن ضفة النهر المقابلة، بينما قامت قواته بالعبور. وكانت الآلات المطلقة للسهام القصيرة سريعة الحركة لاستخدامها في ميدان المعركة، وكان هناك ست آلات مطلقة للسهام في كل كوهورت، بينما الأنواع الأثقل وزناً كانت رامية للحجارة ونادراً ما استخدمت في المعارك البرية. وفي الحروب السريعة تم دعم القذائف الخفيفة بالآلات المطلقة للسهام كما حدث سنة ١٦م عندما استخدم جرمانيكوس مطلقات السهام لتغطية هجوم القوات

---

(1) - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, p. 60.

(2) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.224.

(3) - Gilliver: op.cit, p.133.

(4) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.180.

الرومانية على متراس ترابي يحرسه مقاتلون من قبيلة الشيروسي (Cherusci)، وأجبرت سهام هذه الآلات مقاتلي الشيروسي على إبقاء رؤوسهم منخفضة تحت المتراس ولم يتمكنوا من استخدام أسلحتهم[١].

بعد رمي الرماح على العدو والالتحام معه تدرب الرومان تدريباً قياسياً على لكم العدو على وجهه بعجرة الترس ثم طعنه في بطنه برأس السيف الشبيه بالسكين. ويركز كلاً من تاكيتوس وفيجيتيوس كثيراً على السيف كونه استخدم من قبل الرومان للطعن أكثر منه للجرح. يقول فيجيتيوس وهو محق في ذلك إن الجرح مهما كان حجمه فإنه نادراً ما يقتل، لذلك كان الطعن فعّالاً أكثر في القتل. ويقول تاكيتوس واصفاً معركة بولينوس ضد بوديكا عام ٦٠م أن بولينوس ألقى خطاباً قبل المعركة أوعز فيه لجنوده بلكم البريتونيين بتروسهم ثم طعنهم بالسيف، فذكّرهم أن لديهم ثلاث أسلحة هجومية هي: الرمح الثقيل، السكوتوم، الكلاوديوس. قال بولينوس لجنوده "حافظوا على صفوفكم متراصة فحسب، أرموا رماحكم، ثم تابعوا واستخدموا عجرات تروسكم لإسقاطهم على الأرض والسيوف لقتلهم، لا تفكروا في السلب والنهب، عندما تنتصرون ستحصلون على كل شيء"[٢]. ويظهر نصب الدمقليسي أحد جنود الفرق يلكم وجه خصمه بعجرة ترسه حيث يفقده التوازن ويطعنه بالسيف في معدته[٣]. مثل فرق المانيبل، خدمت الصفوف الخلفية آلياً كقوات احتياط باستطاعتها الالتفاف لصد تهديد جديد على المؤخرة، أو كان بإمكانها تقوية خط المعركة وتأدية مناورات الالتفاف، أو ترسل لنصب كمائن للعدو. تمتعت صفوف الرومان بالمرونة نوعاً ما، لذلك سمحت لقوات جديدة من الصفوف الخلفية بالانضمام إلى الصفوف الأمامية بدلاً من الجنود المصابين والمرهقين، لكن مع ذلك لا توجد إشارة في المصادر الأدبية العائدة إلى العصر الإمبراطوري على انسحاب صفوف بأكملها من الأمام لتحل محلها صفوف أخرى من الخلف، كما يقول ليفي إنه حدث في فرق العصر الجمهوري[٤].

---

(1) - Luttwak: op.cit, pp.44-45.

(2) - Tacitus: Annals Vol. 14.25, Translated by John Jackson, LOEB Classical Library, 1937.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.46.

(4) - Gilliver: op.cit, p.133.

كان الانتصار في قتال قريب مسألة تحمّل وعدوانية، لأن القوات احتاجت في خط المعركة إلى التحمّل بقدر ما كان ذلك ضرورياً. ولكن الصمود أكثر من العدو لم يكن سبيلاً أكيداً يقود إلى النصر، وإنما شكّلت الشراسة والعدوانية عاملاً ضرورياً لجعل الجنود في الصفوف الأمامية يتقدمون ويجددون القتال مرة بعد مرة بما أنهم لم يصابوا بالتعب الجسدي والإرهاق النفسي. انضباط الجيش الروماني، ونظام العقوبات الصارم، بالإضافة إلى التأكيد على روح الوحدة، أعطى الجنود قوة وجلدا ليصمدوا في ساحة القتال. وكذلك مزايا قادته العالية، التشجيع والمكافآت التي تعطى للجنود الشجعان، أمنت الجنود الذين يستطيعون دفع خط المعركة إلى الأمام بشكل دائم. وتوجب على القادة خلف خط المعركة الحكم بدقة عالية على لحظة الدفع بالقوات الاحتياطية، لأنهم إذا دفعوا بها في وقت مبكر جداً فقد لا تحقق شيئاً، وربما تصاب بالإرهاق كما هو حال الجنود المشتركين مسبقاً في المعركة. أما في حال دفعوا بها في وقت متأخر جداً فقد ينهار الصف الأول كلياً، وربما ينتشر الهلع والذعر في بقية الخط، وغالباً ما تبدأ الهزيمة المنكرة من مؤخرة خط القتال، لأن انفعال الجنود في الخلف قد يؤدي إلى ترنح الخط وبدء الجنود بالعودة إلى الخلف، وبالرغم من أن مهمة نائب قائد المائة (Optio) كانت منع الجنود من العودة إلى الخلف أو الهروب، إلا إنه في حال فعل ذلك عدد كبير من الجنود فإنه من غير المرجح أن يستطيع نائب قائد المائة كبح جماحهم. عندما يبدأ الجنود بإدارة ظهورهم والهرب فإن الخسائر في صفوف الطرف الخاسر كبيرة وهائلة، لأنه في هذه اللحظة سيتمتع المنتصر بحرية المطاردة وضرب الهاربين[1]، ومن الممكن أن تتراجع القوات بانتظام وتعود للقتال من جديد في حال كانت منضبة وتوفرت لها القيادة القوية، لكن في أغلب الأحيان يتحول التراجع إلى فرار وهرب لكلا القوات الرومانية وغير الرومانية[٢].

جـ- المطاردة وإنهاء المعركة:

يقوم الفرسان عادة من بين تشكيلات الجيش الرومان بإنهاء المعركة، ومطاردة فلول الأعداء، وقد صور الكتّاب القدماء قتال الفرسان كعمليات رشيقة وسلسة على اعتبار أن كل طرف بالتناوب تقدم وتراجع مرات عدة قبل أن يحسم هجوماً ما، وكان سبب هذه الرشاقة

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.184-185.

(2) - Gilliver: op.cit, p.134.

والسرعة أن الفرسان كانوا مناوشين في المقام الأول، حيث قاتلوا من بعيد وهربوا في حال اقترب العدو منهم[1]. لذلك اُقتِرح أنّ كل قوات الفرسان الرومانية في الواقع كانت فرسان خفيفة، وبمعنى آخر كانوا مدربين ومسلحين لمهاجمة العدو من مسافة بعيدة بقوس أو رمح خفيف، أو لمضايقته وإنهاكه في مناوشات قريبة باستخدام الرمح الثقيل أو السيف، ولكن على العكس حمل الفرسان ثقيلو التسلح رمحاً طويلاً (contus) ودربوا ليكونوا قوات صدمة تهاجم العدو وتضغط عليه[2].

وعلى العموم كان للفرسان من كلا الصنفين أثر محوري في الاشتباكات، وفي معظم الأحيان بدأت المعارك بمناوشات الفرسان على الأجنحة لتحييد فرسان الطرف الآخر، وغالباً كان الهجوم على الأجنحة مدمراً للمشاة خفيفي التسليح، وخصوصاً قوات القذائف الذين لم يرتدوا دروعاً[3]. ونجاح الفرسان في حماية الأجنحة وهزيمة أعدائهم قد يحدد نتيجة المعركة، لذلك استخدم الفرسان مزيجاً من تكتيكات المناوشة والصدمة، والتي جُهزوا ودُربوا عليها بشكل فعّال[4]. وأقوى وصف لتدريب الجنود الرومان وقتالهم عبّر عنه يوسيفوس عندما قال: " كانت مناوراتهم معارك بيضاء ومعاركهم مناورات دموية "[5] يشير كلام يوسيفوس إلى أن تدريب القوات الرومانية كان يتم وكأنه محاكاة للمعركة الحقيقية، وهذا الكلام يوضحه أريان عند وصفه لتدريبات الفرسان، والذي يعطي انطباعاً جيداً عن دور الفرسان الخفيفين في الاشتباك بما في ذلك المعارك الكبرى. وكذلك بالرغم من أن هذه التدريبات المتقنة أجريت بهدف العرض، إلا أنها في الحقيقة ارتكزت على محاكاة المناورات في أرض المعركة. يقول أريان تدرب الفرسان على استخدام الرماح الخفيفة والثقيلة، وعلى قذف الحجارة وإطلاق السهام، وعلى الرمي بالمقاليع، وتدربوا حتى على مطلقات سهام تحمل باليد على ظهر الفرس. وتدربوا على الهجمات المخادعة التي صممت لسحب العدو من تشكيله ثم كسره بعد ذلك،

---

(1) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p51.

(2) - Luttwak: op.cit, p.43.

(3) - Gilliver: op.cit, p.130.

(4) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.48.

(5) - Elise Phang: op.cit, p.39. نقلاً عن

وتدربوا على تشكيل درع السلحفاة المماثل لتشكيل السلحفاة عند المشاة، وكذلك تدربوا على تشكيل الإسفين (الشكل رقم ٨٣) وعند نهاية العرض يقلد الفرسان مهاجمة عدو هارب، ثم يسلّون سيوفهم ويضربون ضربات متتالية كما لو أنهم يطعنون العدو الهارب[١].

رغم كل ما تقدم من غير المرجح أن يهاجم الفرسان الخفيفين صفوف مشاة منضبطين، لأن أفضل فرسان الصدمة سيُهزمون على يد مشاة مصطفين في تشكيل محكم ومشكلين سوراً من التروس ورؤوس الرماح في وجه ذلك الهجوم[٢]، بالإضافة إلى هذا إن الحصان بطبيعته لن يلتحم مع شيء ثابت وصلب إذا استطاع التوقف أو الالتفاف حوله. لذلك استخدم الفرسان الخفيفين في هجومهم على المشاة مناورة نموذجية تمثلت في الهجوم ثم إطلاق القذائف والهرب بعيداً، ثم التجمع استعداداً للمحاولة من جديد. ويشير استخدام هذه المناورة من قبل الفرسان إلى أن الهدف من ذلك كان إضعاف صفوف المشاة ثم كسرها، ولم يكن أبداً هدف هذه المناورة اختراق هذه الصفوف[٣].

يمكن لتكتيكات الفرسان هزيمة المشاة المنضبطين بطريقة واحدة فقط، وتمثلت هذه الطريقة باستخدام الفرسان الثقيلين المسلحين بالرماح الطويلة (contus) والنبّالة الراكبين. استخدم هذا التكتيك سلاح الفرسان البارثي الذي قضى على سبع فرق رومانية في معركة كارهاي (Carrhae) سنة ٥٣ ق.م، وتألف هذا التكتيك من مزيج تقليدي من إطلاق القذائف والصدمة واستخدام كميات كبيرة من السهام يطلقها نبّالة راكبين، وتمثلت آلية عمل هذا التكتيك في إجبار الرمّاحين مشاة الرومان بالبقاء في صفوف متراصّة من خلال تهديدهم بالهجوم عليهم، وفي الوقت نفسه نجد النبّالة الفرسان قد أمطروهم بكميات كبيرة من السهام، وفي هذه الحالة لا يستطيع جنود المشاة الالتحام مع النبّالة ولا يستطيعون الابتعاد من أجل حماية أنفسهم لأنهم مهددين من قبل الفرسان الرمّاحين[٤]. ظهر الفرسان ثقيلو التدريع في بداية القرن الثاني عندما أنشأ تراجان وحدة الفرسان المدرعة الأولى (ala I milliaria

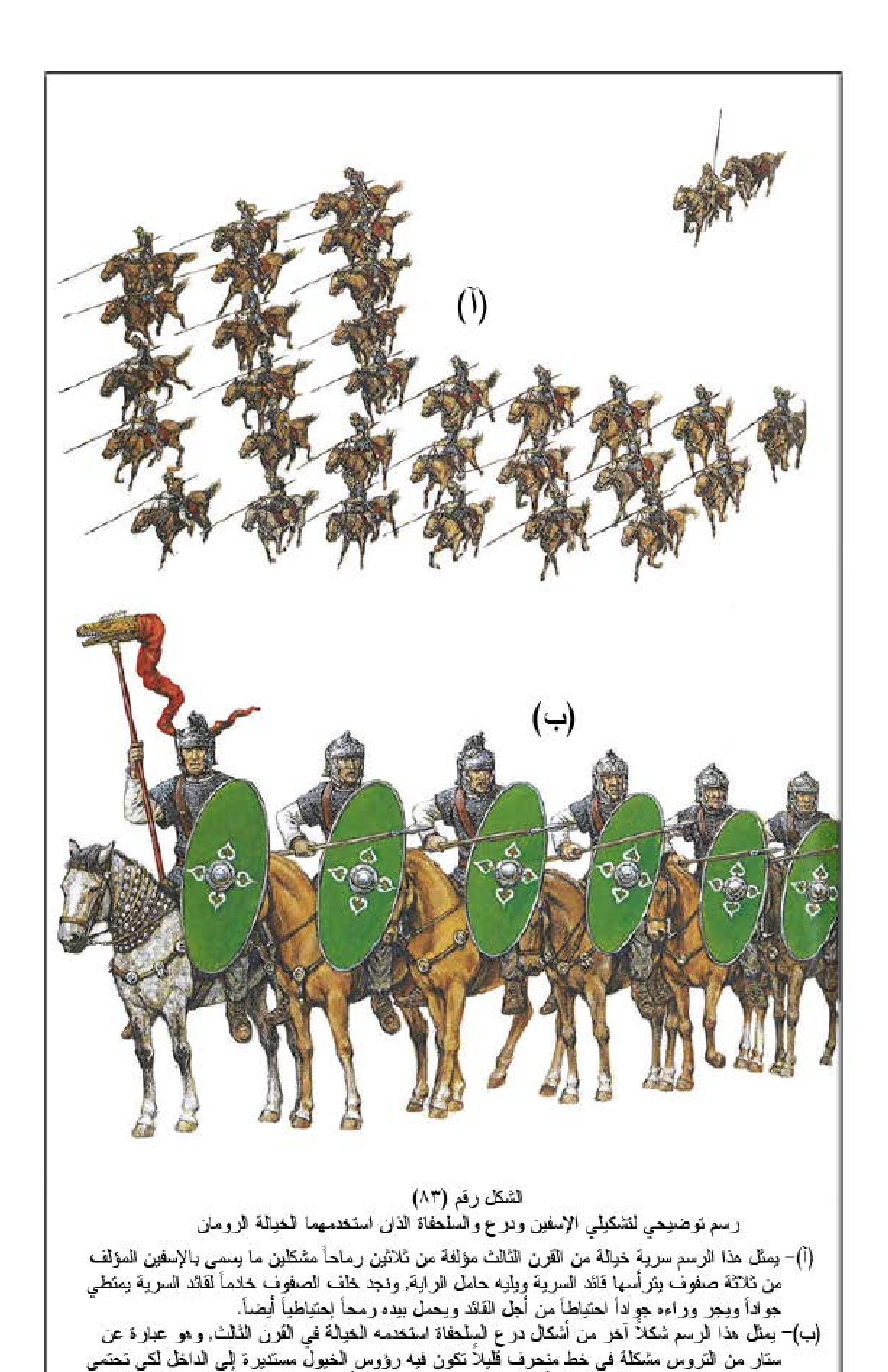
---

(1) - Gilliver: op.cit, p.134.

(2) - Luttwak: op.cit, p.43.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.48.

(4) - Luttwak: op.cit, p.43.



الشكل رقم (٨٣)
رسم توضيحي لتشكيلي الإسفين ودرع والسلحفاة الذان استخدمهما الخيالة الرومان

(أ)– يمثل هذا الرسم سرية خيالة من القرن الثالث مؤلفة من ثلاثين رماحاً مشكلين ما يسمى بالإسفين المؤلف من ثلاثة صفوف يترأسها قائد السرية ويليه حامل الراية. ونجد خلف الصفوف خادماً لقائد السرية يمتطي جواداً ويجر وراءه جواداً احتياطاً من أجل القائد ويحمل بيده رمحاً إحتياطياً أيضاً.

(ب)– يمثل هذا الرسم شكلاً آخر من أشكال درع السلحفاة استخدمه الخيالة في القرن الثالث, وهو عبارة عن ستار من التروس مشكلة في خط منحرف قليلاً تكون فيه رؤوس الخيول مستديرة إلى الداخل لكي تحتمي وراء التروس. ويعني الخط المائل أن كل ترس يؤمن الحماية لرأس الحصان الذي يمتطيه الفارس المجاور.

المصدر: Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 40.

Cataphracta)، وهي وحدة رمّاحين، كلا الفارس والفرس فيها مدرعون تدريعاً ثقيلاً، وكان الهدف من إنشائهم هو جعلهم قوات صدمه بالدرجة الأولى، لأن تقدمهم الثابت والبطيء في كتل كثيفة، ووميض أسلحتهم ولمعان دروعهم، ربما قدم نوعاً مشابهاً لتلك الصدمة التي يحدثها هجوم المشاة السريع[(١)]. ولكن كفاءة هؤلاء الفرسان تأثرت كثيراً بالطقس، فغالباً ما أنهك الطقس الحار كلا الفارس والفرس، وعندما يكون الطقس رطباً أو متجمداً تحت أقدامهم فسيواجهون صعوبة في ترسيخ أقدامهم على الأرض. وكان أحد أدوار الفرسان الرئيسة في المعارك الكبيرة هو تمزيق صفوف الأعداء على الجناحين وتطويقه، أو مهاجمة مؤخرة خط المعركة التي مثّلت النقطة الأسهل لهرب القوات[(٢)]. يقول فيجيتيوس: حالما يتصدع خط العدو لا يتم تطويقه بشكل كامل، وإنما يفتح طريق صغير للنجاة والسبب في ذلك هو أن الجنود الذين يتم تطويقهم يقاتلون حتى الموت، ولكن إن استطاعوا الهرب فسيهربون وعند ذلك يصبحون منكشفين للفرسان الذين ينتظرونهم على الأجنحة[(٣)].

عندما يهرب المقاتلون أملاً بالنجاة فإن صفوفهم تفقد تماسكها، وبذلك يسمحون لمطارديهم من المشاة والفرسان أن يقتلوهم بحرية. بالنسبة للقوات الرومانية، عندما يحصل ذلك يتوجهون إلى معسكرهم أو المدينة المحصنة القريبة، أو يتراجعوا إلى أرض مرتفعة في تشكيل متماسك. أما بالنسبة لأعداء روما فإن فرارهم سيستمر أطول مسافة ممكنة وربما يستمر حتى تجعل العوائق الطبيعية أو حلول الظلام من المطاردة أمراً مستحيلاً. وقد لعب الفرسان دوراً هاماً في المطاردة الناجحة وذبح العدو جماعياً، وقد أمنت سرعتهم وارتفاعهم منصة جيدة لضرب الهاربين، وقللت من فرص استجماع العدو شمله [(٤)]. وقال نابليون: « إن وظيفة الخيّالة تأمين النصر ومنع العدو من لمّ صفوفه ». فعندما يحقق الرومان النصر في المعركة فمن الطبيعي أنْ يتقدّم الخيّالة لمطاردة العدو المنهزم وتشتيت شمله، وهنا يصف أريان هذه التكتيكات في تمرين من تمارين ألعاب الفروسية إذ يقول: « ثم يستلون سيوفهم الطويلة ويوجهون

---

(1) - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, p,59.

(2) - Gilliver: op.cit, p.135.

(3) - Webster: op.cit, p.233.

(4) - Gilliver: op.cit, p.138.

الضربة تلو الأخرى بأقصى طاقتهم للوصول إلى العدو الهارب، وللإجهاز على من سقط منه ولتوجيه الضربات إلى الأجنحة ». وفي هكذا نوع من التكتيكات تقدّم قرون سرج الفرس العسكري عملاً مهماً في السماح للفارس باستخدام سيفه الطويل، فيمكن للفارس التشبث بالسرج عندما يتعطف جواده بعنف أو عندما يثب الفارس أسفل السرج، وهذا يساعده في استعمال كامل طاقته عندما يوجه ضربات سيفه إلى العدو الهارب أمامه، أو الانحناء إلى أحد الجانبين للإجهاز على من سقط أرضاً من العدو [١]. ويصف المؤرخ يوسيفوس مواجهة بين الخيالة والمشاة عندما حاولت قوة من مشاة اليهود الهجوم على بلدة عسقلان (Ascalon) فردتها وحدة خيالة رومانية، وكان اليهود قليلي الخبرة إذ تقدموا بصفوف غير منتظمة، في حين شكل الرومان صفوفاً منضبطة، ومرتّبة استجابت بشكل مثالي لإشارة القائد، فهزم اليهود هزيمة نكراء وهربوا عبر السهول التي كانت مناسبة لمناورات الخيالة وتحركاتهم، وكما يقول يوسيفوس:

« التف الفرسان وأجبروا الفارين على الالتفاف وشقّوا طريقهم بين حشود الفارين وراحوا يسحقونهم ويذبحونهم بالعشرات وأينما هربت مجموعة منهم أحاط بها الرومان ممطتين خيولهم ومطلقين عليها رماحهم الخفيفة بسهولة » [٢].

وينضم المشاة خفيفي التسليح أيضاً إلى عملية المطاردة، وكانت القوات المسلحة بالسهام والرماح مفيدة في زيادة رعب العدو ورمي من يحاول الفرار عبر الأنهار مثلاً. وعند الضرورة تتخلى القوات المُطَارِدةَ عن تشكيلها أثناء المُطارَدةَ، وقد تنفصل عن بعضها البعض، وهذا قد يعرضها لمخاطرة كبيرة إذا استطاع المنهزمون شن هجوم مضاد[٣]. وعادةً يتعرض الجيش المنتصر لخسائر خفيفة نسبياً، والتي تبلغ (٥%) كحد أقصى، ولكن تتعرض الجيوش المنهزمة لأضعاف عدة من هذه الخسائر. وقد أكد الرومان على مبدأ المطاردة

---

[1] - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p52.

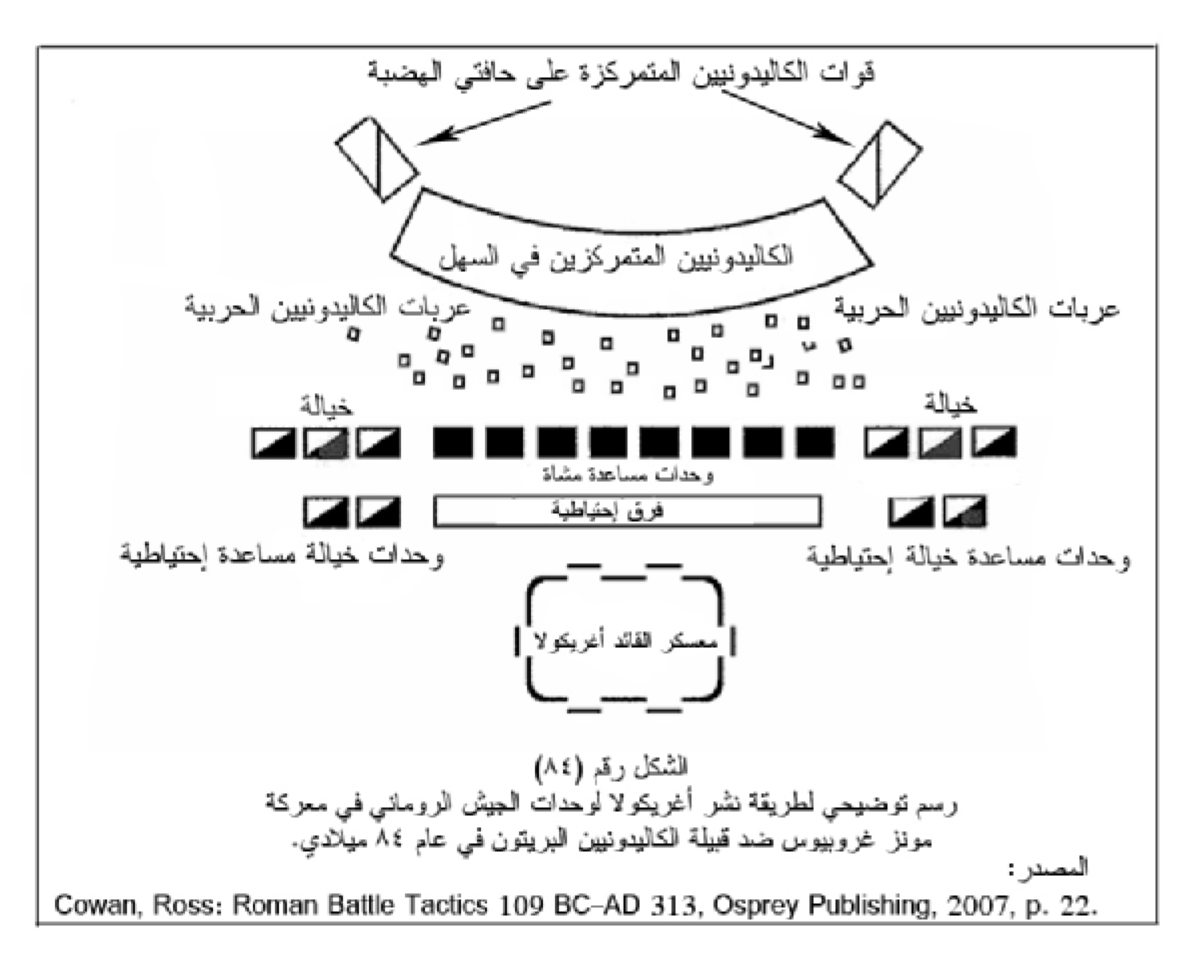
[2] - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit, p 59.

نقلاً عن

[3] - Gilliver: op.cit, pp.138, 148.

العدوانية، لأن منظر الهزيمة سيبدو مروعاً جداً، وهذا يساعد الرومان في أجبار أعدائهم على الاستسلام المشروط، أو على الأقل يخاف أعدائهم من مواجهات مستقبلية مع الرومان[1].

يقدّم لنا المؤرخ تاكيتوس وصفاً رائعاً لأحداث معركة جبال غروبيوس (Mons Graupius) (الشكل رقم ٨٤) التي وقعت في بريطانية سنة ٨٤ م بين الرومان بقيادة أغريكولا وقبائل البريتون بقيادة كالجاكوس (Calgacus) حيث اتخذ البريتون موقعاً على



الشكل رقم (٨٤)
رسم توضيحي لطريقة نشر أغريكولا لوحدات الجيش الروماني في معركة
مونز غروبيوس ضد قبيلة الكاليدونيين البريتون في عام ٨٤ ميلادي.
المصدر:
Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 22.

أرض مرتفعة وتمركزت صفوفهم الأولى في السهل مع العربات الحربية أمّا بقية قواتهم فتمركزت على مدرجات منحدر الهضبة، في حين نشر أغريكولا ثمانية آلاف جندي مشاة من الوحدات المساعدة في قلب خط المعركة الروماني، ووضع ثلاثة آلاف فارس على جانبي المشاة لحماية الأجنحة، وشكلت الفرق خطاً أمام سور المعسكر للتدخل عند الحاجة واحتفظ

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.185.

بأربع وحدات خيالة مساعدة كاحتياط من أجل الحالات الطارئة. ويصف تاكيتوس بعد ذلك أحداث المعركة قائلا:

« بدأت المعركة بتبادل القذائف وأبدى البريتون بسالة ومهارة في تفادي رماح جنودنا بسيوفهم الضخمة أو حرفوها بتروسهم الصغيرة في حين أمطرونا بوابل من قذائفهم، وبعد ذلك أمر أغريكولا الوحدات الأربع الباتافية ووحدتين من التونغري (Tungrians) بأن يدنو من العدو ويقاتلوه برأس السيف، وكانت هذه مناورة مفيدة برع المحاربون القدماء في تطبيقها، ولكنّها كانت صعبة كثيرا على الأعداء الذين تسلحوا بتروس صغيرة وسيوف كبيرة افتقرت لرأس مصمم للطعن ولذلك لم تكن ملائمة للقتال من مسافات قريبة. وبدأ الباتافييون بإمطار وابل من القذائف تلو الآخر واستخدموا حدبات الترس لدفع العدو وضربه على الوجه، فسحقوا الجنود المتمركزين في السهل وبدأوا في التقدم أعلى الهضبة. وشجع هذا بقية وحداتنا على الهجوم على الأعداء وإبادتهم وتُرك العديد من البريتون في الخلف نصف أموات أو جرحى وذلك بسبب سرعة تقدّم قواتنا، وفي هذه الأثناء قام خيّالتنا بعد أن هزموا العربات الحربية هزيمة نكراء بالدخول والتغلل في خط المشاة، فخلقوا بهجومهم هذا ذعراً جديداً إلا أنّ صفوف الأعداء المتراصة والأرض غير المستوية أجبرتهم على التوقف وفي هذه الأثناء لم تعد المعركة معركة خيالة وناضل مشاتنا للوصول إلى موطن قدم على المنحدر إلا أنهم اصدموا بالخيالة على جانبي الجيش وغالبا ما اخترقت العربات الحربية الضالة التي ذعرت أحصنتها- وكانت من غير سائق- الجبهة أو الجناحين، وحتى هذه اللحظة لم يشارك البريتون المتمركزون أعلى الهضبة في القتال ونظروا بازدراء لقلة عددنا فبدأوا بالانحداء ببطء وحاصروا مؤخرة قواتنا المنتصرة، إلا أنّ أغريكولا كان واعياً ومدركاً لهذه الحركة، فوضع وحدات الخيالة الأربع في طريق تقدمهم بعد أن كان يحتفظ بها للطوارئ وبعد ذلك سحقهم وشتتهم وألحق بهم هزيمة منكرة بعد أنْ كان هجومهم قوياً وانعكست تكتيكات البريتون عليهم. وقام الخيالة الرومان بأمر من القائد بالالتفاف على العدو وهاجموه من المؤخرة وتبع ذلك مشهد مثير للهلع في الأرض المفتوحة وطاردت قواتنا جنود الأعداء وأخذوا الأسرى ثم قتلوهم عندما تزايد عددهم، وتصرّف كل رجل من الأعداء على هواه ففرت بعض المجموعات أمام أعداد صغيرة بينما هاجمنا آخرون بالرغم من كونهم عزّلاً، فلقوا حتفهم، وتناثرت الأسلحة والجثث والأشلاء في كلّ مكان، ولطّخت الأرض بالدماء» [1].

---

[1] - Tacitus: Agricola, Vol. 2.35-6, Translated by M. Hutton & W. Peterson, LOEB Classical Library, 1914.

يقدّم لنا وصف تاكيتوس لمعركة جبال غروبيوس مجموعة إشارات مهمة إلى تكتيكات الرومان المختلفة التي تناسب ظروف المعركة، فيمكننا من خلال هذه المعركة معرفة كيفيّة تغيير القائد لتكتيكاته وتعديلاته لها وفق ما يطرأ من ظروف مستجدة في المعركة، وكيفية دفعه لقوات الاحتياط باللحظة المناسبة، وكذلك يمكننا استنتاج المهمات المحدودة للمشاة والخيالة التي نفذوها وفقا لطبيعة الأرض والتضاريس وحالة المعركة، كما يمكن رؤية التكتيكات والطرق القتالية التي نفذها المحاربون القدماء بمهارة ، إذا عرفوا كيف يستخدمون سيوفهم في مساحات ضيّقة وكيف يستخدمون حدبة الترس لدفع الأعداء وضربهم على وجوههم وزيادة على ذلك شكل هجوم الخيالة الاحتياط نقطة تحول في المعركة ففككوا صفوف البرتون وشتتوها نتيجة المطاردة المنظمة والوحشية، ولذلك تقدّم لنا هذه المعركة نتيجة مفادها أنّ القيادة الشخصية للقائد وتطبيق التكتيكات العسكرية للقائد والاستخدام المنظم للمشاة والخيالة لتنفيذ أدوار محدد تكون بالغة الأهمية وحاسمة في أية معركة[١].

كانت المواجهات بين وحدات الفرسان المتحاربة سريعة ورشيقة جداً، لأن الخيول ترفض الالتحام بشكل قريب مع فرسان آخرين، وعندما يحدث قتالاً يداً ليد بين وحدات الفرسان كان سببه، إما أن خطوط المعركة فتحت أرتالها وسمحت للفرسان بالمرور عبرها، أو أن الفرسان توقفوا قبل الالتحام ومشت الخيول ببطء إلى الأمام حتى أصبح الطرفان قريبين من بعضهما. لكن قد تتأرجح معارك الفرسان جيئة وذهاباً كلما تفوق طرف على الطرف الآخر وطارده، بدوره يُهزَم ويُطارَد بوساطة قوات جديدة من الأعداء. وفي معركة كريمونا الثانية سنة ٦٩م، بعد أن هزم وطارد فرسان فيسبسيان عدة وحدات (ala) تابعة لقوات فيتللوس، بدورهم هرب فرسان فيسبسيان بعد أن هاجمتهم قوات احتياطية من جيش فيتللوس[٢]. لهذا السبب كان مفيداً وضرورياً الاحتفاظ ببعض وحدات الفرسان كقوات احتياط، لأنه في حال أنكسر خط المعركة تستطيع قوات الاحتياط مهاجمة المطاردين وربما هزيمتهم. عند مطاردة الآلانيين عام ١٣٥م قسّم أريان فرسانه إلى نصفين، النصف الأول كانت وظيفته مطاردة العدو، والنصف الثاني يتقدم ببطء خلف النصف الأول حتى يستطيع الرومان مواجهة

---

[1] - Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome 31 BC-AD 284, op.cit ،pp. 63- 65.

[2] - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.49.

أية قوات احتياط للعدو، أو لمواجهة هجمات مضادة من قبل العدو. والعوامل التي تحدد المنتصر في هكذا معارك غير واضحة، ولكن لا بد أن المهارة والعزم في القتال الفعلي والتجهيزات والقدرة على مواصلة القتال لفترة إضافية لعبت دوراً مهماً في تحديد الطرف المنتصر، كما أنّ الاحتفاظ بقوات احتياط جديدة وجيدة التشكيل صنع العامل الأهم في تحديد الطرف المنتصر، وحالما يهرب أحد الطرفين فإنه سيتعرض إلى خسائر فادحة نتيجة مطاردة المنتصر له[١].

ومما تقدم نجد أن الفرسان لم يكونوا ملائمين للثبات في موقعهم والقتال فيه، لأن ميولهم للتقدم والتراجع كانت كبيرة، ولذلك مالت المبادئ التكتيكية لاستخدام الفرسان على الأجنحة إلى شنّ الهجمات على أجنحة الأعداء وتطويقها، وللانتشار كقوات احتياط استعداداً لشن هجوم مضاد، وبموجز العبارة لا نستطيع إلا أن نستعير أحد أقوال نابليون الواضحة :

«هجمات الفرسان بالتساوي مفيدة في بداية ومنتصف ونهاية المعركة » [٢].

أخيراً نستطيع القول إن مجموع مشاة الفرق ومشاة الوحدات المساعدة والمهندسين العسكريين والفرسان وقوات القذائف التابعة للوحدات المساعدة، كلها أعطت للرومان تفوقاً تكتيكياً في مختلف التضاريس وضد معظم الأعداء.

ثانياً- التشكيلات الهجومية والدفاعية للجيش الروماني

يمكننا الحصول على معلومات حول التكتيكات الرومانية من خلال وصف الكتّاب القدماء للمعارك، ولكن هذه المعلومات قليلة نوعاً ما، لأن معظم الكتيبات والمؤلفات القديمة التي كتبها المؤرخون والقادة العسكريون لم تنجُ كلياً، وإنما لم ينجُ منها إلا شذرات قليلة، لكن استطاع عدد من المؤرخين المعاصرين من خلال دراسة ما تبقى من المصادر القديمة التي وصف الحروب الرومانية من استنتاج بعض التكتيكات الهجومية والدفاعية التي استخدمها الجيش الروماني.

---

(1) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, pp.239-240.

(2) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.49.

١ – **التكتيكات الهجوميّة:** وتتألف من:

أ– تكتيك التطويق:

يقول المؤرخ القديم أوناسندير إن الرومان كانوا يرسلون سرية أثناء الليل إلى خلف العدو، وفي الصباح التالي تشارك هذه السرية في المعركة من خلال الهجوم على مؤخرة جيش العدو. ولم يُبتكر هذا التكتيك في العصر الإمبراطوري وإنما كان موجوداً قبل ذلك، وكانت احتمال إخفاقه كبير جداً، وأحد مخاطره التوقيت السيئ للهجوم، فيمكن لقوات منعزلة أن تُهزَم بسهولة من قبل العدو، وكما قال تاكيتوس حصل هذا للقائد أبرونيوس (Apronius) في جرمانيا سنة ٢٨م عندما أساء إدارة محاولة لتطويق جيش الفريسيين (Frisii)، مما أدى إلى خسارة أكثر من ألف وثلاثمائة جندي من جيشه. ويدل الاستمرار في استخدام هذا التكتيك المحفوف بالمخاطر على أنه كان له فوائد ممكنة، وربما كانت كبيرة في الواقع. بالرغم من أن هذا التكتيك احتاج إلى مسير ليليٍّ طويل، إلا أن أولى فوائده أنه ساعد على قطع الاتصالات بين أجزاء جيش العدو، وكانت الفائدة الثانية تطويق قوات العدو الذي يمكن أن يحقق نتائج جيدة، فطوقت مثلاً قواتُ سيرياليس (Cerialis) سنة ٦٩م قواتَ سيفيليس الجرمانية بوحدتي (ala) تم إرسالهما بسرعة بعد بدأ المعركة بفترة لا بأس بها، وظهورهم في مؤخرة جيش العدو أضعف من معنويات الجرمان وحمّس فرق سيرياليس في الهجوم على مقدمه جيش العدو وتطويقه[١].

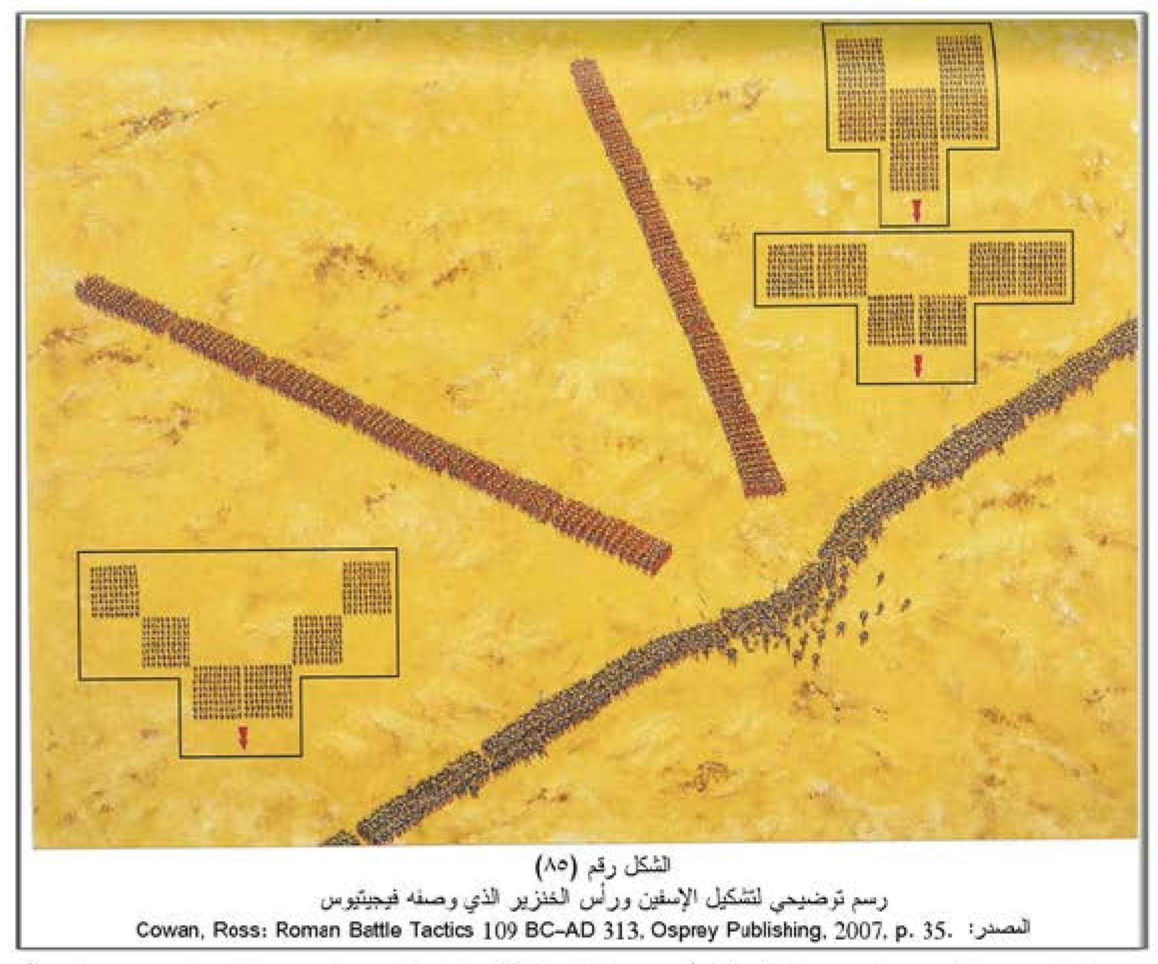
ب– تشكيل الإسفين (cuneus):

كان تشكيل الإسفين تشكيلاً متراصاً استخدم لاختراق خطوط المعارك الغير عميقة، أو لاستغلال الثغرات في خطوط العدو[٢]. وساعد الإسفين ذو الرأس الضيق على المناورة والتقدم السريع مع المحافظة على النسق، ولذلك كان تشكيله المتقدم بسرعة على شكل كتلة كثيفة يشكل منظراً مرعباً للعدو، بالإضافة إلى ذلك أن رأس الإسفين الذي على شكل السهم جعل هذا التشكيل يبدو موجهاً نحو جزء من خط العدو، والجنود في ذلك الجزء من الخط،

---

(1) - Thorne: op.cit, p.225.

(2) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.46.



الشكل رقم (٨٥)
رسم توضيحي لتشكيل الإسفين ورأس الخنزير الذي وصفه فيجيتيوس
المصدر: Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC-AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 35.

وربما الجنود الذين على مسافة لا بأس بها في الأطراف قد ينظرون إلى الهجوم على أنه موجه إليهم شخصياً. ولذلك دفعتهم غريزتهم إلى التحرك باتجاه الأطراف ويدَعُوا الآخرين في التشكيل يقابلوا العدو بدلاً منهم، وهذا التخبط والحركة في الصفوف قد تؤدي إلى الاضطراب والفوضى. لذلك لو هُدف من تشكيل الإسفين هزيمة العدو قبل الوصول إليه يكون حينها للإسفين معنى أكبر كتشكيل[1] (الشكل رقم ٨٥).

استخدم هذا التشكيل وفقاً لتاكيتوس بفاعلية مدمرة من قبل وحدات المشاة المساعدة الباتافية المتمردة بقيادة سيفيليس ضد الخط المفرد وغير المنظم للفرقة الأولى جيرمانيكا ووحدات المشاة المساعدة عند بون (Bonn) سنة ٦٩م، فنجد كما يصف تاكيتوس أن

---

(1) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.205.

ثلاثمائة من جنود الفرق وبعض الوحدات المساعدة التي تمّ أنشاؤها على عجلٍ من الجنود المساعدين البلجيكيين، بالإضافة إلى مجموعة من الشعب الريفي والعاملين في المعسكر غير المدربين الذين تمتعوا بالشجاعة، كلهم انطلقوا من بوابات المعقل ليطوقوا الباتافيين الذين كانوا أقل عدداً. لكن كون الباتافيين متمرسين في الخدمة العسكرية تشكّلوا في إسفين متراصّ وانغلقت صفوفهم من كل الجوانب، وكانت آمنة في المقدمة والمؤخرة والأجنحة، وبذلك اخترقوا خطنا قليل العمق وفقاً لتاكيتوس، وعندما تراجعت الوحدات البلجيكية وانهارت، وتم صد الفرقة إلى الخلف التي هربت مرتعبة إلى متراس وبوابات المعقل، وقعت هنا أكبر الخسائر وامتلأت الخنادق بالجثث، وقتل العديد من رجالنا ليس فقط بالسيف وإنما سحقاً والعديد منهم قُتلوا بسيوفهم أنفسهم(١).

وتشكّل جيش بولينوس في بريطانيا ضد بوديكا عام ٦١م في خط على شكل إسفين، وكان العدد الكلي للجيش الروماني كما يقول ديو حوالي عشرة آلاف في وجه مئتين وثلاثين ألف محارب إلى صف بوديكا، وتألف الجيش الروماني من الفرقة الرابعة عشر ومقتطع من الفرقة العشرين وخيالة مساعدين(٢).وتشكّل الجيش الروماني في هذه المعركة وفق النظام النموذجي، حيث شكل مشاة الفرق قلب الجيش، وانتشرت الوحدات المساعدة على جانبي الفرق، وحمت قوات الفرسان الأجنحة(٣). ويقول تاكيتوس واصفاً المعركة:

> « في البداية وقف جنود الفرق دون حراك، وبقوا محتمين بالدفاع الذي أمنه الممر الجبلي الضيق، لكن عندما تقدم العدو إلى مسافة رمية رمح ثقيل(Pilum) رموا رماحهم بدقة حتى نفذت، ثم هجموا إلى الأمام في تشكيل الإسفين وهجمت القوات المساعدة بنفس الطريقة، أما الخيالة فاخترقوا أية مقاومة وواجهوها برماحهم الممتدة أمامهم. فاستدار بقية العدو وهرب، لكن كان الهرب عليهم صعباً لأن عرباتهم قطعت الطريق، ولم يرحم الرومان النساء وطعنوا حيوانات الجر،

---

(1) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.46.

(2) - Ibid, p.47.

(3) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.134.

وأضافوها إلى أكوام الموتى. وكان النصر الذي أحرزه الرومان استثنائياً، وقُتل تقريباً ثمانون ألف بريتوني، بينما قُتل أربعمائة روماني فقط»[١].

من خلال الأمثلة السابقة نجد أن فعّالية تشكيل الإسفين واضحة، ولكن ماذا كان الإسفين بالضبط؟. الكلمة اللاتينية (Cuneus) تعني الإسفاين، لكن وصف تاكيتوس لتشكيلات الإسفين في التمرد الباتافي لا يوحي بتشكيلات مثلثيه، وإنما يوحي بتشكيلات رباعية الجوانب، وهذا ما دفع مترجمي المقطع عادة إلى ترجمة كلمة "إسفين" إلى مربع أو رتل[٢]. وقد وصف تاكيتوس لمعركة كريمونا الثانية سنة ٦٩م التي استخدم فيها جنود الفرق لتشكيلات الإسفين، لا يوحي بتشكيلات مثلثيه، لأن مصطلح "إسفين" استخدم هنا للجنود الذين لم يستطيعوا تشكيل خط معركة نظامي ممتد بسبب العائق مثل :الأشجار والكرمة وقنوات الساقية في الأرض الزراعية[٣].

لذلك يمكننا القول إن استخدام تاكيتوس للمصطلح (إسفين) يوحي بأنه يمكن إطلاقه عموماً على أي تشكيل عميق لكن مقدمته ضيقة. وتفسيراً لذلك نقول أنه أثناء تقدم الصفوف للالتحام ينهار تشكيلهم، لأن بعض الجنود يركضون أسرع من البعض الآخر، والتشكيل الأقل انضباطاً يسمح للجنود الذين لا يتمتعون بحماسة كافية بالبقاء في الخلف، وربما تشكيلات الإسفين التي قال تاكيتوس أنها شكلت خط معركة الباتافيين لم تكن مناورة متعمدة ، وإنما كانت نتيجة طبيعية لهذه العملية، حيث شكل الجنود الأسرع والأبسل الجبهة الضيقة، بينما غالبية المحاربين الأقل شجاعة بقوا في الخلف.

كان التكتيك المضاد لتشكيل الإسفين هو تشكيل فجوات في خط المعركة لتتسع وتستوعب الإسفين وتمنع الاختراق[٤]، وأطلق على هذه الفجوات اسم الكماشة (forfex)، وكانت الكماشة عبارةً: عن مجموعة من القوات الأكفاء المتشكّلين على هيئة حرف (V) يلتفّون حول الإسفين

---

[1] - Tacitus: Annals Vo. 14.37, Translated by John Jackson, LOEB Classical Library, 1937.

[2] - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.47.

[3] - Gilliver: op.cit, p.125.

[4] - Webster: op.cit, p.232.

من كلا الجانبين. ومتى ما تم تطويقه فإن هزيمته محتومة، و لكن فقط القوات الجيدة الانضباط والتي تملك ثقة كبيرة بنفسها تستطيع مواجهة الإسفين[١].

في وقتٍ لاحق كما يقول فيجيتيوس لقب الجنود الرومان الإسفين برأس الخنزير البري (coput porcinum)، ويصفه بأنه كان عند المقدمة أضيق منه عند المؤخرة، ويوحي الاسم الجديد للإسفين بأنه لم يتناقص تدريجياً ليشكل رأساً، وإنما يوحي إلى جبهة مسطحة مثل خطم الخنزير، ويضيف فيجيتيوس بأن هذا التشكيل سمح لأكبر عدد من القذائف بأن تطلق على نقطة محددة في خط معركة العدو، وأنه كان في الوقت نفسه عرضه لتشكيل هجوم مضاد يدعى الكماشة (forfex) الذي كان على شكل حرف (V).

أُنْجِزَ تشكيل الإسفين بواسطة رتلين متراصّين يتقدمان بشكل مائل حتى يلتقيا ويشكلا رأسه الذي يضرب خط معركة العدو في نقطة واحدة، ومتى ما يضربا الرتلان الملتقيان خط معركة العدو، يصبح باستطاعتهما الدوران للأمام مثل البوابات حول هذا المحور ليقاتلا كخط نظامي[٢]، وعندما تدور وتتسع هذه الأرتال يصبح العدو مقيداً في مواقع محددة، مما يجعل القتال يداً ليد صعباً، وهنا يعمل سيف الفرق القصير (gladius) عمله عندما يمسك به الجنود بشكل منخفض ويستخدمونه للطعن، بينما يصبح السيف السلتي الطويل مستحيلاً استخدامه ببراعة.

بالطبع سيكون لتشكيل الإسفين أثراً نفسياً على الجنود الواقعين في طريقه مباشرة، وسيكون الإسفين عرضه لوابل القذائف والتطويق، لكن من خلال وجهة نظري أن الإسفين سيكون عديم الفائدة وسيدمر بسهولة في حال لم تتقدم على جانبيه قوات دعم تمنع قوات الكماشة في خط العدو من الإطباق عليه، وكذلك يجب أن يغطى تقدم الإسفين بوابلٍ كبير من القذائف لمنع خط العدو من إطلاق قذائفه باتجاه الإسفين المتقدم، ويشير أيضاً فيجيتوس إلى استخدام الرومان تكتيك المنشار أو خط المعركة المسنن (serra proeliari)، حيث شكل هذا الخطُّ مجموعةً من الجنود المتمرسين الذين يصطفون خلف الصف الأمامي ويتجهزون للتقدم

---

(1) - Goldsworthy: The Roman Army at War (100 BC-AD 200), op.cit, p.206.

(2) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit.p. 48.

إلى نقطة يظهر فيها الضعف في خط معركتهم، أو يندفعون إلى الأمام في النقاط التي يترنح فيها العدو(١).

٢ – التشكيلات الدفاعية: عرف الرومان مجموعة من التشكيلات الدفاعية، من أهمها:

أ– تشكيل المربع المفرغ (orbis):

تعني كلمة أوربيس: عالمي أو دائري، لكن مثلها مثل كلمة إسفين عندما تطلق على تشكيل لا يكون بالضرورة هذا المصطلح حرفياً.

استخدم الرومان هذا التشكيل في الحالات الطارئة عندما يتم تطويق وحدة أو جيش بأكمله، ومن الواضح أن تصميم هذا التشكيل كان لدفاع الجيش من كافة الجوانب، لذلك إقترح بعض الباحثين المعاصرين بأن تشكيل الأوربيس كان شبيهاً بالمربع المفرغ الذي يشير إليه فيجيتيوس بعبارة (Acies quadrata)، أي خط المعركة رباعي الجوانب.

مهما كان شكل الأوربيس فإنه كان يسهّل عمليات التراجع الناجحة، أو يمكّن الجنود من الثبات لفترةٍ طويلة من الزمن في وجه قوات متفوقة عليهم في العدد والقوة (الشكل رقم ٨٦). في سنة ١٦م سار زعيم الباتافين وحليف روما شاريوفالدا (Chariovalda) من غير قصد بقواته إلى فخ نصبه له مقاتلو الشيروسي (Cherusci)، حيث تظاهروا بالتراجع عندما طاردهم شاريوفالدا واستدرجوه إلى أرض مقطوعة الشجر في غابة وطوقوه، أمر شاريوفالدا رجاله بتشكيل الأوربيس، لكن رغم ذلك عانى الباتافيون كثيراً من قذائف وهجمات الشيروسي المتكررة، وبعد ذلك أمر شاريوفالدا رجاله بشق طريقهم بين مقاتلي الشيروسي وهم في التشكيل استطاع الباتافيين كسر الطوق بشكل جزئي فقط،و لكن قتل شاريوفالدا والعديد من نبلائه، واستطاع بعض الباتافيين النجاة بعد أن وصلت قوة نجدة من الخيالة الرومان(٢).

---

(1) - Webster: op.cit,.p.232.

(2) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, pp.48-50.

ب- تشكيل درع السلحفاة (testudo):

استخدم الرومان هذا التشكيل في كلا معارك الحصار والمعارك الكبيرة لحماية جنودهم من وابل القذائف، ويمكن تشكيل درع السلحفاة بواسطة أي عدد من الجنود ابتداءً من عدد قليل من الجنود حتى جيش بأكمله كما حدث عندما تراجع مارك أنطوني من ميديا سنة ٣٦ق.م.

III	II	I
IV		V
VII		VI
X	IX	VIII

الشكل رقم (٨٦)
رسم توضيحي لكوهرتات الفرقة في تشكيل المربع المفرغ (orbis).

يرى ديو أن الغطاء المتشابك من التروس الذي يشكل درعاً كبيراً وملائماً كان قوياً كفاية، بحيث تعبر من فوقه عربة يجرها حصان واحد. وغالباً ما استخدم الرومان هذا التشكيل عندما تقدموا باتجاه تحصينات العدو، وعندما يصل درع السلحفاة إلى سور الأعداء يمكن إمالة أسفل التشكيل من خلال انحناء الجنود وتشكيل سلماً للهجوم على الحصن، أو على الأقل تنخفض المسافة إلى أعلى السور (الشكل رقم ٨٧). استخدمت الوحدات المساعدة الباتافية المتمردة هذا التكتيك عندما هاجمت معقل الفرقة فيترا (vetera) سنة٦٩م[1].

أيضاً أثناء أحد الحصارات في الحرب الأهلية سنة ٦٩م تعاظم يأس المدافعين من قدرتهم على كسر قوة درع السلحفاة بسهامٍ عادية وحجارة ألقوا بها من فوق السور لدرجة أنهم في النهاية ألقوا بأحد المنجنيقات الكبيرة على هذا التشكيل، وعند ذلك سحقوا التروس المتراصّة المشكلة للدرع وأوقعوا خسائر فادحة بالمهاجمين[2].

---

(1) - Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p.53.

(2) - Goldsworthy: the Complete Roman Army op.cit, p.194.

استخدم الرومان أيضاً تشكيل درع السلحفاة في معاركهم الكبرى، لأن تروس جنود الفرق الكبيرة أمنت دفاعاً فعّالاً ضد القذائف عندما يحملها هؤلاء الجنود أمامهم وفوق رؤوسهم أثناء تقدمهم للمعركة (الشكلين رقم ٨٨-٨٩)، إذ يقول ديو إن جنود سيفيروس فعلوا ذلك أثناء الحرب الأهلية في معركة (Issus) سنة ١٩٤م، ووصفها بالسلحفاة بالرغم من أن هذا التشكيل ليس نفس التشكيل في حرب الحصار[1]، وكذلك شكّل الجيش

الشكل رقم (٨٧)
رسم توضيحي لدرع السلحفاة الذي استخدمه الرومان في الحصار
المصدر:
Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 53.

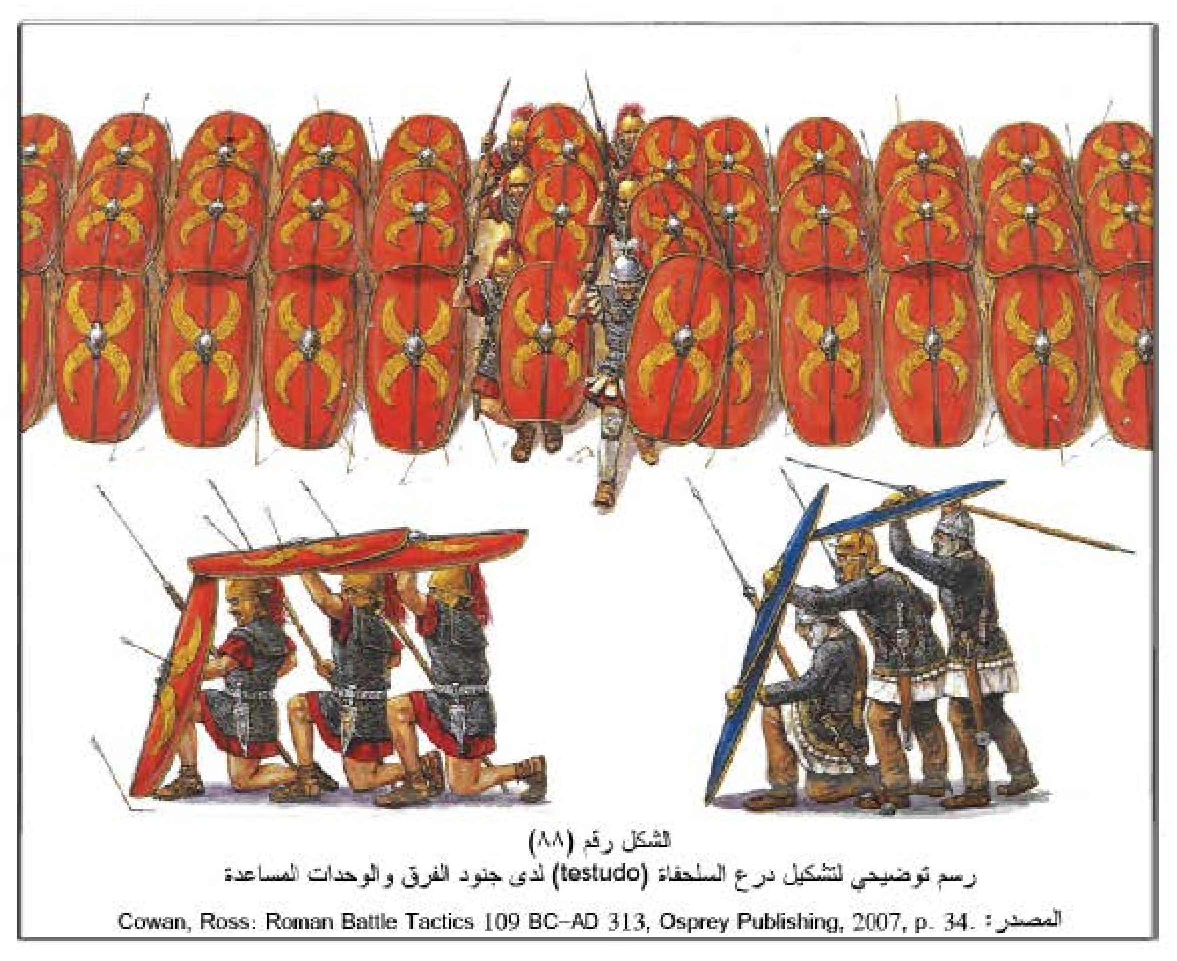
الروماني درع السلحفاة عندما كان الإمبراطور أورليان (Aurelian) يطارد القائد التدمري زبدة (Zabdas)، حيث وجد أورليان أن طريقه مسدودٌ بقوة كبيرة من التدمريين الذين كانوا يشغلون هضبة فوق ضاحية دفنة (Daphne) قرب أنطاكية سنة ٢٧٢م، وعندها أمر أورليان بتشكل درع السلحفاة والتقدم بشكل مستقيم باتجاه الهضبة والاستيلاء على الموقع،

استطاع الدرع صد كل الأسلحة والحجارة التي رميت عليه والوصول إلى الموقع، ولم يكن درع السلحفاة منيعاً كلياً بحيث لا يمكن تفكيكه، ولكن لا يتم ذلك إلا بواسطة من يعرف كيف يفعل ذلك وهم الجنود الرومان أنفسهم.

يقول تاكيتوس :

---

(1) - Gilliver: op.cit,.p.130.



الشكل رقم (٨٨)
رسم توضيحي لتشكيل درع السلحفاة (testudo) لدى جنود الفرق والوحدات المساعدة
المصدر: Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007, p. 34.

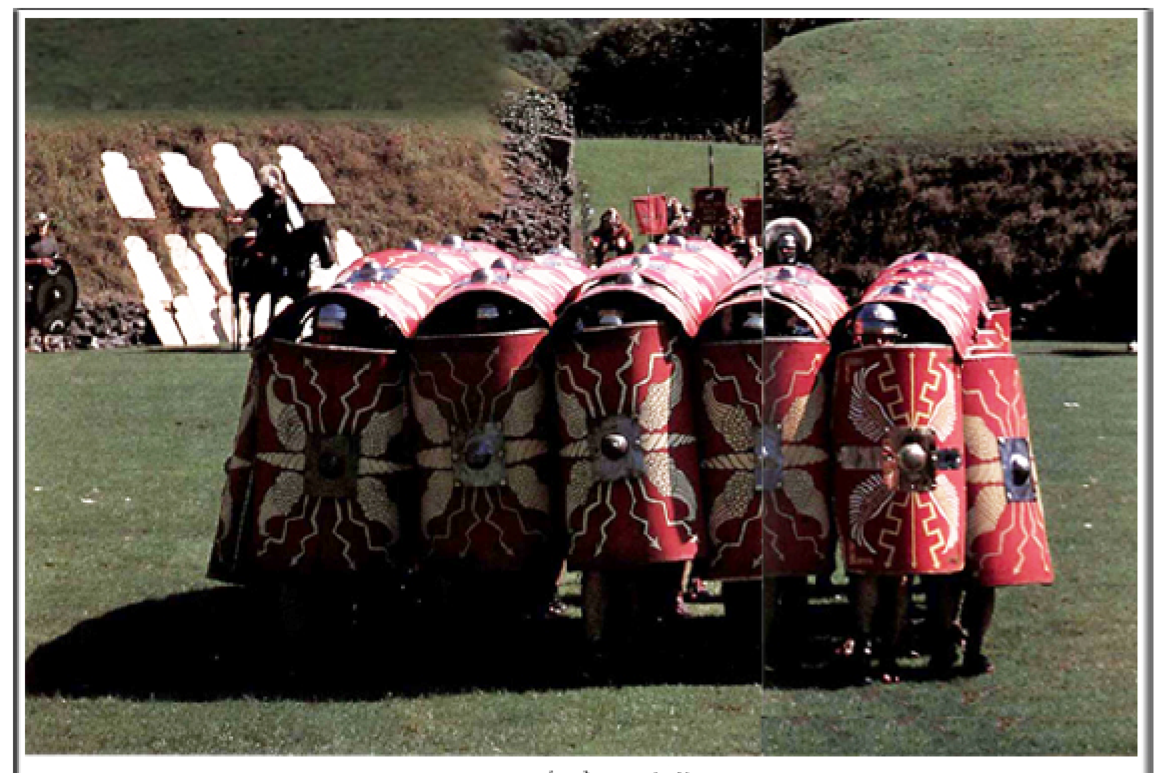
« بعد نصرهم العظيم في معركة كريمونا الثانية سنة ٦٩م تقدمت فرق فلافيوس باتجاه معسكر فيتيللوس مصممة على الاستيلاء عليه، فرفع جنود الفرقة الثالثة عشر جيمينا تروسهم فوق رؤوسهم وتقدموا باتجاه المتراس في تشكيل السلحفاة المتراص، واستخدم كلا الطرفين تكتيكات رومانية نموذجية، وقام فرقيوا فيتيللوس بدحرجة حجارة ثقيلة باتجاه الأسفل، وعندما فرقوا وأضعفوا التروس المتشابكة هجموا على الدرع بالرماح الطويلة إلى أن كسروا بنيانه المتراص، وقذفوا أعدائهم المفككين ورموهم على الأرض وقتلوهم عن آخرهم »[1].

ثالثاً: فن حرب الحصار الروماني:

اشتهر الرومان وأبدعوا في حرب الحصار، لأن القدرة على حصار الحصون والاستيلاء عليها – إما من خلال فرض حصار عليها، أو من خلال الهجوم العنيف – شكّل عاملاً جوهرياً لأية دولة في العالم القديم ترغب في إنشاء إمبراطورية وتبقى محافظة عليها، وبالرغم من أن جميع الدول في العالم القديم امتلكت أدوات حصار، إلا أنها لم تكن لديها

---

(1) - نقلاً عن Cowan: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, op.cit, p. 54.



الشكل رقم (٨٩)
رجال يمثلون طريقة تشكيل درع السلحفاة
المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson, 2003, p. 194,

المزايا التي تمكّنها من شن حصار ناجح ،لأن فن الحصار كان مكلفاً وقد يستغرق وقتاً طويلاً، إلا أن الرومان غالباً ما كانوا ناجحين في ذلك، واستطاعوا الإبقاء على جيوشهم في الشتاء (وهو ما يطلق عليه السكون النسبي للحصار) عندما يكون الحظر والمجاعة هو الهدف من الحصار.

لقد استطاع الرومان تحقيق النجاح في حرب الحصار من خلال توفّر القوات المختصة والمدربة خصيصاً على فنونه الهجوميّة، وساعد نظام الدعم اللوجستي وتحوُّل الجيش في أواخر الجمهورية إلى جيشٍ محترف على توفير جميع المواد الأولية اللازمة لإطعام الجيش ولصنع أدوات الحصار، وعلى وجود المهندسين العسكريين والمختصين في المجانيق والجنود الذين تم تدريبهم على حفر الخنادق وتحصين المواقع، أي ما نستطيع أن نطلق عليه الهندسة الميدانيه،على العموم مثّل تكتيك وفن الحصار الروماني عملاً جماعياً يشترك في تنفيذه عناصر الجيش المتنوعة المهام، وكان عمل كل عنصر من هذه العناصر مكملاً لعمل العنصر الآخر. لذلك سيحاول هذا الجزء من البحث تقديم صورة متكاملة عن فن الحصار الروماني ودور كل عنصر فيه.

١ – المهندسون العسكريون والاختصاصيون:

لعبت هــذه الفئة من الرجال دوراً جوهرياً في حروب الحصار الرومانية من خلال ما تقوم به من تصميم للجسور وللآلات اللازمة لنجاحه، ومن خلال دورها الكبير في الإشراف والعمل على هذه الآلات، وفي الواقع عندما يتحرك الجيش الروماني للقيام بحملة أو حصار حصن أو مدينة ما فإنّ أكثر ما يقف في طريق مسيره ويؤخره هو وعورة الطريق وثقل قافلة الحصار والإمداد اللوجستي، وفي معظم الأحيان لم يواجه الجيش الروماني تسهيلات عندما يمر في أرض الأعداء، ولذلك توجب عليه تعديل وتسوية الأرض التي يعبرها من خلال بناء الطرق والجسور والمعسكرات، لضمان أعلى درجة من السرعة والأمان لقواته، وكانت هذه المهام العوامل العديدة التي جلبت النجاح للجيش الروماني، ومن ثمَّ لم يؤدها الجيش بطريقة اعتباطية، وهنا من أجل التقدم بسرعة في أرض العدو، أصر القادة الرومان على امتلاك طرق جيدة وطاقم من الجنود المختصين في هذه الأشياء، وفي الواقع قام هؤلاء بقطع الأشجار عند عبورهم لغابة، وأزاحوا الصخور من الممرات الضيقة، وصرفوا المستنقات الصغيرة في السهول عند الضرورة، وقاموا بتسوية الأرض ووضعوا الإشارات لتوضيح وتبيين الطريق الواجب سلكه،(١) وبالإضافة إلى ذلك كل فرقة بجميع أنواع الأدوات وربما ببعض الأدوات الأساسية، لكي تستطيع صنع أو بناء أي نوع من الآليات العسكرية، أو التحصينات المؤقتة أو الدائمة، أو أي أعمال ميدانية أخرى يمكن أن تعترض طريق قافلة الحصار، ومن ثمَّ يمكن اعتبار الفرقة مجموعة من العمال المحترفين والفنيين الخبراء، الذين كان بإمكانهم تصنيع وبناء كل شيء بأنفسهم أو حصار موقع معاد يبدو للوهلة الأولى أنه لا يمكن اختراقه مثل معقل ماسادا (Masada) في فلسطين كما أنه بإمكان بناء جسر بسهولة.(٢)

---

(1) - Le Bohec: op. cit, pp.130-131

(2) - Marsden: Greek and Roman Artillery: "Historical Development", op.cit, pp.183-184

لقد كان من أبرز الأدوات التي حملتها قافلة الحصار هي المعول (dolabra) المصمم بدقة للاستعمالات المتنوعة، وكذلك قاذفات الحجارة والسهام، ولعبت هذه الأدوات دوراً بارزاً في الحصار كما يوضح ذلك السجلات التي تصف أشغال الحصار.

ونستطيع الاستنتاج من خلال ما تقدم أن الفرق الرومانية أصبحت تضم مختصين بالهندسة في مقراتها خلال الفترة الإمبراطورية، ومن ثم أصبحت قوات الفرق مشاة ومهندسين حربيين لهما هدف مزدوج، أي جنود يقاتلون في المعارك ومهندسين أو فنيين يستطيعون مسح قناة أو تصميم ميدان معركة، والأهم من هذا كله بناء أو دك الأسوار والتحصينات[١].

على العموم مثَّل عبور الأنهار مشكلة كبيرة للجيوش الرومانية التي كان أمامها ثلاثة حلول لتجاوز هذه المشكلة، الحل الأول تمثل في استدعاء الأسطول لنقل القوات إلى الطرف الآخر، في حين كان الحل الثاني صنع جسر من القوارب المربوطة معا، ووضع سطح منبسط فوقها، أما الحل الثالث فتمثل في بناء جسر دائم من الحجارة أو الخشب، و لكن الوسيلة الأفضل لعبور نهر ما هي الجسور العائمة المصنوعة من قوارب خفيفة، حيث كان الجيش دائماً يحمل عدداً من القوارب بالإضافة إلى الألواح الخشبية والمسامير لكي يستطيع صنع الجسر بسرعة كبيرة، وفي هذه الحالة يُنصح الفرسان بصنع أطواف صغيرة من القصب ليضعوا عليها كل أسلحتهم ودروعهم ثم يسبحوا عبر النهر مع أحصنتهم ساحبين الأطواف معهم،و يصف ديو بناء جسر عسكري أثناء الحملة على الشرق سنة ١٦٥ م بقيادة كاسيوس، ويتكلم ديو على عبور الفرات من خلال إرساء قوارب مسطحة القاع ضد التيار عند نقطة العبور، وعند الإشارة سمح لأحد القوارب بالانجراف مع التيار على طول الضفة التي يشغلها الرومان، ثم تم إرساء القارب برمي سلة مليئة بالحجارة ومربوطة بحبل إلى الماء، وبعد ذلك رُبط القارب بالضفة بواسطة جسر من الألواح الخشبية، وسُحبت القوارب التالية بنفس الطريقة إلى أن امتد الجسر عبر النهر، وجهز القارب الأخير ببرج وآلات قاذفة للحجارة لدفع العدو عند نقطة العبور، وبذلك تمكن الرومان من الاحتفاظ برأس الجسر[٢].

---

(1) - Luttwak: op.cit, pp. 40 – 41.

(2) - Webster, op.cit, pp.234-235.

لم يكن هناك فيلق خاص بالمهندسين ورجال المجانيق والمختصين الآخرين في الجيش الروماني، وإنما كان هؤلاء أعضاء في مئينات مفردة، وصنفوا مع ما أطلق عليهم مصطلح الاختصاصيين (immunes). وكان هؤلاء معفيين من الأعمال الشاقة والمتعبة، ومن واجبات الحرس والمهام الأخرى مثل تنظيف دورات المياه. وأول ذكر لهم يعود إلى منتصف القرن الثاني، لكن ربما يعود تاريخ وجودهم إلى فترة سابقة، ولم يتلقَ الاختصاصيون أجوراً إضافية، ولم يكن لهم رتبة، وإنما سمح لهم بتكريس وقتهم في مهامهم المحددة. وألّف رجل القانون تاروتينوس باتيرنوس (Tarrutienus Paternus) قائمة تضم الاختصاصيين في الفرق، وربما تم ذلك عندما عُيِّن قائداً للحرس الإمبراطوري (Praetorian Praefectus) أثناء حكم الإمبراطور ماركوس أوريليوس، وتضم القائمة طاقم العاملين الذين أدوا المهام والوجبات الهندسية وطاقم صانعي الأسلحة والدروع، وطاقم الموظفين الذين يحتفظون بسجلات الوحدات، وطاقم العاملين في المشافي ومساعدي الجراحين، وطاقم الذين يعتنون بحيوانات الفرقة، وأيضاً يصنف باتيرنوس في قائمته المسّاحين وحفّاري الخنادق الذين وجب عليهم تحديد مواقع المعسكرات والحصون، وكذلك الأشخاص الذين ينخرطون في أعمال البناء ونقل المواد مثل صانعي السقوف، وقاطعي الحجارة والخشب، وقصاصي المعادن والحدادين، وعمال الزجاج، وصانعوا أنابيب المياه والعربات ،وحارقي الكلس والفحم النباتي، كل هؤلاء يصنفهم في قائمته كمهندسين وفق المعايير المعاصرة[1].

إذاً تُقدّم لنا القائمة التي أوردها باتيرنوس دليلاً واضحاً على أن جنود الفرق كانوا بنائين ومهندسين بقدر ما كانوا مقاتلين محترفين، وتقدم لنا أيضاً دليلاً على أن العديد منهم امتلك خبرة مهنية، بينما امتلك آخرون مهارات فنية، كذلك تقدم لنا برهاناً واضحاً على أن الجيش الروماني سعى لأن يكون مكتفياً ذاتياً قدر الإمكان من خلال صنع كل ما يحتاجه ،ومن خلال بناء وصيانة الحصون والمنازل، والحمامات ، وقنوات جر المياه والطرقات والجسور.

بالرغم من كل ما قام به جنود الفرق من أعمال، إلا أنه في الواقع يعود الفضل الأول في بناء وتصميم الأعمال الجليلة التي أنشأها الرومان إلى عدد كبير من المهندسين

---

(1) - Southern, op.cit, pp.102-103.

المدنيين والعسكريين أمثال أبولودوروس الدمشقي (Apollodorus of Damascus)، حيث قام هؤلاء بتصميم وبناء عدد من الأبنية والمنشآت المدنية والعسكرية ،بالإضافة إلى إبداعهم في بناء الجسور وأدوات الحصار. لقدكان أبولودوروس الدمشقي مهندساً معمارياً ومبدعاً في صنع أدوات الحصار، وسمي بالدمشقي نظراً لكون دمشق موطنه الأصلي، وينسب إليه إقامة عمود تراجان سنة ١١٣م تخليداً لانتصار تراجان في حروبه على داسيا بين عامي ١٠١-١٠٦م، وكذلك ينسب إليه إقامة السوق الخاصة بالإمبراطور تراجان والمعروفة بـــ (Forum Trajani)، وهو الذي شيد (Basilica ulpia)، وكذلك معبد هدريان للآلهة فينوس وروما ،وقام بتشييد العديد من المباني الهامة والضخمة الأخرى ،ولكن انتهى به الأمر بغضب هدريان عليه، والذي حكم عليه بالموت سنة ١٢٩ م[١].

كتب أبوللودوروس الدمشقي كتاباً باللغة الإغريقية بعنوان "فن الحصار" (Polior KetiKa)، ووجهه إلى إمبراطور روماني لم يسميه، وربما كتب أبولودوروس الدمشقي كتابه خلال فترة حرب تراجان الثانية على داسيا بين عامي (١٠٥-١٠٦م)، حيث صمم أبولودوروس أثنائها جسر الدانوب الشهير لعبور قوات تراجان[٢]، والذي ما زالت أجزاء منه موجودة حتى الآن، وتشير هذه الأجزاء إلى أن هذا الجسر كان قسمه الأعلى مصنوعاً من الخشب[٣]، و يذكر أبولودوروس في كتابه أنه خدم قبلاً إلى جانب الإمبراطور تراجان، وربما يكون ذلك أثناء الحرب الداسية الأولى بين عامي (١٠١-١٠٢م)[٤]، وبالطبع استدعى تراجان المهندس أبولودوروس من أجل أن يكون مهندسه الخاص، حيث طلب منه الإمبراطور تصميم آلات حصار جديدة كما يذكر في كتابه الذي يحذِّر في قسمه الأول من أشياء تتدحرج من أعلى الهضاب، ويقترح الحلول اللازمة للتصدي لها، ويتكلم في القسم الثاني من كتابه عن

---

[١] – عبد المحسن قاسم، عبير: المرجع السابق، ص٢٢٨.

[2] - Campbell, Duncan: Greek and Roman siege Machinery, op.cit.p.36.

[٣] – عبد المحسن قاسم، عبير: المرجع السابق، ص٢٣٢.

[4] - Campbell, Duncan: Greek and Roman siege Machinery, op.cit .p.36

بناء برج الحصار، ويختم كتابه بوصفٍ للطوف ذو الشرفات الذي يستخدم لإطلاق القذائف أثناء الهجوم عبر الأنهار(١).

٢ – تكتيكات فن الحصار:

أظهر الرومان عبقريتهم العملية عند إدارتهم للحصار وامتازوا بالإصرار والصبر والاجتهاد لأنه غالباً ما كان الحصار عبارةً عن نزاع وسباق تحمّل بين براعة وتصميم كل من المهاجم والمدافع. شملت حرب الحصار كل عناصر المجتمع، لذلك يمكن لتكتيكات الرعب أن تكون فعّالة في مثل هذا النوع من الحروب، وحاجة الإمبراطورية الرومانية أيضاً إلى تلقين أعدائها دروساً، وخصوصاً المتردين المحليين داخل الإمبراطورية ، فرض على الإمبراطورية الرومانية أن لا تفك الحصار حتى يستسلم الأعداء أو يهزموا، ومع تفوق الرومان في حرب الحصار، إلا أن السمعة الحسنة في أي حرب تكمن في السرعة والمفاجئة في تنفيذ هذه الحرب ،وعلى اعتبار أن نجاح الحصار قد يستغرق فترات طويلة ،لذلك تشجع القادة الرومان على المخاطرة بالهجوم على الحصون والأهداف المحاصرة من أجل تحقيق عاملي السرعة والمفاجئة اللذان لعبا دوراً هاماً في هكذا حروب، لأن الحصون أو المدن التي لم تتوقع هجوم العدو، كانت أكثر عرضة من غيرها لأن تقع تحت الخطر قبل أن تكدّس المؤن وكانت عرضةً للهجوم في حال لم تحرس الأسوار بشكل جيد ،وقد يكون لسرعة تحرك الجيوش الرومانية دوراً هاماً في حرب الحصار ، وخصوصاً عندما يتحرك الجيش فوق أرضٍ ذات طبيعة تضاريسية قاسية في نوع من الحروب يكون للتأثير النفسي على العدو أهمية كبيرة ، فمثلاً: شكل عنصر سرعة بناء آلات الحصار والأعمال الميدانية تأثيراً نفسياً قوياً على الأعداء ، حيث ارتعب المدافعون عن القدس سنة ٧٠م من البناء السريع لسبعة كيلومترات من أشغال الحصار في ثلاثة أيام فقط. ولم يكن من عادة الرومان البدء بفرض حصار على هدفٍ ما قبل أن يحاولوا في البداية شن هجوم سريع لحظة وصولهم في محاولة منهم لتحقيق أفضلية على عدو غير متأهب، ولتحقيق نصر فوري وسريع(٢).

---

(1) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit .p.54.

(2) - Gilliver: op, cit.p.148.

اشتهر كوربولو قائد الإمبراطور نيرون بقوله: «كان المعول هو الأداة التي يقهر بها العدو» وبالرغم من أنه ينصح بدك حصون الأعداء بواسطة إشغال الحصار، إلا أن فن الحصار ذو النمط الفعّال لديه تمثّل في الهجوم العاصف والسريع، والذي ظهر واضحاً في هجومه على المدينة الأرمينية فولاندوم (Volandum) سنة ٥٨م حيث إنّه بعد أن أطلق الجنود وابلاً من القذائف المتنوعة أرسل كوربولو قوة خاصة تحت حماية درع السلحفاة لتقويض الأسوار والدفاعات عن طريق الحفر تحتها بالمعاول ، بينما نصبت قوة أخرى السلالم على الأسوار، ويقول تاكيتوس:

«كان الهجوم قوياً جداً» و« في ثلث اليوم تم إزاحة المدافعين عن الأسوار، وأزيلت المتاريس من عند البوابات، وتم تسلق الحصون والاستيلاء عليها، وتم قتل كل شخص بالغ »[١].

لقد قدمّت التغطية التي أمنّتها المجانيق ومطلقات السهام في الجيش الروماني أفضلية كبيرة على الأعداء، وهذا يعني أنه يمكن للهجوم السريع والعاصف تحت هذه التغطية أنْ يحقّق النجاح قبل البدء بأعمال الحصار الميدانية ونصب الآلات المختصة في هذا النوع من الحروب[٢]،أيضاً تظهر جاهزية واستعداد الجيوش الرومانية في الانقضاض على التحصينات من خلال الهجوم السريع مثلما حصل عند البلدات الآتية مثلاً (Japha) و (Gabara) و (Joppa) و(Gerasa) في فلسطين أثناء الحرب اليهودية بين عامي ٦٦ -٧٤م[٣]، وفي حال فشل الهجوم العاصف والسريع يبدأ الجيش الروماني بأشغال الحصار التي اتبعت نمطاً محدداً من الأحداث، حيث شكّل بناء معسكر للجنود الخطوة الأولى في هذه الأشغال. لقدكان لتشييد الرومان معسكراً مؤقتاً في نهاية مسير كل يوم أثناء الحملات أمراً روتينياً، وهكذا معسكرات مذكورة بشكل واضح في حصارات عديدة قام بها الرومان[٤]، مثل المعسكرات التي بنيت أثناء حصار ماسادا (Masada) في فلسطين سنة ٧٤م[٥].

---

(1) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, p.31. نقلاً عن

(2) - Gilliver: op.cit, p.148

(3) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, p.32.

(4) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op,cit, p.54.

(5) - Webster: op.cit, p.172.

تشير المصادر التاريخية أنه كان شائعاً إنشاء معسكرين في مواقع مكملة لبعضها البعض، وبذلك يتم ضمان تغطية مرئية كاملة للهدف المحاصر ،وغالباً ما تم نشر نقاط حراسة إضافية حول المعسكرات ، وفي العديد من الحالات رُبطت هذه المعسكرات ونقاط الحراسة بحاجز متواصل (سور)، وكانت تحفر الخنادق حول المعسكرات كتلك المستخدمة في معسكرات المسير لتأمين ملاذ آمن للجنود في حال شن المدافعون هجوماً، أو في حال تعرض المهاجمين لهجوم من قبل قوات نجدة للمدافعين داخل الحصن أو المدينة المحاصرة.

لقدعمل الرومان على توفير الاتصالات بين المعسكرات وأبراج المراقبة من خلال تموضع المعسكرات في أمكنة تكون فيها مرئية لبعضها البعض ، وعندما لا يكون هناك أبراج مراقبة توجب على القائد الذي يشن هجوماً أن يتواجد معه رُسل لنقل توجيهاته إلى المناطق الأخرى من الهجوم[١].

تمثّلت الخطوة الثانية في فن الحصار الروماني بفرض عزلة تامة على المدينة المحاصرة، وكان الهدف من ذلك تجويع المدافعين وإخضاعهم، وتمت عملية التطويق هذه بتشييد خط من الخنادق الحصينة تعرف بالسور المحيطي[٢]، والذي كان يحفر وينصب حول الهدف في منطقة الأمان، وهي المنطقة :التي تقع خارج نطاق أسلحة المدافعين، وكان للحاجز المحيطي وظيفتان هما: منع الدخول والخروج أو الاقتراب من الهدف، وتزويد المهاجمين بوقاء ضد الهجمات المفاجئة التي يشنها المدافعين من داخل المدينة[٣]. إذْ نجد أنّ تيتوس قد أمر رجاله أثناء حصار القدس سنة ٧٠م ببناء سور طوله سبعة كيلومترات لتطويق المدينة، بالإضافة إلى بناء ثلاثة عشر حصناً. يقول يوسيفوس: « تم بناء كل شيء في ثلاثة أيام »، «لانجاز عمل يحتاج إلى شهور، لقد كانت السرعة لا تصدق ». وأثناء حصار ماسادا (Masada) أمر القائد الروماني (Flavius. L. Silva) جنوده بإنشاء حاميات في المناطق الأكثر ملائمة، و بنى

---

(1) - Gilliver: op.cit, pp.150-151.

(2) -Nelson, Eric: The Complete Idiot's Guide to the Roman Empire, Alpha Publishing, 2002, p.169.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op. cit, p.54.

سوراً بلغ طوله أربعة كيلومترات ونصف في حلقة حول ماسادا بأكملها لكي يصبح من الصعب على المحاصرين الهرب، ووزع الرجال للحراسة والمراقبة[١].

بعد انتهاء عملية التطويق يبدأ الرومان فوراً بالهجوم الجدي، وهنا يأتي دور المهندسين المختصين في الجيش الروماني لإظهار إبداعهم في تصميم الآلات المناسبة للحصار، والذين توجب عليهم أيضاً نشر وتوزيع المجانيق ومطلقات السهام نشراً ملائماً وتخصيص رجال مهرة للعمل عليها من أجل ضمان دقة التصويب، حيث كانت وظيفتها بالإضافة إلى الرماة والنبّالة تأمين التغطية للمهاجمين أو للعمليات أخرى ضمن المدى الذي تصل إليه قذائف المدافعين. وكان باستطاعة قاذفات الحجارة إلحاق الضرر بالأسوار، وفي الواقع نادراً ما كانت قادرة على اختراق الأسوار القوية، لكنها كانت قادرة على قذف الحجارة من فوق الأسوار مسببة الذعر والموت للمدنيين والجنود على حد سواء. أما العقارب المطلقة للسهام القصيرة، فكانت تتميز بسرعتها ودقة تصويبها على المدافعين فوق الأسوار، لذلك يمكن اعتبار قاذفات الحجارة ومطلقات السهام التي استخدمها الرومان سلاحاً مضاداً للأفراد بالدرجة الأولى[٢].

لقد توجب على المهندسين الرومان ابتكار أساليب وطرق جديدة لاختراق الأسوار لأنّ أسوار الهدف المحاصر شكلت العائق الرئيسي أمام المهاجمين، ولأن المجانيق ومطلقات السهام كانت سلاحاً مضاداً للأفراد وغير قادرة على اختراق الأسوار القوية، فكان في مقدمة هذه الأساليب الرابية الترابية (agger) التي ميزت فن الحصار الروماني عن بقية فنون الحصار الأخرى عند الدول السابقة للرومان، وفي الحقيقة ساعد استخدام الرومان للرابية في أشغال الحصار على الاقتصاد في حجم أبراج الحصار، حيث لم يعد هناك حاجة لاستخدام أبراج الحصار المقدونية العملاقة التي فضلها المهندسون الهلنستيون لإرعاب خصومهم[٣]،

---

[1] - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, pp.41, 43. نقلاً عن

[2] - Gilliver: op.cit .p.151.

[3] - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p.43.

وساعدت الرابية على ملئ الخنادق والتضاريس المتنوعة حول الهدف المحاصر لكي تسمح للأدوات الثقيلة بالاقتراب من أسفل السور[١].

يتم البدء في بناء الرابية على بعد مسافة لا بأس بها من سور الهدف المحاصر، وتقترب وتعلوا تدريجياً من السور حتى تصبح على مستواه، واقتضى بناء الرابية تكديس أطنان من المواد، لذلك يبدو أن الرومان استخدموا جميع أنواع المواد في بناء الروابي مثل: التراب والدبش والخشب .....الخ ، لقداحتاجت الروابي الكبيرة إلى دعم أطرافها بالخشب حتى لا تنهار[٢]، وتم تأكيد وجود الخشب في الروابي من خلال الحالات العديدة التي حاول فيها المدافعون إضرام النار فيها عند جوتاباتا والقدس، وتم العثور على قطع من الخشب في الرابية عند ماسادا،.لقد تنوع تصميم روابي الحصار حسب المظاهر التضاريسية التي تحيط بالحصن أو البلدة المحاصرة ،فمثلاً: سعى فيسبسيان عند جوتاباتا (Jotapata) في فلسطين إلى رفع الرابية حتى تصل إلى شرفات الحصون، بينما استدعت تضاريس الأرض عند جمالا (Gamala) في فلسطين مفهوماً مختلفاً، حيث كانت الرابية عبارة :عن تسوية الأرض لكي تساعد الآلات الثقيلة من التقدم إلى الأسوار ،أما عند ماسادا (Masada) في فلسطين وكريمنا (Cremna) في جنوب غرب تركيا، فإننا نجد أن تضاريس المنطقة فرضت على الرومان أن تكون روابي الحصار بنى هائلة ،حيث وصل ارتفاع الرابية عند ماسادا إلى تسعين متراً، وعند كريمنا توقفت تحت مسافة عشرين متراً من نهاية السور، وعرضها الكبير لا بد أن يكون سببه إلقاء التراب والحجارة في الوادي المقابل للمدينة[٣].

يأمل المدافع طيلة فترة الحصار بإعاقة تقدم أعمال الرابية، لذلك شنت الهجمات لمنع مجموعات المهاجمين التي تعمل على بناء الرابية من تأدية مهامهم ، وكذلك لتدمير وإحراق ما كانوا قد أنجزوه، وبعد الانتهاء من بناء الرابية تتقدم آلات الحصار الضخمة المتمثلة في الأبراج والكباش، حيث بقي الكبش (Aries) أحد أكثر الأسلحة فاعلية وقدرة على فتح ثغرة

---

(1) - Webster: op.cit, p.240.

(2) - Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery, op.cit, p.35.

(3) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, pp.42, 52.

في أسوار العدو[١]، وحالما يصل الكبش إلى السور تصبح مسألة فتح ثغرة في السور مجرد مسألة وقت، لذلك بذلت جهود متواصلة لإحراق هذه الآلات، أو لإبطال مفعولها من خلال تحطيمها، فمثلاً أثناء حصار جوتاباتا سنة ٦٧م استطاع المتمردون إسقاط جلمود صخري ضخم على رأس أحد الأكباش فتم كسره ،وفي الحقيقة غطيت أبراج الحصار والكبش بجلود وصفائح حديدية لحمايتها من النيران[٢].

لقدكان البديل الآخر لاختراق الأسوار هو تسلقها، والذي اقتضى وضع سلالم على السور وتسلقها. تطلبت هذه الطريقة تقديراً حذراً ،لأنه كان ضرورياً التأكد من أن السلالم طويلة كفاية للوصول إلى أعلى الأسوار، ولأن الجنود الذين يتسلقون السلالم يتعرضون لكافة أنواع القذائف، فمثلاً حاول الرومان تسلق أسوار جوتاباتا بعد فشلهم في دخول المدينة من خلال الفتحة التي أحدثها الكبش في أسوار المدينة ،لكن المدافعون اليهود أوقفوا هذه الخطة من خلال سكب الزيت الحارق على المتسلقين، وكذلك سكبوا نبات الحلبة المغلي على السلالم الخشبية التي كان يستخدمها الرومان في محاولتهم لتسلق السور، مما أدى إلى جعلها زلقة وغير قابلة للاستعمال[٣]، حتى ولو استطاع الجنود تسلق السور عن طريق السلالم فإنه يمكن هزيمتهم بسهولة، لأن تسلق المزيد من الرجال لدعمهم استغرق وقتاً، ولنفس السبب كان التراجع صعباً جداً وقادة هكذا محاولة كانوا يقتلون جميعهم في حال فشلت هذه المحاولة، لذلك كانت أبراج الحصار هي الطريقة الأكثر فاعلية لاختراق أسوار الحصون أو المدن المحاصرة، والتي كان بإمكانها إرساء جسر على شرفات الأسوار والسماح للرجال بالعبور إليها تحت الغطاء الذي تؤمنه المجانيق ومطلقات السهام المتواجدة في أعلى البرج[٤]، وهذا حصل أيضاً عند جوتاباتا، حيث أنه بعد فشل محاولة تسلق الأسوار بالسلالم أمر فيسبسيان رجاله برفع روابي الحصار، وبنصب ثلاثة أبراج مغطاة بالحديد بلغ ارتفاع كل واحد حوالي ١٤.٨م، واحتوت هذه الأبراج على مجانيق مطلقة للحجارة مع طاقمها، في حين أن مطلقي الرماح والرماة والنبّالة استطاعوا

---

(1) - Nelson, Eric: op.cit, p.169.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.195.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op,cit, p.56.

(4) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.195-196.

بفضل مكانهم العالي أكثر من الأسوار من إمطار البلدة بالقذائف التي أصابت وسقطت على رؤوس المدافعين المتواجدين على شرفات السور، والذين أصبحوا الآن من غير حماية بسبب مكانهم المنخفض بالنسبة إلى رجال القذائف الرومان المتواجدين على الأبراج[١].

اتبع الرومان طريقة أخرى في اختراق الأسوار تمثلت بحفر أنفاق أسفل الأسوار، أو بحفر أنفاق تؤدي إلى داخل الهدف المحاصر ،حيث استطاعت مجموعات من الرجال تحت حماية أبراج الحصار والسقائف من العمل أسفل السور إما لصنع فتحة في السور، أو للحفر أسفله، حيث كانت عادةً حفر الأنفاق تحت الدفاعات شائعة في حروب الحصار ،وكان الهدف منها إضعاف الأسوار والأبراج عند الأساسات لكي تنهار، أو حتى تتمكن قوة من اختراق الدفاعات والظهور داخل الحصن[٢]، حيث كان المهاجم يحفر الأنفاق تحت أسوار المدافعين، ثم يقوم بملء هذه الأنفاق بالمواد المشتعلة لكي يتم إحراق الدعامات الخشبية التي تثبّت النفق وهو ما يؤدي إلى انهيار النفق وسقوط السور أو البرج.

ومن أجل مواجهة هذه الأعمال حفر المدافعون أنفاقاً مضادة، وكانوا يحددون مسار أنفاق المهاجمين من خلال الصوت والاهتزاز، ويمكن استخدام الأنفاق المضادة إما لهدم أسوار المهاجمين وأعمالهم الأخرى مثل الروابي وأبراج الحصار، أو لوصلها مع أنفاق المهاجمين والهجوم على الذين يحفرونها[٣]، فعلى سبيل المثال اكتشف فريق أثري من أمريكا وفرنسا سنة ١٩٣٠م في دورا يوروبوس التي حاصرها الفرس سنة ٢٥٦م نفقاً فارسياً (النفق رقم ١) يبلغ عرضه ١.٢٠م وارتفاعه ١.٧٥م ، ويمر هذا النفق أسفل زاوية البرج رقم (١٩) ويستدير ليمر أسفل سور البلدة بطول يبلغ نحو خمسة عشر متراً. لا بد أن حفاري الأنفاق الفرس دعموا عملهم بدعامات كلما تقدموا بالحفر، حيث وقف البرج والسور الرومانيين على عوارض خشبية وليس على الصخر القاسي، ثم تم إضرام النار في هذه العوارض لهدم التحصينات، وعلى ما يبدو أن الرومان تنبهوا إلى عمليات الحفر من خلال صوت المعاول أو من خلال منظر الأنقاض المتراكم ،لذلك قاموا بحفر نفق مضاد هادفين إحباط الخطة الفارسية

---

(1) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p. 56.

(2) - Webster: op.cit, p. 241.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p. 195.

،وعند إضرام النار في دعائم النفق دب الرعب في قلوب الفرس عندما وجدوا أن البرج ما زال قائماً ،وربما يعود ذلك إلى الإجراءات التي اتخذها الرومان داخل النفق للحيلولة دون سقوط البرج(١).

أيّاً كانت الطريقة التي استخدمها المهاجمون الرومان في الهجوم على حصن أو مدينة، فإنه في النهاية توجب على مجموعة الانقضاض تسلق الأسوار حاملين سيوفهم بأيديهم؛ لذلك كانت الخسائر كبيرة جداً، وخصوصاً بين الرجال الشجعان الذين ترأسوا الهجوم، وفي النهاية عند استيلاء الجيش على أيّ معقل أو مدينة، فإن السكان سواء أكانوا مدنيين أم جنوداً تعرضوا للقتل والنهب الوحشي، حيث يقول بوليبوس أن الرومان سببوا عمداً الكثير من الدمار بقدر ما استطاعوا، ولقد تطور هذا التقليد ليأخذ شكل قانون سمح للمدافعين بالاستسلام وفق شروط ملائمة ومقبولة في حال استسلموا قبل أن يلمس الكبش الروماني أسوارهم، وإلا لن يرحمهم الرومان بعد ذلك. وعادةً ما قتل الرومان الذكور واغتصبوا النساء، وفي ظروف استثنائية قتلت النساء في ثورة التدمير الأولى، وبعد أن يهدأ انفعال الرومان يؤخذ الأسرى ليباعوا عبيدا، ومع ذلك كان أي أسير يعتبر ذو قيمة مادية متدنية يُقتل مثل الأسرى الكبار في السن، وكانت عملية التدمير والسرقة منظمة لأنّ الجيش الروماني بعد انتهاء الحصار يوّزع غنائمه على جنوده بالتساوي(٢).

٣- حصار جوتاباتا (Jotapata):

يــرى الدارســون المعاصرون أن فتــرة الحرب الرومانية اليهودية الأولى (٦٦-٧٤م) تمثل ذروة حروب الحصار القديمة، وتظهر خلال هذه الفترة قدرة وفاعلية الجيش الروماني في هذا النوع من الحروب، حيث توضح التقارير المفصلة لعمليات أكثر إحكاماً وتخطيطاً عند جوتاباتا (Jotapata) وجمالا(Gamala) والقدس بالإضافة إلى البقايا الأثرية المذهلة عند ماسادا (Masada) (٣).

---

(1) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, pp.47-48.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.196-197.

(3) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, pp.32-43.

وقع حصار جوتاباتا أثناء الحرب الرومانية اليهودية الأولى (٦٦-٧٤م)، والتي يطلق عليها أحياناً اسم الثورة الكبرى، وكانت الثورة الأولى بين ثلاث ثورات أشعلها اليهود في إقليم اليهودية (Judaea) في فلسطين ضد الحكم الروماني، وحدثت الثورة اليهودية الثانية بين عامي (١١٥-١١٧م)، أما الثورة الثالثة فكانت بين عامي (١٣٢-١٣٥م)، وكما يقول يوسيفوس اندلعت الثورة اليهودية الأولى في قيصيرية بسبب التوترات الإغريقية-اليهودية، وبلغت هذه التوترات ذروتها إثر ذبح الإغريق للطيور كقرابين امام كنيس يهودي دون تدخل من الحامية الرومانية ومما أزكى هذه الثورة أيضاً الضرائب التي فرضها الرومان على اليهود[١]، ونتيجةً لذلك عمت الثورة سنة ٦٦م فلسطين بأكملها، فاندلعت حرب أهلية بين اليهود من طرف والطوائف الأخرى من طرف آخر، وفي هذا الوقت وصل كسيتيوس غالوس (Cestius Gallus) حاكم سورية على رأس جيش مؤلف من الفرقة الثانية عشرة فولميناتا (X II Fulminata) ومجموعة من الوحدات المساعدة إلى فلسطين ليخضع الثورة اليهودية المندلعة فيها، لكنه اضطر إلى التراجع لعدم قدرته على الدفاع عن جانبي ومؤخرة جيشه والهجوم على الثائرين في القدس وتحقيق الأمن في الإقليم في آن واحد[٢]، لكنّ تراجعه تحول إلى هزيمة بعد أن وقعت قواته في كمين وهُزمت عند منطقة بيت هورون (Beth Horon) في شمال غرب القدس مما سبب الصدمة للقيادة الرومانية[٣].

عيّنَ الإمبراطور نيرون القائد فيسبسيان حاكماً على سورية بدلاً من غالوس وأوكل إليه قمع التمرد اليهودي، ووصل فيسبسيان إلى إنطاكية سنة ٦٧م حيث تسلم قيادة الفرقة الخامسة مقدونية (V Macedonica) والفرقة العاشرة فرتنسيس (X Fretensis)، وكان ابنه تيتوس قادماً من مصر إلى فلسـطين على رأس الفرقـة الخامسة عشرة أبوليناريس (XV Apollinaris)، (٤) وعندما وصل فيسبسيان إلى فلسطين سنة ٦٧م انضم إليه ابنه تيتوس بالإضافة إلى جيوش الحلفاء المحليين المتعددين بما في ذلك جيش الملك اليهودي أغريبا الثاني

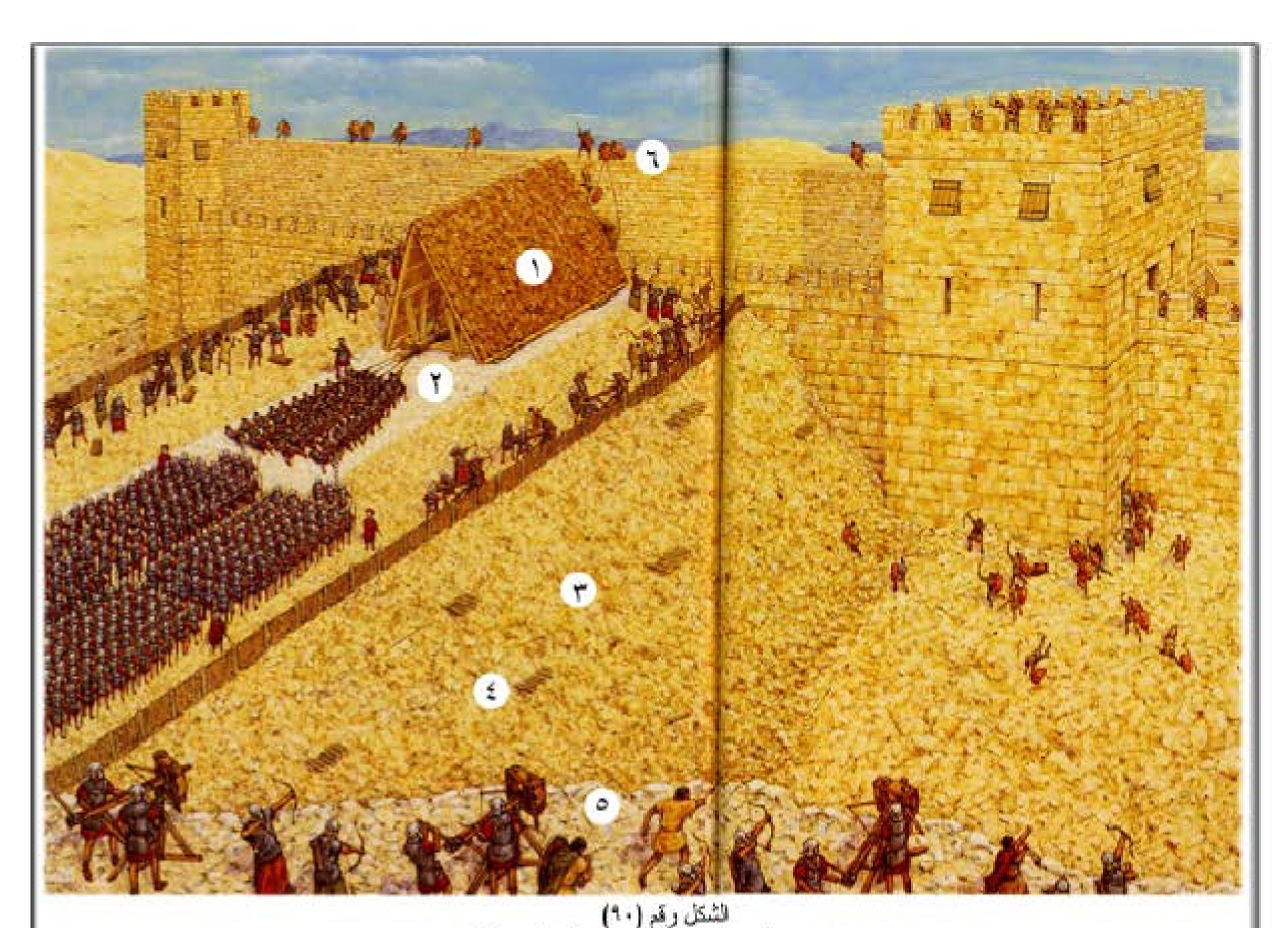
---

(1) - www.en.wikipeda.org/wiki/First Jewish-Roman war.

(٢) – رستم ، أسد : المرجع السابق ،ص٢١٨.

(3) - www.en.wikipeda.org/wiki/Firstjewish-Roman war.

٣- رستم ، اسد : المرجع السابق ،ص٢٢٠.



الشكل رقم (٩٠)

رسم توضيحي لحصار جوتاباتا في فلسطين في عام ٦٧م

١- سلحفاة أو درع الكبش ٢- طريقة عمل الكبش ٣- رابية الحصار التي بناها الرومان ٤- أخشاب لدعم الرابية عند الأطراف ٥- جنود رومان يؤمنون التغطية للرجال الذين يعملون على تشغيل الكبش ٦- مدافعين يهود يحاولون إبطال مفعول الكبش بإنزال أكياس من القش لتحول بين رأسه والجدار

المصدر: Campbell, Duncan: Siege warfare in the Roman world 146 BC-AD 378, Osprey Publishing, 2005, p. 36, 37

(Agrippa II) المؤيد للرومان، فنشر فيسبسيان أكثر من ستين ألف جندي في فلسطين، وبدأت العمليات بإخضاع الجليل واستسلمت العديد من البلدات بدون قتال بالرغم من مقاومة بعضها الآخر مثل جوتاباتا[١] الواقعة في الجليل على هضبة قريبة من خليج حيفا، ولا يوجد الآن بقايا شاهدة على الحصار الروماني لها لأن حجارتها أعيد استخدامها في البناء[٢]. ويصف يوسيفوس موقع جوتاباتا قائلاً: « جاثمة على جرف شديد الانحدار ، ومعزولة من ثلاث جوانب بأودية ضيقة وشديدة العمق»، وكان السبيل الوحيد للدخول إلى جوتاباتا هو من جهة الشمال، حيث بنى اليهود سوراً لمنع ذلك، وهنا بنى فيسبسيان معسكره في بداية سنة ٦٧م[٣] (الشكل رقم ٩٠).

---

(1) - www.en.wikipeda.org/wiki/First-Jewish-Roman War.

(2) - Webster: op.cit, p.252.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op,cit, p.54. نقلاً عن

كان المدافعون اليهود عن جوتاباتا تحت قيادة يوسف بن متياس، والذي أصبح يعرف فيما بعد بيوسيفوس مؤرخ اليهود الشهير[١]، وتلا بناء الرومان لمعسكرهم عدة أيام شنوا خلالها مجموعة من الهجمات ، لكن اليهود استطاعوا مقاومتها وردوها على أعقابها، ولذلك قرر فيسبسيان بناء رابية بارتفاع أسوار البلدة المحاصرة، وكان الهدف من بناءها هو مساعدة وتمكين جنود الفرق من الهجوم عبر شرفات الحصن[٢]، لكن المدافعون أعاقوا الجنود الرومان الذين يعملون على بناء الرابية من خلال رميهم بحجارة كبيرة وقذائف السهام بالرغم من أن الجنود الرومان كانوا محميين بالسقائف (Vineae) وأغطية أخرى ، لذلك نصب فيسبسيان حوالي مئة وستين آلة مطلقة للسهام والحجارة لتعمل على إزاحة المدافعين من أعلى أسوار البلدة المحاصرة، وبعد إزاحة العدو من على شرفات الأسوار التي تُطلق منها القذائف، شنّ المدافعون اليهود مجموعةً من الهجمات خارج البلدة واستطاعوا تدمير السقائف والأغطية الرومانية، لكن مع ذلك استمر الرومان في بناء الرابية[٣] .

قرر يوسيفوس زيادة ارتفاع سور البلدة عند نقطة بناء الرابية نتيجة استمرار الرومان في بنائها، وحقق ذلك من خلال تعليق ستارٍ مصنوع من الجلد الخام (لثيران ذُبحت حديثاً) على طول قمة سور البلدة لحماية العمال الذين يقومون بزيادة ارتفاع السور، واستطاعت هذه الجلود إبطال مفعول القذائف الرومانية الملتهبة وغير الملتهبة لكون هذه الجلود رطبة، لقدكان لدى المدافعين اليهود الكثير من الحبوب، لكن لم يكن لديهم إلا القليل من الماء، ولذلك أمر يوسيفوس توزيع الماء في حصص منذ بداية الحصار، وذلك من أجل التقنين وتوفير الماء أطول فترة ممكنة، وتشجع الرومان عند علمهم بنقص الماء لدى اليهود معتقدين أن الحصار كان على أوشك الانتهاء، لكنّ اليهود قاموا بحيلةٍ أذهلوا بها الرومان، حيث قاموا بغسل ثيابهم بمائهم الثمين وعلّقوا هذه الثياب على أسوار وشرفات الحصن حتى جرى الماء على الأسوار، وعند ذلك إعتقد الرومان أن اليهود لديهم مصدر ماء سري[٤].

---

[١] – رستم، اسد : المرجع السابق ،ص ٢١٩.

[2] - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, p.32.

[3] - Webster: op.cit, .p.252.

[4] - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op, cit, .p.55.

وفي هذه اللحظة قرر يوسيفوس مغادرة البلدة معتقداً أن هذا سيبعد الرومان ، لكن سكان جوتاباتا (Jotapata) توسلوا إليه أن لا يغادر، وعند ذلك قرر يوسيفوس البقاء ونظم العديد من الهجمات ضد الرومان مسبباً لهم الخسائر الكبيرة،لقد رد الرومان على هذه الهجمات بآلاتهم الضخمة واستدعى فيسبسيان النبّالة والرماة العرب والسوريون ، لكن هذا لم يزد اليهود إلا إصراراً على المقاومة[١].

يقول يوسيفوس الذي كان حاضراً كقائد مدافع عن جوتاباتا: إن فيسبسيان عندها أحضر الكبش تحت غطاء من وابل القذائف إلى أسفل أسوار المدينة، وعند الضربة الأولى تزعزع السور وانطلقت صرخات قوية داخل الحصن كما لو أن الرومان استولوا على البلدة[٢]، وحاول يوسيفوس التصدي للكبش من خلال وضع القش والتبن في أكياس وإنزالها على السور إلى مكان ضربات الكبش لإضعاف ضرباته، وفي كل مرةٍ نقل فيها الرومان كبشهم إلى نقطة جديدة قام المدافعين بالمثل بنقل أكياس القش، لكن الرومان استطاعوا في النهاية قطع حبال الأكياس واستمروا بضرب سور البلدة، وفي الواقع نتيجةً لذلك انطلقت ثلاث مجموعات من اليهود المتمردين من داخل البلدة عبر بواباتها إلى خارج الأسوار متسلحين بالخشب الممزوج مع القار والزفت وأضرموا النار في الكبش ،وأثناء ذلك استطاع رجل يهودي مشهور بقوته برمي حجر ضخمٍ من فوق السور على الكبش فكسر رأسه الحديدية ، وأشعل اليهود العديد من الآلات الأخرى قبل أن يستطيع الرومان الرد بفاعلية على هجماتهم، لكن ذلك لم يمنع الرومان من نصب الكبش مرة ثانية والعودة إلى ضرب السور، ويصف تاكيتوس مصادفةً الإمبراطور المستقبلي كوريث كفء يقود جنوده من المقدمة، ويكون قدوة لرفاقه الجنود[٣].

أصيب فيسبسيان بسهم في قدمه أثناء قيادته لجنوده، مما أغضب جنوده وازداد غيظهم على اليهود واندفعوا إلى تجديد هجومهم على البلدة طوال الليل من خلال قذف الحجارة الكبيرة والقذائف الأخرى التي جلبت الخراب والدمار على رؤوس اليهود المحاصرين، ومع استمرار ضرب سور البلدة بالكبش طوال الليل استسلم لضرباته عند حلول الصباح، وبعد فتح

---

(1) - Webster: op.cit, .p.253.

(2) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, .p.32.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op, cit, p.56.

ثغرة في أسوار البلدة نفخ الرومان في الأبواق وصرخ الجيش صرخةً رهيبة وانطلقت سهامهم بسرعةٍ وغزارة كبيرة جداً باتجاه الفتحة ،ومع ذلك سد رجال يوسيفوس آذانهم لكي لا يسمعوا الأصوات العالية والمرعبة، وغطوا أجسادهم في وجه السهام، وعندما توقف الجنود الرومان لإعادة ملئ أقواسهم إندفع اليهود بسرعة وهجموا على الرومان من خلال الفتحة التي أحدثها الكبش الروماني ،وتبع ذلك الهجوم قتالاً شديداً وعنيفاً ، حيث حاول الرومان في هذه اللحظة تسلق الجزء السليم من السور،واصطف الجنود الرومان جنباً إلى جنب محتمين بتروسهم التي لا يمكن اختراقها بسهولة، لكنّ يوسيفوس أمر جنوده بسكب الزيت المغلي عليهم ،مما أدى إلى حرقهم ،ولأن الجنود الرومان كانوا مقيدين في خوذهم ودروعهم الصدرية الحديدية لم يستطيعوا التخلص من الزيت المغلي، واتبع اليهود ذلك بصب نبات الحلبة المغلي على الألواح الخشبية والسلالم التي كان يستخدمها الرومان لتسلق الأسوار، مما جعلها زلقةً جداً ولم يستطيع الجنود الرومان الوقوف بثباتٍ عليها فتراجعوا وتخلوا عن الهجوم[١].

لم يبقَ أمام فيسبسيان بعد فشل الهجوم من خيار سوى زيادة قوة الهجوم ومداه، لذلك قام ببناء ثلاث أبراج حصار مغطاة بالحديد بلغ ارتفاع كل واحد منها خمسة عشر متراً، وكان الهدف من ذلك الإطلال على شرفات الأسوار، بينما تم زيادة ارتفاع الرابية الترابية في الوقت نفسه[٢]، واحتوى كل برج على منجنيق (بالستا) وطاقمه، في حين أنه زود كل برج بمطلقي الرماح والرماة والنبّالة الذين استطاعوا بفضل مكانهم العالي من إمطار البلدة بالقذائف التي أصابت المدافعين اليهود على الأسوار، لأنهم أصبحوا الآن من غير حماية[٣].

وفي النهاية يقول يوسيفوس: « في اليوم السابع والأربعون ارتفعت الرابية الرومانية أعلى من الأسوار »[٤]، وفي اليوم السابع والأربعين أتى جندي يهوديّ من البلدة المحاصرة إلى فيسبسيان وأخبره أن الرجال الباقين في البلدة قليلون وضعفاء ،وأخبره أيضاً أن اليهود عادة ينامون في

---

(1) - Webster: op.cit, p.253.

(2) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, p.32.

(3) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op, cit, p.56.

(4) - نقلاً عن Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, p.32.

ساعات الليل الأخيرة ،لأن القتال والاستيقاظ المتواصلين سبب لهم الإرهاق وأن هذه الساعات كانت أفضل وقت لمهاجمة البلدة(١).

تقدم الجيش الروماني خلسة باتجاه الأسوار خلال الساعات المذكورة وذبح الحرس، ثم دخل الجنود المدينة من دون إيقاظ اليهود النائمين، وكان دخول الرومان سريعاً وساكناً بحيث أخذوا اليهود على حين غرة، وأيضاً سبب الضباب الكثيف إرباكاً بين صفوف اليهود لأنهم لم يستطيعوا التحقق مما يحدث. ولم ينسَ الرومان ما عانوه على يد اليهود، لذلك قذفوا الكثير من اليهود من على الجرف، وقتلوا كل من يأتي في طريقهم ما عدا النساء والأطفال الذين بلغ عددهم حوالي ألف ومئتي شخص، حيث فضّل الرومان أخذهم كعبيد ، وكنتيجة نهائية لحصار جوتاباتا قُتل من كلا الطرفين حوالي أربعين ألف رجل ، وبعد تصفية المدافعين أمر فيسبسيان أن تسوى المدينة بالأرض و أن تحرق جميع تحصيناتها(٢).

بينما كان الرومان سائرين نحو تحقيق نصر حاسم على التمرد اليهودي في فلسطين كانت هناك أحداث خطيرة تحدث في روما ،حيث خسر نيرون سنة ٦٨م كل المساندة والتأييد بسبب سلوكه الغريب والشاذ ،ولذلك تآمر عليه الحرس الإمبراطوري ومجلس الشيوخ والعديد من قادة الجيش الكبار، وبعد إعلانه عدواً للدولة والشعب من قبل مجلس الشيوخ هرب نيرون من روما وانتحر سنة ٦٨م. وأشعل موت نيرون حرباً أهلية سنة ٦٩م الذي اصطلح على تسميته بعام الأباطرة الأربعة (غالباً، أوتو، فيتيليوس، فيسبسيان)، وانتهت هذه الحرب بإعلان فيسبسيان إمبراطوراً في روما(٣).

لقدأثرت الحرب الأهلية الرومانية على مجرى الأحداث في فلسطين ،حيث توقف الرومان عن قمع التمرد اليهودي مدة عام كامل، لكن اليهود لم يستغلوا وقف القتال كثيراً ، وجُلّ ما فعلوه أنهم عززوا أسوار أورشليم (القدس)(٤).

---

(1) - Webster: op.cit, p.254.

(2) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op, cit, p.56.

(3) - www.en.wikipeda.org/wiki/First-Jewish-Roman War.

(٤) – رستم ، أسد : المرجع السابق، ص٢٢٠.

بعد إعلان فيسبسيان إمبراطوراً في روما سنة ٦٩م جدد الرومان حربهم ضد اليهود بقيادة تيتوس بن فيسبسيان، وبلغت هذه الحرب ذروتها في حصار القدس سنة ٧٠م، حيث تمكن الرومان بقيادة تيتوس من دخولها في العام نفسه والقضاء على مركز التمرد اليهودي وتدمير الهيكل[١].

٤ – حصار ماسادا (Masada):

أبحر تيتوس باتجاه روما في ربيع سنة ٧١م بعد أن عين حاكماً عسكرياً بدلاً عنه في فلسطين هو: القائد لوسيليوس باسوس (Lucilius Bassus)، والذي كانت مهمته تطهير إقليم جودايا (Judaea) في فلسطين من بقايا التمرد اليهودي ، لأنه بعد سقوط القدس بقيت بعض الحصون المتفرقة تقاوم الرومان، استخدم هذا القائد الفرقة العاشرة فرتنيس لقتال المعاقل اليهودية الباقية ،حيث استولى على هيرودية (Herodium) جنوب شرق بيت لحم، ثم استولى على حصن ما شايروس (Machaerus) على شاطئ البحر الميت، لكنه لم يعش ليكمل مهمته وذلك بسبب المرض[٢]، عين الرومان القائد لوسيوس فلافيوس سيلفا (Lucius Flavius silva) قائداً جديداً للقوات الرومانية في فلسطين من أجل إخضاع آخر المعاقل اليهودية المتمردة والمتمثل في ماسادا (Masada)، تولى سيلفا قيادة القوات سنة ٧٣م ،ووصل في آخر العام ليبدأ حصار ماسادا الذي كان مسرحاً لأشهر حصار أثناء الحرب اليهودية[٣] (الشكل رقم ٩١).

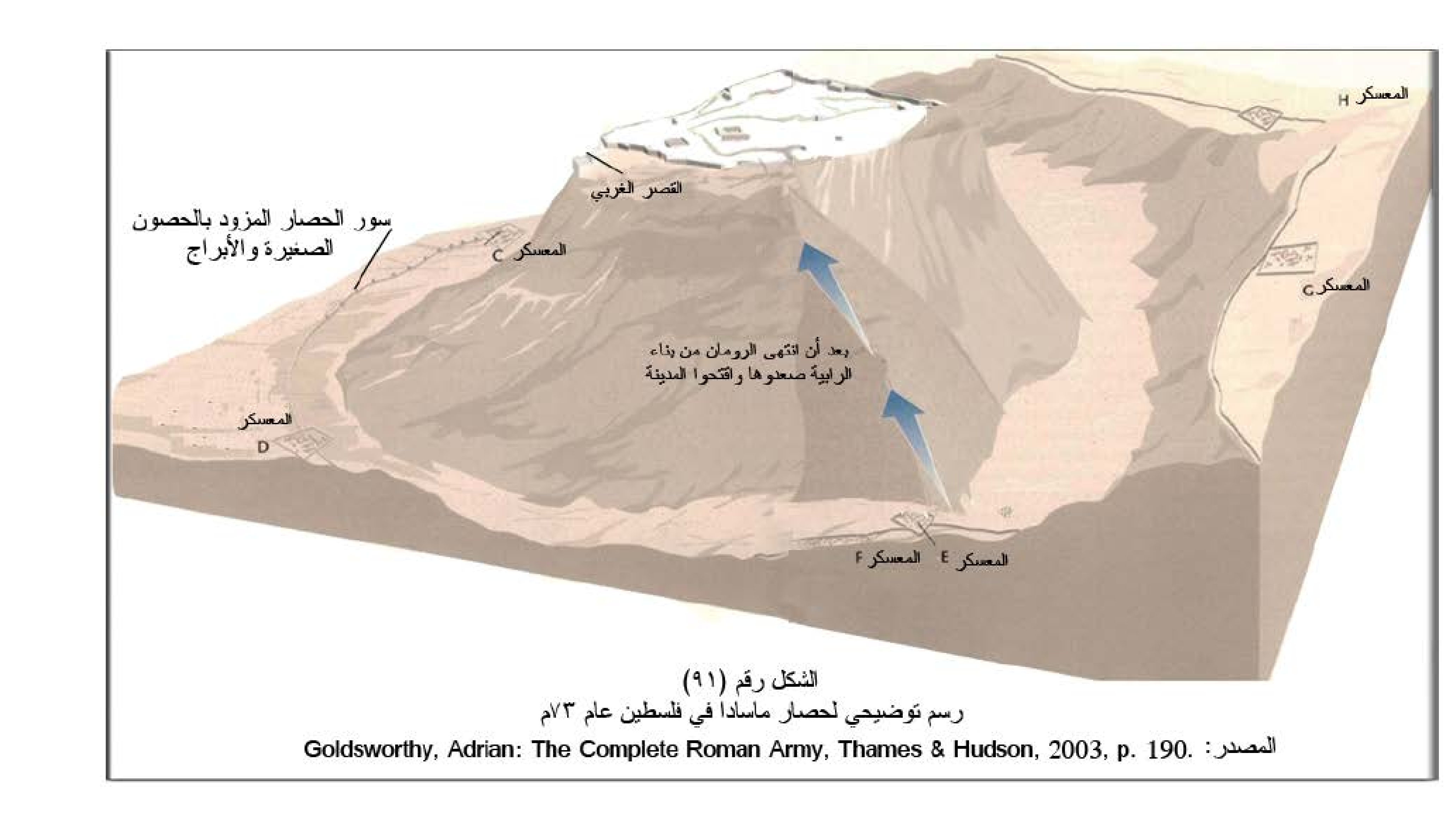
تقع ماسادا على هضبة شديدة الانحدار ويمكن الوصول إليها فقط من الجانب الشرقي عبر طريق صعب ومتعرج، واشتمل الجيش الروماني الذي نفذ عملية حصار معقل ماسادا على الفرقة العاشرة فرتنسيس (X Fretensis) وعدد مجهول من الوحدات المساعدة، وربما كانت كلاً من الفرقة والوحدات المساعدة ناقصة الأعداد بشكل كبير بعد سنوات من شن الحملات، وعلى الأرجح بلغ عدد القوات الرومانية حوالي خمسة آلاف جندي أو أكثر بقليل،

---

(١) – رستم ، أسد : المرجع السابق ، ص٢٢١.

(2) - www.en.wikipedia.org/wiki/First-Jewish-Roman-War.

(3) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, p.42.



الشكل رقم (٩١)

رسم توضيحي لحصار ماسادا في فلسطين عام ٧٣م

المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson, 2003, p. 190.

أما المدافعين فكانوا جماعة من اليهود يطلق عليهم: اسم السيكاري (Sicarii)، وهم فصيل من المتعصبين اليهود الذين يطلق عليهم Zealots، وفي الواقع كان السيكاري أحد الفصائل المتطرفة من القتلة السياسيين، وأطلق عليهم هذا الاسم نسبة إلى السكين المقوس الذي كان يحمله أعضاء هذه الجماعة، بلغ عدد المدافعين عن ماسادا حوالي تسعمئة وستين شخصاً، بما في ذلك نسبة من غير المقاتلين كالمسنين والنساء والأطفال، وكان يقودهم أليعازر بن يير (Eleazar Ben Yair)، احتوى المعقل على الكثير من المخازن، وكذلك كان هناك مساحة لزراعة بعض المحاصيل على القمة، وكان في المعقل أحواض عميقة حفرت في الصخر لجمع وحفظ الماء من العواصف المطرية، ولذلك كان هناك ما يكفي من الطعام والماء لإمداد الحامية لسنوات عديدة، فأدرك الرومان أنه لا يمكنهم تجويع العدو وإجباره على الاستسلام[1]. وعندما وصل القائد الروماني فلافيوس سيلفا إلى معقل ماسادا كما يقول يوسيفوس: « قام على الفور بالسيطرة على كل المنطقة من خلال إنشاء الحاميات في الأماكن الأكثر ملائمة، وبنى سوراً على شكل حلقة حول المعقل بأكمله لكي يصبح من الصعب على المحاضرين الهرب ،ووزع الرجال للمراقبة والحراسة »، **اعتقد** علماء الآثار ومنهم العالم البريطاني (Christopher Hawkes) أن القائد الروماني سيلفا: أنشأ معسكره في الجانب الشرقي من المعقل (المعسكر B) قبل أن ينتقل إلى المعسكر(F) في الغرب، لكن فيما بعد تبين لعلماء الآثار أن المعسكرين كانا مكملين لبعضهما البعض ، حيث سعى سيلفا لضمان أفضل رؤية للمعقل المحاصر، بنى الرومان سور الحصار البالغ الذي طوله أربعة كيلومترات ونصف حول ماسادا[2]، ودعموا هذا السور بستة معسكرات صغيرة متوزعة حول المعقل وبعدد من أبراج المراقبة، وبعد تطويقهم لمعقل ماسادا بدأوا بالطور الثاني من الهجوم ، حيث أمر سيلفا رجاله ببناء رابية حصار هائلة على الجانب الغربي الشديد الانحدار من الهضبة ،لأنه أدرك أنه من غير الممكن أن ينجح الهجوم المباشر عبر الطريق الشرقي للمعقل[3].

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.190.

(2) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, .p.42. نقلاً عن

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.190.

يقول يوسيفوس: « أمر سيلفا رجاله بتكويم رابية ،وتم رفعها تسعين متراً بفضل جهود أيادي كثيرة عملت بجد، لكن لم يعتبرها القائد ثابتة وكبيرة كفاية لتكون أساساً للآلات ، لذلك تم رصف طبقة من الحجارة في أعلى الرابية »، تطلب برج الحصار التابع للقوات الرومانية طريقاً ممهداً يؤدي إلى أعلى الرابية، لذلك اقترح بعض الباحثين أن الرأي الأكثر ترجيحاً هو وجود طريق حجري يؤدي إلى قمة الرابية، وزوّد البرج المغطى بطبقة حديدية بآلات قاذفة للحجارة والسهام، وربما حمل الكبش الذي استخدمه سيلفا في النهاية لضرب سور المعقل، وعندما خرق الرومان سور المعقل قام المدافعون ببناء متراس ترابي مدعّم بالخشب مقابل الفتحة التي أحدثها الكبش، مما أدى إلى أبطال مفعول الكبش، لكن الرومان أشعلوا النار في الخشب الموجود في هذا المتراس، وقبل أن يشن الرومان هجومهم النهائي في اليوم التالي قام السيكاري (sicarii) بقتل عائلاتهم ثم انتحروا بعد ذلك[١].

لقد مثّل سقوط ماسادا سنة ٧٤م نهاية التمرد اليهودي، وكان من نتائج هذا التمرد أن أرسل الجيش الروماني إنذاراً صارماً إلى سكان الأقاليم الأخرى بالعقاب الشديد الذي ينتظر أي متمردين آخرين ،وأيضاً أدى قمع التمرد اليهودي إلى تشتيت اليهود، حيث يقول يوسيفوس أن مليوناً ومئة ألفِ شخص قتلوا في الحصارات أثناء فترة التمرد، وقسم كبير من هؤلاء ماتوا بسبب المرض الناتج عن الجوع، وأسر الرومان سبعة وتسعين ألف شخص واستعبدوهم، بينما هرب العديد من اليهود إلى مناطق حول المتوسط، ويُقال أن تيتوس رفض قبول إكليل النصر لأنه لا استحقاق في قهر شعب تخلى عنه إلهه. بعد انتهاء الحرب اليهودية أصدرت عملة في جميع أنحاء الإمبراطورية كتب عليها "جودايا استعمرت " لكي يوضح الرومان عبثية أي تمردات مستقبلية محتملة، ومثّلت جودايا على العملة امرأة تبكي[٢]، لكن الشيء الأكثر أهمية في هذه الحرب هو: ظهور قوة الجيش الروماني وقدرته على خوض حرب الحصار والتغلب واختراق أصعب التحصينات المشيدة في أماكن تضاريسية يصعب الوصول إليها.

---

(1) - Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World, op.cit, .p.43. نقلاً عن

(2) - www.en.wikipedia.org/wiki/First Jewish-Roman war.

رابعاً: الإمدادات اللوجستية للجيش الروماني الإمبراطوري في الحرب

لم تُشرح تفاصيل الأنظمة اللوجستية الإمبراطورية في أي مصدر من المصادر القديمة العائدة إلى هذه الفترة، ولكن تمدنا أعمال قيصر بأحد أفضل المصادر عن الإمدادات اللوجستية، لأنه اعتنى كثيراً بإمدادات جيشه وعملية نقلها، وكثيراً ما ذكر ذلك بشكل متكرر في حروبه الغالية (Gallic War)، على اعتبار أن قيصر عاصر الجيوش في أواخر الجمهورية وبداية الإمبراطورية، فإنه يمكن استخدام بعض المعلومات التي أوردها لإعادة صياغة الأنظمة اللوجستية في الفترة الإمبراطورية[١].

أما من الناحية الأثرية، عثر على القليل من المستندات المتكسرة في فيندونيسا (Vindonissa) وفيندولندا (Vindolanda) ودوريوروبوس ومصر، وكتبت هذه المستندات والوثائق على ورق البردي وألواح خشبية وطينية، لذلك من خلال هذه الوثائق يمكن معرفة شيء ما عن رواتب الجنود في الفترة الإمبراطورية وما أنفقوه على الطعام والتجهيزات، وكذلك تعطينا بعض المعلومات عن واجبات الجنود اللوجستية، مثل جمع الحبوب، العلف، الخشب، الخمر، اللباس، الخيول[٢]، حدد فيجيتيوس في كتاباته عن الشؤون العسكرية المبادئ الرئيسية للإمداد اللوجستي العسكري عندما قال:

> «غالباً النقص وليس القتال يهلك الجيوش، والأشد قوة من السيف هو الموت جوعاً ......في كل حملة كان السلاح الأقوى أن تمتلك طعاماً كافياً، ولكن نقصه يدمر الجيش. لذلك قبل أن تبدأ الحرب يجب إجراء حسابات دقيقة للمؤن والنفقات حتى يتم تأمين العلف والحبوب وبقية المؤن في الوقت المحدد، ودائماً بكميات وفيرة أكثر من اللازم، وتخزن في أماكن محصنة أفضل تحصين، وموضوعة بما يتناسب مع الحرب» [٣].

---

(1) - Southern: op.cit, p.218.

(2) - Campbell, Brian: The Roman Army (31 BC-AD 337), op.cit, pp.180, 183.

(3) - Vegetius: Epitome Vol. 3.1-3, Translated by N. P. Milner, Liverpool University Press, 1996.

رغم كل النقص والندرة في المصادر التي تتحدث عن الإمدادات اللوجستية في العصر الإمبراطوري، إلا أن البحث سيحاول تقديم كل ما هو متاح من معلومات حول موضوع اللوجستيات في الحرب.

اعتمد إمداد الجيش في العصر الجمهوري وخصوصاً في عهد قيصر على الطواف لتأمين الطعام للجنود والحيوانات ،وأحياناً اعتمد على المصادرات، وكان جمع الطعام عن طريق الطواف عملية تشارك فيها معظم القوات وربما تحت إشراف تريبون، ولكنّ أثناء مواسم الحصاد يلقي الجنود بأسلحتهم ويستعملون المناجل [1]، وبالإضافة إلى ذلك حمل الجيش بعض المؤن والتجهيزات إما بواسطة الجنود والحيوانات ،أو بواسطة العربات المتنوعة،و لكن في الشتاء كان على جيش حملة كبيرة أن يتفرق ويتشتت لكي يعيش، ولذلك كان القائد الجمهوري يقضي معظم وقته في البحث عن المؤن وعن مقرات الإقامة الشتوية،إن معظم المعلومات عن الإمدادات اللوجستية للجيش الإمبراطوري مشتقة من أنظمة الإمداد – المتمركزة في الأقاليم أو على الحدود – في أوقات السلم، وعملت هذه الأنظمة بشكل جيد لإمداد الجيوش لكن لم تكن قادرة على دعم الحملات الكبرى التي شنها الأباطرة. بالرغم من أن الجنود في كل وحدة عسكرية زودوا بعربات متنوعة وحيوانات حمل مثل: الحمير والبغال والجمال في الأقاليم الشرقية، إلا أن الرومان كانوا بحاجة إلى أعداد أكبر من الحيوانات والعربات إذا ما قاموا بحملة ما،و لذلك ربما صنعت العربات أو صودرت أو تم شراؤها، وربما جمعت حيوانات الحمل من الأهالي سواء بدفع ثمنها أو بالمصادرة، وأحياناً كانت تستخدم السفن المدنية الخاصة إذا لزم الأمر نقلاً بحرياً أو عبر الأنهار الصالحة للملاحة،لا يمكن معرفة كيف استطاع الرومان تجميع الكميات الكبيرة من المؤن ووسائل نقلها [2]، لكن الاستمرارية في إمداد الجيوش من القرن الثاني قبل الميلاد إلى القرن الثالث الميلادي تجعلنا نفترض أن: نظام الإمداد الإقليمي والضريبة النوعية والمقاولين الذين يستخدمون لنقل المؤن

---

[1] - Roth, Jonathan: The Logistics of the Roman Army at War (264 B.C. - A.D. 235), Columbia University, Press, 1999, p.131.

[2] - Southern: op.cit, pp.218-220.

إلى مسافات طويلة والحلول المرتجلة من مصادرات وتطواف كلّها ساعدت في تجميع وإيصال المؤن إلى الجيوش في أرض المعركة[١].

على العموم كل التحضيرات اللوجستية للمعارك والحملات الكبرى بدأت في روما، حيث أنه بعد اتخاذ الإمبراطور قراره بالقيام بحملة ما، فإن المسؤولين والموظفين على المستويين الحكومي والإقليمي يتولون مسؤولية إمداد هذه الحملة. على المستوى الحكومي يقوم موظف الخزينة (Rationibus) بإدارة الموارد المالية للحملة القادمة، وأيضاً يشمل هذا العمل المسؤول عن المؤن العسكرية (Copiis Militaribus)، أما على المستوى الإقليمي كان مدير المال (procurator Augusti) أول المسؤولين عن التخطيط والتنظيم لهذه الحملة، وساعد مكتب الضرائب السنوية (Annonae Militaris) متمثلاً في رئيس المكتب(praefectus praetorio) والموظف المسؤول عن مستودعات التخزين في الإقليم (Actarius) في التخطيط والتنظيم والإشراف على جمع ونقل الحبوب، وكان عليه تنسيق كل جهود الإمداد مع المسؤول عن عربات النقل بما في ذلك توزيع الطعام على الجيوش أثناء مسيرها عبر الأراضي الرومانية، أحياناً كان البرايموس بيلوس مسؤولاً عن المؤن في الموانئ الهامة مثل ميناء (Aquileia) في جرمانيا ،وأثناء حرب تراجان البارثية توجب على ضابط فارس (Aburnius tuscianus) تأمين خطوط الإمداد على طول الفرات.

ومنذ أيام الجمهورية أصبحت عادةً سائدةً لدى الملوك الأجانب الأصدقاء والحلفاء أن تأمرهم الإمبراطورية بمساعدة وإمداد القوات الرومانية إثناء الحملات ،حيث قام هيرودوس سنة ٣٠ق.م بإمداد جيش أوكتافيان أثناء مسيره إلى مصر وأثناء عودته منها بالماء وكل أنواع المؤن، أيضاً في عامي ٥٤م و٦٣م تلقى الملوك الوكلاء في الشرق أوامر بإطاعة ومساعدة القائد كوربولو، فمثلاً كان الملك (Iulius Polemo) مسؤولاً عن أمن خط إمدادات الجيش الروماني الذي مر عبر بلاده من ترابيزوس (Trapezus) إلى أرمينيا [٢].

---

(1) - Rathbone, Dominic: Military Finance and Supply, CHGRW, Vol II. Cambridge University Press, , 2007, p.172

(2) - Kebne: op.cit, pp.330-332.

شكّل نقل كل متطلبات جيش الحملة أهمية كبيرةً للقادة الرومان الذين اعتمدوا في ذلك على قوة الجنود وحيوانات الحمل وسعة العربات التي تجرها الثيران والبغال ،لأنه عندما تنقل المؤن بواسطة السفن توجب على الجنود والحيوانات والعربات نقل هذه المؤن إلى ضفاف الأنهار أو الساحل(١)، وتخزن معظم المؤن أثناء الحملة في مخازن رئيسية ثم تنقل بواسطة الحيوانات والسفن على طول خطوط الإمداد، أو يحمل الجيش كميات قليلة وعندما تنفذ يطوف الجنود بحثاً عن الطعام، أو يصادروه من المناطق المحيطة بهم(٢)، وعادة صادر الرومان الحيوانات اللازمة لحمل المؤن، وكان النقل البري لمصلحة الدولة لا يتم بواسطة عقد، لكن يتم من خلال استئجار السائقين، وإلا سيجبرون على ذلك بواسطة السلطات مباشرة، وربما استفاد الجيش من فيلق دائم من السائقين، لكن أثناء الحملات كانت معظم عمليات النقل يتم فرضها بأمر إجباري، ومع ضم الممالك الوكيلة إلى الإمبراطورية الرومانية وقعت مسؤولية نقل المؤن على سكان الأقاليم، وعادة كان يجبر أعداء روما بعد استسلامهم على إمداد الجيش الروماني بالمؤن، واستمر ذلك طيلة الفترة الإمبراطورية، إذ نجد سنة ١٧٠م أن قبائل الكوادي (Quadi) وقعت معاهدة مع الإمبراطور ماركوس أورليوس بشرط إمداد الجيش الروماني بالخيول والماشية(٣).

في الظروف الطبيعية لا يصعب تأمين الإمدادات للجيش، لكن عند القتال المتواصل والمسير السريع واجه الجيش مصاعب كبرى، وتسوء الأوضاع اللوجستية عندما يسير الجيش في مناطق قاحلة، حيث توجب على الجيش في هذه الظروف حمل طعامه ومعظم حاجته اليومية من الماء، وكذلك طعام الحيوانات لأن هذه الظروف لا تسمح للحيوانات بالرعي، وفي كل ذلك إضعاف كبير للقدرة القتالية(٤)،و لكن رغم ذلك غالباً ما كان الماء متوفراً وحطب النار اللازم لطهي حصص الطعام التي كانت توزع على الجنود غير مطهية، وبحسب فصول السنة تم تأمين كميات متنوعة من العلف للحيوانات والمؤن للجنود ،حيث توفرت في موسم

---

(1) - Southern: op.cit, p222

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.170.

(3) - Roth: op.cit, pp. 144-147.

(4) - Kebne:op.cit,.p.333

الحصاد كميات كبيرة من الحبوب للاستهلاك البشري والحيواني، بينما صودرت الماشية من أجل اللحم، و أما في الشتاء كان هناك نقص في المؤن إلا إذا عثر الرومان على مخازن السكان المحليين واستولوا عليه، وكان للبحث والسعي عن المؤن جوانب سلبية، لأنه استغرق وقتاً طويلاً وغالباً ما كان الباحثين عنها يتعرضون للكمائن، ومع ذلك يبدو أنه مورس في حالات نادرة طيلة فترة الإمبراطورية، إذا لم يعتمد الرومان على طريقة واحدة في الإمداد إثناء الحملات، وإنما غالباً ما استخدموا مزيجاً منها(١).

يدور بعض الجدل بين الباحثين حول كم كان يحمل الجندي في ، ويقول المؤرخ اليهودي يوسفوس إن كل جندي روماني من جنود الفرق حمل حصة من الطعام تكفيه ثلاثة أيام، وذكر في سيرة الإمبراطور سيفيروس ألكسندر (severus Alexander) الذاتية أن الجندي الروماني حمل معه حصص سبع عشرة يوماً،أي(١٨,٨كغ) لكي لا يتوجب عليهم حمل المؤن طيلة الفترة المعتادة وهي سبعة عشر يوماً، لكن التقديرات بخصوص وزن حصص أسبوعين أو شهر تتراوح بين(١٥-٢٥كغ)، لكن هل الافتراض أن الجندي الروماني كان باستطاعته حمل هكذا وزن صحيحاً؟ فهم الرومان أنه كلما ازدادت الكمية التي يحملها الجندي بمفرده، فستنقص كمية المؤن التي يتوجب حملها في القافلة، ويقول المؤرخ فيجيتيوس أن الجندي الروماني عادةً حمل عشرين كيلوغرام بالإضافة إلى سلاحه، وهناك آراء مختلفة حول وزن لباس وأسلحة الجندي الروماني، لكن على العموم تتراوح هذه الآراء بين(١٨-٢٦كغ)، ويضاف إلى إليها حوالي ١٥كغ وزن الأدوات التي يحملها الجندي (أدوات الطبخ والأكل والممتلكات الشخصية ....)، وفي الواقع تبين معظم الأدلة أن الجندي الروماني حمل حملاً ثقيلاً جداً قدره البعض بحوالي خمس وأربعون كيلوغرام(٢)، وبالإضافة إلى الطعام والتجهيزات الخاصة حمل الجنود الأدوات ،وخصوصاً أدوات حفر الخنادق حول المعسكرات والتي يوضحها يوسيفوس كالتالي فأس، منشار، منجل، سلة، رفش، حبل، وسلسلة معدنية. من الممكن أن الأدوات كانت تعطى لكل ثمانية جنود ويتم اختيار جنود معينين لحفر خندق

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.170.

(2) - Roth: op.cit, pp.73-75.

المعسكر وفق جدول ورديات، لأنه من غير الممكن أن تحمل القوة بأكملها أدوات كهذه طيلة الوقت[١].

وتشارك الجنود الثمانية في الجماعة قطعتين من التجهيزات كان بغلهم يحملها وهي الخيمة والطاحونة اليدوية. وبلغ وزن الخيمة أربعون كيلوغرام، في حين تألفت الطاحونة من قرصين كبيرين من البازلت، وكان باستطاعة ثمانية رجال وبغل واحد حمل تجهيزات الجماعة بسهولة، وباستطاعة بغل ثانٍ حمل حصص أحد عشر يوماً إضافية، أي مئة وخمس وعشرون كيلوغرام[٢] (الشكل رقم ٩٢). لكن لا يذكر أي مصدر عدد البغال المخصصة لكل ثمانية جنود، وغالباً ما حدد ذلك الحيوانات المتوفرة في القافلة والمبادرة الشخصية للجنود. وكان عدد حيوانات الحمل المطلوبة لحمل أمتعة جيش في حملة مذهلاً جداً، لأنه لم تحمل الحيوانات المؤن على ظهورها فقط، وإنما كان هناك حيوانات لسحب وجر عربات المؤن والأمتعة، وحيوانات أخرى لجر أدوات الحصار[٣].

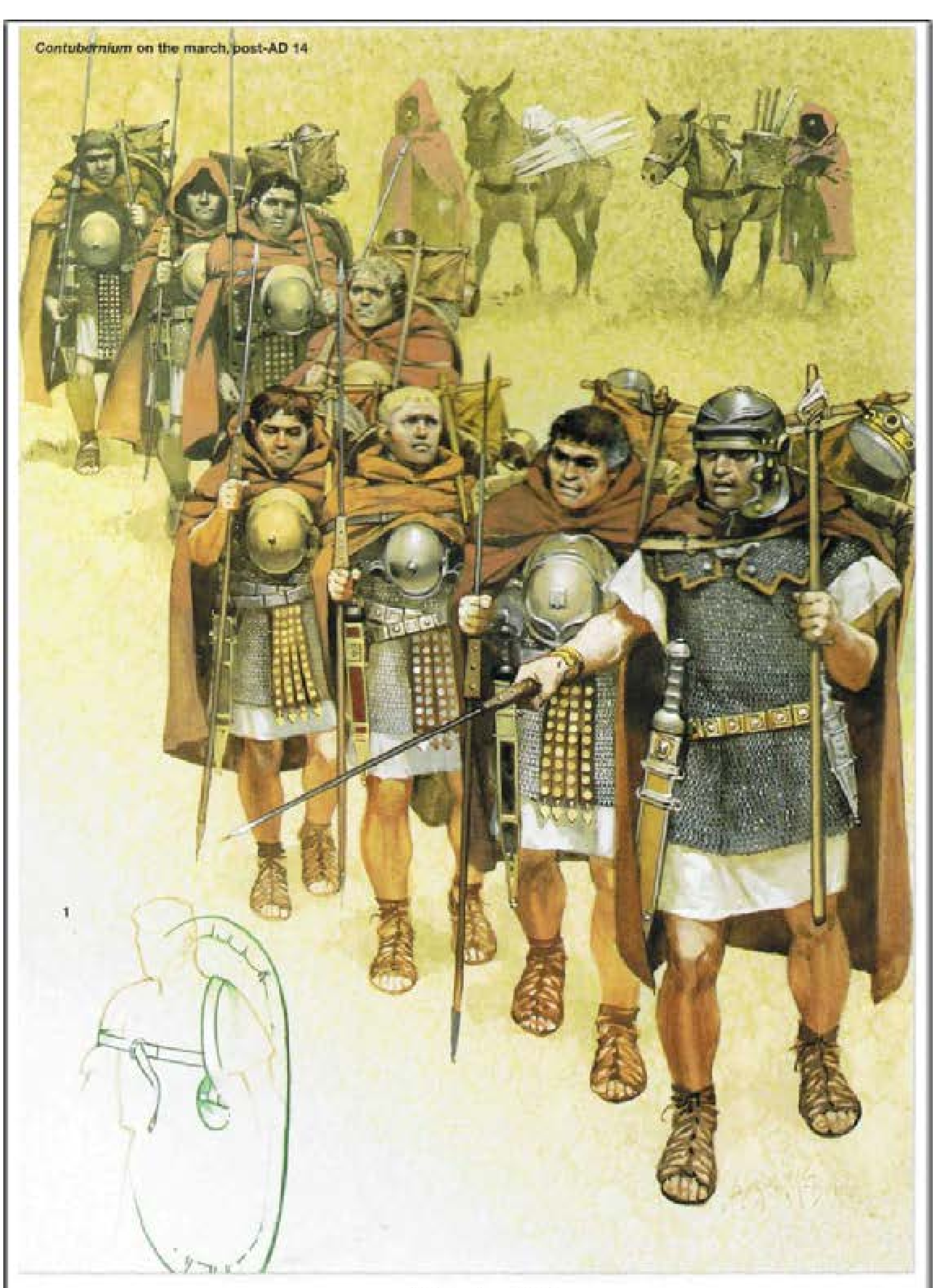
عرف الجيش الروماني أربعة أنواع من القوافل هي قافلة لكل وحدة مفردة تحمل عدتها ومؤنها، وقافلة للجيش بأكمله تضم التجهيزات والمؤن المشتركة للقوات بأكملها، وقافلة الضباط التي تنقل تجهيزاتهم الخاصة، وقافلة الحصار المخصصة لنقل أدوات ومعدات الحصار، وشكّل حجم القوافل التي تتبع الجيش عاملاً مهماً في قدرة الجيش على الحركة والقتال، فإذا كانت القافلة صغيرة ستنخفض قدرة القتالية، وبالمقابل إذا كانت القافلة كبيرة أكثر من اللازم فيمكن أن تحد من حركته وتقيدها، وأحد التقديرات الواقعية لعدد الحيوانات في فرقة تشير إلى رقم يتراوح بين ألف ومئتي إلى ألف وخمسمئة حيوان حمل في كل فرقة، ويُعتقد أن قوافل الوحدات تألفت كلياً من حيوانات الحمل واستخدمت العربات فقط ضمن قافلة الجيش، والاستثناء الوحيد لهذه القاعدة هو العربات التي حملت مطلقات السهام، وفي الواقع شكلت

---

(1) - Southern, op.cit, pp.223-224.

(2) - Roth: op.cit, pp.75-78.

(3) - Southern, op.cit, pp. 223-224.



الشكل رقم (٩٢)

شكل توضيحي للجماعة أثناء المسير في القرن الأول الميلادي

المصدر:

Cowan, Ross, Roman Legionary 58 BC–AD 69, Osprey Publishing, 2003, p. 35.

المجانيق ومطلقات السهام المرافقة للفرقة جزءاً كبيراً من قافلتها، وبالإضافة إلى ذلك احتاج الجيش للحيوانات والعربات لحمل ونقل الذخائر الكافية[1].

شكّل استخدام خطوط الإمداد عملاً روتينياً لدى الرومان، وكان النمط العام عبارة عن تأسيس قاعدة عمليات في ميناء ثم تجميع كافة المؤن داخل هذه القاعدة، ومن خلال هذه القاعدة يتم توزيع الإمدادات إلى نقاط مناطق الحرب ،وغالباً ما تكون هذه النقاط معسكرات ومخازن محصنة، وأحيانا يتم استخدام القواعد القديمة كمستودعات تنقل منها المؤن إلى مناطق القتال بواسطة نظام التناوب ،أي من قاعدة إلى قاعدة أخرى.[2]

استخدم الجيش الروماني خطوط الإمداد لنقل المؤن إلى جيوشه في الميدان، ولا تؤيّد معظم المصادر القديم رأي بعض الباحثين المعاصرين القائل بأنّ الجيوش الرومانية الميدانية اعتمد أساساً على الطواف من أجل تأمين مؤنها، لأنّه بعد إعادة هيكلة الدولة الرومانيّة من قبل أغسطس تغيّرت طبيعة الجيش وإمداداته اللوجستية كثيراً فكانت تشكل الجيوش في العصر الجمهوري للقيام بعمليات عسكرية هجوميّة محددة، وبذلك تناسبها عملية الطواف، وأما في العصر الإمبراطوريّ،أصبح الجيش الروماني جيشاً قائماً ومنتشراً في كل أنحاء الإمبراطورية، وهو ما أوجب على الدولة تأمين المؤمن له في السلم والحرب، ولذلك يجب علينا التمييز خلال الفترة الإمبراطوريّة بين خطوط الإمداد المستمرة الواصلة بين الجيش ومصدر إمداداته، وبين قافلة المؤن المتحركة مع الجيش، أصبح الجيش الروماني قادراً على تنظيم خطوط إمداد طويلة ومعقدة لإيصال المؤن إلى الجيش في الميدان واتّبع في ذلك نوعين من القواعد هي:

١ – قواعد العمليات:

هي قواعد زوّدت الجيش الروماني بالمؤن في منطقة العمليات ووفّرت مكاناً آمنا لتجمع الجيش ومؤنه، وبعد إجراء التحضيرات اللازمة في هكذا قواعد يغادرها الجيش لمواجهة العدو، وقد يتمّ تغيير القاعد أثناء الحملة لتحسين أداء إمدادات الجيش، وعموماً ربطت قاعدة العمليات بقواعد

---

(1) - Roth: op.cit, pp.79-85

(2) - Southern, op.cit, .p.222.

الجيش الاستراتيجيّة من خلال خطوط إمداد محمولة براً وبحراً، وعندما تصبح مدينةً ما قاعدة عمليات فإنّ الجيش يصادر كلّ المواد الغذائية المتوفرة فيها وعادة كانت ترسل المؤن من قاعدة العمليات إلى الجيش في الميدان، لكن عندما يتوقف القتال يأمر القائد جنوده بالذهاب إلى القاعدة لإحضار المؤن، وغالبا ماكانت قواعد العمليات تنشأ عن مرافئ الأنهار، ولذلك كانت تقع كل قواعد الفرق خلال الفترة الإمبراطورية على الأنهار الرئيسة لتأدية مهام قواعد العمليات أثناء الحملات، فكانت بيزنطة (Byzantium) قاعدة عمليات لسلسة الحروب التي شنّها الرومان في أرمينيا وكذلك سلوقيّة بيروا (Seleucia of Pieria) التي أنشأ فيها ميناء إنطاكية خدمت قاعدةَ عمليات لسلسة حملات الرومان ضدّ البارثيين، وكذلك الأمر لمدينة قيساريه (Caesarea) التي جعل منها الرومان قاعدة لحروبهم ضد اليهود في فلسطين أثناء تمردهم بين عامي (٦٦- ٧١ م) [١].

٢- القواعد التكتيكيّة

تحدّدت وظيفة هذه القواعد بطريقة مشابهة لقواعد العمليات إلا أنّه بنيت في منطقة قريبة من العدو، فبعد خروج الجيش من قاعدة العمليات يبني قاعدة تكتيكيّة يسهل إمداد الجيش منها بما يحتاجه سريعاً، وكلما يتقدم الجيش إلى الأمام تتبعه القاعدة التكتيكيّة وتتحول القواعد التكتيكية السابقة إلى مخازن مؤقّتة تشكل معا خط إمداد يصل الجيش بقاعدة العمليات، وقد تعدّدت مهام القواعد التكتيكيّة فجعلت نقطة لجمع المؤن المنقولة من قاعدة العمليات والطعام والعلف المجموع من المناطق المجاورة للجيش كما استعملت لتخزين أنواع عديدة من معدات الحصار الحربية التي تترك مؤمنة من أجل عملية خاصة، وهذا ما يتيح للجيش حرية في المناورة والحركة، وكانت تجعل المدن الواقعة في منطقة العمليات أحيانا قواعد تكتيكية، فمثلا أثناء حملة فيسيبسيان في الجليل الغربية سنة ٦٨ م ربما كانت سيفوريس قاعدة تكتيكية تدعم غارات الرومان في المنطقة. وكذلك استولى الرومان على جابارا (Gabara) قبل مهاجمة جوتاباتا، وبنوا فجعلوا الأولى قاعدة تكتيكية لغزو الثانية، وقد احتوت جابارا على مرافق تخزين كبيرة، ربما أمدت الجيوش المقاتلة في المناطق المحاصرة، إن توحيد المعايير الخاصة بمعسكر المسير سمح للرومان ببنائه وتحصينه بسرعة وقدم عنصرا بالغ الأهمية في نجاح الجيش

---

[1] - Roth: op.cit,pp. 169- 175

الروماني منذ القرن الثالث قبل الميلاد وما تلاه، لقدكانت العوامل اللوجستية عناصر مهمة في اختيار مكان المعسكرات الرومانية التي ينبغي ألا تكون شديدة القرب من العدو.[١]

لقد وجد على طول نهر ليبي (Lippe) في ألمانيا قواعد لتفريغ المؤن، وحددت كقواعد استخدمت لإمداد جيوش تيبريوس أثناء حملاته على جرمانيا[٢].

بُنيَ الحصن قرب (Anreppen) على ضفة نهر ليبي (Lippe) كقاعدة إمداد لعمليات تيبيريوس في جرمانيا عام ٤م ، ومن المرجح أكثر انه استمر كقاعدة إمدادات لفترة طويلة بعد ذلك. احتوى هذا الحصن على مستودع كبير بلغت مساحته ثلاثة آلاف وثمانمئة وثمانية أمتار مربعة تقريباً، وأيضاً أحتوى على ما لا يقل عن خمس مستودعات حبوب بلغت مساحتها الإجمالية ألفان وثلاثمئة وسبعون متراً مربعاً تقريباً، وبلغت سعتها التخزينية ألفان ومئة وثلاثة وثلاثون طناً من القمح تقريباً، وتكفي لإطعام قوات تيبريوس حوالي ثمانية وسبعين يوماً. ربما تألفت قوات تيبيريوس في حملاته ضد الجرمانيين خلف نهر ويزر (Weser) من ثلاث فرق، وثلاث وحدات فرسان ala، وتسع كوهورتات مشاة مساعدة، وبلغ مجموعها الإجمالي سبعة وعشرون ألفا وخمسمئة جندي تقريباً مع استبعاد الخدم ،بالإضافة إلى ثلاثة آلاف وثمانمئة حصان وعلى الأقل سبعة آلاف بغل. وتقدر الحاجة اليومية لقوة من هذا الحجم بحوالي خمسة وعشرين طناً من القمح وسبعة أطنان ونصف من الطعام المكمل وتسعة أطنان ونصف من الشعير للخيول وأربعة عشر طناً من الشعير لحيوانات الحمل والجر، وكلياً تطلب نقل ستة وخمسين طناً في اليوم الواحد .بعد الأخذ بالحسبان أن كل الجنود والحيوانات حملوا بأنفسهم حصصاً من الطعام لسبعة عشر يوماً، فإن الكمية ستبلغ تسعمئة واثنان وخمسون طناً تقريباً، وما زال متوجباً على قافلة الجيش نقل ستة وخمسون طناً لكل يوم إضافي[٣].

---

[1]- Roth: op.cit,pp.182-185

[2] - Kebne: op.cit, p.332.

[3] - Kebne: op.cit, p. 332

بنيت قواعد الإمداد في جميع المناطق الحدودية عند الأنهار الصالحة للملاحة وعلى السواحل البحرية بهدف إمداد الجيوش في الميدان، ونجد في الشرق مثالاً عن ذلك بلدة ترابيزوس (Trapezes) التي أصبحت خلال النصف الثاني من القرن الأول الميلادي قاعدة إمداد رئيسية على البحر الأسود، وذلك لإمداد العمليات في أرمينيا. فأثناء حملة كوربولّو في أرمينيا بين عامي (٥٦-٥٨م) تم شحن المؤن عبر البحر الأسود (Pontus Euxinuse) إلى سهل إيرزوم (Erzerum) وهو حاليا مدينة تقع في شمال شرق تركيا، إذ بلغت المسافة الفاصلة بين ترابيزوس على البحر الأسود ونهر أراس (Araxes) نحو مئتي كيلو مترا ثم استمر خط الامداد الروماني عبر نهر أرال لمسافة أخرى تبلغ ثلاثمئة واثنان وعشرون كيلو متراً حتى وصل منطقة العمليات في أرتكسارتا (Artaxarta) في جنوب أرمينا حاليا.[١]

أنشأ سيفيروس قواعد إمداد عند Southshields على نهرTyne، وقواعد أخرى على نهري (Forth) و(Tay) أثناء حملاته في بريطانيا في بداية القرن الثالث، وذلك لتسهيل عمليات الإمداد وليصبح ممكناً إحضار المؤن عن طريق البحر[٢]، وقد تطلب الحفاظ على خط إمداد آمن وجود قوافل للحمل أو حيوانات جر تتحرك ذهاباً وإياباً بين الجيش والمستودعات الرئيسية، ولكن كثيراً ما كانت هذه القوافل تتعرض للهجمات، ولذلك قلّص وجود الحرس لخطوط الإمداد من حجم القوات الرئيسة وقوّتها[٣]. وعُمل بهذا النظام في حملات تيبيريوس، حيث زودت قاعدة الجيش الإستراتيجية لتيبيريوس عند فيتيرا، مستودعات المؤن المتقدمة عند (Anreppen) بوساطة أنهار الراين والليبي، ومن هذه المستودعات نقلت قوافل العربات الطعام والتجهيزات مسافة أبعد شرقاً إلى مستودعٍ عند نهر Weser، ومن هذا المكان يبدأ النقل النهريّ إلى مستودعات نهريّة أخرى شمالاً أو جنوباً، والتي منها تصل البغال في النهاية إلى المعسكرات المؤقتة لجيش تيبيريوس[٤].

---

(1) - Roth: op.cit,pp. 168

(2) - Southern, op.cit, p. 223.

(3) - Goldsworthy, the Complete Roman Army, op.cit, p.171.

(4) - Kebne: op.cit, p.333.

الفصل الرابع

النظام الداخلي للجيش الروماني

أولاً: الانضمام للجيش

١- المرحلة الأولى

أ- الطول والعمر

ب- البنية السليمة

ج- الخلفية

د- المنزلة الاجتماعية

٢- المرحلة الثانية

ثانياً: التدريب

١- تدريب المشاة

٢- تدريب الخيالة

ثالثاً: العقوبات

١- العقوبات الخفيفة

٢-عقوبات تخفيض الرتبة والتسريح وحل الوحدة

٣- عقوبات الإعدام

رابعاً: المكافآت العسكرية

١- المِنح

٢- الأوسمة العسكرية

خامساً: رواتب الجنود

٣- رواتب جنود الفرق

٤- رواتب جنود الوحدات المساعدة

سادساً: الخدمات الطبية العسكرية

١- الكوادر الطبية العسكرية

٢- المشافي الرومانية العسكرية

٣- مظاهر صحة الجنود الرومان

سابعاً: الحياة الاجتماعية للجنود (الزواج والعائلات)

ثامناً: التسريح ونهاية الخدمة

١- تسريح جنود الفرق

أ- التسريح المشرف

ب- التسريح الطبي

ج- التسريح المشين

٢- تسريح جنود الوحدات المساعدة والحرس الإمبراطوري

أ- تاريخ البراءات العسكرية

ب- وصف البراءات العسكرية

ج- الامتيازات التي تقدمها البراءات العسكرية

د- أهمية البراءات العسكرية

تاسعاً: المستوطنات والمحاربين القدماء

أُعجب الكثير من الكتّاب و المؤرخين سواء في العصور القديمة أو الحديثة بالجيش الروماني باعتباره أحد أقوى الجيوش التي عرفها العالم القديم إن لم يكن أفضلها، وبالرغم من تفوق الأمم المعاصرة والمجاورة للرومان عليهم من ناحية القوة والعدد، إلا أنهم هزموا كلّ هذه الأمم بطريقة سهلة تمثلت بالنظام والانضباط، فقد دأب الرومان منذ تأسيس جيشهم الإمبراطوري على وضع نظام صارم يجمع بين الشدة واللين لتنظيم العلاقة بين أقسام وعناصر الجيش و في الوقت نفس يقدم الحافز للجنود و القادة لإظهار الشجاعة والإخلاص للإمبراطورية. لذلك سيتحدث هذا الفصل عن تركيبة النظام الداخلي للجيش الروماني ودوره في تماسك هذا الجيش.

أولاً: الانضمام للجيش

كان نظام الانضمام للجيش الروماني نظاماً معقداً، ولكن بالوقت نفسه فعّالاً وعملياً وعلى العموم وجب على الشاب الذي يريد الانضمام إلى الجيش خلال الفترة الإمبراطورية أن يجتاز مرحلتين منفصلتين تتميز كل واحدة عن الأخرى بشروطها واختباراتها، ووفقاً لهما يُسجل الشاب كجندي في الجيش الروماني وهما:

١ – المرحلة الأولى:

تبدأ هذه المرحلة باختبار مؤهلات المتطوع وتنتهي بفحص شامل يسمى "بروباتيو" (probatio)، وإذا أراد المتطوع اجتياز هذا الفحص فلابد له أن يتمتع بصفات جسدية و أخلاقية واجتماعية معينة منها:

أ– الطول والعمر:

يعتبر كلاً من الطول والعمر مزايا مهمة يجب على الشاب أن يتمتع بها إذا ما أراد أن يصبح جندياً رومانياً، وكثيراً ما ذُكر هذان الشرطان في المصادر الأدبية التي كتبها المؤرخون القدماء، فعندما أنشأ نيرون الفرقة الأولى إيتاليكا كان جميع جنودها من الإيطاليين الذين بلغ طولهم ١٨٢سم أو أكثر[1]. وجب على جنود الكوهورت الأولى في الفرقة وجنود وحدات الخيالة المساعدة (ala) أن يتمتعوا بقامة أطول من باقي جنود الكوهورتات التسعة الأخرى في الفرقة ومن جنود وحدات المشاة المساعدة، لأن فيجيتيوس يقول إن الحد الأدنى

---

(1) - Davies Roy: Service in the Roman Army, Columbia University Press, New York, 1989, p.6.



الشكل رقم (٩٣)
مشهد من نقش على مذبح Domitius Ahenobarbus يبين عملية فحص المجندين وإدرج أسمائهم في سجلات الجيش
المصدر:
Davies, Roy: Service in the Roman Army, Columbia University Press, New York, 1989, p. 8.

لطول جنود وحدات الخيالة المساعدة (ala) هو ١٧٧سم ، وفضّل الجيش الروماني الرجال البالغ طولهم ١٧٢سم ليخدموا في الكوهورت الأولى في الفرقة. (الشكل رقم ٩٣) ومن هذا نستنتج أنه كان هناك متطلب طول للجنود النخبة وليس للجيش بأكمله، ويوحي هذا بأن الرجال الأقصر كان يتم قبولهم بانتظام في الكوهورتات التسعة الأخرى في الفرقة، لأن بقايا هيكل عظمي لجندي توفي في بومبي عام ٧٩م تدلّ على أن طوله كان نحو ١٧٠سم[١].

وربما توجب على جنود الحرس الإمبراطوري تحقيق حد أدنى للطول أعلى من الحد الأدنى الذي وجب على جنود الفرق تحقيقه إلى أن بدأ سبتيموس سيڤيروس بتجنيد الحرس من فرقه، ومن الواضح أن متطلب الطول للجنود العاديين في الفرق كان بلا شك أقل منه في وحدات النخبة، لأن قوانين الإمبراطورية الرومانية توحي بأن الحد الأدنى لطول المجندين في الفرق كان خمسة أقدام رومانية وسبع بوصات، أي ما يعادل ١٧١سم[٢]، ونستنتج ذلك من

---

(1) - Cowan, Ross: Roman Legionary 58 BC–AD 69, op.cit, pp. 9-10.

(2) - Roth: op.cit, p.9.

خلال حالة تم توثيقها في عهد الإمبراطور هدريان وفيها تم رفض أحد الرجال من الخدمة في الحرس الإمبراطوري وضمه إلى الوحدات المدنية بعد اكتشاف أن طوله بلغ ١٧٠ سم(١).

أما بالنسبة لعمر الجنود المتطوعين فيشير مقطع كتبه المؤرخ كاسيوس ديو إلى أن الحد الأعلى لعمر المجندين في العصر الإمبراطوري بلغ خمسة وثلاثين عاماً ويتطابق هذا الحد مع الحد الأعلى لعمر المجندين في الفترة الجمهورية، وأثبت تحليل أعمار خمسمائة جندي من جنود الفرق العائدة إلى العصر الإمبراطوري أن ٧٥% من هؤلاء التحقوا بالجيش بين سن الثامنة عشر وسن الثالثة والعشرين. وأُصدِرَ قرار في أواخر الإمبراطورية يقضي بتحديد الحد الأدنى لعمر الشاب الذي يريد الانتساب للجيش بسن الثامنة عشر واستناداً إلى النزعة المحافظة التي اتبعها الرومان في قوانينهم العسكرية ربما تم تطبيق هذا العمر في أوائل الفترة الإمبراطورية، وبالرغم من أن النقوش تؤكد وجود بعض المجندين الذين بلغت أعمارهم ثلاثة عشر عاماً إلا أنها قد تعكس ظروفاً خاصة مثل الحالات الطارئة وإهمال الواجب، لأن المصادر تذكر خفض رتبة أحد القادة المسؤولين سنة ٢١٧م لقبوله تجنيد شبّان غير ناضجين في الجيش(٢).

ونتيجة لما سبق ذكره نجد أنه وفقاً للتقاليد الرومانية، كان المواطنون الرومان الذكور بين سن السابعة عشر والسادسة والأربعين ملزمين بالخدمة العسكرية، وكان السن الطبيعي للتجنيد بين سن السابعة عشر والثالثة والعشرين وجميع الحالات التي تنقص أو تزيد عن هذه الأعمار تكون نتيجة لحالات طارئة(٣).

ب- البنية السليمة:

لاشك أن الفحص (probatio) شمل فحصاً طبياً شاملاً لجميع الشباب الذين يريدون التطوع في الجيش، وذكر المؤرخ فيجيتيوس أنه على الجندي التمتع ببصر جيد ويؤكد هذا وثيقة من مصر تعود إلى سنة ٥٢م ورد فيها ما يأتي:

---

(1) - Davies: op.cit, p.6.

(2) - Roth: op.cit, p.11.

(3) - Cowan, Ross: Roman Legionary 58 BC–AD 69, op.cit, p.9.

« في ٢٤ نيسان من عام ٥٢م رُفض تريفون (Tryphon) بن ديونيسيوس (Dionysius) الحائك من قبل حاكم مصر جنايوس ڤاليريوس كابيتو (Gnaeus Valerius Capito) وذلك لإصابته بضعف نظر ناتج عن إعتام عدسة العين، وتم هذا الفحص في الإسكندرية ».

سنة ٢١٥م خاطب الإمبراطور كركلا عدداً كبيراً من الشبّان الذين تجمعوا في روما قادمين من الريف المحيط بها، وذلك احتفالاً بإعلانه تشكيل فرقة جديدة وبعد ذلك أمرهم أن يصطفوا جميعهم في صفوف لكي يستطيع فحص سن كل شاب وبنيته، وفيما إذا كانت صحته مناسبة للخدمة العسكرية. وفي الواقع شكّلت النقاط الثلاثة السابقة (السن، البنية، الصحة) النقاط الجسدية التي كان الضباط المسؤولون عن التجنيد يدققون عليها أكثر من كل النقاط الأخرى[١].

جـ- الخلفية:

كما يوضح فيجيتيوس سعى القادة الرومان للحفاظ على منزلة الجنود ومهنتهم المحترمة، ولتعزيز التواضع عندهم رفضوا تجنيد غير المرغوب فيهم اجتماعياً وفضّلوا تجنيد مجندين منحدرين من منزلة اجتماعية محترمة لم تفسدها الحياة المدنية والتجارة. وشكّل فقر المجندين قضية أيديولوجية ربطها البعض ربطاً خاطئاً بجيوش المرتزقة في أواخر الفترة الجمهورية والتي كانت عبارة عن رجال فقراء يعتمدون على قادتهم في الأجور والفوائد الأخرى، لكن وجد الرومان خلال الفترة الإمبراطورية أن التجنيد من طبقة اجتماعية أغنى نوعاً ما قد ينتج مجندين يتمتعون بطاعة وولاء أكبر، مع ذلك يرى فيجيتيوس أنه من الصواب تجنيد رجال فقراء عندما يشبه فقرهم أهل الريف في روما القديمة وينصح الدولة الرومانية بتجنيد الشبّان الريفيين المناسبين أكثر للعمل والشبّان المتمتعين بجسم رياضي ورجولي المظهر والسلوك، والشبّان الذين يزاولون مهن محترمة، وينصح باستبعاد صيادي الأسماك والطيور والخبازين. ركزت هذه المعايير على المنزلة الاجتماعية والأخلاق، ولم تأخذ بالحسبان أصول المجندين العرقية، وربما يكون هذا وراء التحول الكبير الذي شهده التجنيد بعدما توسع نطاقه من ايطاليا في بداية القرن الأول إلى الأقاليم الحدودية في أواخر القرن الأول وبداية القرن الثاني، ثم إلى

---

(1) - Davies: op.cit, p.7. نقلاً عن

المنطقة الحدودية خلال القرن الثالث(١). ومع ذلك خدم المواطنون الرومان في الحرس الإمبراطوري والفرق، في حين كانت الفروع الأخرى متاحة أمام جميع الرجال الذين ولدوا أحراراً، وهذا ما يجعلنا نجد رجالاً من أصول اجتماعية وعرقية مختلفة ومن أجزاء متنوعة من الإمبراطورية يخدمون في الجيش(٢).

وفي الواقع شكّل المزارعون العمود الفقري للجيش في العصر الجمهوري وبقي الريف المصدر الأول للمجندين حتى أواخر الفترة الإمبراطورية، وفضّل الجيش المجندين ذوي الخلفيات الريفية والزراعية لتحمّلهم وجلدهم ولأنهم لم يتأثروا بمفاسد الحياة في المدينة. يقول فيجيتيوس:

> « نشأوا في حياة ملؤها العمل وتحملوا حرارة الشمس ولم يبالوا بالظل ولم يعتادوا على دخول الحمامات، وكانوا بسيطين ويقنعون بالقليل وأجسامهم صلبة قادرة على تحمل كافة الأعمال الشاقة واعتادوا على استخدام الأدوات الحديدية وحفر الخنادق وحمل الأثقال في الريف »(٣).

ويؤكد المؤرخ تاكيتوس على أن تمرد فرق الراين سنة ١٤م تفاقم بسبب "وجود مجندين مدنيين من العاصمة لم يعتادوا على حمل المسؤولية وينفرون من مواجهة المصاعب وبدأوا بالتأثير على عقول البقية البسطاء"(٤).

د– المنزلة الاجتماعية:

وكثيراً ما أشاد يوسيفوس وغيره من المؤرخين القدماء بقوة الرومان الجسدية وبتمتع قواتهم بالشخصية والخلق الجيد، ولكن غالباً ما أغفل بعض هؤلاء المؤرخين مؤهل بالغ الأهمية وجب على كل مجند التمتع به قبل أن يصبح جندياً لائقاً للخدمة وهو الأصل الحر، لأن الرومان سعوا إلى استبعاد المجرمين والعبيد وحتى العتقاء أو من يشوب حالته غموض. كان العتقاء (العبيد المحررين) يُجندون في الحالات الطارئة كما فعل أغسطس أثناء الثورة البانونية وبعد هزيمة ڤاروس سنة ٩م، ومع ذلك لم يُدرج هؤلاء في الوحدات العادية وإنما في وحدات خاصة أُطلق عليها اسم وحدات المتطوعين (Cohortes Voluntariorum)، ويمكن تسويغ

---

(1) - Elise Phang: Roman Military Service, Cambridge University Press, 2008, pp.77-78.

(2) - Wesch-Klein: Gabriele, Recruits and Veterans: ACRA, Blackwell Publishing, 2007, p.435.

(3) - Vegetius: Epitome Vol.1.3, Translated by N. P. Milner, Liverpool University Press, 1996.

(4) - Cowan, Ross: Roman Legionary 58 BC–AD 69, op.cit, p.9.نقلاً عن

الإجراء الأخير عندما نعلم أن تاكيتوس يلقي بالكثير من اللوم على وجود الأعداد الكبيرة من العتقاء في الجيش أثناء تمردات جرمانيا في أحداث سنة ٩م، وسبب تمردهم هو اعتيادهم على الحياة السهلة وعدم استعدادهم للقيام بالأعمال العسكرية الشاقة.

ومُنع قبول العبيد في القوات المسلحة منعاً باتاً إلا في حالات الضرورة القصوى كانت تُخرق هذه القاعدة الأساسية، وفي ظل هكذا استثناء يصبح العبيد عتقاء بعد دخولهم في الجيش. ومع ذلك رغم هذا التحريم وجد عبيد في الجيش وسبب انضمامهم له مفتوح على تساؤلات عديدة منها:

- ربما يكون البعض عبيداً فارين وانضموا للجيش كمخبأ يكتسبون فيه هوية جديدة.
- قد يكون آخرون جندوا بشكل غير قانوني من قبل أسيادهم كبدلاء عن أبنائهم[١].

أما بالنسبة لمن يشوب أصله الحر شائبة، أو من كان أصله موضع شك فلا يسمح له بالتطوع في الجيش حتى يثبت أصله الحر ويُسوي وضعه، وكان على الشاب الذي يريد التطوع في الفرق أن يتمتع بالمواطنة الرومانية بالإضافة إلى أصله الحر، وتوضح ذلك وثيقة من مصر تعود إلى سنة ٩٢م، والتي تذكر أن بعض الشكوك ظهرت حول إمكانية امتلاك أحد المتطوعين المؤهلات اللازمة ليخدم في الجيش، فصرّح هذا الشخص نفسه أنه يمتلك هذه المؤهلات وقام ثلاثة جنود آخرون بدعم هذه الشهادة، و ورد في الوثيقة ما يأتي:

« فلافيوس لونغوس (T. Flavius Longus) نائب قائد المائة (Optio) في الفرقة الثالثة سرينايكا أعلن في قسمه أنه كان حر المولد ومواطناً رومانياً و أن لديه الحق بالخدمة في الفرقة...... وأقسم كفلاؤه بجوبتر و بالإمبراطور دومتيان على أنه حر المولد ومواطناً رومانياً ولديه الحق بالخدمة في الفرقة[٢]».

في حال توفرت الشروط سابقة الذكر في الشاب الذي يريد الانتساب للجيش فإنه يكون قد اجتاز المرحلة الأولى من مراحل الانضمام إلى الجيش، ولكن مع ذلك لا يعتبر جندياً حقيقياً وإنما يطلق عليه (Probatus)، أي المجند الذي اجتاز الفحص الطبي الأولي.

---

[1] - Wesch-Klein: Gabriele, op.cit, p.436.

[2] - Davies: op.cit, p.10.نقلاً عن

٢ -المرحلة الثانية:

توجب على المجندين بعد اجتياز الاختبار الأولي الخضوع لفترة تدريب أساسي مدتها أربعة شهور يتم خلالها اختبار المجندين عملياً و التحقق من السرعة والقوة البدنية المطلوبتين في المجند، ويوضح لنا فيجيتيوس ذلك من خلال قوله:

« يجب أن لا يحصل المجند على العلامة مباشرة، لكن في البداية يجب أن يختبر عن طريق التدريب لمعرفة إن كان صالحاً لهكذا عمل، وبهذه الطريقة تظهر السرعة و القوة المطلوبتين من المجند وما إذا كان يمتلك شجاعة الجندي، لأن كثيراً من المجندين ثبت أنهم غير لائقين بعد الاختبار بالرغم من أنهم بدوا مناسبين من ناحية المظهر الخارجي. لذلك يجب رفض الرجال الأقل صلاحاً، ويجب اختبار الجنود المتمتعين بمقدار اكبر من القوة والنشاط، لأنه في كل صراع لا يهم العدد وإنما الشجاعة ».

ويقدم فيجيتيوس ملخصاً عن تدريب المجندين خلال فترة التدريب الأساسي الممتدة أربعة شهور من خلال قوله:

« على المجند أن يمتلك الوقت لتعلم كل شيء ويجب تدريبه على فنون الأسلحة سواء رغبت بتدريب فارس أو نبالاً راجلاً أو جندي مشاة، ويجب تدريبهم على مدى الأسلحة كلها وعلى التحركات وعلى أن لا يتركوا مواقعهم وأن يحافظوا على الصفوف، ويجب تدريبهم على أن يرموا أسلحتهم بقوة ودقة كبيرتين وعلى حفر الخنادق وزرع سياج خشبي بمهارة وعلى تفادي الضربات وتوجيهها بشجاعة ».

بعد انقضاء فترة التدريب الأساسي يصل المجند إلى نهاية المرحلة الثانية ويطلق عليه بعد اجتياز هذه الاختبارات اسم سيغناتوس (Signatus)، أي جندي قُبل في الجيش الروماني[١]. يبدأ المجند بقبض الأجر بعد أن يجتاز فترة التدريب الأساسي وتقدم له الدولة بعد اجتيازه الفحص الطبي الطعام ومقداراً معيناً من اللباس الموحد وبعض التجهيزات بالإضافة إلى مبلغ مالي بسيط كإعانة وبدل سفر عند التجنيد يطلق عليه اسم (Viaticum)[٢].

---

(1) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.6.

(2) - Davies: op.cit, pp. 15-19.نقلاً عن

كان المعيار الأساسي في تحديد نوع الوحدة التي سينضم إليها المجند سواء كانت وحدة فرسان (ala) أو وحدة مشاة معياراً جسدياً بالدرجة الأولى، ولعب الطول دوراً محورياً في ذلك كما تم توضيحه سابقاً. وبعد اجتياز المرحلة الثانية يفتح لكل مجند إضبارة شخصية تحتوي على معلومات مثل منزلته وصفاته والتقارير الطبية والتاريخ الذي أصبح به بروباتوس واسم الحاكم الذي قبله كمجند، وبعد ذلك يذكر فيجيتيوس كيف تُشكّل الفرقة:

« بعد اختيار الشبّان بعناية وبعد اختيار صفاقم الجسدية والعقلية وبعد تدريبهم يومياً لمدة أربعة شهور أو أكثر تُشكّل الفرقة بأمر من الإمبراطور وتحت رعايته، ويتلقى الجنود علامة دامغة على الجلد وتدرج أسمائهم في السجلات ويؤدون القسم ».

عندما يصل الجندي إلى وحدته وقبل أن يدرج اسمه في سجلاتها يؤدي القسم العسكري (Sacramentum Militlae) بالولاء للإمبراطور، وربما يتم إعطاؤه خلال هذه الفترة لصيقة (Signaculum) كانت عبارة عن لويح رصاصي مغلف بكيس جلدي منقوش عليها اسمه واسم وحدته[١]، وبعد ذلك يؤخذ اسمه وعمره وعلاماته المميزة وطوله، بالإضافة إلى معلومات أخرى وتفتح له إضبارة جديدة تحتوي على المعلومات كافة التي ذكرت سابقاً[٢].

ثانياً: التدريب

إن احد أهم المظاهر التي ساعدت على توحيد الجيش الروماني هي تأكيده على التدريب ولسوء الحظ إن أغلب المعلومات المتوفرة لدينا عن التدريب الأساسي في الجيش الإمبراطوري تأتينا من مصدر وحيد هو فيجيتيوس، والذي سعى من خلال كتاباته إلى استعادة أمجاد الجيش السابقة. ولا يوجد شك بأنه استفاد من الكتيبات العسكرية التي تعود إلى الفترة التي سبقت عصره، ولذلك تعتبر أعماله مقبولة ويمكن الأخذ بها، لكن لا يمكن الاعتماد عليها في جميع المجالات[٣]. ومن خلال وصف المصادر القديمة لتدريبات الجيش الروماني الإمبراطوري وفي مقدمتهم فيجيتيوس الذي اعتمد عليه معظم المؤرخين والكتّاب المعاصرون،

---

(1) – Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.6.نقلاً عن

(2) - Davies: op.cit, pp.20, 26, 13.

(3) - Rankov, Boris: Military Forces: CHGRW, Vol II, Cambridge University Press, 2007, p.63.

نجد أن تدريب المشاة اختلف بشكل كبير عن تدريب الفرسان، ولذلك سيتم الحديث عن تدريبات سلاحي الفرسان والمشاة كلٌ على حدا.

١ – تدريب المشاة:

يقول فيجيتيوس " لا يوجد ما يفسر هيمنة الرومان على العالم سوى تدريبهم العسكري وانضباطهم في المعسكر وتمرسهم على القتال"[١]. يؤكد كلام فيجيتيوس على الاعتقاد الروماني السائد والمتمثل في أن التدريب القتالي والانضباط هما أهم العوامل التي تساعدهم في التغلب على جميع الشعوب الأخرى، ويثبت ذلك العديد من المصادر التاريخية التي تذكر تفوقهم في الشجاعة والتحمل التي عززها التدريب. يقول فيجيتيوس إن الرومان غزوا كل الشعوب الأخرى من خلال تدريبهم العسكري على الأسلحة وانضباطهم في المعسكرات وعاداتهم العسكرية، ولم تشدد الثقافة العسكرية الرومانية على فترة التدريب المكثف أو ما يطلق عليه التدريب الأساسي للمجندين الجدد كما هو موجود في الجيوش المعاصرة بالرغم من خضوعهم لفترة تدريب وتوجيه قصيرة، إلا أن تدريبهم كان عملية متواصلة تستمر طالما خدموا في الجيش[٢].

تدرّب المجندون الجدد تدريبات شاقة لمدة أربعة شهور خلال فترة التدريب الأساسي وكان عليهم التدرب خلالها على الركض والمشي والقفز والسباحة والوثب على أحصنة خشبية وقطع الأشجار وحمل حزم خشبية ثقيلة والذهاب في مسير (Ambulatio) على الطرق ثلاث مرات في الشهر[٣]، وكانت الخطوة العسكرية هي أول شيء يتعلمه المجند، أي يتعلم كيف يسير بخطوات متناسقة ومنتظمة وكيف يحافظ على مكانه في التشكيلات، حيث درب الرومان جنودهم على السير وفق خطى منتظمة لها نوعان هما:

– الخطوة القصيرة: هي الخطوة التي أطلق عليها المؤرخ الروماني فيجيتيوس اسم "الخطوة العسكرية"، وبدون شك تطبق هذه الخطوة عند الحاجة إلى تدريب الجنود تدريباً متراصاً، ونستطيع أن نشبهها إلى حدٍ ما بالنظام المنضم في وقتنا الحالي.

---

(1) - Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69, op.cit, p.11.نقلاً عن

(2) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, pp.38-39.

(3) - Davies: op.cit, p.15.

– الخطوة العادية السريعة: وهي الخطوة الكاملة التي كانت أطول وأسهل من الخطوة القصيرة وتطبق أثناء المسير لمسافات طويلة، وتشبه إلى حدٍ ما "الهرولة" في وقتنا الحاضر(١).

حفاظاً على لياقة المجندين أجرى الرومان لهم مسير تدريبي منتظم ثلاث مرات في الشهر، وكان على الجنود السير مسافة عشرين ميلاً رومانياً خلال مدة قدرها خمس ساعات بالخطوة العسكرية القصيرة، في حين وجب عليهم قطع مسافة أربع وعشرين ميلاً رومانياً بالزمن نفسه أثناء السير بالخطوة السريعة(٢). ويصور عمود تراجان حمل الجنود المشاة عدتهم كاملة أثناء هذا المسير، ويُقدر وزن هذه العدة بحوالي عشرين كيلوغرام ونصف، وكان الهدف من ذلك أن يعتاد المجند على تحمل الصعوبات وعلى حمل مثل هذا الوزن خلال المسير أثناء الحملات، وفرض الجيش انضباطاً شديداً على المجندين خلال تدريب المسير للحفاظ على تناسق الصفوف، واستخدم قادة المائة وضباط التدريب العصا لضرب من يبطئ أو يتأخر عن رفاقه، وبعد أن يصبح المجندون قادرين على السير في الوقت المحدد وكذلك قادرين على اتباع الأوامر الصادرة باستخدام الأبواق والرايات يبدأوا بممارسة المناورات والتدرب على تنفيذها من دون توقف(٣).

يذكر فيجيتيوس أن الجنود الرومان تدربوا على حفر الخنادق وبناء الحصون المؤقتة وبناء المتاريس الترابية وبناء معسكرات التدريب من طبقة التربة العلوية، وتألفت الأخيرة من أربع زوايا ومداخل فقط وهذا يوحي بأن هذه الأجزاء هي الوحيدة التي تطلبت مهارة و ممارسة في البناء(٤). وتقدم بريطانيا أكبر عدد من معسكرات التدريب في الإمبراطورية، وغالباً ما كانت تبعد مابين ١-٢ كم عن موقع الحصن وتكون قريبة على طريق روماني، وتدرب فيها الجنود على بناء معسكرات المسير وخصوصاً الأجزاء الأصعب المتمثلة بالزوايا والبوابات، وعلى الأغلب وجد في معسكرات التدريب بناء مساحته ثلاثون متراً مربعاً. وتم التعّرف على معسكر تدريب عند كاوثورن (Cawthorn) في بريطانيا، فقد تمركز جنود

---

(1) - Simkins: The Roman Army from Caesar to Trajan, op.cit, pp.6-9.

(2) - Goldsworthy: Roman Warfare, op.cit, p.122.

(3) - Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69, op.cit, p.11.

(4) - Rankov: Boris, op.cit, p.64.

الفرقة التاسعة هيسبانا في يورك القريبة منه، والذين تدربوا فيه على فن التحصين وحفر الخنادق وبناء المتاريس ...الخ[١].

كان نطاق تدريب الجنود الرومان واسعاً وشاملاً لجميع المجالات التي من الممكن أن يتعرض لها الجنود في حياتهم سواء في المعركة أو في السلم، ويمكن معرفة ذلك من خلال قول فيجيتيوس:

« يجب عليهم التدرب باستمرار على المناورات وألا يعطوا إجازات، ويجب إبقائهم منشغلين بالعروض العسكرية والتفقد، ويجب إبقائهم منشغلين معظم النهار في رمي أسلحتهم وتحريكها وبالطعن والجرح بسيوفهم الخشبية حتى يسيل منهم العرق، وأيضاً يجب تدريبهم على الركض والقفز فوق الخنادق وإجبارهم على السباحة في البحر أو أي نهر قريب من معسكرهم أثناء الصيف، ويجب عليهم قطع الأشجار والسير في الأدغال وعلى الأرض الوعرة وأن يشذبوا الخشب ويحفروا الخنادق وعلى مجموعة احتلال موقع واستخدام التروس لمنع مجموعة أخرى من إزاحتهم من موقعهم. بهذه الطريقة سيكون الجنود سواء في فرق أو وحدات مساعدة مشاة أو خيالة مدربين جيداً ومهرة في معسكرهم ».

ربما سعى الرومان إلى تدريب جنودهم على هذا الشكل لكي يستطيعوا اجتياز أي وضع أو حالة يواجهها أثناء المعركة أو في وقت السلم، وهذا ما جعل التدريب حالة مستمرة. وتوجد الكثير من الأدلة تبين أن نظام المسير الذي يقوم به الجنود بشكل منتظم كما وصفه فيجيتيوس وآخرين شكّل جزءاً منتظماً من تدريبات الجيش في أوقات السلم، ومن هذه الأدلة قول المؤرخ فرونتيوس " قام بإصلاح جيش منحل وجعل الجنود يعودون إلى أداء واجبهم من خلال إجراء التدريبات اليومية، وعندما فرض عليهم المسيرات بشكل متكرر .... وفي ظل هكذا ظروف سرعان ما اعتاد الجنود على تحمّل البرد والمطر وخوض الأنهار ". ومن خلال كلام فيجيتيوس السابق نجد أن السباحة كانت أمراً ضرورياً ومفروضاً على جميع الجنود خلال الصيف، وفي مكان آخر يقول إنه وجب في فصل الصيف تعليم الجميع السباحة بما في ذلك الخيالة وخيولهم " أثناء شهور الصيف على كافة المجندين بدون استثناء تعّلم السباحة .... إنما ميزة كبيرة ليس فقط للمشاة، لكن أيضاً للخيالة وخيولهم وخدم الجنود"[٢]، وما يؤكد

---

(1) - Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, op.cit, p.52.

(2) - Davies: op.cit, pp.41, 105-106.نقلاً عن

كلام فيجيتيوس حول تدريب الجنود على السباحة وجود بركة سباحة كبيرة في معقل الفرقة الثانية أوغسطا عند كارليون (Caerleon) جنوب ويلز في بريطانيا[١].

تطوّع الشبّان في الجيش الروماني لكي يصبحوا جنوداً محترفين قبل كل شيء، ولذلك دربهم ضباط الجيش على جميع فنون القتال بالسيف ورمي الرمح واستخدام القوس والمقلاع. وفي البداية استخدم المجندون أسلحة مخصصة للتدريب (armatura) مصنوعة من الخشب، وكان في مقدمتها السيف الخشبي والترس المصنوع من الأغصان والتي يبلغ وزنها ضعف وزن الأسلحة الحقيقية لتقوية سواعد المجندين (الشكل رقم ٩٤)، ودربوا على استخدام أسلحتهم للطعن والجرح ضد سارية خشبية تدعى بالوس (palus) يبلغ ارتفاعها (١٨٠) سم مثبتة بالأرض، وبعد ذلك يتبارز المجندون ضد مجندين آخرين وتغطى رؤوس سيوفهم بقطع جلدية لمنع وقوع إصابات خطيرة بينهم[٢]، وشدد المدربون على تغطية الجسم بوساطة الترس عند استخدام السيف ، وربما تدرب المجندون على استخدام الأسلحة مرتين يومياً[٣].

وكان القتال بالسيف جوهرياً في التدريب العسكري لأن التقاليد الرومانية مجّدت القتال يداً ليد، وهذا نجده في قول المؤرخ ليفي " انتصر الجنود الرومان في معاركهم بالسيف "، وكذلك يؤكد فيجيتيوس على هذه الفكرة من خلال قوله بضرورة تدريب الجنود على القتال يداً ليد بشكل مستمر وتعليمهم على تصويب أسلحتهم بدقة وقوة كبيرتين، وتدريبهم على إمساك الترس بشكل صحيح لحرف ضربات العدو. إن التأكيد على تدريب الجنود للقتال بالسيف يوحي بأن التدريب العسكري الروماني سعى للتغلب على الخوف الطبيعي من الأسلحة الفولاذية، وسعى إلى تجاوز مسالة تردد الجنود بالقتل من مسافة قريبة، ولذلك كان على الرومان غرس الشجاعة في نفوس الجنود وتجريدهم من إحساسهم عن طريق الممارسات الزائفة أثناء التدريبات والمبارزة ضد سارية خشبية بدل العدو ومن خلال المبارزة مع بعضهم ومع ضباط التدريب. تم تعليم

---

[1] - Rankov: Boris, op.cit, p.63.

[2] - Goldsworthy: Roman Warfare, op.cit, p.123.

[3] - Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69, op.cit, p.12.



الشكل رقم (٩٤)

مشهد تمثيلي يوضح كيف كان المجندون الرومان يتدربون على المبارزة باستخدام
الأسلحة الخشبية مثل السيف الخشبي و الترس المصنوع من الأغصان الطرية المجدولة

المصدر:
Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p. 81

الجنود أن يطعنوا بالسيف وينزلوا ضربة قاتلة بالعدو بدلاً من الجرح الذي يجده بعض الجنود أسهل لهم، واستخدام الرومان للسيف القصير يبين افتقارهم للتردد وميلهم الكبير للاقتراب من العدو أكثر ما يمكن، وكذلك كان لتدريب المجندين الجدد على أنهم سيكونون أكثر أماناً إن واجهوا العدو وقاتلوه وجهاً لوجه بدلاً من الهرب منه له دور كبير في إزالة التردد والخوف من قلوبهم. ووفقاً لفيجيتيوس ساعد استخدام الأسلحة والسيوف الخشبية الثقيلة في التدريب من زيادة الفاعلية القتالية للجنود الرومان، لأنه بعد اعتيادهم على الأوزان الثقيلة سيصبح في إمكانهم استخدام السيوف والرماح الحقيقية ببراعة وقوة كبيرتين، كما أن التدريب المكثف على

جميع فنون القتال جعل الجنود واثقين من قدراتهم ومهاراتهم التي كثيراً ما أكد الكتّاب القدماء على أنه الميزة الأهم التي ميزتهم عن أعدائهم البرابرة، والتي اعتبرها الجنود الرومان مصدراً للشرف والنصر، ويؤكد ذلك نقش على ضريح أحد فرسان الوحدات المساعدة من جرمانيا، والذي يتفاخر فيه بعبور نهر الدانوب سباحة بدروعه الكاملة تحت مرأى الإمبراطور هدريان وبإطلاق سهم وكسره بسهم آخر (١).

أشرف على تدريب المجندين مجموعة من الضباط الاختصاصيين في الأسلحة، وكان دورهم توجيه المجندين في مظاهر التدريب المختلفة، فكان هناك موجه التدريب في الفرقة (Campidoctor) وموجه الأسلحة (Doctorarmorum) الذي يشرح للمجندين طريقة استخدام الأسلحة، وكان هناك موجه تدريب (Doctorcohortis) في كل كوهورت من كوهورتات الفرقة. وفقاً لفيجيتيوس تدربت كافة القوات على جميع أنواع الأسلحة في كل صباح على أرضيات العروض (campus) أو في قاعة التدريب (basilica) أو في مدرّج الفرقة (Ludus)، وغالباً ما احتوت الأقاليم على مناطق خاصة للتدريب(٢).

كانت هناك ساحات عروض (campus) خارج كل حصن لتدريب القوات، وكان من واجب الضابط المسؤول إخراج قواته إليها من أجل التدريب، وغالباً ما يذكر فيجيتيوس هذه الساحات بالتلازم مع تدريب الجنود، حيث كانت تنصب السواري الخشبية على أرضيات هذه الساحات ويدرب الجنود على التبارز ضدها، وكذلك يؤخذوا إليها باستمرار لكي يتدربوا على حركات المسير والتشكيلات المتنوعة. وبالرغم من أن التدريب كان يتم في الهواء الطلق على أرضيات العروض، إلا أن فيجيتيوس يذكر الحاجة إلى قاعات مسقوفة يستطيع الجنود إجراء تدريباتهم وتمريناتهم فيها أثناء الطقس السيئ، ولذلك بنى الرومان قاعات تشبه قاعات الاجتماعات من أجل جنود المشاة، والتي استطاع الجيش من خلالها إجراء جميع التدريبات حتى في الطقس العاصف، وتوجد أدلة أثرية ونقشية على بناء مثل هذه القاعات تم اكتشافها في معقل الفرق العائد إلى عهد أغريكولا عند اينجتوثل (Inchtuthil) في اسكتلندا، ومعقل الفرق

---

(1) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, pp.42-44.

(2) - Davies: op.cit, pp.15, 42.

عند تشستر (Chester) في بريطانيا خلال بداية القرن الثاني، ويبدو أنه كان هناك جندي مسؤول عن صيانة ونظافة قاعات التدريب في كل معقل[١].

لابد أن كل وحدة امتلكت أرضية تدريب (campus) خارج الحصن والأثر الوحيد المتبقي منها هو سطح مستوٍ، ولم يكن الهدف من هذه الأرضيات التدريب فقط وإنما أدت عليها الوحدات الاستعراض الرسمي احتفالاً بالعديد من المناسبات الرسمية الرومانية حسب توقيت المهرجانات والأعياد، والأهم من ذلك كله إعادة تأدية قسم الولاء للإمبراطور من قبل الجنود في بداية كل عام ويكّرس القائد مذبحاً جديداً لجوبيتر والآلهة الأخرى في المعبد الواقع على حافتها بعد إزاحة المذبح القديم بعناية وحذر شديد، وإذا ما انتقلت الوحدة وتوجب هدم الحصن تدفن حجارة المعبد في حفرة كبيرة لتجنب أية تدنيس بربري لها، و كان هناك منصة مرتفعة (Tribunal) في الساحة من أجل الضابط القائد[٢]. وشغلت ساحات العروض الواقعة خارج معاقل الفرق مساحة كبيرة ربما لا تقل عن أربعة هكتارات، وفي حين كانت ساحات العروض التابعة لحصون الوحدات المساعدة أصغر من ذلك، فساحة العرض الواقعة خارج حصن Hardknt Castle بلغت أكثر من اثنا عشر دونماً وربما بلغت مساحتها مساحة الحصن نفسه، أما المنصة المبنية من الحجارة فما زالت تقف بارتفاع ستة أمتار حتى يومنا هذا[٣].

ووفقاً لفيجيتيوس الجندي غير المدرب ليس أفضل من المجند الجديد بغض النظرة عن الفترة التي خدمها، وهذا ما دفع الرومان إلى الاستمرار في تدريب الجنود تدريبات كبيرة ثلاث مرات في الشهر[٤] شملت ثلاث مسيرات طويلة، وبعد نهاية كل مسير يبني الجنود معسكراً محصّناً ويحفرون الخنادق ويبنون المتاريس الترابية، وكان هذا التدريب أساسيا في عادات الرومان العسكرية[٥]. إذاً لم يكن التدريب مجرد تجربة يخوضها المجندين الجدد، وإنما كانت نشاطاً متواصلاً للحفاظ على كفاءة الجيش، لكن غالباً ما أدت الواجبات العديدة التي استوجبت

---

(1) - Davies: op.cit, pp.95-96.

(2) - Webster: op.cit, p229.

(3) - Davies: op.cit, pp.97-98.

(4) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, p.39.

(5) - Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69, op.cit, p.22.

نشر الوحدة وبعثرتها إلى إعاقة التدريب. وهنا يأتي دور الضباط المثاليون فقط، وهم الذين يتأكدون أن رجالهم مدربون جيداً وأن أسلحتهم بحالة جيدة(١).

شكّلت المناورات في ساحات العروض والمسير مع حمل عدة القتال كاملة وحفر الخنادق وتشكيل درع السلحفاة جزءاً هاماً من التدريب المنتظم للجندي الروماني في أوقات السلم، ويقتبس المؤرخ فرونتينوس قول هدريان المشهور " في جميع مسالك الحياة وبالدرجة الأولى الحرب يكون الكسل والخمول مهلكاً، ومن المهم جداً أن يختبر الجنود حلو الحياة ومرّها وأن يخضعوا لتدريبات شاقة في ساحات العروض"(٢). يشير هذا إلى أن أحد أهم صفات القائد الروماني المثالي هو فرضه لبرنامج شاق من تدريبات اللياقة البدنية والمهارة العسكرية حتى في أوقات السلم، وربما كان هذا البرنامج ضرورياً للحكّام الجدد الذين يريدون شن حملة ما كما فعل الحاكم الجديد لإقليم سورية والقائد الفذ كوربولو، والذي أبقى جيشه في سورية يبيت تحت الخيام طيلة فصل الشتاء بين عامي ٥٧-٥٨م عندما أراد مواجهة البارثيين، وبالرغم أن هذا العمل اعتُبر عملاً قاسياً بشكل استثنائي، إلا أن انضباط الجيش الروماني وتدريبه دائماً كان صارماً(٣).

فربما لم يكن الواقع مطابقاً لهذه الصورة المثالية، لأن الاعتقاد السائد أن الجيش في الأقاليم الشرقية عاش حياة لينة ومترفة وسهلة في الحاميات داخل المدن المزدهرة أو حولها مثّل أحد الأفكار الشائعة في تلك الفترة. وفي الواقع كانت هذه الأفكار مجرد خرافة وأسطورة والشيء المؤكد هو أن أداء الجيش لواجبات أخرى في كل أنحاء الإمبراطورية أعاق تدريبه العسكري، فكان على الجيش تأدية مهام عديدة مثل جمع الضرائب والأشراف على الأمن ...الخ، والتي كانت أحيانا أهم من الإبقاء على الجاهزية الكاملة للقتال، ومع ذلك توجب على الضباط من الرتب كافة إيجاد الوقت المناسب لتدريب الجنود على أساس منتظم، ووضّح معظم الأباطرة أن هذا كان جزءاً هاماً من مهامهم ومهام الحكّام الإقليميين، فقضى الإمبراطور هدريان معظم فترة حكمه يجوب الأقاليم لتفقد الجيش في كل أنحاء الإمبراطورية وتفقد تدريباته معتمداً في ذلك على معرفته الكبيرة بالأسلحة والتكتيكات. وزار هدريان شمال

---

(1) - Goldsworthy: Roman Warfare, op.cit, p.123.

(2) - Davies: op.cit, p.96.نقلاً عن

(3) - Rankov, Boris: op.cit, p.64.

أفريقيا سنة ١٢٨م وأشرف على سلسلة تدريبات كبيرة أدتها الفرقة الثالثة أوغسطا والوحدات المساعدة في ذلك الإقليم وخاطب الجيش في عرض رسمي مادحاً الضباط وقادة المائة وموضحاً إعجابه بالأداء بالرغم من قضاء الفرقة معظم وقتها منتشرة في مخافر أمامية صغيرة[١].

وربما شكّلت المناورات الجماعية التي أدتها الفرقة الثالثة أوغسطا جزءاً من خطة شاملة كان الجيش الروماني يؤديها بشكل روتيني ودوري، لأنه بالرغم من تدريب الجنود على اللياقة البدنية الفردية ومهارات القتال مثل السرعة والدقة والرشاقة والعدوانية والشجاعة، إلا أنهم تدربوا أيضاً على المناورات الجماعية كالمسير والتشكيلات المتنوعة والمعارك الزائفة، والسؤال الذي يطرحه إجراء التدريبات الجماعية هو فيما إذا كانت تمثّل استعراضاً للمهارات القتالية الفردية كما في قتال المصارعين، أو كانت تمثّل عروضاً لتشكيلات جماعية كبيرة كما هو الحال في تدريبات الوقت الحاضر؟ يؤيد المؤرخ يوسيفوس الرأي الثاني ويرى أن الرومان دربوا جنودهم باستمرار لكي يحافظوا على تشكيلاتهم في القتال كما لو أنهم يتدربوا ويدعم هذا الرأي قوله الشهير " كانت مناوراتهم معارك بيضاء ومعاركهم مناورات دموية "، ومن خلال هذا الرأي نجد أن يوسيفوس يشدد على المناورات والتشكيلات الكبيرة. ويقدم المؤرخون القدماء صورة واضحة عن دور الأباطرة والقادة في الأشراف على التدريبات شخصياً، ويصور لنا المؤرخ بليني الإمبراطور تراجان عندما كان يواجه جنوده في القتال الفردي ويتبادل معهم الضربات التدريبية، ويقول فيجيتيوس إنه على التربيونات وقادة الوحدات وقادة المائة أن يقودوا ويوجّهوا رجالهم في المهارات القتالية[٢]، ويقول إنه على الجنرال عندما يجمع جيشاً كبيراً مؤلفاً من وحدات متنوعة تحت إمرته أن يدربهم على المناورات بشكل منفصل في البداية ثم يقوم بتدريبهم على أنهم قوة واحدة[٣].

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.93.

(2) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, pp.39-40.

(3) - Davies: op.cit, p.97.

٢- تدريب الخيالة:

تمّرس محاربو الشعوب المختلفة على استخدام أسلحتهم الفردية، في حين أن الرومان تدربوا كأفراد وكوحدات، وهذا ما يفسر نجاح الجيش الروماني، ومن دون شك يعتبر المؤرخ فلافيوس اريانوس (Flavius Arrianus) الذي يعرف بأريان (Arrian) أهم مصدر يتحدث عن تدريب الفرسان. كان أريان حاكماً لكبادوكيا في ثلاثينات القرن الثاني وكتب كُتيباً أطلق عليه اسم "فن التكتيك" (Ars Tactica) سنة ١٣٦م بتوجيهات مباشرة من الإمبراطور هدريان، وتكّلم في أحد فصوله عن تدريبات وتشكيلات الخيالة الرومان؛ لذلك يعتبر هذا الكُتيب أهم مصدر تعليمي وتوجيهي عن تدريب الفرسان[١].

كان العديد من جنود وحدات الفرسان المساعدة بارعين في القتال وشن الغارات قبل أن ينضموا للجيش الروماني، فقد كانت من ضمن عاداتهم وتقاليدهم في الحياة المدنية باعتبارهم فرساناً، وعند الانضمام للجيش توجب على الفرسان المجندين حديثاً التدرب على ركوب الخيل وبعضهم توجب عليه أن يبدأ من الصفر وخصوصاً الخيالة الذين تم ترقيتهم حديثاً من الوحدات المختلطة. يقول فيجيتيوس: إن الجندي يبدأ تدريبه بمحاولة امتطاء حصان خشبي من أحد الجانبين من دون عدة قتال (الشكل رقم ٩٥).

ولاحقاً يتدرب على الامتطاء متقلداً أسلحته كاملة وتدريجياً يتقدم في تدريبه على حصان حقيقي، وهنا يقوم بالخطوة الأولى المتمثلة في كيفية امتطاء الحصان بشكل صحيح. يتابع المجند بعد تعلّمه الأساسيات التدرّب على استخدام الأسلحة وهو ممتطياً الحصان ومن ثم يتدرب على المناورات التي يقوم بها الخيالة، وقد يحدث هذا في البداية على حصان خشبي وبعد ذلك يكون قادراً على امتطاء جواده وهو متسلّحاً ومرتدياً دروعه ومستّلاً سيفه الطويل (Spatha) أثناء ركض الحصان وعدوه [٢].

---

[1] - Rankov, Boris: op.cit, p.64.

[2] - Field: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, pp.22-23.


الشكل رقم (٩٥)
مجند يتدرب على امتطاء حصان خشبي
المصدر : Connolly, Peter: The Cavalryman, Oxford, 2003, p. 7.

تطلب تدريب المجندين الفرسان وجود مدربين أكفياء يشرفون عليهم، وكان من بين هؤلاء موجه التدريب في ساحات الاستعراض (Magister Campi) وضابط آخر يُعرف باسم (Exercitatores). وبعد تعلم الفرسان للأساسيات يخضعوا إلى سلسلة من التدريبات المعقدة تتمثل في العدو بسرعات متنوعة وبتشكيلات مختلفة مستخدمين العديد من الأسلحة، ويذهبون في مسيرات (Ambulatio) طويلة ثلاث مرات في الشهر يمارسون خلالها المناورات مثل المطاردة والتراجع والهجوم المضاد تحت إشراف قائد السرية (decurio)، ويتم هذا على أرض متنوعة التضاريس حتى تستطيع الخيول العدو على الأرض المسطحة والوعرة. يقول فيجيتيوس:

« على الخيالة و المشاة الذهاب في مسيرات ثلاث مرات في الشهر...... على نحو مماثل كان الخيالة يُقسمون إلى قوات مسلحة بالطريقة نفسها ويقطعون المسافة نفسها، ولكن في تمارين الفرسان يقومون بالمطاردة من حين إلى آخر ويتراجعون ويستعدون لإعادة الكرّة من جديد. و لم يكن ذلك في السهول فحسب، وإنما في المناطق القاسية المنحدرة، حيث يُجبر كلا سلاحي الجيش (الخيالة،المشاة) على الصعود والهبوط لكي لا يواجهوا أية حالة أثناء القتال غير مدربين عليها في التدريبات المستمرة »[(١)].

كان دور الحصان مساوياً لدور الفارس ومن الواضح أن تدريب كليهما يجب تأديته في الوقت نفسه، ولكن قبل إعطاء الفرس للمجند يجب أن يخضع كلاهما مسبقاً إلى فترة تدريب أساسي. يذكر أريان في كتابه (Ars Tactica) نقلاً عن المؤرخ الإغريقي إكزينوفون

---

(1) - Davies: op.cit, pp.15, 105.نقلاً عن

(Xenophon) – الذي كثيراً ما اعتمد أريان على مؤلفاته عندما كتب كتابه عن التكتيكات – النقاط المفضلة عند اختيار وشراء الخيول لاستخدامها في الحرب وينصح القارئ بإجراء فحص دقيق وشامل للحصان قبل شرائه وتدريبه، يقول في ذلك: " بالتحديد القفز فوق الخنادق والقفز من فوق الأسوار وصعود وهبوط الأكوام الترابية وبالإضافة إلى العدو أسفل الهضاب وأعلاها وعلى المنحدرات "، ثم يقدم وصفاً موجزاً لنوع الحصان المناسب للاستخدام العسكري في قوله " باختصار الحصان ذو الأقدام السليمة واللّيّن والسريع والذي يملك الرغبة والقوة والقدرة على تحمّل العمل والأهم من هذا الحصان الطيّع هو الذي سيسبب أقل مقدار من المتاعب وأكبر مقدار من السلامة لراكبه في المعركة ".

و ربما عملية تزويد الجيش بالخيول تمت تحت إشراف الحكومة الإقليمية، ومن المرجح أن المسؤولية عن كافة الخيول في إقليم ما قد وقعت على عاتق الحاكم نفسه، و لكن من البديهي أنه لم يقم بعملية الفحص بنفسه لأن ذلك يتطلب معرفة أخصائية ربما قام بها مسؤول حكومي يعرف بـــ (Stratores). بالإضافة إلى ذلك يتم تدريب الحصان على يد مدربين خبراء ومتمرسين يتحكمون به من خلال عنان طويل، وبعد استخدام الحصان من قبل الجيش يقوم المجند بالتحكم به وتوجيهه بواسطة اللجام وحركات الأرجل لتدريبه على استدارات ومراوغات وتوقفات وانطلاقات مفاجئة ودورات لأن المعركة تتطلب فعل ذلك. ويقول أريان أن الإمبراطور هدريان أمر بأن يتعلّم الخيالة الرومان الاستدارات التي يستخدمها الخيالة السرماتيون والسلتيون وأقرّ أنه في عهد هدريان كانت غالبية الأوامر التي تعطى خلال تمارين الفروسية ذات أصول سلتية بإضافة الى أن تدريب الخيالة على أهمية السرعة في ركوب الخيل ورمي الرماح واستخدام المقلاع لكي يلموا بكافة أنواع الأسلحة، وقدشكّلت السباحة عنصراً هاماً في تدريباتهم حتى لا تعيق الأنهار تقدم الجيوش عند اعتراضها لها أثناء الحملات العسكرية[١].

ويقول فيجيتيوس أنه في فصل الصيف وجب تعليم الجميع بما في ذلك الخيالة وخيولهم على السباحة " أثناء شهور الصيف على كافة المجندين بدون استثناء تعّلم السباحة.... ليس فقط المشاة لكن أيضاً الخيالة وخيولهم وخدم الجنود تدربوا على السباحة ". وفي أثناء الهجوم على جزيرة انجليزي (Anglesey) سنة ٦٠م عبر المشاة مضيق ميناي (Menai) الواقع شمال غرب ويلز في

---

[1] - Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69, op.cit, p.12. نقلاً عن

قوارب، بينما سبح الخيالة بجانب خيولهم[١]. وأيضاً عندما تعترض مخاضة مسير القوات كان الفرسان ينتشرون عبرها على شكل أرتال لالتقاط الأمتعة والمؤن المنجفة أو الرجال الذين تسحبهم المياه. ويُنصح الفرسان عند اجتياز نهرإلى صنع أطواف صغيرة من القصب ليضعوا عليها كل أسلحتهم ودروعهم ثم يسبحوا عبره مع أحصنتهم ساحبين الأطواف معهم[٢].

إن معظم تدريبات الخيالة كانت تتم على أرضيات ساحات التدريب الواقعة خارج الحصون، وقد كانت ساحات تدريب وحدات الخيالة المساعدة أكبر حجماً من ساحات تدريب وحدات المشاة المساعدة حتى تقدم المساحة المطلوبة التي يحتاجها الخيالة للتدرب على الأسلحة ولتأدية التشكيلات المتنوعة ولكي تعطي المسافة المطلوبة للحصان لكي يعدو[٣]. مع ذلك يذكر فيجيتيوس حاجة الخيالة إلى قاعات مسقوفة يستطيع الجنود إجراء تمارينهم وتدريباتهم فيها خلال الطقس السيئ " بنوا قاعات من القرميد أو ألواح الخشب من أجل تدريب الخيالة في الشتاء "، وقدعثر على مثل هذه القاعات عند نيوزتيد (Newstead) في بريطانيا، حيث ألحقت مدرسة فروسية بمبنى مقر القيادة في الحصن. وقدكانت وحدة الفرسان المساعدة بتريانا الألفية (ala petriana milliaria) متمركزة فيه. يُدرّب المجندون في هذه القاعات خلال فصل الشتاء على امتطاء الأحصنة الخشبية ويُدرّبون في ساحات التدريب الواقعة خارج الحصن خلال فصل الصيف على كافة أنواع التدريبات، وقد ضمت كل ساحة من ساحات التدريب على منصة مرتفعة (Tribunal) وعلى الأغلب كان هناك معبد صغير، وبما أن الخيول الرومانية لم تكن منتعلة فإنها تحتاج إلى ساحات تدريب خاصة . ويقدم لنا أريان وصفاً لها من خلال قوله :" يختاروا موقعاً تجري فيه التدريبات يكون مستوياً ويعملوا على تنظيفه، ويقوموا بتعيين حدود المنطقة الواقعة أمام المنصة على شكل مربع...... ويقوموا بكسر الكتل الترابية الناتئة للحصول على سطح مستوٍ ".
وقد استخدمت المنصة في العديد من التدريبات كمؤشر للفرسان على تغيير وجهاتهم عندما يعدون في تشكيلات متنوعة، وكذلك كموجه عندما يقومون برمي أسلحتهم الحقيقية، وبالإضافة إلى ساحات العروض والقاعات كان هناك بجانب معظم الحصون الرومانية هضبة صغيرة

---

[1] - Davies: op.cit, p.106.نقلاً عن

[2] - Webster: op.cit, p.235.

[3] - Ibid: p.229.

من أجل تدريب الفرسان عليها صعوداً ونزولاً، فوحدة الخيالة استوروم الثانية (ala II Asturum) المتواجدة في الحامية عند شستر (Chester) خلال القرن الثالث امتلكت كل عناصر التدريب السابقة الذكر، حيث استخدمت الأرض المستوية بين سور هدريان والڤالوم كساحة عروض (campus) أماالحصن عند (Warden Hill) كمنطقة تدريب أثناء الشتاء ونهر نورث تاين (North Tyne) والبرك العميقة للتدرب على السباحة(١).

يبدأ الفارس في آخر طور من أطوار التدريب باستخدام السيف والرمح والركوب في الريف لتمرين الحصان ونفسه على المهام المتوقع تأديتها كجزء من الواجبات المعتادة، ويتم إنجاز هذه المرحلة من التدريب بإرسال كل فارسين على حدى لإجراء تمارين المطاردة في الريف، حيث يقود الأول جواده مسرعاً فوق كل أنواع التضاريس ويقلب رمحه بحيث يكون رأسه للخلف، بينما يقوم الفارس الأخر بالمطاردة حاملاً رمحاً خفيفاً ذو رأس كليل (غير حاد) بنفس وضعية رمح الفارس الأول، وعندما يصبح على مسافة رمية رمحه الخفيف يحاول ضرب الفارس الهارب، وبعد أن يقترب من الفارس الهارب بما يكفي يستخدم رمحه الطويل ليضرب به، ويتكرر هذا العرض بين الفارسين بالتناوب وبين الفرسان الآخرين وبعد ذلك ينقسم الفرسان إلى قسمين ويؤدون هذا التمرين كمجموعة تحت إشراف القادة والضباط وبعض المشاهدين(٢).

وقد شكّلت العروض والمباريات أحد أفضل الطرق لتدريب الخيالة وتحسين مهاراتهم وقدنفّذ الفرسان هذه الطريقة مستخدمين أسلحة مخصصة للتدرب، وتدربوا في هذه العروض على سلسلة معقدة من التدريبات التي تشتمل على التحرك في تشكيلات ورمي القذائف، وتبلغ هذه التدريبات ذروتها في ألعاب الفروسية (hippika gymnasia) التي تشتمل على الكر والفر والالتفاف حيث يتزين فيهاالفرسان وخيولهم بتجهيزات زاهية الألوان ويرتدون خوذاً صُممت على نحو يشبه رؤوس البشروقد تم العثور على عدد منها في ألمانيا وكانت مزخرفةً بنقوش نافرة تصور وجوه رجال ونساء(٣) (الشكل رقم ٩٦). و يصف لنا أريان التمرين الذي يطلق

---

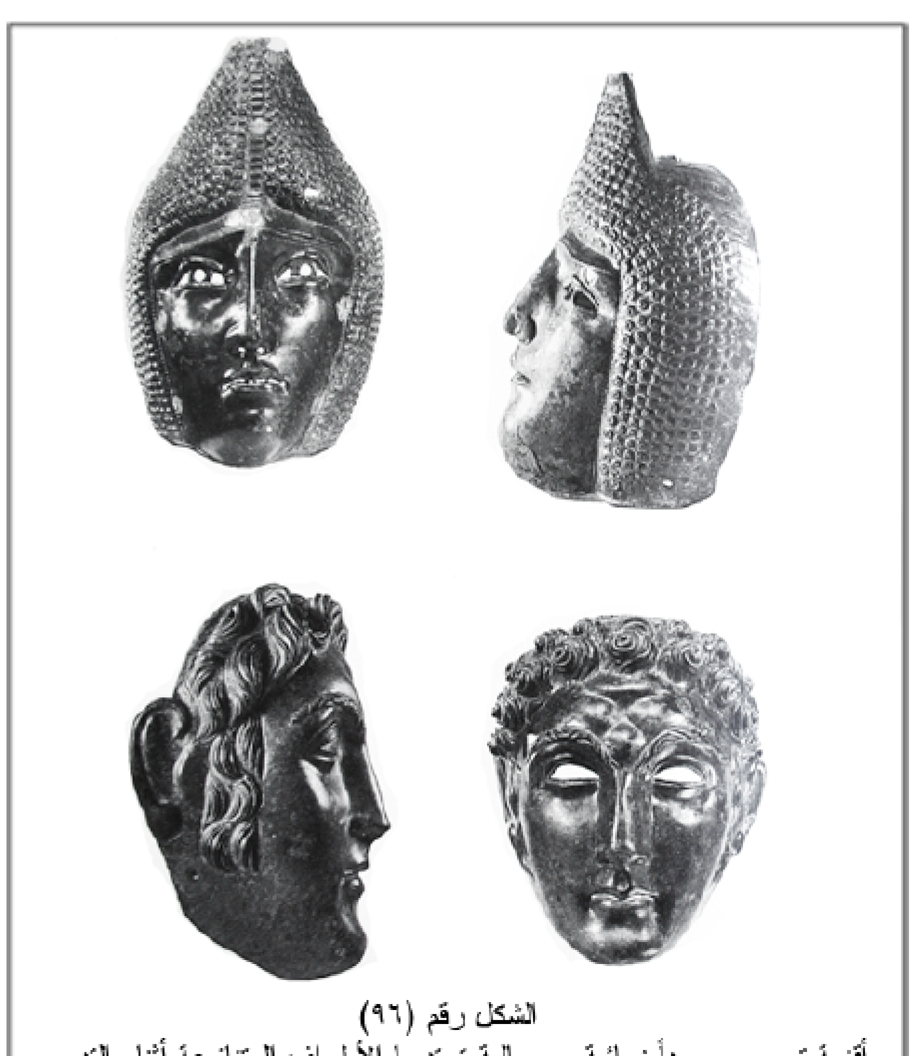
(1) - Davies: op.cit, pp.98, 115.نقلاً عن

(2) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.25.

(3) - Rankov: Boris, op.cit, p.64.

عليه اسم إكزونيما (Xunema)، والذي يتم تأديته أثناء هذه الألعاب من خلال نصب هدف (skopos) أو أكثر على يسار المنصة الموجودة في ساحة العرض ويقوم الفرسان برميها بالرماح، ويشرحه أريان قائلاً:

« عند مناداة اسم الرجل عليه الرد بصوتٍ عالٍ (هنا) وبنفس الوقت يعدو إلى الأمام حاملاً ثلاث رماح. عليه رمي الرمح الأول على الهدف من عند حافة ساحة العرض المستوية، والثاني من عند المنصة نفسها بينما يزال الحصان يعدو في خط مستقيم...... وعندما يبدأ الحصان بالاستدارة يميناً يرمي الفارس الرمح الثالث على هدف ثانٍ نُصب لهذه الغاية. أصعب رمية هي عندما ترمي قبل أن يستدير الحصان بشكل كامل...... ليس من السهل رمي هذه الرمية حتى باستخدام الرماح المصنوعة من المعدن. بعض الجنود بسبب سرعتهم وحبهم للمجد نجحوا في رمي أربعة رماح على



الشكل رقم (٩٦)
أقنعة تصور وجوهاً نسائية و رجالية ترتديها الأطراف المتنازعة أثناء التدريب لتمييز كل طرف عن الآخر و عثر عليها عند **Straubing** في بافاريا في ألمانيا.

المصدر: Davies, Roy: Service in the Roman Army, Columbia University Press, New York,1989, p. 92.

الهدف الأول أثناء عدوهم في خط مستقيم، أو ثلاثة أثناء العدو في خط مستقيم والرابع أثناء الاستدارة »[١].

و يتابع أريان الحديث فيقول أنه تم نصب هدف ثالث من أجل التدريب والرمي بالأسلحة الأخرى "... وبعد هذا يمارسون عدة طرق لرمي السهام الخفيفة أو القذائف (تطلق هذه من آلة وليس من قوس) أو حتى الحجارة باليد أو المقلاع على هدف ينصب بين الهدفين الذين ذكرتهما. من المستبعد تحطيم الهدف برمياتهم، لكن عندما يحدث هذا يكون مستحسناً". وكذلك يخبرنا أريان: أن الفرسان تدربوا على استخدام السيف وهم على ظهر جيادهم قائلاً " بعد ذلك يسلّون سيوفهم ويبذلون قصارى جهدهم في توجيه الضربة تلو الأخرى... ويتدربوا على طعن عدوٍ ساقطاً أرضاً وعلى القيام بتوجيه الضربات الجانبية أثناء ركوبهم على جيادهم[٢] ". (الشكل رقم ٩٧).

وكما ذكرنا سابقاً لم يكن التدريب مقتصراً على فترة التدريب الأساسية الممتدة أربعة اشهربل كان عملاً متواصلاً يسعى إلى إبقاء الجنود في حالة جسدية وكفاءة و جاهزية ممتازة. قال فيجيتيوس: أنه ينبغي أن يتدرب الجنود باستمرار ليكونوا متأهبين دائماً للحرب

وقدقارن يوسيفوس بين التمرينات الشاقة والمستمرة التي كان يقوم بها الجيش الروماني وبين افتقار كل الأمم الأخرى للتحضير والتدريب، وفي الواقع فإن الجيش الروماني قدتدرب تدريبات شاقة ولذلك اكتمل انضباطهم ومهارتهم[٣]. وربما كان لتشديد الأباطرة وقادة الأقاليم وراء النشاط التدريبي المتواصل لأنهم كانوافي الكثير من الأوقات يشرفون على التدريبات ويشاركوا بها فعليّاً، ففي الكثير من الاحيان مايتقدم الإمبراطور تراجان الجيش سيراً على الأقدام أثناء الحملات ويتفقد انتشاراته بأكملها بإضافه إلى اشرافه على التشكيلات[٤]. وقد عرض الإمبراطور هدريان شجاعته باستخدام الأسلحة ومدحه للجنود شخصياً في استعراض

---

[1] - Arrian: Tactica Vol. 42.2-4, Translated by Philip A. Stadter, The University of Chicago Press, 1978.

[2] - Davies: op.cit, pp.98-100.نقلاً عن

[3] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp. 92-93.

[4] - Campbell, Brian: The Roman Army 31 BC–AD 337, op.cit, p.69.



الشكل رقم (٩٧)
ألعاب الفروسية و التجهيزات الخاصة بها
انظر الصفحة التالية للإطلاع على شرح المسميات

المصدر:
25. Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, Osprey Publishing, 2006, p. 37.

ألعاب الفروسية

(١) أقيمت هذه الألعاب في أواخر عهد هدريان عندما كتب المؤرخ أريان (Arrian) كتابه بعنوان "التكتيكات" (Tactica) سنة ١٣٦ ميلادي و يبين هذا المشهد ألعاب الفروسية (hippika gymnasia) التي كانت عبارة عن طقوس متقنة و معقدة يتدرب فيها الرومان على المناورة و التحكم بالقذائف، و أقيمت هذه الاستعراضات على ساحة التدريب الخارجية التابعة للحامية و ارتدى فيها الفرسان و خيولهم تجهيزات رياضية ذات زخارف منمقة. ساهمت هذه الألعاب في تشجيع الخيالة على تعزيز مهاراتهم في الفروسية و في تقوية روحهم المعنوية، كما أنها تركت انطباعاً قوياً لدى الزوار من ذوي المقامات العالية.

(٢) يطلق على هذا الفارس اسم "حامل راية التنين" (draconarius) نسبة إلى الراية ذات الأصول السارماتية التي كان يحملها و التي كان لها شكل رأس تنين، و يرتدي حاملها خوذة وجه مزخرفة من الأعلى و حلّ قناع وجهي ذو فتحات للعينين و الأنف و الفم محل واقيات الخدود، و ربما كان الهدف من ارتدائها تمثيل العدو في هذه الألعاب.

(٢أ) تم تغطية وجه هذا الحصان بدرع واقي مصنوع من الجلد المزخرف مما يعزز من منظره و يؤمن له الحماية كما هو واضح من خلال الشبكة البرونزية التي لها شكل القبة و التي تحمي العينين و في نفس الوقت لا تعيق الرؤية.

(٣أ) تمثل هذه الخوذة الرياضية الحديدية المكسوة بصفائح من الفضة و التي عثر عليها في حمص في سورية أحد أقدم الأمثلة عن خوذ ألعاب الفروسية (خوذة الفرسان الرياضية من النوع "A")، و يصور قناعها وجه جندي شرقي.

(٣ب) خوذة برونزية رياضية تعود إلى القرن الأول ميلادي عثر عليها قرب الحصن عند Ribchester في انكلترا، و برزت حافتها العلوية للأمام و الأعلى وتم زخرفة قسمها العلوي بزخارف متقنة مما ميّز هذا النوع من الخوذ. (خوذة الفرسان الرياضية من النوع "B")، و يحمل القسم العلوي منها نقوشاً بارزة على شكل وحوش خرافية و محاربين يتقاتلون.

(٣ت) خوذة رياضية برونزية تعود إلى منتصف القرن الأول الميلادي عثر عليها في Vize في بلغاريا، و طُليت جزئياً و أحياناً كلياً بطبقة من الفضة (خوذة الفرسان الرياضية من النوع D).

(٣ث) خوذة رياضية عثر عليها عند Nijmegen في هولندة و تمثل شكلاً مختلفاً عن النوع السائد لامتلاكها قسماً علوياً على شكل شعر حقيقي أجعد أو متموج مأخوذ من حيوان و تم تثبيته في أعلى هذه الخوذة، و يتميز هذا النوع من الخوذ الرياضية بقناع يصوّر وجهاً فتيّاً.

عسكري في شمال أفريقيا عندما زار لمباسيس (Lambaesis) سنة ١٢٨م[١]، وقدأشرف من خلال هذه الزيارة على سلسلة من تدريبات كبيرة أدتها الفرقة الثالثة أوغسطا والوحدات المساعدة في ذلك الإقليم، وخاطب الجنود في عرض رسمي نُقش نصه على نصب لإحياء ذكرى ذلك الحدث،وقد قامت وحدة الخيالة الأولى بانونيوروم (ala I Pannoniorum) بتقديم سلسلة من المناورات خلال هذا العرض وأظهر فرسانها مهاراتهم في أنواع مختلفة من الرماح، وتبعهم بعد ذلك وحدة خيالة من الكوهورت السادسة كوماجينوروم المختلطة (Cohors VI Commagenorum equitata)، والذين أبدوا مهارة وبراعة لا بأس بها بالرغم من أعدادهم القليلة وتجهيزاتهم وخيولهم الأقل جودة. إجمالاً كانت تعليقات الإمبراطور إيجابية وفيما يلي جزء من خطابه للكوهورت السادسة كوماجينوروم المختلطة، حيث خاطبهم قائلاً:

> « يصعب على خيالة الوحدة المختلطة القيام بعرض سار ومُرضٍ بكل الأحوال ومن الصعب أن تؤدي وحدات الخيّالة الخاصة تمارين سارّة. الأخيرة تغطي ساحة أكبر وفيها فرسان أكثر لرمي الرماح وتأدية عمليات دوران إلى اليمين وتأدية الركوب في تشكيل قريب ومتراص، وبالنظر إلى جوهرهم الأعلى يمتلكون خيولاً وتجهيزات أفضل. مع ذلك أنتم تغلبتم على هذه النقاط السلبية من خلال قيامكم بكل شيء بنشاط وحيوية بالرغم من ارتفاع درجة الحرارة، وعلاوة على هذا أطلقتم الحجارة من المقاليع وقاتلتم بالرماح وامتطيتم خيولكم بسرعة. يبدو واضحاً الجهد والعناية المميزة التي يبذلها قائدي كاتولينوس (Catullinnus) »[٢].

وقد شمل العرض أيضاً على تدريبات لمعارك وحملات زائفة ،أطرى فيها هدريان على الكوهورت المختلطة لتحركها إلى موقع، ولأنها بنت معسكراً وأسواراً حجرية بسرعة وحفرت خنادق بأرضٍ قاسية ونصبت خيامها قبل أن تترك المعسكر وتعود إلى التشكُل، وقال لها هدريان ما يأتي:

> « لقد أنجزتم في يوم تحصينات يقوم بها الآخرون في أيام عديدة وأقمتم سوراً يتطلب بطبيعة الحال عمل ضخم في وقت بسيط وبأحجار ثقيلة من الصعب على أي فرد أن يحملها أو يضعها في مكانها، وعندما أنجزتم عملكم دخلتم بسرعة إلى المعسكر وجمعتم أسلحتكم وتابعتم استعدادكم

---

(1) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, p.40.

(2) - نقلاً عن Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.93.

للحرب. أنا أهنئ قادتي لأنهم قدّموا لكم كل هذه التدريبات العسكرية التي ماثلت الحرب الحقيقية بشكل يدعو للفخر، ولقد قام البريفكتوس (Prefectus) كورنيلوس بعمل يستحق الثناء »[١].

ويبدو أنه على الأقل في عهد الإمبراطور هدريان كان هناك تفقد تام لوحدات الخيالة، حيث إننانجد ذلك من خلال الرحلة التي قام بها أريان سنة ١٣١م بصفته الحاكم الجديد لكبادوكيا، والتي تفقد فيها جميع المنشآت العسكرية والوحدات التابعة له، وقدأشرف على تدريبات وحدة خيالةعند هيسوس (Hyssus) قام خلاله عشرون فارساً برمي الرماح، وكذلك تفقد تمرينات وأسلحة وحدة خيالة عند سيباستوبوليس (Sebastopolis)، حيث أعطى خلالها الجنود تعليمات مفصلة عن طرق رمي الأسلحة، ووفقاً لأريان أن أهم صفة في الفارس أن تكون له قدره على رمي أسلحته بسرعة و دقة أثناء العدو بأقصى سرعة وفي الوقت نفسه يدافع عن نفسه ضد هجمات العدو[٢].

وأخيراً يقدم المؤرخ أوناساندير (Onasander) خلال حديثه عن ضرورة تدريب الجيش في أوقات السلم التعليمات التالية للقائد قائلاً:

« ثم عليه أن يقسم جيشه إلى قسمين ويأمرهم بإجراء معركة صورية باستخدام إما الهراوات أو قصبات الرماح، وإذا كان هناك ميدان مغطى بالكتل الترابية الناتئة فعليه أن يأمرهم بإزالتها، وفي حال امتلكوا أحزمة جلدية فعليهم استخدامها في المعركة. عليه لفت الانتباه إلى الأخاديد والهضاب والأماكن الشديدة الانحدار، وعليه أن يأمرهم بالهجوم واحتلال هكذا أماكن. أحياناً بعد تسليح الرجال كما وصفت مسبقاً على القائد تركيز بعض الرجال في أعالي الهضاب وإرسال آخرين لإزاحتهم، وعليه أن يثني على الرجال الذين يصمدون بدون أن يتراجعوا، وأيضاً الرجال الذين ينجحوا في إزالة خصومهم..... بعد أن يُعرّض الرجال لحرارة الصيف والبرد القارس في العراء يصبح الجنود معتادين على المصاعب المستقبلية التي تنتظرهم في القتال الحقيقي. أيضاً على القائد تدريب الخيالة وعليه إجراء معارك تدريبية تتضمن المطاردات والقتال القريب والمناوشات، ويجب

---

(١) – نقلاً عن: الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٤٤.

(2) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193op.cit, p.26.

إجراء هذه المناورات في السهول وحول قاعدة الهضاب لأنه من المستحيل العدو بسرعة قصوى صعوداً ونزولاً على الهضبة »[1].

ثالثاً: العقوبات

يؤكد معظم الباحثين المعاصرين على نظام العقوبات القاسي للجيش الروماني، وفي الواقع كان القانون العسكري الروماني صارماً وحازماً بالنسبة للمخالفات الكبرى ومتساهلاً نوعاً ما فيما يخص المخالفات الصغيرة، وبمعنى آخر كان نظاماً يجمع بين الشدة واللين،وعلى العموم يمكن تمييز ثلاث استراتيجيات متباينة في نظام العقوبات العسكري الروماني ألاوهي:

- **الإستراتيجية الأولى:**

انتهجت هذه الإستراتيجية مبدأ الطاعة العمياء والقسوة المطلقة وخصوصاً في ميدان القتال، وتمثلت عقوباتها بالعقوبات الجسدية الشديدة التي تبلغ ذروتها في عقوبة القتل.وقد انتمى ضبّاط النخبة إلى طبقة الأشراف التي شكّلت مجموعة أُعفيت في القرن الثاني الميلادي قانونياً من العقوبات الجسدية الكبرى وعقوبات الإعدام، أما الطبقة الاجتماعية الأدنى فكانت خاضعة لهذه العقوبات، وبالرغم من حصانة الجنود التي تقضي بعدم تطبيق العقوبات الشديدة بحقهم التي تطبق على الطبقة الدنيا، إلا أنهم في الواقع كانوا خاضعين لهذه العقوبات لأنهم لم يكونوا من طبقة الأشراف.

- **الإستراتيجية الثانية:**

توحي هذه الإستراتيجية إلى أنها كانت عبارة عن تعديلات للعقوبات الجسدية والقتل، وفيها قدم القائد على إذلال وإهانة المذنبين، فمثلاً: يُعرّى الجنود المذنبين من ثيابهم كما لو أنهم سيجلدون، وفي الحقيقة الهدف من ذلك فقط إهانتهم على الملأ،و يقتضي تنفيذ العقوبات المهينة والمذلة امتلاك الجنود المذنبين مكانة اجتماعية محترمة ليخسروها، ورسمياً شكّل إنزال الرتبة والتسريح المخزي جوهر هذه الإستراتيجية.

---

[1] - Onasander: Strategikos Vol. 10.4-6, Translated by Nicolaus Schwebelius & Beat Fidel Zurlauben, Impensis Georgii Lichtenstegeri & ex officina Christiani de Lavnoy, 1762.

- **الإستراتيجية الثالثة:**

تبين هذه الإستراتيجية عقلانية إدارية استخدمت فيها الوثائق والشهود وسجلات خدمة الجنود، وكانت عقوباتها شبيهة بالاستجواب المدني، فمثلاً درس رجال القانون خلال الفترة السيفيرية عقوبة الفرار من الخدمة وفق هذا المعيار وطرحوا حلاً وسطاً بين مفهوم الانضباط الصارم والتطبيق الفعلي، حيث عالجوا الفرار التام من الخدمة وخصوصاً في حال افرار الجندي إلى العدو بقسوة شديدة، إلا أنهم تساهلوا في حال الغياب بدون إجازة خلال أوقات السلم . ويبدو أن نظام العقوبات العسكري الروماني اتخذ شكلاً تسلسلياً في تنفيذ العقوبات،حيث بدأ بالعقوبات الخفيفة مثل الضرب على الملأ وانتقل إلى تخفيض الرتبة والراتب وتخفيض فرع الخدمة، ثم انتقل إلى الذروة المتمثلة في التسريح المشين والإعدام[١]، وسيتناول البحث دراسة العقوبات الرومانية وفق التسلسل نفسه.

١ – العقوبات الخفيفة:

حرص الجندي الروماني على أن يقضي فترة خدمته بسيرة حسنة حتى يحصل على امتيازات نهاية الخدمة عند تسريحه، فلذلك كان حريصاً على أن لا ينال عقوبات تقرها النظم العسكرية عند مخالفته للقانون العسكري، ومع ذلك كثيراً ما ارتكب الجنود مخالفات توجبت العقاب[٢]. أصبحت عقوبات الجيش الروماني أكثر قسوة عندما تحول إلى قوة محترفة، ومنذ بداية فترة تدريب المجندين وضحَ الجيش الطريقة التي وجب عليهم التصرف وفقاً لها، وبالتالي الجنود الذين يلتزمون بهذا النمط من السلوك تتم مكافأتهم، أما الذين خالفوا ذلك فتلقوا العقاب. وقدأكد الجيش منذ بداية الفترة الإمبراطورية على الانضباط والصمت الشديدين أثناء مسير القوات وفي المعارك، ومن أجل تحقيق ذلك سار نواب قادة المائة (Optiones) خلف الصف الأخير في التشكيل حاملين عصاً طويلة يضربون بها كل جندي يتكلم أو يترك مكانه، وكذلك كان شائعاً تنفيذ عقوبة ضرب الجنود بعصا قائد المائة (Castigatio) التي كانت في أغلب الأحيان مصنوعة من عيدان الكرمة أو الخيزران، واستخدمها قادة المائة حملوها لضرب الجنود على ظهورهم مخلفةً وراءها ندباتٍ واضحة على أجسامهم، ويبدو أن هؤلاء

---

[1] - Rankov, Boris : op.cit, p.65.

[٢] – الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٤٤.

الضباط أنزلوا هذه العقوبة بالجنود عندما يريدون، لأنه المؤرخ تاكيتوس يخبرنا أنه عندما تمردت فرق الراين سنة ١٤م قام المتمردون بإعدام قائد مئة يلقب بـــ "أحضر لي واحداً آخر" (cedo alteram)، وذلك لأنه اعتاد على ضرب جنود الفرق بعصاه حتى تنكسر وبعد ذلك يطلب عصاً أخرى لمواصلة الضرب[١].

وقد مُنح المجندون الجدد امتيازات خاصة، كماأنهم لم يعاقبوا بقسوة مثل الجنود، وذلك لأنهم لم يعتادوا كلّياً على القوانين العسكرية، فمثلاً يقول المؤرخ ميناندر (Menander) بخصوص مُجنّد تجاوز فترة إجازته: لكن يجب الصفح عن المجند لأنه يجهل قوانين الانضباط "ولو فر المجند من الخدمة وعاد بعد فترة محدودة يُصفح عنه وفي حال تكررت العملية تطبق بحقه أقسى العقوبات لأنه عندئذ لا يُعد جاهلاً بالقانون. و يقول باولوس(Paulus) إن بيع الجندي لتجهيزاته يعد جريمة كبيرة، لكن في حال فعل المجند ذلك قد تكون هناك ظروف مخففة [٢].

وقد اضطر الرومان في بعض الحالات الطارئة إلى تجنيد الشبّان إلزامياً، ونتيجة لذلك حاول بعض الرجال إزالة الأهلية عن أنفسهم وعن أبنائهم، الأمر الذي دفع الرومان إلى فرض عقوبات على الأب والأبناء إذ يقول المؤرخ سيوتونيوس إن فارساً رومانياً أقدم على بتر أبهامي ابنيه لجعلهم غير مؤهلين للخدمة فعاقبه أغسطس بمصادرة أملاكه وبيعه كعبد، وبعد ذلك خفف العقوبة إلى السجن في الريف تحت إشراف أحد العتقاء. وفي وقت لاحق أصدر الإمبراطور تراجان مرسوماً ينص على معاقبة الآباء الذين يبترون أعضاء من أولادهم لإزالة التأهيل بالنفي، أما الآباء الذين يحاولون تجنيب أبنائهم الخدمة العسكرية بدون أن يشوهوهم فكانت تطبق بحقهم عقوبات أخف، حيث يهدد الآباء في وقت الحرب بالنفي ومصادرة أملاكهم جزئياً، أما في أوقات السلم يعاقب الأب بالضرب وبتجنيد ابنه إلزامياً في رتبةٍ دنيا أو في فرع خدمة متواضع، وطبق هذا على الأبناء المنحدرين من مكانة اجتماعية عالية كطبقة الفرسان مثلاً الذين خولتهم مكانتهم الاجتماعية بالتطوع في الجيش كضباط [٣].

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army ,op.cit, p.101.

(2) - Davies, op.cit, p.16.

(3) - Klein: op.cit, pp.436-437.

وقدشكلت العقوبات المخزية على الملأ ضد المسيئين وخصوصاً الجنود المتهمين بالجبن والتخاذل جزءاً من العقوبات الخفيفة، ومن هذه العقوبات تعرية الجنود من حزام السيف وإطعامهم الشعير، ليس لأنه غذاء الحيوانات والعبيد ولا لطعمه السيئ بل لأن القمح رمز إلى الإنسانية في النظام الغذائي الروماني، بالإضافة إلى طرد الجندي ليخيم خارج المعسكر. ولقدكان ذلك إحدى وسائل الإذلال، وذلك لم يعرضه للأخطار فقط بل رمز إلى طرده من المجتمع العسكري، ولا تُزال هذه العقوبة سارية إلا في حال أظهر المتخاذلون شجاعةً في ميدان القتال وهزموا العدو، أو في حال أحضروا معهم غنائم جنديين من جنود الأعداء، فمثلاً عاقب كوربولو أحد ضباطه بالتخييم خارج الحصون لأنه خالف الأوامر وهاجم العدو وانهزم. لقد شكّل التعّري أحد عقوبات الإذلال، أي إن تعرية الجنود والضباط من شاراتهم العسكرية المتمثلة بالحزام العسكري والسيف، أو حتى تعريتهم تماماً، و كان التعّري في العصر الجمهوري مقدمةً للجلد، أما في العصر الإمبراطوري فكان الجندي يقف عارياً في مكانٍ عام من المعسكر لإذلاله أمام الناظرين، أما بالنسبة للمواطنين الأحرار كان التعّري على الملأ عملاً مشيناً وعادة يصور الفن الروماني أسرى الأعداء المنهزمين مقيدين وعراة، كماكان العبيد يعرضون في الأسواق عراةً للكشف عن عيوبهم الجسدية ولتحقيرهم. وقدعاقب كوربولوأحد ضباط الفرسان برتبة بريفيكت لأنه فر أمام العدو، وأمر موظف صغير بنزع القسم الخلفي من ثيابه ثم أمره بالوقوف أمام مبنى المقر في وضع جسماني مشين(١)، وكذلك قد يجرد المذنبين من أحزمتهم العسكرية (أي هويتهم العسكرية) ويجبرون على السير خارج الأسوار مرتدين خوذاً ثقيلة وحاملين عصاً طويلةً وثقيلة أو كتلاً كبيرة من طبقة التربة العلوية(٢)، ويُقال أن أغسطس عاقب قادة المائة بالوقوف خارج خيامهم ليوم كامل مرتدين التونك بدون حزام عسكري، وربما حاملين عصاً أو كتلة ترابية ثقيلة(٣).

---

(1) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, pp.140-142.

(2) - Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69 ,op.cit, p.22.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army ,op.cit, p.101.

٢ – **عقوبات تخفيض الرتبة والتسريح وحل الوحدة:**

لقد أصبحت عقوبات تكسير الرتب والتسريح المذل وحل الوحدة بأكملها عقوباتِ رسمية في النظام العسكري الروماني خلال الفترة الإمبراطورية، وقدخسر الجنود الذين تعرضوا لهذه العقوبات مكافآت التسريح وجميع الامتيازات التي يحظى بها المحاربون القدماء بعد تسريحهم وتساوى في هذا النوع من العقوبات التسريح الفردي مع التسريح الجماعي[١]. لقد اعتبر الطرد والتسريح المشين سمعةً شائنة في القانون الروماني اكتسبها الجنود المسرحون بشكل مخجل، فبالرغم من بقائهم مواطنين رومان إلا أن أسمائهم تلطخت بالعار وحُرموا من امتيازات مهمة في القانون الروماني.ومن الناحية الاجتماعية فقد إندمج الجنود المسرحون بشكل مخزي مع الذين استبعدوا من دخول الجيش مثل المدانين والمجرمين والعاهرات والقوادين والممثلين والمجالدين والتجارسيئي السمعة. يقول ميسر (Macer) أنه يجب إعدام كل جندي يظهر على خشبة المسرح أو الذي يسمح لنفسه أن يباع كعبد، وذلك للحفاظ على الهوية العسكرية ولأن النخبة الرومانية اعتبرت التمثيل والممثلين عملاً مشينا. كما يقول ميناندر أنه يجب إنزال رتبة الفارس الذي يفر من الخدمة في أوقات السلم وإذا كان جندي مشاة يخفض إلى فرع أدنى من الفرع الذي يخدم فيه، أما في أوقات الحرب فقد يُقدم الاثنان على هذا الذنب.[٢]

إن رتبنا فروع الخدمة في الجيش الروماني نزولاً، سنجد بأن الحرس الإمبراطوري في القمة ثم يأتي بعدهم جنود الفرق وبعدهم جنود الوحدات المساعدة وبعدهم جنود الأسطول، أما ضمن الفرق والوحدات المساعدة فكانت رتبة الخيالة أعلى من رتبة المشاة وهذا يعود إلى منزلتهم الإجتماعية الأرفع. لقد خفّض تيبيريوس رتبة قائد فرقه لأنه سمح للجنود بمرافقة عتقائه إلى الصيد، وقد صرف جرمانيكوس قادة المائة من الخدمة بعد تمرد فرق الراين سنة ١٤م لأنهم أخذوا رشاوى من الجنود، وكذلك صرف تيتوس فارساً من الخدمة لأنه وقع أسيراً بيد اليهود رغم أنه فر منهم بعد ذلك، وعلاوة على ذلك هدده تيتوس بالقتل، وفي بعض الأحيان تكون هناك ظروف مخففة بحق المذنبين فيلجأ القائد إلى فرض عقوبة تخفيض الراتب

---

[١] – الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٤١.

[2] - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, p.144.

والمكافآت (Pecuniaria) بحقهم لكي لا يطردهم من الخدمة، كما فعل كاليكيولا أثناء حملته على جرمانيا سنة ٤٠م[١].

لقد تمثّل العار الأكبر في حل فرقة بأكملها، وشملت عقوبة الوحدة القتل بالقرعة (decimation) والتخييم خارج التحصينات، أو حلّها وشطبها نهائياً من جميع السجلات العسكرية (damnatio memoriae)، وعملياً طبقت العقوبات القاسية في حالات نادرة وبالدرجة الأولى عقاباً على الفرار من الخدمة أو التمرد[٢]. عمل أغسطس على حل الفرقة العاشرة أكويسترس وذلك لعصيانها وتمردها عليه قبل أن يصبح إمبراطوراً[٣]، وأيضاً سنة ٢٠م أحاط الثائر تاكفاريناس (Tacfarinas) بالحامية الرومانية الموجودة عند (Pagyda) في نوميديا، فهربت الكوهورت الرومانية المتواجدة هناك أمام تقدم قوات تاكفاريناس بالرغم من تشجيع قائدها الذي هجم على العدو بمفرده، لكن في النهاية مات القائد وحُلت الوحدة بسبب تخاذلها[٤]. كما تم حل الفرق التي دعمت الثورات أو التي استسلمت للمتمردين كعقوبة مؤقتة أو دائمة، وخسر الجنود الذين تعرضوا لهذه العقوبة مكانتهم الاجتماعية ودخلهم وحملوا عار الحل. وقد سرّح سبتيموس سيفيروس قوات الحرس الإمبراطوري سنة ١٩٣م لقتلهم الامبراطور بيرتيناكس، حيث قام بتجميعهم مرتدين ملابسهم بدون أسلحة ودروع وأحاط بهم جنوده المسلحين ووبخهم بقسوة لأنهم باعوا الإمبراطورية، لكنه اكتفى بتجريدهم من رتبهم وتسريحهم بشكل مُذل وطردهم من مدينة روما ومنعهم من الاقتراب منها لمسافة مائة ميل، فكان هذا العقاب أشد من القتل لأن نفيهم خارج روما وحرمانهم من مكافآتهم ورواتبهم وحقوقهم القانونية يعني عدم قدرتهم على العودة إلى منازلهم وفقدانهم منزلتهم في المجتمع رسمياً وقانونياً[٥].

---

(1) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, pp.144-149.

(2) - Rankov, Boris: op.cit, p.65.

(3) - Webster: op.cit, p.105-106.

(4) - Goldsworthy: The Roman Army at War 100 BC-AD 200, op.cit, p.201.

(5) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, p.145.

٣ – عقوبات الإعدام:

لقد شكّلت عقوبات الإعدام بأشكالها المتنوعة أعلى وأقسى عقوبات النظام العسكري الروماني، ومثّلت الحارس الذي يصون الانضباط الروماني من الانهيار، وقد يتعرّض الجنود الذين يقصرون في أداء واجباتهم أو يهملوها، مثل التخاذل في القتال أو النوم أثناء الحرس إلى عقوبة الضرب بالهراوة حتى الموت (Fustuarium) من قبل رفاقهم الذين تعرضت حياتهم للخطر[١]، وكذلك يُحكم على الجنود الذين يفرون من المعركة بالصلب أو يرمى بهم إلى الحيوانات المفترسة، و كانت تنفذ هذه العقوبات بحق المجرمين المدنيين من الطبقات الدنيا، وطبقها الرومان على الجنود الفارين من المعركة لأنها من أبشع طرق الموت[٢]. لقد شكّل التخلي عن القيادة والهروب من المسؤولية أخطر الجرائم العسكرية وخاصة وقت الحرب، ولذلك كانت نتيجته الموت أمام الجنود ليكون عبرةً لأقرانه. كما أن التظاهر بالمرض نتيجة الخوف والهرب أثناء المسير وعدم إطاعة الأوامر أثناء الحرب يؤدي إلى نفس العقوبة، ويمكن أن يتعرض الجندي إلى عقوبة قد تصل إلى الإعدام في حال فقد سلاحه أثناء الحرب، ولكن من الطبيعي ان تخفف هذه العقوبات أوقات السلم[٣].

كان من ضمن التقاليد العسكرية الرومانية إعدام الفارين من الخدمة وخصوصاً من يفر إلى العدو، وذلك لأن هؤلاء لم يمثّلوا خطراً على القوة البشرية العسكرية فقط وإنما شكّلوا خطراً على الأمن الداخلي، ولأنهم على الأغلب يصبحون قطاع طرق يسرقون عابري السبيل، ويأخذ الفارين منهم إلى العدو أسلحتهم ودروعهم ومهاراتهم القتالية وبالتالي يطلعون أعداء روما على تجهيزات الجنود الرومان ومهاراتهم القتالية. وبحلول الفترة السيفيرية اعتبر القضاء الروماني الجنود الفارين إلى العدو كأعداء للدولة وخاضعين للإعدام الفوري، أما الفارين الذين لا يذهبون إلى العدو فقد يلقون معاملة أرحم. خالف كوربولو سنة ٤٧م العادة السائدة وحكم بالموت على الجنود الفارين من الجيش لأول مرة، وأكد كلاً من بوليبوس ويوسيفوس اللذين أعجبا بالجيش الروماني على العقوبات القاسية بحق المذنبين سواء كانوا

---

(1) - Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69 ,op.cit, p.22.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, ,op.cit, p.101.

(٣) – الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٤١.

مذنبين أو متهمين بالفرار أو السرقة أو العصيان أو إهمال خفيف للواجب، وأكد بعض الكتّاب الآخرين على القسوة الاستثنائية للرومان كقسوة تيتوس الذي حكم بالموت على جندي لأنه فقد حصانه، وإعدام كوربولو جنوداً لعدم تقلدهم أسلحتهم (السيف و الخنجر) في الميدان وأثناء حفرهم الخنادق، أو لأنهم تركوا راياتهم حتى ولو كان ذلك أول مرة[١].

ربما كانت عقوبة القتل بالقرعة (decimation) أشهر عقوبة بسمعتها السيئة، والتي كانت تفرض على وحدة بأكملها بسبب تمردها أو فرارها من المعركة، لم تكن هذه العقوبة شائعة لأنها عقوبة جماعية وظالمة يتم قتل جنود أبرياء فيها، حيث يتم اختيار عُشر الجنود بالقرعة ثم يقتلون، أي واحد من أصل عشرة جنود وهذا ما جعل ضحايا القرعة تشتمل على المذنبين والأبرياء، وربما فرض الرومان هذه العقوبة على الوحدات بأكملها حتى يجبروا الجنود على مراقبة بعضهم البعض وإخبار قادتهم عن الأشخاص المقصرين أو الذين يحاولون القيام بعصيان أو تمرد، لأنهم في حال لم يخبروا قادتهم عنهم فقد يكونوا من ضمن الجنود الذين تقع عليهم القرعة، أما التسعين بالمائة الباقين من جنود الوحدة فيفرض عليهم عقوبة أكثر رمزية تمثّلت بإجبارهم على نصب خيام خارج متراس المعسكر والنوم فيها، وكان يوزع عليهم الشعير بدلاً من القمح[٢].

لقدكانت هذه العقوبة نادرةً ووفقاً لتاكيتوس طبّقها الرومان في أواخر سنة ١٨م[٣] من قبل جرمانيكوس بعد تمرد فرق الراين، ويقول أن جرمانيكوس لم يتخذ أية مبادرة في هذه العقوبة، لكن الجنود من تلقاء أنفسهم قبضوا على رأس التمرد وطبقوا عليهم العقوبة بأنفسهم. لقدأصبح القتل بالقرعة خلال الفترة الإمبراطورية عادةً قديمة ولم تطبق إلا بشكل نادر جداً، حيث طبقت على الناجين من الهزيمة أمام تاكفاريناس في شمال أفريقيا، وقدوصف تاكيتوس هذا العمل بأنه :" نادرٌ في هذا الوقت لكن اشتهر به أسلافنا "بعد التخلي عن تطبيق عقوبة القتل بالقرعة طبق الرومان العقوبات الجسدية على الجنود العاديين، ولم يكن أفراد الطبقة العليا (الأشراف) بما في ذلك أعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والمحاربين القدماء خاضعين لعقوبة

---

(1) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, op.cit, p.146.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.101.

(3) - Cowan: Roman Legionary 58 BC-AD 69 ,op.cit, p.22.

الموت التي شملت عقوبات التعذيب وحرق المذنب حياً والصلب والتعليق على أشجار شائكة والرمي إلى الوحوش في الحلبات، وكذلك كانوا معفيين من عقوبة الأشغال الشاقة في المناجم والمقالع. ونادراً ما حكم على الأشراف بعقوبة الإعدام، وبدلاً من ذلك كانوا يعاقبوا بالنفي وخسارتهم لحقوقهم المدنية و مصادرة أملاكهم، و في حال اتهموا بالخيانة يعاقبوا بقطع رأسهم بالسيف، وعلى الأغلب فضّل الأباطرة أن يطلبوا منهم الانتحار[١].

رابعاً: المكافآت العسكرية

إذا كانت العقوبات العسكرية تمثّل الجانب الحازم من النظام العسكري الروماني، إلا أننا إذا ما نظرنا إليه من الجانب الآخر نجد جانباً مغرياً بقدر ما كانت العقوبات قاسية أو أكثر، وتمثّلت هذه المغريات بالمكافآت التي نظّمها الجيش ومنحها بشكل مدروس لكي تلفت انتباه الجنود إلى الجانب المشرق من الخدمة العسكرية، وبنفس الوقت تكون وسيلةً لغرس الولاء الشخصي للأباطرة.

على العموم اتخذت المكافآت العسكرية في العصر الإمبراطوري عدة أشكال منها:

١ – المِنح (donative):

وزّعت المنح في العصر الجمهوري لأفرادٍ أظهروا شجاعة كبيرةً في القتال أو احتفالاً بنهاية حملة ما، واتخذت طابع توزيع الغنائم وحصص الطعام الإضافية (الجرايات) والأوسمة التي مثّلت اعترافاً رمزياً بشجاعة جندي ما، لكن في العصر الإمبراطوري حلّت المنح النقدية محل الغنائم كمكافآت للقوات[٢]، وسرعان ما أصبحت عادةً لدى الأباطرة أن يوزعوا المنح في مناسبات سياسية حساسة ومهمة، وبالرغم من بقاء نظام المنح في العصر الإمبراطوري، إلا أنه أصبح هناك إدراك متزايد للحاجة إلى نظامٍ يحدد مكافآت الجنود وخصوصاً ذوي الرتب والمآثر البطولية على نحو استثنائي.

في الواقع أصبحت المنح – والتي هي مبالغ نقدية تصرف باسم الإمبراطور – إضافة مهمة للراتب[٣]، وغالباً ما فُسرت أنها تأكيد على العلاقة الأبوية بين الإمبراطور وجنوده،

---

(1) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit, pp.129-131.

(2) - Campbell, Brian: The Roman Army 31 BC–AD 337, op.cit, p.104.

(3) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, pp. 180-183.

ولذلك لم يُسمح لقادة الجيش بتوزيع هكذا منح لأنهم حينئذٍ سيتهمون بالتآمر على الإمبراطور لاغتصاب العرش. وبالرغم من ذلك لم يكن الإمبراطور حراً تماماً في إعطاء المنح للجيش بسبب البنية الاجتماعية الأرستقراطية والسيناتورية التي أخضعت المنح للروتين الحكومي، وتبعاً لذلك مقدار منح وسخاء الإمبراطور على الشعب يوضحان هيبته ويؤكدان على قوة نفوذه الاجتماعي، وربط هذا الكرم متلقيه بالإمبراطور في علاقة وكيل-راعي وهي علاقة أقل صرامة من القيد بين السلطان والعبد أو بين السيد الإقطاعي والخادم، وبالإضافة إلى هذا فإن المنح المتوازن يحافظ على النظام الاجتماعي عندما يُعطى للناس المستحقين وفق مبالغ صحيحةٍ وفي الأوقات المناسبة وبالطريقة الصحيحة، وبالعكس فإن الإفراط في المنح يعتبر تبذيراً وممارسة لرذيلة الرشوة. لقدكانت المنح مناسبة عندما تعطى رسمياً في المناسبات المتعلقة بالأسرة الحاكمة، مثل ذكرى اعتلاء الإمبراطور كرسي الحكم أو عيد ميلاده أو الزواج أو تبني الورثة، ولم يكن إعطاء المنح للجنود كأجورٍ مقابل الدعم العسكري والسياسي، وإنما كتعبيرٍ رمزي عن الإجلال وحسن النية مقابل ولاء الجنود وعرفانهم بالجميل ولا يعني ذلك أن الجنود يبيعون ولائهم. تعتبر المنح التي أعطاها الأباطرة الذين حكموا طويلاً مثل أغسطس و تيبيريوس وتراجان وهدريان المنح الأكثر أهمية، لأنه في هذه الحالات كانت العلاقة الرمزية بين الأباطرة والجنود مستقرةٍ وثابتة وتم تقديمها بعد الانتصار في الحملات وفي أوقات السلم، فمثلاً في خطابه الشهير عند لمباسيس في شمال أفريقيا وعد هدريان وحدة الفرسان الأولى بانونيوروم (ala I Pannoniorum) بمبلغ مالي ربما لتغطية مصاريف السفر، ولم يستخدم هدريان كلمة منحة وإنما استخدم مصطلح "صدقة" (congiarium)، لأن الوحدات المساعدة لم تتلقى منحاً. في الواقع أصبحت المنح التي تعطى لجنود الفرق عند الذكرى السنوية لاعتلاء الإمبراطور روتينية وآلية بشكل كامل خلال العصر الإمبراطوري. وعموماً تحوّل هذا الإجراء إلى عادةٍ، وأصدر الأباطرة منحاً للجيش كلما حقق نصراً كبيراً، وكذلك أصدروا مثل هذه المنح في مناسبات خاصة كاعتلاء الإمبراطور الحكم وفي عيد ميلاده أو عيد ميلاد أحد أفراد عائلته.....الخ.

لقد أوصى أغسطس قبل وفاته بمنح مئتان وخمسون ديناريوس لكل جندي في الحرس الإمبراطوري ومائة وخمسة وعشرون ديناريوس لجنود الوحدات المدنية وخمسةٍ وسبعون

ديناريوس لجنود الفرق وخمسةٍ وسبعون ديناريوس لوحدات العتقاء التي أنشأت خلال الأزمة بين عامي ٦-٩م [١]. وكذلك منح الإمبراطور هدريان ما مجموعه خمسٍ وسبعون مليون ديناريوس للجنود خلال حكمه في العديد من المناسبات الخاصة مثل مناسبة اعتلائه العرش وتبنيه لخليفته. وأيضاً أصدر الإمبراطور انطونيوس بيوس منحةً عند زواج ابنته لكننا لا نعرف مقدارها، وبعد عهدي سبتيموس سيڤيروس وكركلا دفعت المنح للجيش بشكل أكثر انتظاماً[٢].

إذا كان هناك أباطرة قدموا منحاً صحيحة للجيش، فإن بعض الأباطرة الآخرون وبعض الطامعين بالحكم قدموا له منحاً مقابل تأييده ومساعدته، وغالباً ما مثّلت هكذا منح مقايضة متبادلة تُصور على أنها غير شرعية وتضر بسمعة القادة والجنود. أعطى الأباطرة مثل هذه المنح لضمان تأييد الجنود لهم وفي مقدمتهم الحرس الإمبراطوري الذي كان ولاؤه بالغ الأهمية، ونتيجة لذلك دائماً تلقى جنوده أموالاً أكثر من أي فرع آخر في الجيش وخصوصاً عند إقصائهم وعزلهم لمنافس أو قرين. فمثلاً أعطى تيبيريوس عشرة أوريوس (aureus)[*] لكل جندي من جنود الحرس بعد قتلهم لقائدهم سيجانوس، وأعطى كاليكيولا منحاً للجنود كما لو أنه هزم عدواً ما بعد قتلهم للبيدوس (Lepidus) زوج أخته دروسيلا (Drusilla)، وأعطى نيرون منحاً مماثلة للحرس الإمبراطوري بعد أن قمعوا مؤامرة غايوس بيزو (Gaius Piso) وقتلوا أمه أغريبينا (Agrippina)، وكذلك أعطى كركلا المنح لجنوده بعد أن قتلوا أخاه غيتا (Geta)[٣].

---

[1] - Goldsworthy :The Complete Roman Army, op.cit, p.95.

[2] - Southern, op.cit, p.107.

[*]- الأوريوس هي عملة ذهبية استخدمت كوحدة نقدية في الإمبراطورية من عام ٣٠ق.م حتى عام ٣١٠م، والأوريوس هو مفرد (Aurei)،وكل واحد أوريوس يساوي خمس وعشرون ديناريوس، وكل ما يدفع للجنود سواء رواتب أو منح نقدية أو بدل سفر كان يدفع بالأوريوس الذهبي والديناريوس الفضي.

[3]- Elise Phang: Roman Military Service op.cit, pp.180-185.

كما يدين كلاوديوس كلياً للحرس الإمبراطوري في وصوله للعرش، ولذلك دفع لكل جندي منهم ثلاثة آلافٍ وسبع مائة وخمسون ديناريوس، أي ما يعادل خمسة عشر ألف سيستريس لكل جندي منهم، ودفع نيرون لهم نفس المبلغ، وأيضاً وعدهم أوتو (Otho) بخمسة آلافٍ سيستريس لكل جندي منهم، ومنحهم سبتيموس سيڤيروس ألف سيستريس لكل واحد، وفي عهد كركلا وصلت المنح إلى عشرة آلافٍ سيستريس لكل جندي منهم بعد قتل أخيه غيتا، وعلى العموم لم ترتبط الهبات والمنح مع معدل الرواتب[١]. وفي الحالات التي يكون المنح أقرب للشراء فإن الإمبراطور يكون قد تصرف بشكل يسيء لوقاره، ويربط سيوتونيوس المنحة الهائلة التي قدمها كلاوديوس للحرس الإمبراطوري بافتقاره للكرامة، لأنه عندما وجده الحرس مختبئ وراء ستار وأعلنوه إمبراطوراً جثى على أقدامهم مرتعباً وهذه الحالة الذليلة حوّلت المنحة إلى رشوة، وبذلك كان أول إمبراطور من بين الأباطرة الذين يشترون ولاء القوات، و أيضاً يقول تاكيتوس أن أوتو أعطى المنح الكثيرة في الطريق الخطأ وكان يفتقر إلى النبل والهيبة والكرامة، فعندما كان يتناول العشاء مع ضيوفه ظن الحرس أن هؤلاء الضيوف يحيكون مؤامرة ضد الإمبراطور فهجموا عليهم، وعندها وقف أوتو على أريكة وتوسل إليهم باكياً أن يكفّوا لاعتقاده أنهم سيقتلونه، وفي اليوم التالي دفع لكل جندي خمسة آلاف سيستريس وفي رأي تاكيتوس كان أوتو مغتصباً للعرش ومعتمداً على ولاء الحرس ودعمهم السياسي، ولذلك لم يكن منحه بالطريقة المناسبة[٢].

و أخيراً كل ما يدفع للجنود سواء رواتبٍ أو منح أو بدل سفر كان يُدفع بالأوريوس الذهبي (aureus) والديناريوس الفضي (denarius)، وكان استخدام العملات الذهبية في الدفع أمراً واقعياً نوعاً ما، لأن الذهب تميّز بصغر الحجم وارتفاع القيمة، ولو أخذنا بعين الاعتبار حجم المنح الممنوحة للجنود والمدنيين فإن الذهب يختصر الكثير من الحجم والجهد والوقت، بالإضافة إلى أنه يرمز إلى المنح الملكية الفخمة.

---

(١) – الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٣٥.

2 - Elise Phang: Roman Military Service op.cit, pp.186-193.

٢ – الأوسمة العسكرية (dona militaria):

شكلّت الأوسمة العسكرية نوع من أنواع المكافآت التي تمنح للجنود تحفيزاً وتقديراً لهم على شجاعتهم في المعركة، ومنحت الأوسمة في العصر الجمهوري بشكل منتظم وبطريقة أكدت على طبيعة عمل الجندي أكثر من منزلته[1]، يعتقد بوليبيوس أن أحد أهم أسباب نجاح الرومان عسكرياً هو: العناية الكبيرة بالجنود الشجعان ومكافأتهم بشكل مستمر، حيث يتجمع الجيش في نهاية كل حملة ويخاطبه القائد من على منصة ثم يستدعي من يعتبرهم أبدوا شجاعةً استثنائية ويمدحهم ويثني عليهم لشهامتهم وشجاعتهم في القتال ومن أجل أي سلوكٍ سابق يعتبره يستحق المكافأة، ثم بعد ذلك يوزع عليهم المكافآت والأوسمة[2].

ساعد منح أوسمة الشجاعة في زمن الحرب على تعزيز الولاء وتقوية الروح المعنوية، وهذا ما دفع الرومان في نهاية القرن الأول الميلادي إلى إعادة تنظيم منحها بطريقة مبنية على التسلسل الهرمي للرتب، حيث تلقى الجنود العاديون وصف الضباط بعض القلادات والأساور والأقراص، وتلقى قادة المائة كل ماسبق من أوسمة بالإضافة إلى تاج المتراس الذهبي، وتلقى قادة المائة من رتبة بريموس بيلوس (Primus Pilus) رمحاً مصغراً بالإضافة إلى الأوسمة السابقة، أما الضباط من طبقة الفرسان فتلقوا نسخاً مصغرة عن رمح وراية، وتلقى التربيونات السيناتوريين تاجين ورمحين ورايتين، في حين تلقى قادة الفرق ثلاثة من كل نوع وتلقى الحكام القناصل وقادة الحرس الإمبراطوري أربعة من كل نوع. غالباً ما منحت الأوسمة خلال الحملات العسكرية التي يتواجد فيها الإمبراطور شخصياً والاقتصاد في منحها جعلها محط أنظار الجنود وزاد من قيمتها وأهميتها،ونادراً ما منحت لجنود الوحدات المساعدة أو لغير المواطنين الرومان[3].

كان التاج المدني (corona civica) الوسام الأرفع الذي يناله جنود الفرق بغض النظر عن الرتبة، وكان عبارةً عن أكليلٍ من أوراق البلوط يمنح للجندي الذي ينقذ حياة مواطن روماني آخر في المعركة،لقد شكّل إجبار العدو على التراجع لإنقاذ رفيق سقط في القتال أكبر

---

[1] - Campbell. Brian: The Roman Army 31 BC–AD 337, op.cit, p. 104.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.96.

[3] - Rankov, Boris, op.cit, p.66; Maxfield: op.cit, p19.

مثال عن الشجاعة والإيثار، لأن ذلك يعتبر أكبر مثال عن الزمالة ويوضح أن الرجال في واقع الأمر قاتلوا من أجل بعضهم البعض بالدرجة الأولى، ويعتبر ذلك جوهر فعّالية وكفاءة الجيش الروماني. تلقى الجندي ماركوس هيلفيوس روفوس (Marcus Helvius Rufus) التاج المدني من قبل الإمبراطور تيبيريوس لإنقاذه محارباً قديماً رفيقاً في المعركة ضد تكفاريناس سنة ٢٠م، ويروي لنا تاكيتوس القصة قائلاً:

« عندما هاجمت قوات تكفاريناس معقلاً اسمه تالا (Thala) هزمتها أحد المقتطعات من المحاربين القدماء لا يزيد عددهم عن خمسمائة رجل، وخلال المعركة أنقذ جندي عادي اسمه هيلفيوس روفوس حياة مواطن رفيق وكافأه الحاكم ابرونيوس (Apronius) بتقليده طوقاً ورمحاً. أضاف تيبيريوس إلى ذلك الوسام الرفيع وعبّر عن أسفه لأن ابرونيوس لم يمارس سلطاته لمنحه هذا الشرف الأسمى ».

ربما كان هذا الجندي آخر من يحصل على وسام الرمح لأنه بعد ذلك بفترة قصيرة أصبح هذا الوسام حكراً على الضباط، ونجد من خلال كلام تاكيتوس أن الإمبراطور شخصياً قلّد الجندي وسام الشرف المتمثل في التاج المدني[١].

كما أوضحنا سابقاً كانت أوسمة مثل الأطواق الذهبية والأقراص التزينية (phalerae) والأساور (armillae) المصنوعة من معادن ثمينة تعطى للجنود ما دون قائد المائة الأعلى، في حين أن الأوسمة الأبهى والأفخم كالرمح الفضي بدون رأس (hasta pura) والراية المصغرة (vexillum) كانت تعطى للضباط من قادة المائة برتبة بريموس بيلوس وما فوق، ويزداد عددها بحسب رتبة المتلقي، أما أوسمة التيجان مثل وسام التاج الذهبي (corona aurea) و وسام السور (corona muralis) فكان يمنح لأول جندي يتسلق سور حصن العدو أو سور مدينته و وسام تاج الخندق (corona vallaris) الذي يمنح لأول جندي يعبر الخندق المحيط بحصن العدو، و كانت جميعها مصنوعة من الذهب، أما وسام التاج البحري (corona navalis) فكان يمنح للضباط السيناتوريين بغض النظر إن تحقق النصر على البر أو في البحر[٢].

---

[1] - Cowan: Roman Legionary 58 BC–AD 69, op.cit, p.18. نقلاً عن

[2] - Elise Phang: Roman Military Service op.cit, p.197.

بالإضافة للأوسمة السابقة منح الجيش الروماني وسام تاج الحصار (corona obsidionalis) الذي كان يصنع من الأعشاب المجدولة، ويمنح هذا الوسام في مناسباتٍ قليلة للرجال الذين يخففّون الحصار المضروب على حامية ما. في الواقع إن قيادة مجموعة للهجوم على تحصينات العدو كانت مسألةً خطيرة جداً، وغالباً ما يكون الموت مصير قائدها، لكن في حال نجحت تكسب الرجل شهرةً وسمعةً كبيرتين، ونادراً ما منح الرومان الأوسمة للجنود بعد وفاتهم، ولذلك توجب على الجندي النجاة والبقاء حياً حتى يحق له المطالبة بالمكافأة، بلا شك كانت المكافآت المادية بالغة الأهمية، لكن لا ينبغي علينا التقليل من شأن الأهمية النفسية للأوسمة، لأن الرجال الذين فازوا بها أثبتوا شجاعتهم وشهامتهم واستحقوا احترام وإعجاب أصدقائهم[1].

لقد كان الإمبراطور مسؤولاً عن اتخاذ القرار في منح الأوسمة العسكرية عند وجوده في الحملات بالاعتماد على تزكية ضباطه، وأحياناً تقع هذه المسؤولية على عاتق القائد المباشر لمتلقي الوسام،وقد سجل الجنود أوسمتهم العسكرية بفخرٍ على نقوشٍ تذكارية وتباهوا بها على أنها هبةً من الإمبراطور شخصياً (الشكل رقم ٩٨)، فمثلاً: عُثر في شمال شرق روما على نقش تذكاري يعود للجندي هيلفيوس روفوس الذي منحه الإمبراطور تيبيريوس وسام التاج المدني، حيث ورد فيه ما يأتي:

> « هيلفيوس روفوس (Helvius Rufus) لكونه جندي فرقي مُنح وسام سنة ٢٠م من قبل أبرونيوس (Apronius) قنصل أفريقيا الذي قلده قلادات ورمح، وقلده تيبيريوس شخصياً تاجاً مدنياً لشجاعته في المعركة ولإنقاذه جندي من رفاقه ».

ولكي يُحيي ذكرى الوسام تبنى روفوس اللقب (civica)، وكذلك يعتبر هذا النقش أخر مثالٍ معروف عن منح الرمح كوسام لجندي من رتبة أدنى من رتبة قائد المائة الأعلى، هناك نقش آخر عثر عليه في بلاد الغال (فرنسا حالياً) يعود إلى القرن الثاني الميلادي ويعتبر المثال الوحيد المعروف عن منح أوسمة من قبل الإمبراطور استجابة لرغبات رفاق المتلقي، وورد فيه ما يأتي:

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.96.

« إلى أرواح الموتى وتشريفاً لتيتوس كاموليوس لافينوس (Titus Camulius Lavenus) بن لوسيوس (Lucius) المحارب القديم في الفرقة الثالثة غاليكا، والذي حظي بتسريح مشرّف من قبل الإمبراطور أنطونيوس أغسطس بيوس ونزولاً عند رغبة الإمبراطور هدريان أغسطس قلّد قلادات ذهبية وأساور وفقاً لتصويت الفرقة »[١].



الشكل رقم (٩٨)
شاهدة قبر من القرن الأول الميلادي تعود لحامل النسر Gnaeus Musiu في الفرقة الرابعة عشر جيمينا ويظهر فيه مرتدياً أوسمة كثيرة منها الأطواق و الأقراص
المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p. 96.

ارتدى الجنود الرومان أوسمتهم بفخرٍ واعتزاز في المعارك والعروض العسكرية، وهذا ما يؤكده وصف تاكيتوس لدخول جيش فيتليوس إلى روما سنة ٦٩م، والذي ورد فيه:

« كانت رايات الفرق الأربعة على رأس الرتل، بينما كانت رايات مقتطعات فرق أربعة أخرى علا كلا الجانبين..... سار قادة المعسكر والتريبونات وقادة المائة الكبار أمام الرايات مرتدين ثياباً بيضاء اللون، وسار قادة المائة الآخرين مع مئيناقم حاملين أسلحتهم البرّاقة والأوسمة المتلألئة وكانت ميداليات الجنود وأطواقهم برّاقة ولامعة. كان مشهداً جليلاً وجيشاً استحق إمبراطورا أفضل من فيتليوس »[٢].

---

[1] - Campbell. Brian: The Roman Army 31 BC–AD 337, op.cit, p.104.نقلاً عن

[2] - Cowan: Roman Legionary 58 BC–AD 69, op.cit, p.22.نقلاً عن

وبالرغم من صناعة الأوسمة في أغلب الأحيان من المعادن الثمينة كالذهب و الفضة، إلا أنها كانت منفصلةً عن القيمة النقدية ولا يمكن تحويلها إلى عملةٍ وأساور، وكذلك اختلفت عن المنح النقدية وعن المجوهرات والحلي، لأن الأخيرة كانت نسائية ومثّل الجندي الذي يرتديها موضوعاً للسخرية والاستهزاء(١).

و أخيراً يبدو واضحاً من خلال النقوش وكتابات المؤرخين الرومان أنه نادراً جداً ما أعطيت الأوسمة لجنود الوحدات المساعدة، وإنما اقتصرت على ضباطها فقط، و بدلاً من ذلك كانت الوحدة بأكملها تكافئ على شجاعتها الواضحة بتلقي جنودها المواطنة الرومانية قبل تسريحهم كما حدث للكوهورت الأولى بريتونوم الألفية (Cohors I Brittonum milliaria) بعد خدمتها ومشاركتها في حروب تراجان على داسيا، وعادةً احتفظت الوحدة التي تنال لقب المواطنة الرومانية (civium Romanorum) بلقبها حتى بعد تسريح جميع الرجال الذين تلقوا هذه الهبة، بالإضافة إلى هذا اللقب منحت الوحدات المساعدة العديد من أسماء أوسمة مفردة في المعارك التي خاضتها مثل وسام الطوق المعدني (torquata) ووسام الأساور (armillata) ووسام المخلصة (Pia Fidelis) الذي يختصر بـــ(P.F).

أحياناً بعض الوحدات المساعدة تجمع قائمة طويلة من أوسمة الشرف خلال تاريخها الطويل كما حدث مع وحدة المشاة الأولى بريتونوم الألفية فأصبح أسمها:

Cohors I Brittonum milliaria ulpia Pia Fidelis Civium Romanrum [2].

خامساً: رواتب الجنود

تقدم المصادر الأدبية الرومانية العائدة إلى أواخر الجمهورية وبداية الإمبراطورية إشاراتٍ موجزةٍ ونادرةٍ عن رواتب الجنود وعبء الأنفاق على الجيش، ولا توجد دراسةً متكاملة تتناول هذه المواضيع بشكل واضح، أما بالنسبة للأدلة الوثائقية فيوجد بعضها تقدمها أماكن مختلفة من الإمبراطورية أبرزها فيندولندا (Vindolanda) في بريطانيا ومناطق متفرقة من جرمانيا العليا ومنطقة بونجيم (Bu Ngem) في أفريقيا ودورا يوروبوس في سورية، وتقدم مصر مجموعة كبيرة من السجلات المكتوبة على أوراق البردي تغطي الفترة

---

(1) - Elise Phang: Roman Military Service, op.cit ,p.198.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.97.

الممتدة بين القرنين الأول والثالث بعد الميلاد، لكنها عشوائية ومعظمها يتكلم عن المؤن[1]. وفقط ست وثائق منها تغطي الفترة بين عامي ٣٨-٣٠٠م يمكن استخدامها لتحديد معدلات الأجور بدقة. يقول المؤرخ المعاصر ألستون (R. Alston) أن الباحث السيد ألكسندر سبيدل (Alexander Speidel.M) نشر وثيقة جديدة تتعلق برواتب الجيش الروماني وهي عبارة عن إيصال من منطقة فيندونيسا (Vindonissa) الواقعة شمال بريطانيا يعود إلى سنة ٣٨م، وحسب سبيدل أن هذه الوثيقة تقدم الحلقة المفقودة التي تمكّنه من وضع جدول بمعدل رواتب جنود الفرق وجنود الوحدات المساعدة من عهد قيصر حتى عهد دقلسيان، وبالتالي تمكّنه من برهنة فرضيته القائلة بأن جنود الوحدات المساعدة المشاة تقاضوا خمسة أسداس رواتب جنود الفرق السنوية، لكن وفقاً لألستون أنه من خلال إعادة دراسة النصوص والوثائق التي تستخدم عادةً كدليلٍ على معدلات الرواتب في الجيش الروماني استنتج، أنه لا يوجد إلا القليل من الأدلة على نسب رواتب جنود الفرق خلال القرن الثالث، وإنه يمكن فقط تحديد رواتب جنود مشاة الفرق من تاريخ زيادتها في عهد قيصر حتى سنة ١٩٧م، ويعزى هذا الاستنتاج إلى تقديم معظم الوثائق لأرقام تمثّل نسب مجهولة بالنسبة لرواتب الجنود المعنيين السنوي، أما بالنسبة لجنود الوحدات المساعدة فلا تكفي الأدلة لإجراء عملية حساب دقيقة لرواتب جنودها في أية فترة، ويستمر قائلاً في الواقع تفسير الوثائق يوحي بعدم وجود فرق بين نسب أجور جنود مشاة الفرق ومشاة الوحدات المساعدة وبين فرسان الفرق وفرسان الوحدات المساعدة، ولكن يعتبر هذا الاستنتاج مثيرٌ للجدل وتم تجنبه ليس فقط في دراسة الرواتب، وإنما في دراسة جميع مجالات التاريخ العسكري الإمبراطوري الروماني[2]، ووفقاً لهذا المبدأ سيتم دراسة رواتب كل فرع من فروع الجيش على حدا.

١- رواتب جنود الفرق:

لم يتقاضى جنود الفرق في أوائل الفترة الجمهورية رواتباً بل توجب عليهم الخدمة في الجيش بدافع الإحساس بالواجب تجاه الوطن، ولم تدفع الدولة لهم المال لقاء التجهيزات،

---

(1) - Rathbone: op.cit, p.158.

(2) - Alston: Roman Military Poy from Caesar to Diocletian, JRS, vol LXXXI, 1994, pp.113,115.

وكذلك لم يشكل غياب التعويضات عبئاً على الجنود لأنهم كانوا يعودون إلى ديارهم لجني المحاصيل بعد انتهاء موسم الحملة العسكرية، لكن في حال لم تنتهي الحملة في موسم واحد يستمر الجنود في الحفاظ على الجاهزية القتالية، فمثلاً استمرت الحرب بين الرومان والأتروسكيين من سنة ٤٠٦ق.م حتى سنة ٣٩٦ق.م وظل الجنود طوال هذه الفترة في جاهزيةٍ قتالية خلال فصول الصيف والشتاء، ولم يمنحوا الفرصة للعودة إلى أوطانهم لجني المحاصيل. ربما بدأت الدولة الرومانية خلال هذه الفترة بدفع الرواتب للجنود ومن الممكن دُفعت المعونة المالية للخيالة في نفس الفترة. لا توجد أدلةً كافية حول المبلغ الذي تقاضاه الجنود خلال هذه الفترة والفترات اللاحقة حتى القرن الثاني قبل الميلاد، وخلال القرن الثاني قبل الميلاد، كتب المؤرخ بوليبيوس حول المبالغ التي تقاضاها الجنود باللغة الإغريقية وحوّل هذه المبالغ إلى ما يعادلها بالإغريقية مما سبب مشاكل للباحثين الذين يحاولون تقدير القيم النقدية الرومانية المكافئة(١). ضاعف قيصر رواتب جنود الفرق قبل خوض الحرب الأهلية مع بومبي فأصبحوا يتلقون مئتان وخمسٍ وعشرون ديناريوس *من الفضة في السنة، ولذلك ربما كانت الرواتب قبل ذلك مئه واثنتا عشره ديناريوس ونصف في السنة(١).

---

(1) - Southern, op.cit, p.105-106.

* – الديناريوس: سُكت أول عملة فضية في روما عام ٢٦٨ق.م بعد حصول الرومان على كميات كبيرة من الفضة نتيجة غزوهم لكمبانيا واستيلائهم على تارنتم سنة ٢٧٢ق.م، وقبل ذلك التاريخ كانوا يستعملون نقود جيرانهم الأترورييين والإغريق، وبذلك صدرت أول عملة فضية رومانية تحمل اسم روما في كمبانيا وسرعان ما قلدها معظم المدن الإيطالية، وحوالي نفس العام سُكت في روما أول عملة فضية من فئة الدراخمتين (didrachma) تحمل كلمة (Romano) وبعد عام ٢٣٥ق.م أصبحت تحمل اسم روما (Roma)، وكان الهدف منها أن تحل محل العملة البرونزية الثقيلة (aes grave) غير الملائمة للتعامل الخارجي، وتقريباً سنة ٢٢٥ق.م سكت إلى جانب العملة الفضية من فئة الدراخمتين عملة فضية أطلق عليها اسم (quadrigatus)، وبعد ذلك سُكت عملة فضية أخرى أطلق عليها اسم (victoriatus) تعادل دراخمة فضية واحدة، وظهر أول دينار (denarius) فضي في روما عام ١٧٧م وليس قبل هذا التاريخ، وقد ضُرب في جنوب إيطاليا، ولم يأت عام ١٧٠ق.م حتى حل محل الـــ (quadrigatus) كعملة فضية أساسية في روما، وأصبح يعادل دراخمة واحدة⇦

يقول بوليبيوس أن مشاة الفرق تلقوا أثناء الحرب البونية الثانية (٢١٨-٢٠١ق.م) مبلغ قدره قطعتا أوبول (obols)* في اليوم لكل جندي وتقاضى كل فارس دراخمة واحدة، واقتطعت الدولة ثمن الطعام واللباس والسلاح من رواتبهم بنسبٍ ثابتة، عادةً عامل بوليبيوس الدراخمة والديناريوس الروماني على أنهما عملتين متساويتين من حيث القيمة، وبما أن قطعتا الأوبولس تعادلا ثلث الدراخمة فإنه يمكن أن نفترض أن مشاة الفرق تقاضوا ثلث الديناريوس في اليوم، أي حوالي ثلاث آسات (as) [٢].

يقترح بعض الباحثين أن المشكلة الأساسية في تحديد مقدار راتب الجندي تتوقف على إعادة تسعير قيمة الآس البرونزية، التي تعود لتاريخ مجهول أثناء الفترة الجمهورية. وحول هذا الموضوع يرى "عبد اللطيف أحمد علي" في كتابه "مصادر التاريخ الروماني" أن أقدم عملة مرسومة ظهرت في روما هي تلك العملة النحاسية أو البرونزية المخلوطة بقليل من الرصاص والتي أطلق عليها اسم (aes signatum)، حيث أنها صُبّت نحو سنة ٣٠٠ق.م وكانت كل قطعةٍ منها على شكل قضيب (as) من النحاس أو البرونز مستطيل الشكل ويزن حوالي خمسة أو ستة أرطال*، ويبلغ طوله حوالي قدم في حين أن سماكته غير معروفة. حدث سنة ٢٨٩م تطورٌ جديد على هذه العملة بعد أن تقرر اختيار ثلاث موظفين للقيام بسكها (Tresviri monetales) تحت إشراف مجلس الشيوخ، وصاحب ذلك تغيير في شكل ووزن القضيب النحاسي أو البرونزي، إذ أصبح مستديراً محدباً وبلغ وزنه رطلاً واحداً أو أقل (as libralis)، وأصبحت تعرف منذ هذا الوقت باسم البرونز الثقيل (aes grave) وضربت منها

ويحمل رقم (X)، أي عشرة آسات، أما نصف الدينار (quinarius) فحمل رقم (V)، أي آسين ونصف. لمزيد من المعلومات عن النقود الرومانية راجع:

أحمد علي، عبد اللطيف، مصادر التاريخ الروماني، المرجع السابق، ص١٢٤.

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.94.

* – الأبول : هي نقد هلنستي مصنوع من الحديد أو البرونز يبلغ وزنه ٠,٧٢غ.

(2) - Alston: op.cit, p.113.

فئات تمثل كسوراً من الرطل* أو الآس (as=libra) كنصفه أو ثلثه أو ربعه أو سدسه، كما ضربت فئات من مضاعفاته تزن آسين أو ثلاثة أو عشرة تحمل كل قطعةٍ منها علامة ترمز إلى قيمتها**. لقد شكلت الحرب البونية الأولى (٢٦٤-٢٤١ق.م) مرحلة جديدة في تطور العملة الرومانية، حيث خُفّض أثناءها وزن الآس من رطل إلى أوقيتين (sextans)، وخُفّض وزنه خلال الحرب البونية الثانية إلى أوقية واحدة، لكن بقي الآس الذي يزن رطلاً كاملاً مستعملاً في الحساب، وبعد تخفيض الآس إلى أوقية واحدة أصبح الديناريوس الفضي يساوي سته عشر آساً بدلاً من عشر آسات، وربما على الأغلب حدث ذلك في عهد الأخوين جراكوس، ولكن كان هذا الديناريوس يُقيّم دائماً بعشر آسات عند دفع الرواتب للجنود، وأنقص وزن الآس سنة ٨٩ ق.م إلى نصف أوقية، ولم يلبث أن توقف إصدار العملة البرونزية سنة ٨٦ ق.م، وبقيت كذلك حتى بداية الفترة الإمبراطورية، حيث أُعيد سكها سنة ١٥ق.م[(١)]

يقول ساوثرن (Sauthern) نقلاً عن واتسون (Watson): أنه في البداية تم تجزئة الديناريوس إلى عشر آسات، ووفقاً لذلك يُقدّر واتسون راتب جنود الفرق بخمس آساتٍ في اليوم، أي ما يعادل مائة وثمانون ديناريوس في السنة، وبعد إعادة تسعير الديناريوس بست عشرة آساً (خلال الحرب البونية الثانية) تم تخفيض رواتب الجنود إلى مائة واثنا عشر ديناريوس ونصف في السنة، وسنة ١٢٣ق.م أُصدر قانوناً يلغي إجراء حسومات من الرواتب لقاء اللباس، وربما عوض هذا القانون عن التخفيض في الرواتب[(٢)].

---

* – الرطل (Libra) يساوي أثنا عشر أوقية (Uncia).

** – فالرقم (I) معناه آس، وحرف (S) معناه نصف آس (Semis)، والأربعة نقاط (....) معناها أربعة أوقيات، والثلاث نقاط (...) معناها ثلاث أوقيات، والنقطتان (..) معناها أوقيتان، والنقطة الواحدة (.) معناها أوقية واحدة. أنظر :

– أحمد علي، عبد اللطيف: مصادر التاريخ الروماني، المرجع السابق، ص١٢٥.

– دقماق، لمى : النقود البيزنطية في سورية "٣٣٠-٦٤٣م" ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، بإشراف الدكتور عبد المجيد حمدان ، جامعة دمشق ، ٢٠٠٩م ، ص١٠١ .

(١) – أحمد علي، عبد اللطيف: مصادر التاريخ الروماني، المرجع السابق، ص١٢٤-١٢٦.

(2) - Southern: op.cit, p.107.

يوثّق المؤرخ الروماني سيتونيوس مضاعفة الرواتب في عهد قيصر بنسبة بقيت ثابتة حتى عهد دومتيان، ويخبرنا تاكيتوس أن جنود الفرق المتمردة سنة ١٤م تذمروا من انخفاض رواتبهم التي بلغ عشر آساتٍ في اليوم، وطالبوا برفعها إلى ديناريوس واحد في اليوم. يوحي كلام تاكيتوس إلى أن الديناريوس كان يُسعّر في ذلك الوقت بست عشرة آساً، وكذلك يشير كلامه إلى نسبة سنوية بلغت ثلاثة آلاف وست مائة آس في السنة، أي ما يعادل مئتان وخمس وعشرون ديناريوس. لقد رفع دومتيان رواتب الجنود سنة ٨٣ م، ويقول سيتونيوس في ذلك أنه تم إضافة قسط رابعٍ يتألف من ثلاث قطع ذهبية (aureus) إلى الأقساط الثلاثة التي تدفع للجنود بشكل اعتيادي خلال السنة، وكان الأوريوس عملةً ذهبية كل قطعةٍ منها تساوي خمسٍ وعشرون ديناريوس، في حين أن كاسيوس ديو يشير إلى زيادة خمسٍ وعشرون دراخمة لكل قسطٍ من الأقساط الثلاثة السالفة الذكر والبالغ قيمة كل واحدٍ منها خمسٍ وسبعون ديناريوس، وبذلك أصبح كل قسطٍ يبلغ مائة دراخمة، أو ما يعادل مائة ديناريوس على اعتبار أن الدراخمة تساوي الديناريوس في قيمتها، ووفقاً لكلام كلاً من سيتونيوس وديو فإنه تمت زيادة الرواتب من مئتان وخمس وعشرون ديناريوس في العام (ثلاث أقساط يبلغ كل قسط منها خمسة وسبعون ديناريوس) إلى ثلاثة مائة ديناريوس، وربما القسط الرابع الذي تكلم عنه سيتونيوس في الأعلى يشير إلى دفعةٍ وحيدة دفعت سنة ٨٣ م فقط على شكل قسط رابع، أو كان ببساطة طريقة للإشارة إلى حجم الزيادة[١].

وقد استمرت الرواتب كما هي بدون زيادة فترة قاربت ما يزيد عن مائة عام وامتدت منذ عهد دومتيان حتى عهد سبتيموس سيڤيروس الذي قام بزيادة الرواتب سنة ١٩٧م، لكن لا توجد أدلة واضحة تشير إلى مقدار الزيادة التي أضافها إلى الرواتب، ولذلك يلجأ الباحثون المعاصرون إلى تقدير الزيادة بنسبة خمسون بالمائة على الرواتب التي كانت تدفع منذ عهد دومتيان، وبالتالي يتم تقدير الرواتب بمبلغ قدره أربعمائة وخمسون ديناريوس[٢]. زاد الإمبراطور كركلا سنة ٢١٢م رواتب الجنود بمقدار النصف، وبالرغم من أن المؤرخ هيروديان يشير بوضوح إلى أن كركلا زاد رواتب الحرس الإمبراطوري فقط، إلا أن ديو

---

[1] - Alston: op.cit, p.114.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.94.

يشير إلى أن الزيادة دُفعت وشملت كل القوات. وقد قال الإمبراطور مكرينوس في سنة٢١٧م أن زيادة كركلا للرواتب كلّفت الدولة سبعين مليون ديناريوس في العام، ولعدم قدرته على دفعها للجنود ألغى الزيادة للمجندين الجدد، لكن أعاد نسبة زيادة كركلا لجميع الجنود سنة ٢١٨م[1].

و يرى معظم الباحثون أن آخر زيادةٍ للرواتب في القرن الثالث قبل زيادة دوقلسيان قام بها الإمبراطور مكسيمينوس ثراكس سنة ٢٣٥م، لكن يرفض بعضهم الآخر هذا الاقتراح ويصرّون على الرأي القائل أن معدل الرواتب بقي بدون تغيير بعد زيادة كركلا حتى مجيء دقلسيان، وسواء زيدت الرواتب أم لم تزد فإن القرن الثالث كان قد شهد تضخماً كبيراً مما أضعف من القوة الشرائية لرواتب الجنود واستبدل لبعض الوقت الدفع نقداً بالدفع عيناً إلى أن حلّت المشاكل المالية في الإمبراطورية خلال أزمة القرن الثالث[2].

في الواقع يعتمد حساب نسب رواتب جنود الفرق في القرن الثالث على مقدار نسبة الزيادة في عهد الإمبراطور سبتيموس سيڤيروس، وعلى اعتبار أنه لا توجد وثائق ودلائل دقيقة تشير إلى حجم الزيادة في عهده، ولأنه لا نملك أرقاماً لنسبة الزيادة في عهدي كلاً من الإمبراطور كركلا والإمبراطور مكسيمينوس ثراكس، فإننا بالتالي لا نستطيع تقدير نسب رواتب جنود الفرق بدقة خلال القرن الثالث. ولكن بالمقابل نستطيع تحديد نسب الرواتب منذ عهد قيصر حتى عهد سبتيموس سيڤيروس بدقة، حيث أنه تقاضى جنود الفرق بين عامي ٤٩ق.م–٨٣م راتباً سنوياً قدره مئتان وخمسة وعشرون ديناريوس، ورفع دومتيان سنة ٨٣م نسبة الرواتب السنوية إلى ثلاثة مائة ديناريوس، أما بالنسبة إلى النسب الأكثر ترجيحاً منذ عهد سيڤيروس إلى عهد دوقلسيان فهي أربعمائة وخمسون ديناريوس منذ سنة ١٩٧م حتى سنة ٢١٢م، وستمائة وخمس وسبعون ديناريوس في الفترة الممتدة بين عامي ٢١٢م–٢٣٤م، وألف وثلاث مائة وخمسون ديناريوس في الفترة التالية حتى عهد دقلسيان. لا يوجد أدلة أدبية

---

(1) - Rathbone: op.cit, p.160.

(2) - Southern: op.cit, p.108.

حول نسبة رواتب الخيالة في الفرق، ولذلك تبقى الأدلة الوثائقية تشكل الأمل الوحيد في معرفة معدلات أجورهم في المستقبل[١].

أما بالنسبة إلى رواتب الحرس الإمبراطوري فلا يوجد بشأنها أدلة، سوى قول ديو أنه في عهد أغسطس تقاضى جنود الحرس الإمبراطوري ضعف الراتب الذي كان يتقاضاه جنود الفرق، وربما استمرت هذه النسبة في الفترات اللاحقة[٢].

٢ – رواتب جنود الوحدات المساعدة:

من الواضح أن جنود الوحدات المساعدة لم يتقاضوا جميعهم نفس معدل الرواتب، فالفرسان تقاضوا راتباً أعلى من المشاة، ونعرف من خلال خطاب هدريان في لمباسيس،الواقعة في شمال إفريقيا، أن جنود وحدات الخيالة (ala) تقاضوا راتباً أعلى من خيالة الوحدات المختلطة، ومع ذلك لا توجد إشارة واضحة على مقدار الراتب الأساسي لأي فرع من فروع الوحدات المساعدة، كما أنه لا توجد أدلة أدبية على مقدار ذلك وينقسم رأي الباحثين فيما إذا تقاضى مشاة الوحدات المساعدة نفس راتب مشاة الفرق ،أو إنهم تقاضوا راتباً أقل[٣]. يرى بعض الباحثين أنه في عهد أغسطس تقاضى الفارس في الوحدات المختلطة نفس أجر جندي المشاة في الفرق البالغ قدره مئتان وخمسة وعشرون ديناريوس، في حين أن مشاة الوحدات المساعدة تقاضوا مائة وسبع وثمانون ديناريوس ونصف، أما فرسان وحدات الخيالة (ala) فتقاضوا مئتان واثنان وستون ديناريوس ونصف، وربما أرتفع إلى ثلاثة مائة وخمسين ديناريوس في عهد الإمبراطور دومتيان[٤].

ويرى المؤرخ المعاصر دومنيك راثبون (Dominic Rathbone) أن معدلات رواتب الوحدات المساعدة خلال الفترة الإمبراطورية غير أكيدة ومطروحة للجدل والنقاش، لكن الحل الأبسط الذي يلائم المعلومات المتوفرة التي تقدمها الدلائل الأثرية هو أن خيالة

---

(1) - Alston: op.cit, p.114.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.94.

(3) - Ibid, p.95.

(4) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193 ،op.cit, pp.27-28.

الفرق وخيالة وحدات الفرسان (ala) وليس خيالة الوحدات المختلطة تلقوا مبلغاً سنوياً قدره راتباً ونصف مقارنة مع رواتب مشاة الفرق السنوية[1].

ويبقى تحديد مقدار رواتب الضباط في الفرق والوحدات المساعدة يشكل المسألة الأصعب لعدم وجود الأدلة الأدبية والوثائقية الكافية، ووفقاً لبوليبيوس تقاضى قادة المائة في جيوش العصر الجمهوري ضعف رواتب الجنود، وربما استمر ذلك في الفترة الإمبراطورية بنسب موحدة في جميع أقاليمها، لأن قادة المائة الذين تولوا مناصب متعاقبة في عدة فرق منتشرة في أقاليم مختلفة سيكون من الصعب عليهم تولي هذه المناصب في حال كان هناك تنوع واختلاف في معدلات الرواتب. ويأتينا الدليل الوحيد على رواتب الضباط الكبار من خلال نقش عثر عليه في فرنسا، ويكشف لنا أن الراتب السنوي للتريبون خلال القرن الثالث بلغ ستة آلاف ومئتان وخمسون ديناريوس، لكن لا يوجد ما يدل في هذا النقش على إن كان هذا التريبون سيناتوراً أو أنه أحد التريبونات الفرسان الأدنى رتبة، أما صف الضباط وبعض الرجال ذوي المهام الخاصة فتقاضى بعضهم راتباً ونصف (sesqui plicarii) وبعضهم الأخر تقاضى راتباً مضاعفاً (duplicarii)، في حين أن جنوداً آخرون تقاضوا ثلاثة أضعاف الراتب (triplicarii). وقد تميز صف الضباط عن الأخصائيين (immunes)، حيث تلقوا الراتب الأساسي فقط ولم يتلقوا شيئاً إضافياً مقابل القيام بمهامهم الخاصة[2].

وجب على جنود الفرق دفع المال من رواتبهم مقابل احتياجاتهم، ومن المرجح أنه منذ بدأت الدولة الرومانية بدفع الرواتب للقوات المساعدة تعاملت معهم بنفس الطريقة واقتطعت من رواتبهم مبلغاً مقابل المصاريف في المعسكر[3]. وخصم الجيش رسمياً مبالغ بدل الطعام واللباس والعلف، بالإضافة إلى ذلك وجب على الجنود شراء أسلحتهم ودروعهم ومعداتهم، لكن الدولة كانت تشتريها من الجندي أو وريثه عندما يُسرّح أو يموت، واعتبر الحصان جزءاً من تجهيزات الخيالة بالإضافة إلى تكاليف علفه، ولذلك كانت تحسم ثمنها من رواتب الفرسان، حيث تبين لنا ورقة بردي من دورا يوروبوس تعود إلى القرن الثالث أن فارساً كان

---

(1) - Rathbone: op.cit, p.160.

(2) - Southern: op.cit, p.109.

(3) - Alston: op.cit, p.121.

يدفع مائة وخمسة وعشرون ديناريوس كمبلغ قياسي مقابل حصانه، وربما حُدد هذا الرقم من قبل السلطات العسكرية ولم يمثل القيمة السوقية الحقيقية للحيوان[١].

يقدم لنا المؤرخ المعاصر ألكسندر سبيدل (Alexander Speidel) خلاصة تحليلاته ومقارناته للوثائق الأدبية والأثرية المتعلقة برواتب الجيش الروماني خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإمبراطورية وفق نظام دفع سنوي بالسسترتيوس (Sestertius) على الشكل التالي:

الفئة /الوحدة	أغسطس	دومتيان ٨٤م	سيفيروس ١٩٧م	كركلا ٢١٢م	ثراكس ٢٣٥م
الفرق					
جنود الفرق	٩٠٠	١٢٠٠	٢٤٠٠	٣٦٠٠	٧٢٠٠
فرسان الفرق	١٠٥٠	١٤٠٠	٢٨٠٠	٤٢٠٠	٨٤٠٠
قادة المئة في الفرق	١٣٥٠٠	١٨٠٠٠	٣٦٠٠٠	٥٤٠٠٠	١٠٨٠٠٠
قادة المئة في الكوهورت الأولى في الفرقة	٢٧٠٠٠	٣٦٠٠٠	٧٢٠٠٠	١٠٨٠٠٠	٢١٦٠٠٠
قائد المئة الأعلى في الفرقة	٥٤٠٠٠	٧٢٠٠٠	١٤٤٠٠٠	٢١٦٠٠٠	٤٣٢٠٠٠
الوحدات المساعدة					
جنود الوحدات المساعدة المشاة	٧٥٠	١٠٠٠	٢٠٠٠	٣٠٠٠	٦٠٠٠
فرسان الوحدات المساعدة المختلطة	٩٠٠	١٢٠٠	٢٤٠٠	٣٦٠٠	٧٢٠٠
فرسان الوحدات المساعدة الخيالة (ala)	١٠٥٠	١٤٠٠	٢٨٠٠	٤٢٠٠	٨٤٠٠
قائد المئة في وحدات المشاة	٣٧٥٠	٥٠٠٠	١٠٠٠٠	١٥٠٠٠	٣٠٠٠٠
قائد العشرة في الوحدات المختلطة	٤٥٠٠	٦٠٠٠	١٢٠٠٠	١٨٠٠٠	٣٦٠٠٠
قائد العشرة في وحدات الخيالة	٥٢٥٠	٧٠٠٠	١٤٠٠٠	٢١٠٠٠	٤٢٠٠٠

---

[1] - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.28.

حرس الفرسان الشخصي					
فرسان الحرس الشخصي	–	٢٨٠٠	٥٦٠٠	٨٤٠٠	١٦٨٠٠
قادة العشرة في فرسان الحرس الشخصي	–	١٤٠٠٠	٢٨٠٠٠	٤٢٠٠٠	٨٤٠٠٠ [١]

دُفعت رواتب الجنود على ثلاثة أقساط خلال السنة، وربما كانت تدفع في الأول من شهر كانون الثاني والأول من أيار والأول من أيلول، لكن عندما يكون قسم من القوات مشترك في حملة قد يتأخر الجيش عن أعطائهم رواتبهم في موعدها المحدد كما حدث أثناء حصار القدس سنة ٧٠م، حيث أوقف تيتوس الحصار مؤقتاً لتوزيع الرواتب على الجنود وتم ذلك في مراسم كبيرة قامت القوات من خلالها باستعراض عسكري مرتدية أفضل تجهيزاتها، وربما تأخر موعد دفع الرواتب، لأن الاستعراض تم في نهاية أيار وبداية حزيران واستمر لمدة أربعة أيام، وكانت الغاية من دفع الرواتب في هكذا حالة رفع معنويات الجنود بعد ما هزت سلسلة من الانتكاسات ثقة الجنود بأنفسهم، ويمكن استخلاص ذلك من خلال وصف يوسيفوس لهذا الحدث قائلاً:

« عندما وصل في الوقت المحدد لتوزيع رواتب الجنود أمر ضباطه بتجميع القوات وتوزيع المال على كل رجل من أفراد الجيش على مرأى من العدو، وقام الجنود على عادقم باستلال أسلحتهم من أغمادها والتقدم إلى الأمام مرتدين دروعهم الزردية، أما الخيالة فجرّوا خيولهم التي كانت مكسية بأبهى حلة..... لم يكن هناك شيء يرضي ويسّر الرومان أكثر من ذلك وفي نفس الوقت يدب الخوف والرهبة في قلوب الأعداء »[٢].

سادساً: الخدمات الطبية العسكرية

نظراً للحفاظ على قوات الجيش القليلة العدد نسبياً مقارنة مع حجم واتساع الإمبراطورية، كان من الطبيعي أن تؤمن القيادة الرومانية خدمات طبية كافية وملائمة تحافظ من خلالها على سلامة الجنود صحياً وطبياً، ولذلك عمل الأباطرة من منذ بداية الفترة

---

[1] - Speidel, Alexander: Roman Army Pay Scales ،JRS, Vol LXXXII, 1992, p.106.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.94.نقلاً عن

الإمبراطورية على تأسيس نظامٍ طبي للجيش مبني على أساس منظم ويقوم في جوهره على الاهتمام بصحة الجنود وعافيتهم ويشرف عليه كوادر طبية ماهرة ومتمرسة في العمل الطبي، ويرافق وجود الكوادر الطبية مرافق تؤمن الحياة الصحية للجنود، مثل الحمامات ودورات المياه الصحية، وكذلك تأمين الطعام الغني بالمواد الغذائية. كل هذه الإجراءات اعتبرت امتيازات نادرة انفرد بها الجيش الروماني عن باقي الأمم والجيوش الأخرى، واعتبرت أيضاً خدمات معاصرة نوعاً ما وفرتها القيادة الرومانية لجنودها في عصور قديمة قلما تميزت بها شعوب وجيوش أخرى[١].

يقول فيجيتيوس في كتاباته عن الصحة العسكرية الرومانية معتمداً على مؤلفات تعود إلى بداية الإمبراطورية ما يلي:

« الآن سأناقش مسألة يجب إعطاؤها العناية القصوى وتمثل الوسائل التي يتم بواسطتها الحفاظ على الجيش وهي الماء والفصل والطب والتدريب والوضع. بالنسبة للوضع لا تُبقي القوات في منطقة غير صحّية قرب المستنقعات التي تجلب الأمراض ولا في السهول و الهضاب الجرداء التي تفتقر للأشجار الموفرة للظل، ولا يجب أن تبقيها في العراء بدون خيام خلال الصيف، ولا تدعهم يصابون بالأمراض بسبب حرارة الشمس أو التعب الناتج عن المسير نتيجة الانطلاق في وقت متأخر، ومن الأفضل الانطلاق قبل طلوع الفجر خلال الأيام الشديدة الحرارة لكي تصل القوات مبتغاها في وقت مناسب. يجب أن لا تدعهم يسيرون خلال الشتاء في الثلوج والجليد ليلاً وعليهم أن لا يعانوا من نقص الحطب أو الملابس فالجندي الذي يُكره على التجّمد غير ملائم لشن الحملات. لا تسمح للجيش باستخدام الماء من المستنقعات لأنه يكون فاسداً وشرب الماء الفاسد مثل شرب السم تماماً ويسبب الأمراض للرجال، ومن واجب الضباط القادة السعي بجد لمساعدة الجنود المرضى على استعادة عافيتهم عن طريق الطعام المناسب وعلاج الأطباء المهرة..... يعتقد الخبراء في الشؤون العسكرية أن التمارين اليومية بالأسلحة هي أكثر نفعاً من الأطباء وينصحون بأن يُدرب المشاة تحت غطاء بدون أن يقاطعهم المطر والثلج..... الأعمال الشاقة تجلب الصحة في المعسكر والنصر في المعركة. لو بقيت أعداد كبيرة من القوات لفترة طويلة خلال الصيف أو الخريف في نفس المكان

---

(1) - Rankov, Boris: op.cit, p.160.

فيمكن أن يسبب هذا الأمراض الناتجة عن تلوث الماء.... الطريقة الوحيدة لمنع هذا هو التغيير المتكرر للمعسكر »[١].

وتوجد الكثير من الأدلة تدعم النقاط التي تحدث عنها فيجيتيوس، ويبين علم الآثار كيف أختار الرومان مواقع معسكراتهم وحصونهم بعناية فائقة لتجنب المخاطر المضرة بالصحة التي ذكرها فيجيتيوس، حيث قاموا ببناء قواعدهم الدائمة ومعسكراتهم المؤقتة في مواقع صحّية قدر الإمكان وزودوها بالحمامات ودورات المياه وقنوات الصرف الصحي للحفاظ على صحة ونظافة الجنود، ودورات المياه في حصن هاوس تيد (Housesteads) على جدار هدريان في بريطانيا ما تزال تحافظ على شكلها بشكل مميز حتى وقتنا الحاضر[٢].

١- الكوادر الطبية العسكرية في الجيش الروماني:

ثبت وجود أعداد كبيرة من الطواقم الطبية في الجيش الروماني، وضمت كل فرقة أو وحدة مساعدة طاقمها الطبي الخاص بها والذي كانت جنسية معظم أفراده من أصول إغريقية، وربما أدّوا هذا العمل بتفويض من الجيش لمدةٍ قصيرة حظيوا خلالها بمنزلة الضباط الفرسان، وتقاضوا نفس رواتبهم ومن ثم عادوا إلى الحياة المدنية بعد انتهاء مهمتهم، وأيضاً من الممكن أنهم كلفوا بهذه المهمة لمدة طويلة الأمد أو دائمة برتبة مساوية لرتبة قائد المائة وأطلق عليهم اسم: (Medici ordinarii)، أي الضباط الأطباء. يُصنّف الأطباء (Medici) من ضمن الأخصائيين (immunes) الذين أعفيوا من المهمات العسكرية الروتينية ولكن كان لهم مهماتهم الخاصة بهم[٣].

وهناك نوع آخر من الأطباء (Medici) تمتع بمنصب أدنى ويشار إليه بالجندي الطبيب (Miles Medicus)، وأحياناً أخرى يطلق عليه مساعد طبيب (الشكل رقم ٩٩)، لكنه تمتع بمعرفة أساسية ومهارة في الأمور الطبية. ويقول فيجيتيوس أن قائد المعسكر – وهو الرجل الثاني في القيادة بعد قائد الفرقة والضابط المحترف الكبير – كان مسؤولاً عن

---

(1) - Davies: op.cit, p.209. نقلاً عن

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.99.

(3) - Campbell, Brian: The Roman Army 31 BC–AD 337, op.cit, p.103.

الإمدادات اللوجستية وتنظيم الخدمات الطبية، وبالرغم من ذلك إلا أن الضابط المعروف بـ (Optio Valetudinarii) كان مسؤولاً عن إدارة المشفى في المعقل أو الحصن.



الشكل رقم (٩٩)
مشهد من عمود تراجان يصور مساعدي الأطباء يعالجون جنوداً جرحى من الفرق و الوحدات المساعدة
المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army,Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p. 100.

كان الضباط الأطباء (Medici ordinarii) مؤهلين ومدربين ويعمل الطاقم الطبي كله بتوجيه منهم(١)، وأشتمل الأخير على المضمدين (Capsarii) الذين سميوا بهذا الاسم نسبة إلى صندوق الضمادات (Capsa) الذي كانوا يحملونه لوضع الضمادات وأدوات الإسعاف الأولي فيه، واشتمل أيضاً على طبيب جراح يطلق عليه (Medicus chirurgus)، وعلى طبيب داخلية (Medicus clinicus)، وعلى طبيب عيون (Medicus ocularius)، وعلى طبيب أخصائي في عضات الأفاعي والعقارب يطلق عليه اسم (Marsus)(٢).

وقد ضم الطاقم الطبي في الفرقة أو الحصن أطباء باختصاصاتٍ أخرى متنوعة نذكر منهم[الطبيب المختص في تحضير المراهم الطبية (Seplasiarius)، بالإضافة إلى هؤلاء

---

(1) - Davies: op.cit, p.212.

(2) - Scheidel, Walter: Marriage. Families and Survival: ACRA, 2007, Blackwell Publishing, p.431.

الأطباء كان هناك عدد من الأطباء البيطريين المختصين والمسؤولين عن حيوانات الجيش، والذين نعرف منهم الـ(Veterinarii) والـ(Pequari) . لم يكن هناك تميز كبير بين مجال الطب البشري والطب البيطري كما هو الحال في الوقت الحاضر، وغالباً ما كانت المشفى المخصصة للرجال (Valetudinarium) بجانب المشفى البيطرية (Veterinarium) في المعسكرات الميدانية وربما أشترك الطاقمين في بعض الأعمال. و يصور عمود تراجان مشفى ميداني في أوائل القرن الثاني يوضح فيه مضمداً يضمد فارساً جُرح أسفل فخذه الأيسر، ويبين أفراد الطواقم الطبية يرتدون لباساً موحداً، يتألف من قميص صوفي وبنطال جلدي يصل إلى الركبة وسترة ضيقة وحذاء إلى الركبة ، وارتدى خوذة وحل سيفاً قصيراً وعلبة جراحية تحتوي على الأدوات الطبية [١].

يقول أوناسندير أنه يجب وضع التجهيزات الطبية في وسط رتل المسير من أجل الأمان وسهولة الوصول إليها. وما يلفت الانتباه هو التنوع الكبير والجودة العالية للأدوات الجراحية الطبية المكتشفة في المشافي العسكرية الرومانية، حيث وجد في العديد من معاقل الفرق وحصون الوحدات المساعدة أمثلة عن مسابير طبية تمتع معظمها بنهايتين مختلفتين، وغالباً تكون أحدى النهايات على شكل ملعقة صغيرة والأخرى على شكل مغرفة أو نصلة لتكون أداتين في نفس الوقت. عُثر في مشفى حصن نيوز (Neuss) في جرمانيا الدنيا على أكثر من مائة أداة طبية تشمل أنواع مختلفة من المسابير والملاوق (أداة منبسطة) ورافعة وملعقة ومنتاش (ملقط) وإبر مستقيمة، وأخرى مقوسة وقصاصات من ضمادات وصندوق لحفظ المراهم وأواني زجاجية وأوعية صغيرة للزيت[٢] (الشكل رقم ١٠٠-١٠٢).

---

(1) - McCallum , Jack Edward : Military Medicine from Ancient Times to the 21st Century, ABC-CLIO, 2008 , p272.

(2) - Davies: op.cit, p. 215-218.



الشكل رقم (١٠٠)
مجموعة من الأدوات الطبية الرومانية
المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army,Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p. 100.

وقد حاول أفراد الطواقم الطبية تخليد ذكراهم من خلال نصب النقوش التذكارية على شواهد قبورهم، والتي كانت تكتب بصيغة تكريمية إلى أرواح هؤلاء الأطباء الذين حافظوا على حياة وصحة زملائهم الجنود، فمثلاً: أحد النقوش العائد إلى القرن الثاني ميلادي نصب تكريماً وتشريفاً إلى روح أحد الأطباء المميزين الذين خدموا في الجيش والحياة المدنية، حيث ينص النقش على ما يلي:

« تخليداً إلى أرواح الموتى وتشريفاً لماركوس ألبيوس تيليسبوروس " Marcus Alpius Telesporus" بن كلاوديوس "Claudius" طبيب وحدة الفرسان إنديانا "ala Indiana" ووحدة الفرسان الثالثة أستوريانز "ala III Asturians" والطبيب المدفوع له في المجتمع والأكثر تميزاً، نصب هذا النقش لنصيره الجدير بالاحترام »(١).

---

(1) - Campbell, Brian: The Roman Army 31 BC–AD 337, op.cit, p.103.نقلاً عن

٢ – المشافي العسكرية الرومانية:

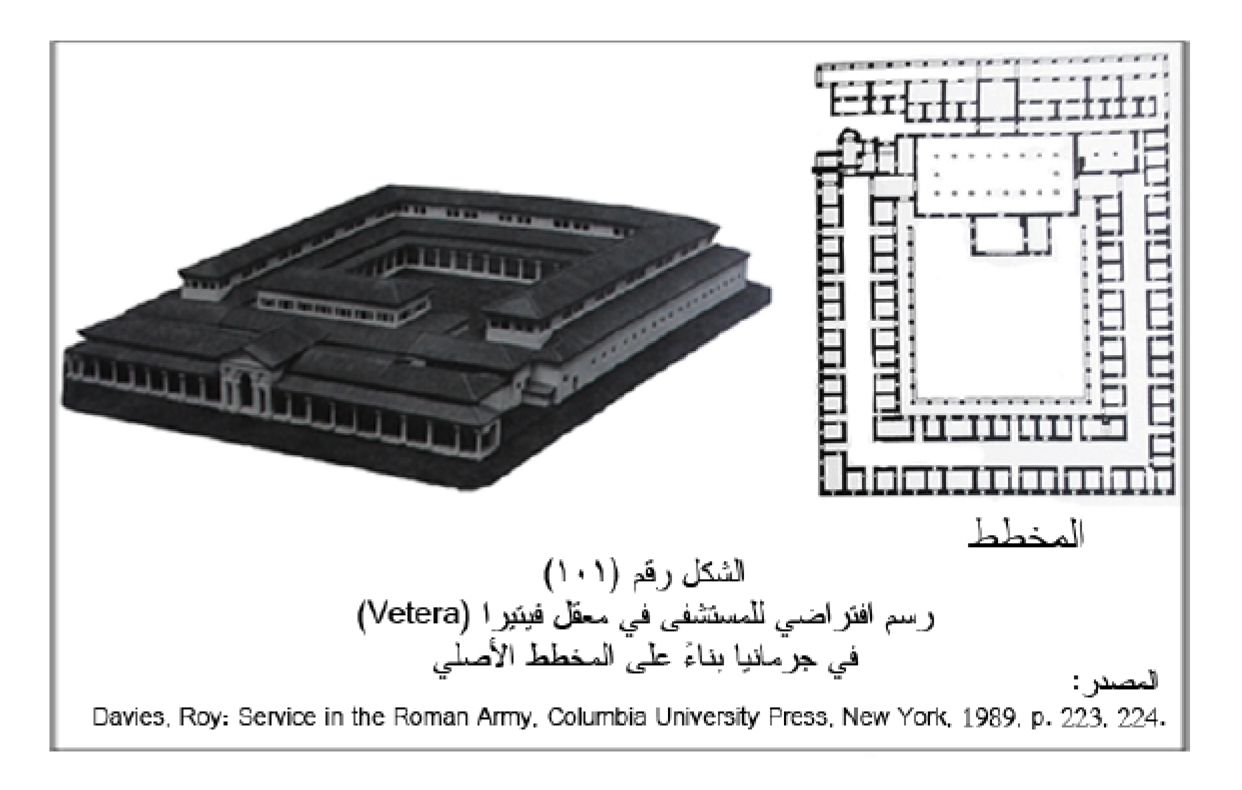
كما لاحظنا تميزت الخدمة الطبية في الجيش الروماني بأفكارها ومعاييرها المتقدمة بشكل واضح، وتعتبر دراسة المشافي أحد أهم الطرق التي تساعد على توضيح هذه الصورة، حيث تثبت المعدات الطبية المكتشفة في مواقع المشافي العسكرية الرومانية تعقيد الإجراءات الطبية ومهارة أطباء الجيش في معالجة الجروح وغيرها من العمليات الأخرى. تم التعرف على عددٍ من المشافي في معاقل الفرق وحصون الوحدات المساعدة، وكانت المشفى المكتشفة في معقل (Neuss) في جرمانيا الدنيا أحد أهم هذه المشافي، إذ احتوت على ستين جناحاً صغيراً يتسع كل واحد لأربعة جنود، ويعني هذا أنه :يمكن معالجة خمسة بالمائة من العدد الإجمالي للوحدة بوقت واحد[١].

وقد تم اكتشاف مشفى وحيد في بريطانيا داخل معقل إينشتوثل (Inchtuthil) وتمت دراسته بشكل كامل، حيث يبلغ طوله واحدٍ وتسعون متراً وعرضه تسعٍ وخمسون متراً ويشبه إلى حد كبير مشفى معقل نيوز (Neuss). شكله مستطيلي بني حول ساحة مركزية مفتوحة واحتوى على ستون جناحاً مرتبة في أزواج يمر بينها ممر يسمح بالدوران حول الصف بأكمله، ومن الواضح أن هذا الترتيب تطور عن ترتيب الخيام في معسكر المسير. لم تكن الأجنحة منفتحة على الرواق بشكل مباشر، وإنما كان هناك ممر لكل زوج منها بحيث يتشكل جدار فاصل يعزل الأجنحة البالغ مساحة كل واحد منها أربعة أمتار ونصف عن بعضها وعن الساحة المركزية، وبذلك يتوفر الهدوء في الجناح، و كانت الغرف المنفتحة على الرواق مخصصة للأعمال الإدارية والطاقم الطبي والتخزين. كماأنه يوجد في المشافي المكتشفة عند (Neuss) و (Vetera) قاعة كبيرة بجانب مدخل المشفى ربما استخدمت كمركز لاستقبال المصابين والمرضى، وتختص مشفى فيتيرا بوجود غرفة مزودة بموقد صغير من أجل تعقيم الأدوات الجراحية قبيل إجراء العمليات بالإضافة إلى حمّام[٢] (الشكل رقم ١٠١).

---

(1) - Rankov, Boris: op.cit, p.70.

(2) - Webster: op.cit, pp.200-201.



الشكل رقم (١٠١)
رسم افتراضي للمستشفى في معقل فيتيرا (Vetera)
في جرمانيا بناءً على المخطط الأصلي

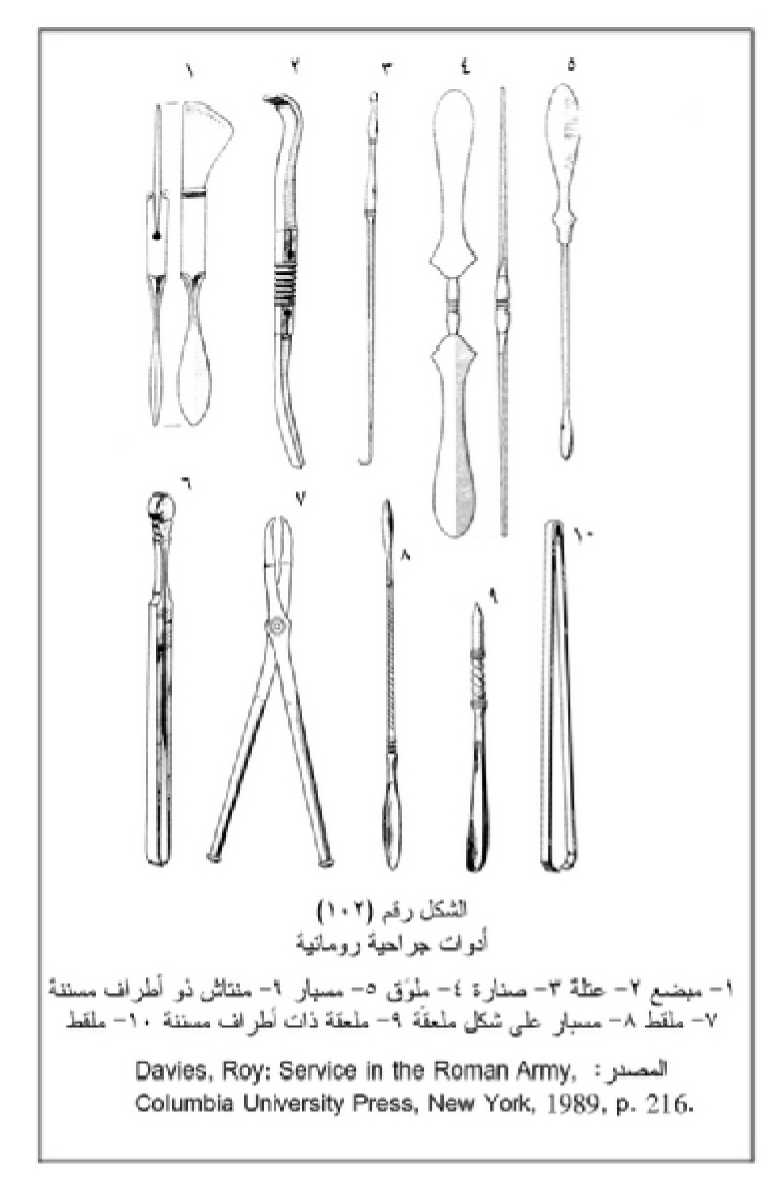
المصدر:
Davies, Roy: Service in the Roman Army, Columbia University Press, New York, 1989, p. 223, 224.

عثر على العديد من المشافي في حصون الوحدات المساعدة، لكن اختلف تصميمها قليلاً عن تصميم المشافي الموجودة في معاقل الفرق بسبب المساحة الصغيرة المتوفرة في الحصن والعدد القليل لجنود الوحدة المساعدة. عادةً تألفت مشافي الوحدات المساعدة من ممر تتوزع على جانبيه حجرات، مثلاً عند فندوخ (Fendoch) بنيت مشفى سنة ٨٣م، وتألفت من ممر يحيط به عشرة أجنحة صغيرة خصص جناح لكل مئينة من مئينات الوحدة، بالإضافة إلى جناحٍ كبير استخدم كغرفة لإجراء العمليات. قبل بناء الحصون والمعاقل الدائمة استخدم الرومان الخيام كمشفى، حيث تجمع على شكل مستطيل مفرغ. و كان الجنود الجرحى ينقلون إلى المشافي بواسطة الحيوانات والعربات، وبعد تلقي العلاج يوضعون في الأجنحة المخصصة على أسرة لمدة يومين، وفي اليوم الثالث يُفك الضماد ويغسل الجرح من البقايا ويعاد تضميد الجرح مرة ثانية، وفي اليوم الخامس يتم فحص الجرح للتأكد من عدم وجود التهاب، وأثناء تماثل الجرح للشفاء يأخذ المريض حماماً ويتناول طعاماً مغذياً[١].

---

[1] - Davies: op.cit, pp.215,220,224.

لم يُنقل الجنود المصابون والمرضى إلى المشافي في أوقات الحرب فقط، وإنما شُغلت المشافي بهم في أوقات السلم أيضاً، ويؤكد ذلك تقرير عن عدد الجنود في الوحدة الأولى تونغرورروم (Cohors I Tungrorum) المتمركزة في بريطانيا نحو سنة ٩٠م. ويذكر التقرير أن واحداً وثلاثون جندياً اعتبروا غير صالحين لأداء الواجب، كان من بينهم خمسة عشر جندياً مرضى وعشرة جنود يعانون من التهاب في العين وستة جنود جرحى[1].



الشكل رقم (١٠٢)
أدوات جراحية رومانية
١- مبضع ٢- عتلة ٣- صنارة ٤- ملوّق ٥- مسبار ٦- منتاش ذو أطراف مسننة ٧- ملقط ٨- مسبار على شكل ملعقة ٩- ملعقة ذات أطراف مسننة ١٠- ملقط
المصدر: Davies, Roy: Service in the Roman Army, Columbia University Press, New York, 1989, p. 216.

لقد شكّل الإمبراطور بوصفه رئيس أركان جميع الجيوش مثالاً لضباطه وجنوده، فمثلاً اعتاد هدريان على زيارة الجنود المرضى وكذلك فعل تراجان. و أيضاً كتب تاكيتوس أنه في سنة ١٥م، أعتاد جرمانيكوس رئيس أركان جيش الراين على الذهاب في جولات لزيارة قواته المريضة، و إلقاء الكلمات التشجيعية ومدحهم ليرفع من روحهم المعنوية، وكذلك فعل ألكسندر سيڤيروس الذي زار الجنود المرضى في خيامهم مهما كانت رتبهم وقدم العربات لنقلهم في حال أشتد مرضهم، وأعتاد على إنزالهم عند إصابتهم أثناء الحملات في منازل مدنية اختيرت خصيصاً لذلك ودفع كل تكاليف شفائهم، وتُبيّن وثيقة من مصر تعود إلى عهد كلاوديوس أنه تم إرسال العديد من الجنود المتماثلين للشفاء إلى الساحل ليستعيدوا عافيتهم ومن المرجح أن هذا كان

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.99.

شائعاً في الأقاليم الأخرى. أخيراً يقول هيجينيوس (Hyginus) أن موقع المشفى شديد الأهمية ويجب أن تكون هادئة من أجل راحة الجنود المصابين في فترة النقاهة، فمثلاً المشفى المكتشف عند معقل فيتيرا كان يقع بينه وبين الشارع الرئيسي صف من المستودعات، وكان الهدف من ذلك تخفيف الضجيج الصادر عن الشارع الرئيسي، وأيضاً لكي تكون المعدات الطبية والمؤن قريبة من المشفى[١].

٣- مظاهر صحة الجنود الرومان:

في الواقع تميزت حياة الجندي الروماني بنظام صحي وغذائي ممتاز، ولم يكتف الرومان بالكوادر الطبية و المشافي لتأمين سلامة جنودهم، وإنما اتبعوا أسلوب الوقاية خير من العلاج، ووفقاً لذلك اعتنوا كثيراً بمياه الشرب وبنوا دورات المياه والحمامات في جميع المعاقل والحصون العسكرية لتأمين مياه نظيفة وبنية سليمة لجنودهم[٢].

لقد آمن الرومان بالسماح للماء أن يتدفق بحرية وامتنعوا كلياً عن استخدام الصنابير وبحث المهندسون عن موارد صافية لمياه الشرب بحيث يمكنهم استجرارها منه إلى داخل المباني بواسطة الجاذبية عبر القنوات، وعندما يصل إلى الحصن تزود المباني الرئيسية مثل الحمامات بأنابيب لاستجرارها إليها، أما بقية المباني فكانت تزود بماء الشرب عن طريق خزان أو بئر يقع في وسط المعقل أو الحصن ويتم استخراج الماء منه بواسطة دلو، ومن هذا المكان يمكن صب الماء في قنوات إلى دورات المياه ليساعد في تنظيفها وغسلها، أما مياه الأمطار المتساقطة فيتم تصريفها خارج الحصن عن طريق قنوات حجرية على طول جانبي الشوارع، وكذلك يتم تصريف مياه الحمامات ودورات المياه خارج الحصن عن طريق أنابيب إلى أدنى نقطة في النهر القريب منهم[٣].

إذاً من خلال ما تقدم نستطيع القول أن الرومان اختاروا أعلى نقطة في النهر أو النبع لاستجرار مياه الشرب منها إلى الحصن، في حين اختاروا نقطة أدنى من النقطة الأولى

---

(1) - Davies: op.cit, pp.225-228,221.

(2) - Scheidel, Walter: op.cit, p.431.

(3) - Webster: op.cit, p.208.

لتوفير مياه الشرب لحيواناتهم، ونقطة ثالثة دنيا لتصريف مياه الحمامات ودورات المياه خارج الحصن، وبذلك يحافظوا على منطقة نظيفة خالية من التلوث والأمراض.

لقد شكّلت الحمامات جزءاً هاماً من حياة الجنود الرومان على اعتبار أنها كانت وسيلة هامة للحفاظ على لياقة ونظافة الجندي، بالإضافة إلى أثرها النفسي الكبير على روح الجندي المعنوية. وعادةً كانت الحمامات تبنى داخل معاقل الفرق وخارج حصون الوحدات المساعدة، وتمثّل الحمامات في الحصون المتواجدة على سور هدريان المخطط القياسي للحمامات في جميع أرجاء الإمبراطورية، وبشكل عام تألفت من مبنى حجري مؤلف من أربع أو خمس غرف تتسلسل وفق درجات حرارة ورطوبة معينة (الشكل رقم ١٠٣)، حيث كان هناك غرف ساخنة وأخرى دافئة وأخيرة باردة، بالإضافة إلى دورة مياه ملحقة به، وكانت أرضيات الحمامات مرفوعة على سلسلة من الدعائم الصغيرة ويتم تدفئة غرفه من خلال وضع فرن أو اثنين تحت أرضيته (الشكل ١٠٤). لم تكن الحمامات مجرد مكانٍ لتنظيف الجسم من الأوساخ، وإنما شكّل مكاناً يقوم الجنود فيه بالاسترخاء وشرب الخمر وممارسة الألعاب والمراهنات[١].

أدرك الرومان أهمية الغذاء الجيد في الحفاظ على قوة الجيش القتالية، ويؤكد فيجيتيوس: على الحاجة للغذاء الملائم للجيش من خلال قوله "من لا يُؤمّن المؤن والضروريات الأخرى سيهزم بدون قتال"[٢]، والحقيقة الملفتة للانتباه هي انه: لم يشتكي الجنود الرومان أبداً من غذاء الجيش حتى عندما تحصل تمردات، ويبدو أن الجندي العادي أكل بشكل أفضل من المدنيين، وكذلك تمتعت القوات المساعدة المتمركزة في الحصون الحدودية بنظام غذائي متوازن ومتنوع[٣].

سابعاً: الحياة الاجتماعية للجنود (الزواج والعائلات)

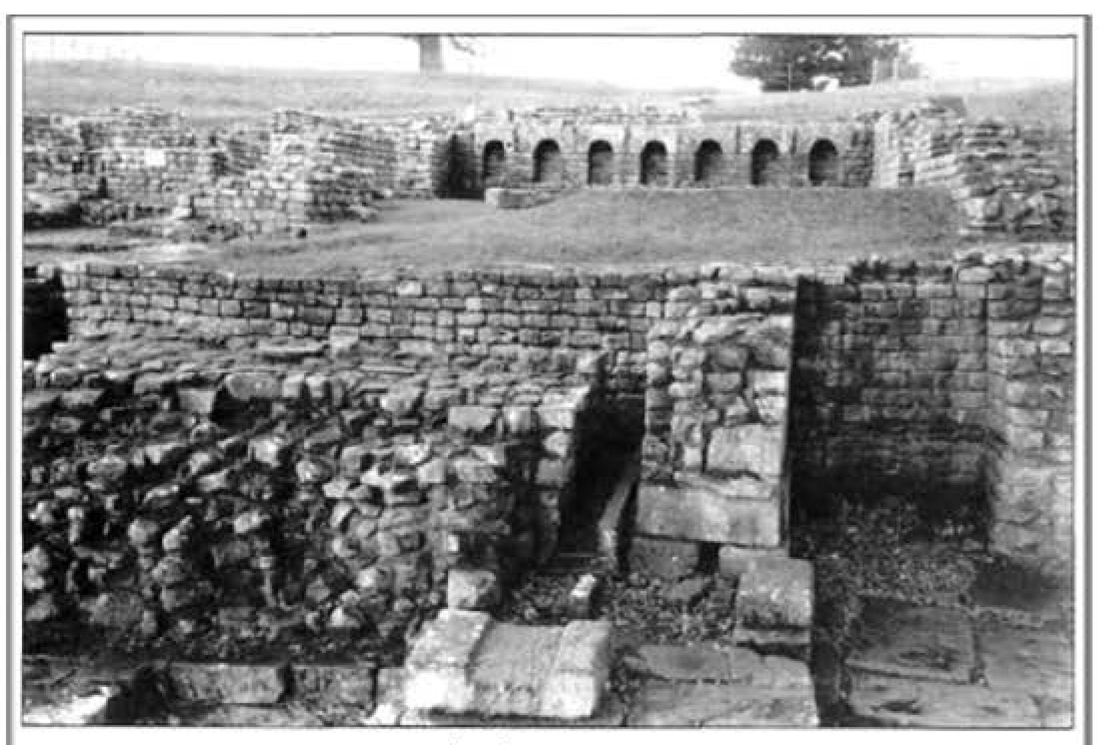
ارتفعت مدة الخدمة في مختلف فروع الجيش الروماني بعد تحوله إلى جيش قائم ومحترف في بداية الفترة الإمبراطورية، ووفقاً لذلك ارتفعت مدة الخدمة في الفرق من ست عشرة عاماً إلى عشرون عاماً في عهد أغسطس، ولاحقاً وصلت مدة الخدمة إلى خمس

---

(1) - Fields, Nic: Hadrian´s Wall AD122-410, op.cit, p.50.

(2) - Roth :op.cit, p.7.

(3) - Fields, Nic: Hadrian's Wall AD 122-410, op.cit, p.5.



الشكل رقم (١٠٣)
الحمام و دورات المياه عند حصن تشيسترز (Chesters) في بريطانيا
المصدر: Fields, Nic: Hadrian's Wall AD 122-410, Osprey Publishing, 2003, p. 52



الشكل رقم (١٠٤)
الأعمدة التي ترفع عليها أرضية الحمامات في نظام التدفئة المركزية
المصدر: www.tripod.com

وعشرون عاماً. خدم جنود الحرس الإمبراطوري أثنتا عشرة عاماً في بداية تأسيسه ثم رفعها أغسطس إلى ستة عشر عاماً، أما جنود الوحدات المساعدة فخدموا ثلاثين عاماً حتى عهد هدريان وبعد ذلك خُفضت مدة الخدمة إلى خمسٍ وعشرون عاماً، وكذلك تنوعت فترة خدمة حرس الفرسان الشخصي (Equites Singulares Augusti) ما بين سبع وعشرون عاماً وتسع وعشرون عاماً حتى عهد الإمبراطور انطونيوس بيوس، وبالتحديد منذ سنة ١٣٩م، وما بعد أصبح أفراد حرس الفرسان يخدمون خمس وعشرون عاماً. من خلال ما تقدم نجد أن مدة الخدمة للجنود تراوحت ما بين ست عشرة عاماً وثلاثين عاماً، وإذا ما عرفنا أن متوسط سن الشاب عند التطوع بلغ عشرون عاماً فسيصبح لدينا تصور واضح أن الجندي سيخدم ثلاث أرباع حياته المتبقية في الخدمة العسكرية. وقد كرس الجنود جّل حياتهم الراشدة في الجيش، وربما لم يعش نصفهم لرؤية تسريحهم ومعظم من تسرّح مات بعد حوالي عشرين عاماً من تاريخ تسريحه، ويضاف إلى ذلك انتشار معظم القوات على محيط الإمبراطورية، ووضع معظم الجنود في مناخات اجتماعية غريبة عن مناخاتهم التي ولدوا فيها، كل هذه الظروف أعاقت زواج الجنود ومنعتهم في بعض الأحيان من تشكيل عائلات[١].

وفقاً لديو، منذ عهد أغسطس حتى عهد سبتيموس سيڤيروس، لم يكن يحق للجنود سواء كانوا مواطنين أو غير مواطنين إبرام عقود زواج قانونية أثناء فترة الخدمة في الجيش[٢]. أيضاً إذا كان الرجل متزوجاً عند انضمامه للجيش فإن زواجه يعتبر غير قانوني من لحظة قبوله فيه، ليس واضحاً ما مغزى هذا المنع أو التحريم، لكن على الأغلب رأت الدولة الرومانية أنه يمكن للجيوش أن تؤدي عملها بكفاءةٍ أكبر عندما لا تعيقها وتثقلها عائلات الجنود[٣].

لم تذكر المصادر دوافع الدولة وراء عدم الاعتراف بالزواج، ولذلك يبقى هذا الموضوع مجالاً مفتوحاً للجدال والنقاش وما ذكر في الأعلى يبقى مجرد فرضيات ونظريات غير مبرهنة، وبالإضافة إلى الفرضيات السابقة هناك فرضيات أخرى، تقول أن الهدف من

---

(1) - Scheidel: op.cit, pp.417,426,436,441.

(2) - Fields, Nic: Hadrian's Wall AD 122-410, op.cit, p.57.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.102.

هذه السياسة هو إنشاء مجموعة من الأولاد غير الشرعيين يكبرون في بيئة عسكرية، وبالتالي يكون لديهم حافزٌ قوي للتطوع في الجيش لكسب المواطنة، وحالياً النظرية الأقوى في هذا المجال تقول أن الهدف من تحريم الزواج هو تأكيد الدولة على تغليب الصفات الرجولية لجيش محترف ولاستعادة النظام بعد الفوضى التي سببتها الحرب الأهلية ولفصل الجنود عن المدنيين. ورغم عدم الاعتراف بزواج الجنود قانونياً من قبل الدولة الرومانية، إلا أنه لن يُمنع الجنود من العيش مع النساء أو تربية الأولاد، وزد على ذلك أنه لم تسجل أية عقوبة فرضت على الجنود الذين أسسوا هكذا علاقات خلال فترة الخدمة، وجّل ما فعلته الدولة تجاه ذلك هو عدم منحهم الحقوق القانونية التي يتم الحصول عليها عن طريق الزواج القانوني، ولذلك قد يكون تعبير "عدم الاعتراف بالزواج" أكثر دقة من التسمية التقليدية "المنع أو التحريم"[١].

استمر عدم الاعتراف بزواج الجنود قانونياً خلال فترة الخدمة لأكثر من قرنين من الزمن حتى ألغاه الإمبراطور سبتيموس سيڤيروس، ولكن رغم ذلك لا توجد أدلة واضحة بدقة حو طبيعة هذا الإصلاح. وفي الواقع خدم الجنود كل فترة شبابهم في الجيش، ولم يكن منطقياً أن ينتظروا التسريح لكي يؤسسوا علاقة طويلة الأمد مع امرأة، ولذلك أنشأ العديد منهم عائلات أثناء خدمتهم في الجيش. لم تتمتع معظم الزوجات بالمواطنة الرومانية، وحتى لو كُنَّ مواطنات فإن الدولة لم تعترف بزواجهن، وبالتالي اعتبر الأولاد غير شرعيين ولم يحصلوا على الامتيازات التي تمتع بها أبناء المتزوجين قانونياً، وعلاوةً على ذلك فُرض على الجنود نفس العقوبات التي تفرض على المدنيين الذين ليس لديهم زوجات وأولاد إلى أن عفاهم منها الإمبراطور كلوديوس[٢].

فُرضت هذه العقوبات على المدنيين الغير متزوجين بموجب قانون الزواج الذي أصدره أغسطس سنة ١٨ق.م، والذي حرّم بموجبه منع الأولاد من الزواج كما حرّم حصر الإرث بالعزّاب، وفرض على الذين تجاوز منهم الخمسين أو الستين ضريبة وحد من حقهم في

---

(1) - Scheidel Walter: Marriage, Families, and Survival in The Roman Imperial Army, Stanford University,2005, p.2.

(2) - Goldsworthy :The Complete Roman Army, op.cit, p.103.

الميراث، في حين ناصر هذا القانون المتزوجين وفضّل ذوي الأولاد على غيرهم في تقلّد المناصب الحكومية المختلفة[١] .

تعتبر النقوش على أضرحة الجنود مصدراً هاماً من مصادر التاريخ العسكري الروماني، ولكن لا يمكن اعتبارها مصدراً أكيداً ودقيقاً عند الحديث عن زواج الجنود وزوجاتهم وأبنائهم لما فيها من تحيز من قبل واضع النصب، وكذلك لاعتبارها نتاجاً شخصياً غير موحدٍ ولم يصدّق عليه من قبل الجيش على عكس الوثائق الرسمية. تبين المصادر الرومانية الرسمية أن زواج الجنود خلال فترة الخدمة لم يكن قانونياً، أما النقوش على أضرحة الجنود فتوضح أن زواجهم اعتبر زواجاً اجتماعياً (معترف به من قبل الجميع) وأن أبناءهم كانوا شرعيين اجتماعياً، ولهذا السبب أعطيوا الاسم الثاني من اسم الأب. خضع زواج الجنود إلى سياسات الدولة في التجنيد ونقل القوات، فمثلاً في بريطانيا والراين أعاق نقل المجندين ليخدموا خارج إقليمهم من زواجهم، أيضاً شكّل نشاط المنطقة عسكرياً عاملاً آخراً للحد من زواج الجنود ،كما هو الحال على حدود الراين التي كانت الجبهة الأنشط والأكثر خطورة. تشير نقوش أضرحة الجنود العائدة إلى القرن الأول الميلاديأن زواج الجنود خلال هذا القرن كان أقل نسبياً من زواجهم خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، وأن المحاربون القدماء هم الأكثر زواجاً بين عناصر الجيش.

لذلك يقدم الباحثين عدة احتمالات لتفسير ذلك منها:

- وجود نقص في أعداد النساء في الأقاليم الحدودية، وخصوصاً في المناطق التي احتلها الرومان حديثاً، ولذلك لم يجد الجنود العدد الكافي من النساء للزواج.
- الجاهزية العسكرية خلال القرن الأول الميلادي الذي تميز بحروب كبرى أدت إلى عمليات نقل كثيرة للقوات، مما سيعيق وجود العائلات مع الجنود[٢].

تعتبر النظرية الأولى أكثر ترجيحاً من النظرية الثانية، وذلك لأن القرنين الثاني والثالث الميلاديين شهدا حروباً كبيرة على جميع الجبهات، وخصوصاً الشرقية والشمالية كما

---

[١] – الزين، محفل: المرجع السابق، ج٢، ص٤٢.

[2] - Elise Phang Sara: The Marriage of Roman Soldiers 13 BC-AD 235, Law and Family in the Imperial Army, Columbia University Press, 2001, pp.153-158.

هو الحال في القرن الأول، لكن يمكن إضافة عاملٍ آخر إلى النظرية الأولى ربما غفل عنه الباحثون هو أن الجنود الذين نقلوا إلى إقليم جديد غير الإقليم الذي جندوا منه يحتاجون إلى وقت لا بأس به لكي يتأقلموا ويتعرفوا على الوسط الاجتماعي الجديد، وإضافة إلى ذلك تعتبر القوانين الناظمة للجيش المحترف جديدة وفي طور التبلور خلال القرن الأول، ولهذا ربما كانت مبهمة وغير واضحة للجنود الذين كانوا معظمهم لا يجيد القراءة والكتابة، وبالتالي خوفهم من العقوبات الناتجة عن زواجهم جعل أكثرهم يعزفون عنه. إذنّ رغم كل ذلك كان زواج الجنود أثناء فترة الخدمة موجوداً خلال القرن الأول الميلادي، وكّونوا عائلات من خلال علاقة اعتبرها كلا الطرفين زواجاً شرعياً من الناحية الاجتماعية، وتزايدت هذه الممارسة مع استقرار القوات العسكرية في حاميات دائمه أواخر القرن الأول، مع حلول القرن الثاني صرّح عدد كبير ومتزايد من الجنود بأنهم ولدوا في المعسكر، وهذا يدل على أنهم كانوا ذرية من هكذا زواج[1] (الشكل رقم ١٠٥).

الشكل رقم (١٠٥)
حجر عثر عليه عند معقل كارليون (Caerleon) يخلد ذكرى زوجة أحد الجنود و اسمها Tadia Vallaunius التي ماتت في سن الخامسة و الستين و ابنها Tadius Exuperatus

المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p. 102.

لم ينتج عن إلغاء سيبتيموس سيڤيروس لقانون منع الزواج زيادة كبيرة في حالات الزواج بين الجنود، ومثّلت حالات الزواج بين صفوف جنود الحرس الإمبراطوري النسبة الأقل مقارنة مع فروع الجيش المختلفة حتى بعد إلغاء القانون، حيث نجد أن معظم نقوش شواهد أضرحتهم قد خُلّدت من قبل

---

[1] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.102.

رفاقهم الجنود وليس بواسطة زوجاتهم وأولادهم، وربما يقف وراء انخفاض نسبة الزواج بين صفوفهم صرامة تطبيق قانون منع الزواج عليهم باعتبارهم جنود نخبة، وكذلك لاستقرارهم في إيطاليا مما يجعلهم تحت نظر السلطات في روما[١].

لقد سبب عدم الاعتراف بشرعية زواج الجنود أثناء الخدمة أضراراً كبيرة لأولادهم وزوجاتهم وبنفس الوقت لا يبدو واضحاً مدى نفع هذا القانون للجنود أنفسهم، حيث توضح مجموعة من أوراق البردي عثر عليها في مصر عدداً من المسائل القانونية المتعلقة بأولاد وزوجات الجنود المتزوجين بشكل غير قانوني، وبيّنت سبع حالات من بين هذه المسائل التي عرضت على القضاء بين عامي ١١٤-١٤٢م، أن الأولاد الذين ولدوا أثناء خدمة آبائهم في الجيش يعتبرون غير شرعيين بصرف النظر عما إذا كان الآباء مواطنين رومان أو غير مواطنين، وفيما إذا كانوا يخدمون في الفرق أو الوحدات المساعدة، ونتيجةً لذلك لا يمتلك هؤلاء الأبناء حق المطالبة بممتلكات آبائهم إلا في حال سُمّيوا ورثاء في وصايا آبائهم، وعلى نحو مماثل لم تتمتع الزوجات بالحقوق القانونية المألوفة، ولم تستطيع المطالبة بالمهور التي كتبت عندما حدث الزواج الاجتماعي – حتى ولو أُخفيت هذه المهور كودائع عند الرجل لتجنب المنع الرسمي للزواج – في حال مات زوجها بدون أن يكتب وصية، ومن هنا تأتي أهمية الوصية بالنسبة للجنود وعائلاتهم[٢].

يعتبر يوليوس قيصر أول من أعطى الجنود حق كتابة الوصايا من خلال السماح لهم بتحرير وثيقة أثناء السير للقتال، يذكر فيها الجندي وصيته الخاصة بخصوص أملاكه ولمن يريد أن يمنحها بعد موته، لكن ذلك لم يأخذ شكلاً شرعياً أو قانونياً. أعطى تيتوس من بعده هذه الرخصة وكذلك فعل دومتيان ونيرفا وتراجان، وبعد ذلك مُنح معظم الجنود الامتياز الرسمي لكتابة الوصية ولم يُعفى منها حتى الجنود المُدانين[٣]. سُمح للجنود بكتابة الوصية العسكرية (Testamentum militare) باللغة اللاتينية أو الإغريقية على وثيقة رسمية أو حتى شفوياً، وطور هذا الامتياز الأباطرة منذ بداية العصر الإمبراطوري، ولكن الإمبراطور

---

(1) - Elise Phang: The Marriage of Roman Soldiers 13 BC-AD 235, op.cit, p. 159.

(2) - Scheidel: Marriage, Families and Survival: ACRA, 2007, p.418.

(٣) – الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٣٧.

تراجان أهتم به بشكل خاص كاستجابة لجهل الجنود المجندين من الأقاليم بالقوانين الرومانية[1]. و بعد منح كلوديوس سنة ٤٤م الامتيازات القانونية التقليدية للجنود، والتي كانت قد احتكرها أغسطس على المواطنين المتزوجين، أصدر هدريان لأسباب إنسانية مرسوماً ينص على أن يُعامل أبناء الجنود الذين ماتوا بدون أن يكتبوا وصية كأقرباء، وهذا يعني أنهم أصبحوا قادرين على أن يرثوا آبائهم في حال لم يكن هناك أبناء شرعيون[2]، وكتب هدريان إلى حاكم مصر سنة ١١٩م بخصوص الأمر قائلاً:

> « اعرف يا عزيزي روموس أن الأطفال الذين يولدون للجنود خلال فترة خدمتهم العسكرية غير مسموح لهم أن يكونوا أوصياء على ممتلكات والدهم ولا يعد ذلك قاسياً، حيث يعد هذا ضد النظم العسكرية (الزواج خلال مدة الخدمة العسكرية)، لكنني وبكل سعادة أنتهز هذه الفرصة لأكون أكثر إحساناً ممن سبقوني وأقرر أن هؤلاء الأطفال مسموح لهم بالدخول في الدعوى الخاصة بممتلكات والدهم، كما أحب أن يعلم الجنود العاملين والمتقاعدين بهذا المنشور حتى يعملوا به »[3].

لم يكن يحق للمجند الجديد أن يكتب وصية إلا بعد أن يُسجل اسمه في سجلات الجيش ولا يتمتع بهذا الحق قبل ذلك[4]، وكذلك لم يكن ممكناً أن يكتب الجندي وصية طالما والده على قيد الحياة، لأن الأب امتلك جميع أملاك بيته وعائلته[5]، ويشير إلى ذلك نسبياً أحد مراسيم الإمبراطور ألكسندر سيڤيروس الذي قال فيه:

> « من الإمبراطور ألكسندر سيڤيروس إلى الجندي فيلكانوس (Felicianus)، إن الرجل الذي حدثك إنك حر من الروابط الأسرية كونك جندي قوي خاطئ، لأنك كأي شخص تظل تحت سيطرة أباك، ولكن الذي هو من حقك كممتلكات خاصة بك هو ما لك في صندوق المعسكر وليس لوالديك حقوق عليها ».

---

(1) - Elise Phang: The Marriage of Roman Soldiers (13 BC-AD 235), op.cit,p.217.

(2) - Scheidel: Marriage, Families, and Survival in The Roman Imperial Army, Stanford University, 2005, p.3.

(٣) -نقلاً عن الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٣٩.

(4) - Davies: op.cit, p.16.

(5) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.103.

وأيضاً ساعد منشور دومتيان الصادر بين عامي ٨٨-٨٩ م، على تحسين وضع عائلات الجنود المتزوجين بشكل غير قانوني من خلال منحهم حق المواطنة، لأنه يبدو من خلال نص المرسوم أن الأطفال الذين يولدون من خلال زواج شرعي هم فقط الذين ينالون حق المواطنة، في حين أن الذين يولدون من خلال زواج غير شرعي لا ينالون هذا الحق، لكن المرسوم سوى هذه المسألة ومنح المواطنة لأطفال وزوجات وآباء الجنود، حيث قال فيه دومتيان:

« لقد قررت أن يُعفى الجنود من كل الضرائب المقررة والواجبات، وكذلك بعض آبائهم وأطفالهم وزوجاتهم اللائي تزوجوهن يجب أن يكونوا مواطنين رومانيين يتمتعوا بكل الحقوق الشرعية الممكنة »[١].

ولم يطبق قانون عدم الاعتراف بزواج الجنود على الضباط من طبقة مجلس الشيوخ وطبقة الفرسان، وكذلك لم يطبق على قادة المائة وقادة العشرة في الفرق والوحدات المساعدة، وتظهر أسماء زوجات قادة العشرة في بعض النقوش، فمثلاً ماتت إيليا كوميندوس (Aelia Comindus) زوجة قائد العشرة نوبيليانوس (Nobilianus) في سن الثانية والثلاثين، وقام زوجها بتخليد ذكراها من خلال إقامة نصب تذكاري على ضريحها الواقع بجوار سور هدريان، وتوفي قائد عشرة اسمه تيبيريوس كلاوديوس فاليريوس (Tiberius Claudius Valerius) في الخمسين من عمره بعد خدمة امتدت ثلاثين عاماً مع وحدة الفرسان الثانية هيسبانا روم وأرافاكوروم (ala II Hispanorum et Aravacorum)، وتم التعّرف عليه من خلال شاهدة قبر نصبتها له زوجته وابنته عند (Teutoburgaum) في بانونيا. صحيح أنه سُمح للضباط بالزواج، إلا أنه كان ممنوعاً على الضباط الكبار من طبقتي مجلس الشيوخ والفرسان أن يتزوجوا من نساء الإقليم الذي خدموا فيه، ولم ينطبق هذا الكلام على قادة المائة الذين تزوج العديد منهم نساءً محليات، باستثناء قائد المائة الأعلى (Primus Pilus) في الفرقة الذي يعتبر من طبقة الفرسان[٢].

---

[١] – نقلاً عن: الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٣٩.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.104.

ثامناً:التسريح ونهاية الخدمة

أطلق الرومان على جميع الجنود الذين تسرّحوا تسريحاً مشرفاً بعد نهاية خدمتهم مصطلح "محارب قديم" (Veteranus)، ووفقاً للقوانين الناظمة للجيش الروماني المحترف توجب على الدولة الاعتناء بالمحاربين القدماء ومنحهم بعض الامتيازات بعد نهاية خدمتهم المشرفة، ولذلك مُنح كل جندي تسرّح تسريحاً مشرفاً مكافأة نهاية خدمة، وكانت عبارة عن مبلغ مالي كبير أو قطعة أرض بالنسبة لجنود الفرق والحرس الإمبراطوري، ونال جنود الوحدات المساعدة وحرس الفرسان الشخصي والأسطول حق المواطنة الرومانية كمكافأة خدمة مشرفة. بالإضافة إلى مكافأة نهاية الخدمة تطلّع المحاربون القدماء إلى التمتع بمنزلة اجتماعية تختص ببعض الامتيازات النسبية مقارنة مع الطبقات الاجتماعية الأدنى في المجتمع الروماني، حيث طمحوا إلى نيل إعفاءات متنوعة من الأعباء القانونية في الحياة المدنية، إذ أعفي المحارب القديم من ضرائب محددة وبعض الخدمات الشخصية، فمثلاً أعفيوا من ضريبة استخدام الطرق ومن تولي واجبات بلدية محلية وتمتعوا بحصانة من بعض العقوبات كالحكم عليهم بالعمل في المناجم أو الرمي بهم إلى حلبة المصارعة. و يضاف إلى ذلك بعض المنافع التي حصل عليها المحاربون القدماء من الوحدات المساعدة والفروع الأخرى التي يكون جنودها من غير المواطنين، و مثل منحهم المواطنة لأنفسهم ولأولادهم وإعطاء صفة الشرعية لزواجهم حتى ولو لم تكن زوجاتهم رومانيات، وهذا يعني أن الأولاد الذين سينجبهم الجندي منها أثناء الخدمة سيحصلون في المستقبل على المواطنة الرومانية.

بعد هذا التقديم المختزل سيحاول البحث في الفقرات اللاحقة تقديم عرض متوازن قدر المستطاع عن تسريح الجنود في قسمي الجيش (الفرق،الوحدات المساعدة)، وتوضيح بعض الامتيازات التي تمتع بها هؤلاء المحاربين ودورهم في تثبيت الحكم الروماني في المناطق الحدودية من خلال الحديث عن المستوطنات التي استقروا بها بعد التسريح.

١ – تسريح جنود الفرق:

خضعت طول مدة خدمة الجندي في مختلف فروع الجيش إلى تغييراتٍ متعددة نتيجة ظروف سياسية وعسكرية واقتصادية متنوعة، فكانت مدة الخدمة في الفرق خلال القرن الأول قبل الميلاد ست سنوات حتى معركة اكتيوم سنة ٣٠ق.م، ورفعها أغسطس لاحقاً بشكل

مطرد. لقد صودرت منطقة شاسعة من الأراضي داخل إيطاليا سنة ١٤ق.م، وذلك لتوطين المحاربين القدماء الذين خدموا في الفرق مما سبب استياءً واسعاً من قبل المدنيين نتيجة ترحيلهم وإفقارهم، وتدل التواريخ الواردة في المصادر التاريخية أن هؤلاء المحاربين جندوا بعد معركة اكتيوم سنة ٣٠ق.م وأتموا فترة خدمة بلغت ست عشرة عاماً، وبذلك يكون قد ارتفعت مدة الخدمة في الفرق إلى ست عشرة عاماً سنة ١٤ق.م، وتحولت هذه الفترة إلى مدة خدمة رسمية سنة ١٣ق.م، ومع ذلك فحالما يتم الجندي مدة خدمته البالغة ستة عشر عاماً توجب عليه قضاء أربع سنوات أضافية في الفرق كمحارب قديم (Veteranus). رفع أغسطس مدة الخدمة بين عامي ٥-٦م إلى عشرين عاماً مع الاحتفاظ بهم لمدة أضافية غير محددة كمحاربين قدماء، وكان هذا سبباً رئيسياً لتمردات سنة ١٤م كما يقول تاكيتوس:

« الرجال ذوي الشعر الأشيب الذين فقد العديد منهم عضواً من أعضائه جرّاء الجروح هم في ثلاثينيات وأربعينيات سن خدمتهم، ولا ينتهي عملهم كجنود حتى بعد التسريح وإنما يبقون تحت الرايات واستمروا بتحمّل المصاعب تحت اسم مختلف (يعني محارب قديم) ».

لقد ثُبّتت مدة الخدمة عند خمس وعشرون عاماً لجنود الفرق في منتصف القرن الأول الميلادي، وأُلغي تدريجياً الاحتفاظ بهم كمحاربين قدماء، لكن كان على بعضهم الخدمة لمدة ست وعشرون عاماً لأن التسريح يتم كل عامين[1].

لم يكن هناك حقّ قانوني رسمي في التسريح بعد إتمام فترة الخدمة المحددة، واعتمد التقيد بهذه الفترات على التقاليد لأن التسريح لم يكن يحدث بشكل منتظم، ويُفترض أن يُسرّح الجنود كل عام، لكن هناك الكثير من الأدلة تثبت أنه حدث مرة واحدة فقط كل عامين، وكانت كل من أشهر كانون الأول والثاني وشباط هادئة عسكرياً لذلك فضلها الرومان لتسريح الجنود وتجنيد آخرين جدد لتعويض النقص، وفيما يتعلق بالقوات المتمركزة في العاصمة روما أصبح الأول من شهر كانون الثاني هو التاريخ الثابت للتسريح. لقد مثّل منح التسريح للجنود امتيازاً بيد الإمبراطور شخصياً، ولكن غالباً ما تم توكيل حكّام الأقاليم بتسريح الجنود ضمن القوات المتمركزة في أقاليمهم، ولم يتم تسريحهم من قبل الإمبراطور شخصياً إلا في حالاتٍ نادرة مما جعل ذلك علامة امتياز خاصة. ربما حدث تسريح الجنود (تحريرهم من قسم الولاء) في

---

(1) – نقلاً عن. Cowan: Roman Legionary 58 BC–AD 69, op.cit, pp.12-13.

مراسم احتفالية أمام القوات، يمكن مقارنتها بأحداث مثل أداء القسم العسكري أو منح الأوسمة والرواتب للجنود خلال خدمتهم الفعلية[١].

لقد نظّم أغسطس مكافآت التسريح سنة ١٣ق.م، على شكل مبالغ نقدية أو أرضٍ زراعية بعدما كانت سابقاً مقتصرةً على الأرض فقط، وربما أضاف المكافآت النقدية إلى مكافآت نهاية الخدمة لتجنب استياء المدنيين من توطين المحاربين القدماء في أراضيهم، ومن أجل تأمين موارد نقدية ثابتة لتنظيم دفع هذه المكافآت أنشأ خزانة عسكرية (Aerarium Militare) وزودها بمنحة مالية كبيرة من ماله الخاص، لكن على المدى الطويل كانت تُؤمن عائدات الخزينة من ضرائب فُرضت على المدنيين من الآن فصاعداً، وتمثّلت هذه الضرائب بضريبة على التركات قدرها خمسة بالمئه وضريبة على مبيعات المزاد العلني قدرها واحد بالمائة. وسبّب فرض هذه الضرائب هياج لدى المدنيين، لكن أغسطس علم جيداً أن فرض الضرائب أفضل من الاستياء والانتقال والإفلاس التي كانت نتائج واضحة لبرامج الاستيطان في الأراضي أيام الجيل السابق، وبذلك حول أغسطس قسمٌ من تكاليف الدفاع عن الدولة من جيبه الخاص إلى المواطنين عموماً[٢].

لم تذكرلنا المصادر التاريخية كم بلغت قيمة مكافأة التسريح النقدية (Praemia militare) عندما أقرّها أغسطس سنة ١٣ق.م، لكنها تذكر أنه رفعها بين عامي ٥-٦م، إلى أثنتا عشرة ألف سستريس (ثلاثة آلاف ديناريوس) لجنود الفرق[٣]وعشرين ألف سستريس (خمسة آلاف ديناريوس) لجنود الحرس الإمبراطوري، وبقي هذا المبلغ ثابتاً بعهد أغسطس حتى رفعه كركلا سنة ٢١٥م إلى خمسة آلاف ديناريوس لجنود الفرق، أما بالنسبة إلى جنود الحرس الإمبراطوري فالرقم غير معروف. ومن المؤكد أن الرتب الأعلى تلقت مبالغ كبيرة لم تأتي على ذكرها المصادر التاريخية، وفي حال مُنح المحارب القديم قطعة أرض كمكافأة تسريح فلا بد أن قيمتها تعادل قيمة المكافأة المالية. لا يُعرف فيما إذا (وكم المبلغ) تلقى الجنود في

---

(1) - Wesch-Klein, Gabriele, Recruits and Veterans: ACRA, Blackwell Publishing, 2007, pp.439-440.

(2) - Keppie: The Making of The Roman Army, op.cit, p.128.

(3) – Cowan: Roman Legionary 58 BC–AD 69, op.cit, p.13.

الوحدات المساعدة مكافأة التسريح التي تلقاها جنود الفرق والحرس الإمبراطوري، ولكن على الأرجح اعتبر كلوديوس وخلفائه أن منح المواطنة كمكافأة نهاية خدمة يعتبر كافياً للمحاربين القدماء في الوحدات المساعدة[١].

لقد خضعت قيمة مكافأة التسريح (Praemium militiae) بالنسبة لجنود الفرق والحرس الإمبراطوري إلى طول المدة التي خدمها الجندي وإلى نوع التسريح الذي أنهى به خدمته، لأن الجيش الروماني في الفترة الإمبراطورية عرف ثلاث أنواع من التسريح ألاوهي:

أ- التسريح المشرّف (missio honesta):

رافق حسن السيرة الجندي طيلة فترة خدمته العسكرية وأثرت على حياته بعد عودته في النهاية إلى الحياة المدنية، لأنه كان يُكتب نوع التسريح بجانب اسمه في سجلات وحدته عندما يُحذف اسمه من جداولها بعد التسريح، وربما تلقى تصريحاً خطياً بتسريحه من الخدمة لمعرفة سيرته العسكرية والفرع الذي كان يخدم به[٢]،وقد حصل الجنود المسرحين تسريحاً مشرفاً على امتيازات المحارب القديم كاملة ومنها مكافأة التسريح، لكن لم تشمل الامتيازات المتاحة عند التسريح المشرّف منح جنود الوحدات المساعدة قطعة أرض في مستعمرات الجيش أو المال كما هو الحال بالنسبة لجنود الفرق، وإنما حصلوا على حصانة من الضرائب (ضريبة الرأس) وفرصة تسلم منصب محلي والمواطنة والاعتراف بشرعية زواجهم[٣].

ثُبّتَت مدة خدمة جنود الفرق عند خمسٍ وعشرون عاماً بعد منتصف القرن الأول للميلاد، لكنهم منحوا التسريح المشرف بعد خدمة عشرين عاماً وفقط الجنود الذين أكملوا مدة خدمة قدرها أربع وعشرون عاماً يتلقون امتيازات المحاربين القدماء كاملة. أطلق على الامتيازات التي تُمنح للمحاربين القدماء المسرحين تسريحاً مشرّفاً اسم (emeritum) وتنوعت بمرور الوقت اعتماداً على فرع وعدد سنين الخدمة والرتبة العسكرية. في الواقع منح سلسلة من الامتيازات بالإضافة إلى مكافأة التسريح شكّل مساهمةٍ كبيرة في بناء الجندي لوجوده في الحياة المدنية بعد التسريح، لكن لم تكن هذه الامتيازات المتمثلة بالإعفاءات القانونية تمنح

---

[1] - Wesch-Klein :op.cit, p.444.

[2] - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.114.

[3] - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.54.

للمحاربين القدماء بشكلٍ دائم وفي كل الأوقات، وإنما غالباً ما كانت صالحة لفترة محدودة فقط، وأحياناً أخرى تمنح لرتب معينة أو فرع محدد كما فعل الإمبراطور فيسباسيان عندما منح جنود الحرس الإمبراطوري المتقاعدين إعفاءً من الضريبة على الأرض التي منحهم إياها وعلى أي أملاك حصلوا عليها حتى تاريخ إصدار الإعفاء. وقدأُعفي أيضاً المحاربون القدماء من تولي واجبات بلدية ووظائف مدنية ،ومنحهم أغسطس إعفاءات من رسوم استخدام الطرق لهم ولزوجاتهم وأبنائهم وعائلاتهم وأُكدت هذه الحقوق من قبل دومتيان والأباطرة اللاحقين، لكنهم لم يعفوا من الضرائب المحلية[١].

ب- التسريح الطبي (missio causaria):

يمنح هذا النوع من التسريح إلى الجنود الذين يصبحون غير لائقين للخدمة لإصابة أو مرضٍ، ولم يكن يمنح إلا بعد فحصٍ طبيٍ شامل ودقيق، يتم التأكيد فيه على عدم شفاء الجندي تماماً في المستقبل وعدم قدرته على العودة إلى الخدمة من جديد، وغالباً ما عومل الجنود الذين يسرّحون لأسبابٍ طبية كجنود سرّحوا تسريحاً مشرّفاً، لكن رغم ذلك تنوع حجم المكافآت التي يحصلون عليها تبعاً للمدة التي أمضوها في الخدمة[٢].

يبيّن لنا قرارٌ اتخذه الإمبراطور غورديان بأنه أثناء الأزمات يمكن إعادة الجندي المسرّح لأسباب صحية إلى الخدمة بعد نصيحة طبيبين على الأقل وقاضٍ مختص، وتضاف في هذه الحالة سنين الخدمة التي خدمها الجندي قبل أن يُسرّح لأسباب صحية إلى فترة الخدمة التي قضاها بعد عودته إلى الجيش، وقد تلقى الجندي المسرّح لأسباب صحية في بداية الفترة الإمبراطورية جميع المكافآت والامتيازات التي يحصل عليها المحاربون القدماء بغض النظر عن نوع فرع الخدمة أو مدة الخدمة باستثناء مكافآت الأرض والمال التي كانت تمنح فقط لجنود الفرق والحرس الإمبراطوري، و لكن تغيّر هذا في عهد الإمبراطور كركلا وأصبح هؤلاء الجنود مجبرين على القبول بتخفيض سقف امتيازاتهم، ومنذ هذا التاريخ وما بعد لم يعد الجنود المسرحين لأسباب صحية يتمتعون بامتيازات المحاربين القدماء كاملة إلا في حال أتموا عشرين عاماً في الخدمة بسيرة جيدة، وربما جاء رفع عدد سنين الخدمة بهذا الشكل

---

(1) - Wesch-Klein : op.cit, p.443.

(2) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.114.

نتيجة الرغبة بعدم استنزاف الخزينة العسكرية التي كانت فارغة في عهد كركلا، لكن تم تخفيف هذا القانون في عهد خلفائه، حيث أصبح يُمنح الجنود الذين أتموا على الأقل خمس سنوات في الخدمة قبل أن يُسرّحوا لأسباب صحية الامتيازات بالتناسب مع طول مدة الخدمة التي أمضوها في الجيش، وكذلك أعفيوا من واجبات لفترة محدودة اعتماداً على طول مدة خدمتهم مثل تقلّد الوظائف والمناصب الحكومية، أما الذين أتموا على الأقل عشرين عاماً فتمتعوا بإعفاء دائم من الوظائف الحكومية[1].

جـ- التسريح المشين (mission ignominiosa):

مثّل التسريح المشين عقوبة الجنود الذين يقترفون إثماً كبيراً، ومنع القانون الروماني الجنود الذين يسرّحون بهذا الشكل من العيش في مدينة روما وخدمة الإمبراطورية بأية شكل وقد يوسمون بعلامة كرمز للعار الذي جلبوه لأنفسهم، وأيضاً يُحرمون من الحقوق والامتيازات التي تمنح للجنود الذين يُسرّحون تسريحاً مشرّفاً في نهاية خدمتهم[2].

قبل أن نختم الحديث عن تسريح جنود الفرق لا بد لنا من التطرّق إلى موضوع تكاليف المكافآت النقدية، وفي هذا الصدد يقدم المؤرخ المعاصر ريتشارد دونكان جونز (Richard Duncan-Jones): دراسة تقديرية لتكاليف مكافآت التسريح النقدية لجنود الفرق معتمداً على عدد الجنود المسرحين سنوياً المفترض من قبل المؤرخين المعاصرين وعلى قيمة المكافأة النقدية التي قررها أغسطس ويقول:

> « لو افترضنا أن مائة وعشرون رجل على الأقل سرّحوا سنوياً من كل فرقة فسيبلغ عدد مكافآت التسريح ثلاثة آلاف وست مائة مكافأة سنوية في حال كان هناك ثلاثين فرقة وستكلف هذه المكافآت الدولة الرومانية ثلاثة وأربعون مليون سستريس في العام لجنود الفرق فقط على اعتبار أن مبلغ المكافأة النقدية الذي أقرّه أغسطس بلغ أثنا عشر ألف سستريس لكل جندي، وارتفع المبلغ الإجمالي إلى سبع وأربعون مليون سستريس في عهد الأباطرة السيفيريين عندما كان هناك ثلاث وثلاثون فرقة في الجيش »[3].

---

[1] - Wesch-Klein : op.cit, pP.440-441.

[2] - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.54.

[3] - Duncan-Jones, Richard: Money and Governemnt in the Roman Empiare, Cambridge University Press, 1998, p.35.

إذا ما دققنا في العملية الحسابية التي أجراها جونز نجد أن دراسته احتوت على عدة مغالطات لم يتخذها بالحسبان منها:

لو افترضنا جدلاً أن عدد المسرحين سنوياً من كل فرقة والذي أجمع عليه المؤرخون المعاصرين صحيحاً، فإن جونز لم يأخذ بالحسبان مكافأة الأرض التي كانت تمنح للجنود، حيث كانت الدولة الرومانية تمنح جزءاً من مكافآت التسريح على شكل أرضٍ بدلاً من المبلغ النقدي، وكذلك عندما تحدّث عن المبلغ الإجمالي في عهد الأباطرة السيفيريين لم يأخذ بعين الاعتبار زيادة كركلا سنة ٢١٥م لمكافآت التسريح، والتي ارتفعت إلى خمسة آلاف ديناريوس لكل جندي من جنود الفرق.

في النهاية نستطيع القول إن إجراء هكذا دراسة يحتاج إلى الكثير من الوثائق المختصة والدقيقة، ولا يمكن لباحث مفرد إعطاء أرقام جازمة ونهائية بهذا الخصوص وذلك لعدم كفاية الأدلة الأدبية والأثرية حول نسبة عدد الجنود الذين يتلقون مكافأة التسريح على شكل قطعة أرض بدلاً من المكافأة النقدية.

٢ – تسريح جنود الوحدات المساعدة والحرس الإمبراطوري:

يعتبر منح المواطنة الرومانية لجنود الوحدات المساعدة بعد تسريحهم تسريحاً مشرّفاً أحد أهم الإصلاحات في الجيش الروماني خلال الفترة الإمبراطورية، وربما بدأت الدولة بمنح هذا الامتياز كمكافأة تسريح قبل عهد الإمبراطور تيبيريوس نتيجة وجود عدد قليل من المواطنين ضمن هذه الوحدات في عهده، لكن لم تتطور هذه الخطة وتتبلور بشكل نهائي حتى مجيء الإمبراطور كلوديوس الذي ثبّت مدة خدمة جنود الوحدات المساعدة بحيث لا تتجاوز ثلاثين عاماً ومنحهم المواطنة بعد خدمة خمس وعشرون عاماً، وتضمن ذلك نفس الحق للزوجة والأولاد، ثم يُتبع ذلك بالتسريح المشرّف عند نهاية خدمة الجندي. أُنقصت مدة خدمتهم في عهد الأباطرة الفلافيين إلى خمس وعشرون عاماً وبذلك تتصادف مع نيل التسريح المشرّف[1].

خدم حرس الفرسان الشخصي فترة تراوحت بين سبع وعشرون وتسع وعشرون عاماً حتى فترة حكم الإمبراطور أنطونيوس بيوس، ومنذ سنة١٣٩م وما بعد حصل هؤلاء على

---

[1] - Webster: op.cit, p.143.

تسريح نظامي بعد فترة خدمة مدتها خمس وعشرون عاماً، وينطبق عليهم ما ينطبق على جنود الوحدات المساعدة من حيث المواطنة وتاريخ منحها، وأمابالنسبه لجنود الحرس الإمبراطوري فخدموا أثنتا عشره عاماً في بداية تشكيلهم من قبل أغسطس وبعد ذلك رفع مدة خدمتهم إلى ست عشرة عاماً. لا يُعرف السبب الذي دفع كلوديوس لاتخاذ هذه الخطوة، لكن ربما شعر بأنه قد يصبح هؤلاء المحاربون القدماء من غير الرومان أفضل من الرومان بكثير بعد عقود من خدمة روما، وبالرغم من منح المواطنة لجميع الجنود الذين تسرّحوا تسريحاً مشرّفاً، إلا أنه يجب علينا الافتراض أن هذا لم يحدث دائماً، لأن منح المواطنة بقي حقاً وهبة بيد الإمبراطور يستطيع منحها أو رفضها أو تغييرها متى شاء و عادةً ما كان يفوّض الحاكم الإقليمي بذلك. يطلق على شهادات المواطنة –التي تكتب باسم الإمبراطور ودائماً تبدأ باسمه– من قبل المؤرخين المعاصرين اسم البراءات العسكرية (diplomata militaria)[١]. والكلمة اللاتينية (diploma) هي اصطلاح ابتكر حديثاً ولم يظهر في المصادر القديمة، وعادةً تسمى البراءات العسكرية بشهادات التسريح وهذا المصطلح غير صحيح ومضلل لأنه ليس من الضروري أن يكون متلقي البراءة قد سُرّح من الجيش عند منحه إياها[٢].

منحت البراءات العسكرية للمحاربين القدماء من الوحدات المساعدة والأسطول وحرس الفرسان الشخصي على اعتبار أن جنود هذه الفروع الثلاثة من غير المواطنين، لكنها مُنحت أيضاً إلى الوحدات المدنية والحرس الإمبراطوري رغم أن جنود هذين الفرعين كانوا من المواطنين الرومان، ورغم أن جنود الحرس الإمبراطوري قد تلقوا مكافأة نهاية خدمة مثل جنود الفرق. ربما يكون السبب وراء منح الحرس الإمبراطوري براءاتٍ عسكرية ليس حق المواطنة لأنهم في الأساس مواطنون، وإنما من أجل الاعتراف بشرعية الزواج الذي قام به هؤلاء الجنود أثناء فترة الخدمة[٣].

---

(1) - Wesch-Klein: op.cit, pp.439-442.

(2) - Southern: op.cit, p.17.

(3) - Elise Phang: The Marriage of Roman Soldiers (13 BC-AD 235), op.cit, p.54.

أ- تاريخ البراءات العسكرية:

ربما بدأت الدولة الرومانية بإصدار البراءات العسكرية في عهد الإمبراطور كلوديوس (٤١-٥٤م)، و بعد أن يخدم الجندي المدة القانونية – الممتدة عادةً خمس وعشرون عاماً لجنود الوحدات المساعدة وحرس الفرسان الشخصي وعشرون عاماً للأسطول وست عشر عاماً للحرس الإمبراطوري – وذلك لأن أقدم براءة مكتشفة تعود إلى سنة ٥٢م(١).

عادةً كان يتوقف إصدار البراءات العسكرية المعدنية في أوقات الطوارئ، كما حدث في عهد الإمبراطور ماركوس أورليوس الذي كانت فترة حكمه فترة حرب وعوز مالي، وربما احتاج الرومان للمعادن من أجل إنتاج الأسلحة. توقف الرومان عن إصدار البراءات العسكرية للوحدات المساعدة في بداية القرن الثالث بعدما أصدر كركلا سنة ٢١٢م مرسوم أنطونين (Constitutio Antoniniana) الذي يتضمن منح بموجبه المواطنة لجميع سكان الإمبراطورية، وربما أصدر كركلا هذا المرسوم بعد أن وجد أنه قلما كان هناك جنود مسرّحين من الوحدات المساعدة لم يكونوا مسبقاً مواطنين رومان. تعود آخر براءة معروفة لجندي مساعد إلى سنة ٢٠٣م، ومع ذلك استمرت الحكومة الرومانية بمنح البراءات العسكرية للحرس الإمبراطوري ولحرس الفرسان الشخصي وللبحارة في الأسطول حتى منتصف القرن الثالث الميلادي، وقد يُفسر ذلك باستمرار أهمية البراءات في عقد زواج شرعي (Conubium) من امرأة ليست محلية، كما هو موضّح في هذه البراءات(٢)، وكذلك يمكن تفسيره بأن الأجانب من خارج الإمبراطورية كانوا يجندون خلال القرن الثالث في الفروع التي استمرت تمنح إليها البراءات بعد مرسوم كركلا(٣).

بـــ- وصف البراءات العسكرية:

تعتبر البراءات العسكرية نسخ برونزية شخصية مصغرة وطبق الأصل عن مراسيم إمبراطورية، تمنح للمحاربين القدماء من جنود الوحدات المساعدة والحرس الإمبراطوري وحرس الفرسان الشخصي والوحدات المدنية والأسطول، وكتبت هذه المراسيم على صفيحات

---

(1) - www.en.wikipedia.org/wiki/roman_military_diploma .

(2) - Wesch-Klein: op.cit, p.442.

(3) - www.en.wikipedia.org/wiki/roman_military_diploma.

برونزية وعُلّقت في معبدي جوبتر ومينيرفيا في روما مثلها مثل" جميع المراسيم والقوانين الإمبراطورية الأخرى. تتألف البراءة العسكرية من صفحتين برونزيتين تتراوح أبعاد كل واحدة حوالي (١٨,٥×١٤,٥سم وسمكها ١مم) وتتصلان مع بعضهما بواسطة مفاصل. كتبت نسخة عن المرسوم على الجانب الداخلي لكلا الصفيحتين ونسخة أخرى على الجانب الخارجي للصفيحة الأولى[١]، ثم تطوى الصفيحتين ويضع سبعةً من الشهود أختامهم على الوجه الخارجي للصفيحة الأولى عند السلك المار بثقبي الوسط ويوقع كل منهم باسمه أمام ختمه، وكان الهدف من ذلك حفظ النص الداخلي سليماً والرجوع إليه في حال الشك أن النص الخارجي مزور أو مزيف[٢] (الشكل رقم ١٠٦).

بالرغم من اكتشاف براءات عسكرية صدرت لوحدات مفردة وحتى لجنود مفردين، إلا أنه غالباً ما انتظرت السلطات الرومانية حتى ينهي عدد لا بأس به من الجنود خدمتهم في عدة وحدات متمركزة في إقليم ما، ثم تصدر البراءات لكل هؤلاء معاً وللجنود الذين شارفت خدمتهم على الانتهاء، ولذلك عادةً تحمل البراءات قائمة بأسماء عدة وحدات متمركزة في إقليم واحد. عادةً تبدأ البراءة بذكر اسم الإمبراطور وألقابه ثم تذكر أسماء الوحدات التي تضم جنوداً أنهوا مدة الخدمة القانونية في الإقليم الذي تشمله البراءة، وبعد ذلك يتم ذكر اسم الجندي ورتبته واسم قائده وتاريخ المنح، ومن ثم منح المواطنة له ولأولاده والاعتراف بشرعية زواجه[٣]، وربما كان الشكل التقليدي لمنح هذه البراءات كما ورد في المرسوم الذي منحه فيسباسيان لجنود الأسطول، والذي يقول فيه:

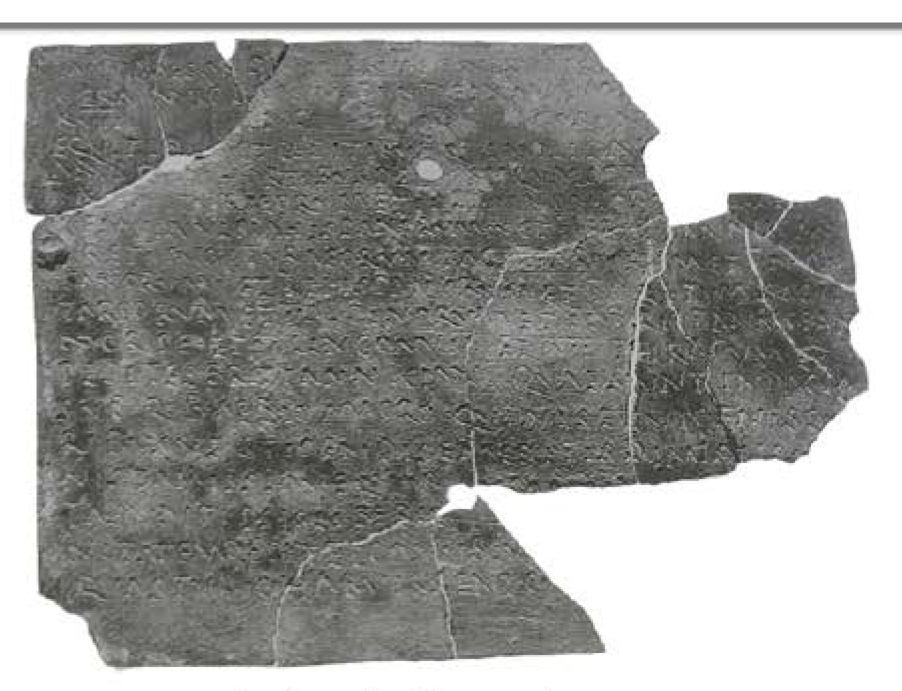
> « الإمبراطور قيصر فيسباسيان أغسطس والكاهن الأعظم، حصل على قوة التريبون للسنة الثانية والمنتصر للمرة السادسة والأب الروحي للوطن، قنصل للمرة الثالثة ويعد للرابعة، قد منح المواطنة للجنود المسرحين الذين خدموا في الأسطول في رافنا (Ravenna) تحت قيادة لوكليوس باسيوس

---

[1] - Elise Phang: The Marriage of Roman Soldiers 13 BC-AD 235, op.cit, p.53.

[٢] – لويس، نفتالي: الحياة في مصر في العصر الروماني (٣٠ق.م–٢٨٤م)، ترجمة آمال الروبي(١٩٩٧)، ص٢٤.

[3] - Fields, Nic, Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.52.



الصفيحة (ا)، الوجه الداخلي



الصفيحة (ا)، الوجه الخارجي

الشكل رقم (١٠٦) : براءة عسكرية رومانية

المصدر: Roxan, Margaret & Holder, Paul: The Roman Military Diplomas, vol IV, 1994, p. 444.

(Lucilius Bassus)، والجندي الموضح اسمه أسفل قد أنهى ست وعشرون عاماً أو يزيد من الخدمة واستقر في بانونيا، كما أنه قد منحت المواطنة له ولأولاده وذريته »[١].

لقد شكّل اسم الأب والقبيلة جزءاً من المعلومات التي توردها البراءات العسكرية إضافة إلى ما سبق من معلومات، لكن تميزت بعض البراءات بحملها تاريخ مختلف عن تاريخ المنح، وهذا يدل كما يرى الباحثين على تأجيل موعد منحها. يذكر كلاً من مارغريت روكسان (Margaret Roxan) وباول هولدر (Paul Holder) براءةً من هذا النوع تحمل رقم (٢٢٦) واسم (Traianvs Gallioni)، ومنحت هذه البراءة في عهد الإمبراطور تراجان، وبالتحديد بين عامي ١١٢-١١٣م، لكن وجود التاريخ ١١٤م على كلا وجهي اللوح الأول يوحي بأن هذه البراءة هي من ضمن البراءات التي تم تأجيل موعد منحها. بلغ أقصى ارتفاع لصحيفتها الأولى ١٤.٣سم وبلغ أقصى عرض لها ١٣سم وربما كانت السماكة الأصلية ١مم، لقد منحت هذه البراءة لجندي مشاة اسمه غاليو (Gallio) بن سودولوس (Suadulus) من قبيلة (Boii) المعروفة في بانونيا وبوهيميا (شمال النمسا) على الضفة اليمنى لنهر الراين، وجُند في عهد دومتيان سنة ٨٩م أو قبل ذلك ببضع سنوات في وحدة المشاة الأولى كريتوم ساغيتاريوروم (Cohors I Cretum Sagittariorum)[٢].

جـ- الامتيازات التي تقدمها البراءات العسكرية:

قدمت البراءات العسكرية منذ صدورها في عهد كلوديوس وما بعد امتيازات عديدة للمحاربين القدماء في الفروع التي يشملها منح البراءات، ويُعتقد أن كلوديوس هو من منح الامتيازات المسجلة فيها، و منحت البراءات العسكرية حق المواطنة للمحاربين القدماء الغير مواطنين ولأبنائهم الذين ولدوا أثناء خدمتهم في الجيش، في حين لم ينل جنود الوحدات المدنية ووحدات الحرس الإمبراطوري هذا الحق لأنهم مواطنين رومان في الأصل[٣].

---

[١] –نقلاً عن: الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٤٠.

[2] - Roxan Margaret & Holder Paul:The Roman Military Diplomas, vol IV,1994, pp.446-447.

[3] - Elise Phang: The Marriage of Roman Soldiers 13 BC-AD 235, op.cit, p.54.

أيضاً منحت البراءات جنود جميع الفروع التي يشملها المنح حق الزواج من شريك واحد موجود مسبقاً أو من زوجة مستقبلية بغض النظر عن منزلتها المدنية (سواء كانت مواطنة أم لا)، وهذا يعني أن المحارب القديم الحاصل على هذا الامتياز لا يمكنه الزواج أكثر من مرة واحدة بشكل قانوني من امرأة غير مواطنة، لكن بلا شك يحق له الزواج بحرية من نساء مواطنات أخريات، وحتى نحو سنة ١٤٠م حصل أبناء جنود الوحدات المساعدة المولودين أثناء الخدمة على المواطنة ولم يحصل عليها بعد هذا التاريخ إلا الأبناء الذين ولدوا بعد التسريح، بينما لم تحصل زوجات المحاربين القدماء غير الرومانيات على هذا الامتياز أبداً(١)، وذلك طبعاً إذا كانت زوجة الجندي مواطنة رومانية فإن أبناءها سيكونون مواطنين بشكل طبيعي وسيكون الزواج شرعي عند التسريح، ويعتبر أطفالها الذين ولدوا أثناء الخدمة شرعيين ومواطنين حتى سنة ١٤٠م فقط، ويعتقد كثيرٌ من الباحثين أن الحرس الإمبراطوري وجنود الوحدات المدنية رغم أنهم حصلوا على شرعية زواجهم أثناء الخدمة بعد تسريحهم، إلا أنهم يُمنحوا المواطنة لأولادهم الذين ولدوا خلال فترة الخدمة(٢).

د- أهمية البراءات العسكرية:

تم العثور على أكثر من ثماني مائة براءةٍ تعود إلى فترات مختلفة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية نُشر منها أكثر من ست مائة وخمسين براءة، وقدمت هذه البراءات معلوماتٍ وثائقية نادرة عن تاريخ الإمبراطورية الرومانية نتيجة بقاء معظمها محافظة على هيئتها الأساسية كونها صنعت من المعدن، وتشكّل التواريخ الموجودة على المراسيم الإمبراطورية والنسخ المأخوذة عنها (البراءات) مزايا خاصة بالنسبة للمؤرخين، حيث كان التريبيون المفوض من الإمبراطور يحدد تاريخ المرسوم، بينما يحدد حكّام الأقاليم تاريخ إصدار النسخة المصدقة عنه (البراءة)، وهذا يجعلها مصدراً مهماً لتقديم صورة عن السيرة المهنية لطبقة مجلس الشيوخ على اعتبار أنها تذكر أسماء حكّام الأقاليم، وبالإضافة إلى ذلك توثق أسماء وحدات مساعدة عديدة تخدم في نفس الإقليم على اعتبار أنها تصدر في

---

(1) – Scheidel Walter: Marriage, Families, and Survival in The Roman Imperial Army, Stanford University(2005), p.3.

(٢) – الشيخ، حسين: المرجع السابق، ص١٤٧.

مجموعات، وبالتالي هذا يجعل منها أحد المصادر الرئيسية لفهم تنقلات القوات في الإمبراطورية[١]. أيضاً من خلال قوائم أسماء الوحدات الواردة في براءة ما يمكننا تكوين صورة كافية عن الحامية العسكرية المتمركزة في الأقاليم الذي تشمله البراءة وإن لم تكن هذه القائمة شاملة لجميع وحدات الإقليم[٢].

تقدم البراءة رقم (٢٢٦) التي تم الحديث عنها سابقاً عرضاً واضحاً عن تنقلات القوات الرومانية أثناء حروب تراجان في داسيا، حيث يرى روكسان (Roxan) وهولدر (Holder) أن جميع الوحدات المذكورة فيها وجدت في براءات داسيا العائدة لعامي ١٠٩-١١٠م باستثناء وحدة المشاة المساعدة الأولى ألبينوروم (Cohors I Alpinorum) التي وردت في براءة من موسيا العليا تعود لما بين عامي ١٠٤-١٠٥م، وهذا يدل على تنقّلاتٍ كثيرة و كبيرة للقوات في هذه الفترة كنتيجة مباشرة لحروب تراجان في داسيا[٣].

أخيراً تعتبر البراءات العسكرية المصدر الأوفر والأدق عن الامتيازات الممنوحة للمحاربين القدماء ولأبنائهم، وتبين كيف اختلفت سياسة الدولة الرومانية في منحها بمرور الزمن[٤].

تاسعاً: المستوطنات والمحاربون القدماء

نظمت الحكومة الرومانية مسألة توطين المحاربين القدماء في مستوطناتٍ كبيرة منذ العصر الجمهوري واستمر هذا التقليد خلال العصر الإمبراطوري، حيث يقول أغسطس في سيرته الذاتية: (Res Gestae) أنه وطّن حوالي ثلاث مائة ألف محارب قديم في مستعمرات أو أعادهم إلى أوطانهم ، ربما وجد أغسطس أنه بحاجة لبرنامج الاستيطان هذا لكي يضمن إعادة دمج الأعداد الكبيرة من الجنود الذين جندوا خلال الحرب الأهلية في المجتمعات المدنية،

---

(1) - www.en.wikipedia.org/wiki/roman_military_diploma .

(2) - Southern: op.cit, p.17.

(3) - Roxan and Holder: op.cit, p.447.

(4) - Elise Phang The Marriage of Roman Soldiers 13 BC-AD 235, op.cit, p.53.

وبالتالي يقطع الطريق أمام هذه الأعداد الكبيرة من الرجال المتمرسين في القتال من تهديد استقرار نظام حكمه(١).

لم يتم الاستغناء عن سياسة توطين المحاربين القدماء في مستعمرات عندما تم تثبيت مبلغ مكافأة نهاية الخدمة من قبل أغسطس سنة ٥ م، واستمرت مكافأة الأرض (Missio Agraria) التي تمنح لهم كمكافأة نهاية خدمة مشرّفة تأخذ شكل مستوطنات مغلقة مؤلفة من مجموعات كبيرة من المحاربين القدماء حتى عهد هدريان، لكن بعد ذلك أصبحت المزارع الإفرادية هي السائدة، وفضّل الرومان توطين المحاربين القدماء في مناطق مأهولة مكتسبة حديثاً وذلك لتقوية وجودهم في هذه المناطق، ويوجد أسباب وجيهة للاستيطان في المناطق المكتسبة حديثاً، فالمحاربون القدماء شكّلوا قوة كبيرة ساهمت في إضفاء الطابع الروماني خصوصاً في المناطق الحدودية حتى ولو لم يشكّلوا جزءاً كبيراً من السكان المحليين في العديد من الأقاليم، كما أنهم أسسوا صداقات حميمة ووثيقة مع بعضهم لدرجة أننا نستطيع التكلم عن مجتمع عسكري مميز وخالص في بعض الأحيان، حيث تزوج هؤلاء من بنات رفاقهم الذين منحوا المواطنة الرومانية ليكون زواجهم شرعياً، واحتفظ معظمهم بالمزارع لاعتيادهم على العمل البدني الشاق، والأهم من ذلك كان بإمكانهم الدفاع عن منازلهم ومزارعهم في الحالات الطارئة على اعتبار أنهم كانوا جنوداً متمرسين في القتال وقد زادت الحرب من صلابتهم(٢). كل هذه العوامل جعلت من توطينهم في هكذا مناطق يخدم هدفاً استراتيجياً تمثّل في تعزيز الوجود الروماني وفرض السلطة الرومانية على المناطق المكتسبة حديثاً، مثلاً في عهد الإمبراطور كلوديوس وأثناء المراحل الأولى من احتلال بريطانيا كانت العاصمة القبلية كامولودونوم (Camulodunum) في الجنوب تشكّل أحد أهم أهداف الجيش الروماني، والذي بنى بجوارها معقلاً بعد احتلالها للسيطرة على المنطقة بأكملها، لكن بعد نقل القوات من المنطقة لتنضم إلى الجيش الميداني في غرب بريطانيا أواخر أربعينيات القرن الأول الميلادي، بنى الرومان محلها مستعمرة للمحاربين القدماء. بلا شك امتعض السكان المحليون من المحاربين القدماء الرومان لأن السلطات الرومانية صادرت أراضيهم وأعطتها لهؤلاء

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.114-115.

(2) - Wesch-Klein: op.cit, p.444.

القادمين الجدد، وعندما تمردت القبائل البريطانية بقيادة بوديكا سنة ٦٠م شكّلت مستعمرة Camulodunum أول أهدافهم، فحرقوها كلّياً وأبادوا المستوطنين جميعاً[١].

في حالات أخرى أقام المستوطنون الرومان علاقات جيدة مع سكان الأقاليم المحليين، فعندما حرّض الجرمانيون سكّان كولون سنة ٧٠م على قتل جميع المستوطنين الرومان في المدينة كان جوابهم:

> « الجنود الذين استوطنوا هنا والمتوحدين معنا عن طريق الزواج والذرّية الناتجة عنه يعتبرون هذه البلدة وطنهم ولا يمكنكم أن تكونوا بهذه الدرجة من الجنون بحيث تأمروننا بقتل آبائنا وأخوتنا وأولادنا »[٢].

غالباً ما سلّم الجيش الروماني مواقعه في الحصون والمعاقل القديمة للمدنيين لكي يقيموا فيها بعد الانتقال إلى مواقع متقدمة تم احتلالها حديثاً، ولذلك تشكّلت فيها بلدات مدنية مستقلة وطويلة الأمد، بينما احتفظت بلداتٍ أخرى بارتباطها مع الجيش لأن المواقع القديمة له تحولّت إلى مستعمرات يقطن فيها المحاربون القدماء. في الواقع لم يكن الاحتلال الروماني ببساطة مسألة بناء الحصون في المناطق المعزولة، وإنما كان على عكس ذلك فحيثما تستقر وحداته بعد تأمين الحدود وبناء الحصون الدائمة تبدأ العلاقة بينه وبين المدنيين بالتطّور والتوسّع، فيبدأ الجنود بتشكيل علاقات مع النساء المحليات وبالتبادل التجاري مع السكان المحليين وبزراعة الأرض وإنشاء المزارع والمروج بقرب الحصن أو المعقل، ومن جانبهم يبادر المدنيون للاستفادة من رواتب الجنود التي ينفقونها نقداً لتلبية حاجاتهم، ونتيجة لذلك تبنى البلدات حول الحصون الرومانية خلال فترة قصيرة.[٣]

عملت المواقع العسكرية الرومانية كقوة جذب للسكان المدنيين، حيث جذبت التجار وغيرهم من أصحاب المهن الذين يؤمنون احتياجات الجنود بكميات أكبر ونوعيات أفضل من تلك التي تتمتع بها مؤن الجيش، وكذلك الشراب و النساء ووسائل الترفيه وما يتبع ذلك من

---

(1) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, pp.114-115.

(2) - Stevenson: op.cit, p.227.نقلاً عن

(3) - Southern: op.cit, p.78.

وسائل اختلاط الجيش بالسكان المحليين[1]، فبالرغم من قيام الحكومة الرومانية بتأمين المؤن الأساسية لجنودها إلا أنها لم تستطيع تلبية جميع احتياجاتهم، حيث كانت مدة الخدمة طويلة وتمركز معظمهم في حصون بعيدة. ولذلك كانت مهمة التجار الرئيسية تزويد الجنود بالطعام والسلع الأخرى وتقديم الخدمات المتنوعة، وبالمقابل أمتلك الجنود قوة شرائية هائلة بسبب أجورهم المنتظمة.

لقد نتج عن تجمّع التجار وأصحاب المهن أمام وحول معاقل الفرق وحصون الوحدات المساعدة ما يطلق عليه قرى المعسكرات (Canabae, Vici)، وغالباً ما كانت مساحتها أكبر من حجم المعسكر نفسه، وتوفر فيها الشقق السكنية والحانات والمطابخ والمحلات التجارية والأقبية ووجد في القسم الخلفي منها الورشات والإسطبلات والآبار ودورات المياه، وبيّنت التقنيات وجود صناعات متنوعة فيها، مثل صناعة البرونز والأواني الفخارية وأفران القرميد والزجاج والصناعات المتعلقة بالعظام، وعثر فيها على المعابد والمباني المقدسة[2].

عُرفت القرى أو المستوطنات المؤقتة التي تأسست واتسعت حول البوابات الرئيسية لمعاقل الفرق باسم كانابي (Canabae)، وهي كلمة لاتينية: تعني الأكشاك أو الحجرات الصغيرة، في حين أُطلق على التجمعات حول حصون الوحدات المساعدة اسم (Vici)، وهي كلمة لاتينية: تعني مجموعة من المنازل أو مستوطنة صغيرة. بدأت تتطور المستوطنات المؤقتة (Canabae) بعد اكتساب الفرق قواعد دائمة وحالما يكتمل البناء ويصبح ثابتاً يوقّع التجار عقود إيجار مدتها خمس سنوات للإقامة هناك تحت سيطرة قائد المائة الأعلى في الفرقة (Primus Pilus)، وربما قام العديد من المحاربين القدماء ببناء أو شراء المنازل هناك للاستيطان في المكان الذي خدموا به وقرب رفاقهم في السلاح الذين مازالوا في الخدمة، أو من أجل قربهم من عائلاتهم، حيث جُند معظم الجنود الرومان في سن مبكّرة وأمضوا جلّ حياتهم الراشدة في الفرقة وغالباً في مكان واحد، ولذلك لم يكن لدى العديد منهم حافزاً للعودة

---

(1) – Webster: op.cit, p.210.

(2) – Hanel Norbert: Military Camps, Canabae and Vici: ACRA, Blackwell Publishing, 2007, p.410.

إلى ديارهم، وخصوصاً بعد إقامة العديد منهم علاقات مع نساء محليات وربما أنجبوا منهن أطفالاً لأنهم ضمنوا أن زواجهم سيصبح شرعياً بعد التسريح وأن أولادهم سيمنحون المواطنة الرومانية(١).

نتج عن استقرار التجار وبعض المحاربين القدماء قرب المعاقل تدفق أعداد كبيرة من المواطنين الرومان إلى المستوطنات المؤقتة (Canabae)، مما ساعد في تحسين أوضاع المحاربين القدماء، وأحياناً أدى توسع المستوطنات المؤقتة حول المعقل إلى نشوء مستوطنة مجاورة له تكون مرتبطة بمجتمع محلي موجود سابقاً، وربما تتطور المستوطنة المختلطة وترتقي إلى مرتبة البلدة (Municipia)، أو حتى إلى مرتبة مستعمرة (Coloniae) مثل كارننتم (Carnuntum) في بانونيا، والتي تقع على الدانوب في مكان هام استراتيجياً، حيث الطريق على طول نهر الدانوب باتجاه غربي- شرقي يلتقي بالطريق الجنوبي- الشمالي القادم من مدينة أكويليا (Aquileia) في شمال إيطاليا. في البداية شكّل تيبيريوس معسكراً للجيش في هذا المكان ثم بعد ذلك في عهد تراجان شكّلت الفرقة الرابعة عشر جيمينا (XIV Gemina) حامية المنطقة وبقيت موجودة مادامت السيطرة الرومانية موجودة، وبعد ذلك توسعت ونمت المستوطنة المؤقتة بطريقة غير منتظمة حول معسكر الفرقة من ثلاث جهات، ونتيجة لذلك نشأت مستوطنة مدنية منفصلة غرب المعسكر بالإضافة إلى عدة مباني كبيرة تتضمن مدرجاً يتسع لثلاثة عشر ألف شخص، وأثناء زيارة هدريان لبانونيا سنة ١٢٤م منحها صفة البلدة (Municipia)، وبعد ذلك حوّلها سبتيموس سيڤيروس سنة ١٩٤م إلى مستعمرة (Coloniae) وأطلق عليها اسم مستعمرة سبتيميا كارننتم (Septimia Carnuntum Coloniae)(٢).

أما بالنسبة إلى المستوطنات (Vici) التي نشأت بجوار حصون الوحدات المساعدة، فكانت أصغر من المستوطنات المؤقتة (Canabae) الموجودة بجوار معاقل الفرق، ووجدت حول جميع الحصون البعيدة والقريبة. بدأت هذه المستوطنات (Vici) كتطوراتٍ بسيطة وربما بموافقة رسمية من الجيش، لكن بعد تمركز الوحدات المساعدة تدريجياً في المناطق الحدودية

---

(1) - Webster: op.cit, pp.210, 229.

(2) – Campbell, Brian: The Roman Army 31 BC–AD 337, op.cit, p.142.

أُعيد تنظيمها كجزء لا يتجزأ من المؤسسة العسكرية، وازدهرت في ظل هذه الظروف منذ أوائل القرن الثاني وما بعد. وإن معظم مباني المستعمرات الصغيرة (Vici) من النوع البسيط، ومع ذلك يوجد بعض المنازل الأكثر تفصيلاً قد تكون عائدة لتاجر غني أو مسؤول حكومي صغير[١]. وكذلك إن بعض المباني في المستوطنات الصغيرة شبيهة بالمباني الداخلية في الحصون عينها مما يوحي بأن الجيش قام ببنائها، ولذلك نستطيع التخمين بأن قائد الحصن تمتع بصلاحيات قانونية مطلقة على سكان هذه المستوطنات[٢].

عادةً اتخذت المستوطنات الصغيرة (Vici) شكلاً خطياً وبنيت على شكل صفوف من المنازل على طول طريق يقع قرب الحصن أو يؤدي أليه أو يحيط به، وفي العديد من الحالات تم توسيع الطريق لإنشاء ساحة خدمت كسوق، وكانت المنطقة على طول جانبي الطريق ذات أهمية خاصة لأن معظم المباني قد أنشأت فيها، واتخذت هذه المباني شكل قطعة أرض طويلة ومتعامدة مع الطريق وواجهتها ضيقة ومفتوحة جزئياً لتعمل كحانة أو حانوت للبيع (الأشكال رقم ١٠٧-١٠٨). كانت العلاقة بين المستوطنات وحصون الوحدات المساعدة علاقة تكافلية استفاد كلا الطرفين منها[٣]، وبالطبع وجد لذّات في هذه المستوطنات لجندي سائم مقابل القليل من المال، ولذلك قام هدريان الذي فرض انضباطاً شديداً على الجيش بالحد من عدد الحانات وبيوت الطعام الواقعة خارج المنشآت العسكرية وكبح العادة السائدة المتمثلة في تغيّب الجنود بدون إذن أو إجازة، ويقول فرونتو (Fronto) أن الجيش في سورية أمضى وقتاً في الحانات والمسارح أكبر من الوقت الذي قضاه في المعسكرات ، وبالتالي كانوا دائماً ثملين وميّالين إلى المقامرة. بيّنت التنقيبات في المستوطنات الصغيرة (Vici) قرب سور هدريان وجود المتاجر والحانات ومناطق ممارسة القمار التي يستطيع فيها الجنود – كما يقول الإمبراطور ألكسندر سيفيروس (Alexander Severus) – ممارسة الجنس والشرب والاغتسال. إذ خدمت المستوطنات حول الحصون كمكان قريب للجنود يستطيعوا من خلاله

---

(1) - Webster: op.cit, pp.229, 230.

(2) - Southern: op.cit, p.79.

(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.106.

تخفيف الضغط لديهم وإشباع حاجاتهم ورغباتهم الأساسية، والأهم من ذلك يمكّنهم من لقاء امرأة محلية يرتبطوا بها وينجبوا منها أطفال[١].

وفقاً للأدلة النقشية كان سكان المستوطنات (Canabae،Vici) متنوعي الأصول، فمثلهم مثل الجنود قدم التجار من مناطق متنوعة من الإمبراطورية، بالإضافة إلى السكان المحليين وغير المحليين والمحاربون القدماء[٢]، فمثلاً أقام أحد الأشخاص من أصل تدمري يدعى بارانيس (Barates) نصباً تذكارياً لزوجته خارج حصن (South Shields) الواقع على الحدود الشمالية لبريطانيا، كان حامل راية وهناك رأي آخر أقل ترجيحاً يرى بأنه كان بائعاً للرايات، لكن سواء كان تاجراً أو جندياً فإن هذا يدل على التنقل الواسع لبعض سكان الإمبراطورية[٣].

كان للقائد العسكري للمعقل أو الحصن دوراً كبيراً في التأثير على كيفية تطور المستوطنات لأنه كان مسؤولاً عن تحديد قرب وبعد المجتمعات المدنية عن المعسكر، فمثلاً تمركزت مستوطنة لمباسيس (Lambaesis) في شمال إفريقيا على مسافة ميل واحد من المعسكر وتم ربطها فيه بطريق عسكري عريض ومعبد، أما مستوطنة رابيدوم (Rapidum) الواقعة في موريتانيا، فالوضع مختلف لأن المستوطنة هنا تاخمت المعسكر.

عادةً في جميع الأحوال تقع المستوطنات حول المعاقل وحصون الوحدات المساعدة ضمن المنطقة المخصصة رسمياً لهذه القواعد، وبالتالي كان القائد العسكري مسؤولاً عن السلطات القضائية فيها، وليقوم بهذه المهمة لجأ إلى بعض المحاربين القدماء القاطنين فيها ليأخذوا دور القضاة الفعليين، وكانت الإدارة في هذه المستوطنات غير رسمية ويعينها القائد العسكري وتقع تحت إشرافه ومسؤولة أمامه فقط، ولم يكن هناك تمييز بين المحاربين القدماء والمواطنين المدنيين الرومان داخل هذه المستوطنات، لكن لم يكن لغير المواطنين أي دور في الإدارة فيها[٤].

---

(1) - Fields, Nic: Hadrian´s Wall AD122-410, op.cit, pp.58-59.

(2) - Hanel Norbert: op.cit, p.412.

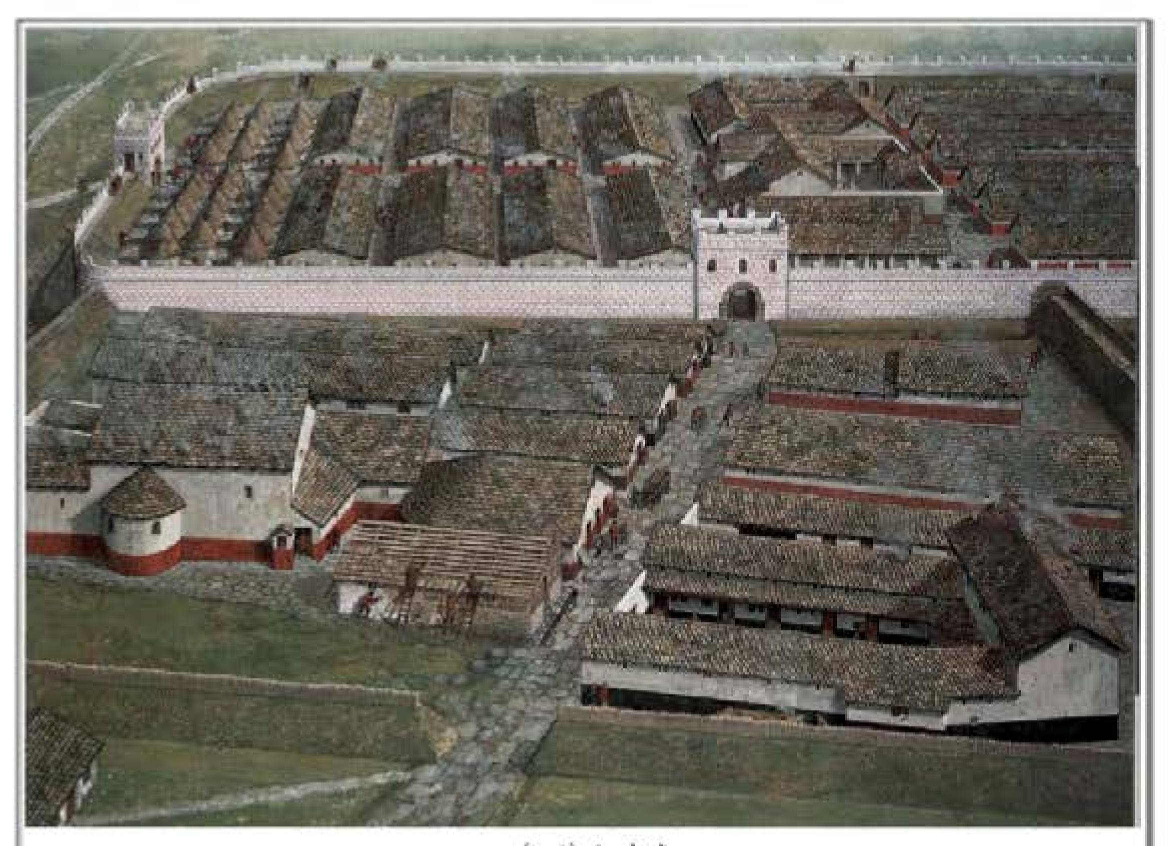
(3) - Goldsworthy: The Complete Roman Army, op.cit, p.106.

(4) - Campbell Brian :The Roman Army 31 BC–AD 337, op.cit, pp.141-142.



الشكل رقم (١٠٧)
صورة ملتقطة من الجو تبين الحصن في Vindolana ومستوطنة مدنية صغيرة أمامه
المصدر:
Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, 105.

لم تكن دائماً الأرض الممنوحة للجنود كمكافأة نهاية خدمة أرضاً جيدة وخصبة وكثيراً ما كان هناك استياء من نوعية التربة السيئة، مما دفع أعداداً كبيرة من المحاربين القدماء بالعودة إلى حيث أدوا خدمتهم العسكرية، فمثلاً عاد محاربون قدماء من الفرقة الخامسة عشر أبوليناريس (XV Apollinaris) إلى كارننتم (Carnuntum) مكان تمركز فرقتهم سابقاً بعد أن استوطنوا في سافاريا (Savaria) الواقعة في إقليم بانونيا. لقد جذبت عواصم الأقاليم الأخرى المحاربين القدماء، فمثلاً استوطن أحد الجنود في مدينة كولن (Cologne) عاصمة جرمانيا الدنيا وهو في الأصل من شمال إيطاليا، أما الجنود الذين لم يريدوا قضاء بقية حياتهم في الإقليم الذي خدموا فيه فإنهم فضّلوا العودة إلى أوطانهم القديمة حتى ولو وقعت على بعد ألاف



الشكل رقم (١٠٨)
رسم يبين حصن الوحدات المساعدة عند Vindolanda في بريطانيا كما بدا في أواخر القرن الثاني الميلادي، و تقع أمامه مستوطنة مدنية صغيرة (Vicus) ساهمت في دعم القواعد العسكرية الدائمة.
المصدر: Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003, p. 85

الأميال، وأثبتت البراءات العسكرية المكتشفة في الدانوب والبلقان أن الجنود الذين خدموا خارج الإقليم الذي جندوا منه عادوا إلى أوطانهم على نطاق واسع[1]، لكن إذا أراد المحارب القديم الاستيطان في مصر توجب عليه اجتياز فحص يدعى (epicrisis) يجريه موظفون يختارهم الحاكم، وربما كان هذا الفحص يجري في مصر فقط على اعتبارها إقليماً إمبراطورياً ذو مكانة خاصة، ولأنه لا دلائل تشير إلى وجوده في إقليم آخر[2].

يبدو واضحاً من خلال الوثائق المكتشفة أن بعض الجنود بدأوا يبحثون عن المنطقة التي سوف يقيمون فيها قبل تسريحهم بعام أو عامين، واحدى الرسائل المكتشفة في مصر توضح ذلك، حيث توثّق هذه الرسالة العائدة إلى سنة ١٣٦م خطاباً كتبه جندي يتوقع تسريحه

---

(1) - Wesch-Klein: op.cit, pp.445-446.

(2) - Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, op.cit, p.54.

بعد عام إلى أخيه الذي تسرّح قبله وعاد إلى وطنه في قرية قرانص (Karanis) في إقليم الفيوم قائلاً له:

« ابعث لك مع تحياتي توصيتي على ترينتيانوس (Terentianus) حامل هذه الرسالة والمسرّح تسريحاً مشرّفاً من الخدمة العسكرية، وأرجوا أن تقدمه إلى القرويين حتى لا يتعرّض للإيذاء من قبلهم، فهو يملك مالاً ويرغب في الإقامة هناك وقد عرضت عليه أن يستأجر منزلي لمدة عامين هذا العام والعام الذي يليه نظير مبلغ ستين دراخمة، وأن يستأجر حقلي أيضاً نظير ستين دراخمة أخرى، وأرجوا أن تشتري بهذا المبلغ وهو مائة وعشرون دراخمة كتّاناً من أصدقائنا تجّار الكتان في المعبد.... »[1].

هناك الكثير من الدلائل تشير إلى عمل المحاربين القدماء في مجالات متنوعة بعد اختيارهم مكان التقاعد، فبعضهم إمتلك أساساً جيداً لتعلّم مهنة أثناء خدمتهم في الجيش وبشكل خاص الذين خدموا كاختصاصيين، ولذلك استمروا باستخدامها كمهنة في الحياة المدنية، مثل عمال دباغة وصانعوا قرميد وسيوف ودروع....الخ ، وبالإضافة إلى ذلك عملوا بالتجارة و الزراعة[2]، حيث توضح لنا الرسالة السابقة الذكر أن المحاربين القدماء لم يبحثوا عن مكان الإقامة فقط، وإنما بحثوا أيضاً عن المشروع المستقبلي الذي يريدون استثمار أموالهم فيه، وعلى ما يبدو أن ترينتيانوس رغب بالعمل في الزراعة، أما كاتب الرسالة فطمح باستثمار أمواله في التجارة.

هناك سؤال كثيراً ما يطرحه المؤرخون ويحاولوا الإجابة عليه لكن بدون الوصول إلى نتيجة قاطعة، وتمثل هذا السؤال فيما إذا قام المحاربون القدماء بالعمل في مزارعهم أو ورشاتهم أو متاجرهم بأنفسهم، أم أنهم كلّفوا آخرين بذلك؟

في الواقع لا توجد هناك إجابة قاطعة حول هذا السؤال، ولكن مجموعةً كبيرة من أوراق بردي تعود لمحارب قديم مصري يدعى: لوسيوس بيللينوس جمللوس (Lucius Bellenus Gemellus) أقام في الفيوم بعد تسريحه سنة ٨٠ م، تقدم لنا معلومات توضّح أن

---

[1] –نقلاً عن: لويس، نفتالي: المرجع السابق، ص٢٦.

[2] - Wesch-Klein: op.cit, p.445.

المحاربين القدماء الأغنياء لم يعملوا بأيديهم في أملاكهم، وإنما استأجروا أناساً للعمل فيها وآخرين كوكلاء عليها، أما هم فكان دورهم الأشراف فقط[١].

[١] – لويس، نفتالي: المرجع السابق، ص٢٨.

الخاتمة

بعد دراسة الجيش الروماني من النواحي المختلفة خلال الفترة الإمبراطورية نستخلص مجموعة من النتائج الهامة ونذكر منها:

- لم يكن لدى روما خطةً توسعية منهجية تسير عليها في الفترات الأولى من تأسيسها، لكن بدأت هذه الخطة تظهر عندما سيطرت روما على شبه الجزيرة الإيطالية بأكملها سنة ٢٦٤ ق.م، في هذا الوقت أصبحت روما على تماس مباشر مع الدول الكبرى في ذلك الوقت مثل قرطاجة وبلاد اليونان، وهنا وجدت روما نفسها مضطرةً إلى حماية مصالحها مما دفعها إلى خوض غمار مرحلة جديدة تبنت خلالها حطة منهجية توسعية تسير عليها، لكن لم تتضح هذه الخطة بشكل كامل إلا بعد قضائها على قرطاجة سنة ١٤٦ ق.م، التي كانت تمثل اعظم دولة تجارية في حوض البحر المتوسط، إذ أصبح هدف روما الاستعماري وأطماعها التوسعية واسعة في دول الشرق الهلنستي من خلال طريقة تعاملها مع هذه الدول والحروب التي خاضتها ضدها ،والتي أشارت بشكل واضح إلى أهدافها المستقبلية.
- من النتائج الأخرى التي توصل إليها البحث انه لم يكن جيش روما وليد صدفة، بل تشكل خلال فترات متتالية وفقا للظروف التي واجهتها روما، واتسمت عملية تطويره وتنظيمه بطابع التراتبية فكلما ازداد نفوذ روما ازداد معه عدد الجيش وقوته، وأصبحت تجهيزاته اكثر تطورا ومرونة حتى وصل إلى درجة الاحتراف في العصر الإمبراطوري.
- وبمعنى آخر يمكن القول إن أغسطس كان موحدا لمعايير الجيش ومنظما لها ولم يكن أبدا مصلحا جذريا، وإنما قام مع مستشاريه بفحص دقيق للأنظمة العسكرية الرومانية والهلنستية السابقة نظريا وعمليا، وركزوا بوجهٍ خاص على إنجازات يوليوس قيصر العسكرية وقاد آخرون من الماضي القريب لتطوير جيش منظم يمتاز بكل المزايا المحسنة وذات الفاعلية الكبيرة المستمدة من الأنظمة العسكرية السابقة.
- تميز الجيش الروماني خلال العصر الإمبراطوري بدقة التنظيم ومرونته، فاختار المسؤولون عن تنظيمه تنظيما تكتيكيا للقوات يتناسب مع جميع أنواع الحروب، إذ اعتبر الفكر العسكري للقادة الرومان إن تنظيم القوات بشكل جيد سوف يكون نتيجته النصر المحقق، ولذلك قاموا بتنظيم فرق الجيش وتقسيمها إلى وحداتٍ صغيرة أطلقوا عليها اسم

(cohors) وكذلك قاموا بتقسيم هذه الوحدات إلى وحدات اصغر أطلقوا عليها اسم المئينات (centuriae) وذلك لإعطاء مرونة اكبر للقوات وللحفاظ على تنظيمهم في المعركة، وعملوا أيضاً على تدريب جنود الفرق ليكونوا مقاتلين ومهندسين وفنيين بأن واحد ، وبذلك أصبحت كل فرقة تمثل جيشا مصغرا مجهزا بكافة الأدوات المناسبة لمواجهة جميع أنواع الصعوبات .

وبما أن الفرقة منظمة ومجهزة لتقاتل كجيش ثقيل التسليح فان فعاليتها ظهرت فقط في المعارك الكبيرة المفتوحة ولم تكن قادرة على مواجهة حرب العصابات والغارات السريعة ومن اجل ذلك دعم الرومان جيوشهم بوحدات مجهزة بأسلحة تناسب هكذا نوع من الحروب أطلقوا عليها اسم الوحدات المساعدة، فكانت هذه الوحدات تقدم الدعم اللازم للفرق من خلال تجهيزاتها المختصة والمتنوعة، إذ استطاعت وحدات الفرسان المساعدة تقديم الحماية لجناحي الجيش الروماني وصد هجوم فرسان الأعداء، كما كان لها دورٌ كبير في عملية مطاردة فلول الأعداء وإبادتهم. وساعدت وحدات المشاة والفرسان النبالة المساعدة في إنهاك مشاة الأعداء من خلال وابل السهام والمناوشات السريعة، ونفس الأمر ينطبق على وحدات المشاة المساعدة الخفيفة التسليح ووحدات رماة المقاليع الذين كان لهم دورا بارزا في العمليات العسكرية التي تتطلب سرعة ورشاقة، وكل هذه الاختصاصات لم تتوفر في جنود الفرق المسلحين تسليحا ثقيلا.

وبعد ان رأينا درجة تخصص جنود الفرق والوحدات المساعدة والحدود التكتيكية لكل واحدة، فإننا نجد الوحدات المساعدة لم تكن مجرد إضافة مكملة للفرق فقط، بل كانت وحدات منظمة لمواجهة أنواعٍ محددة من الحروب لم تكن الفرق تستطع مواجهتها، وبالتالي شكلت هذه الوحدات عنصراً أساسياً في بنية وتنظيم الجيش الروماني خلال العصر الإمبراطوري.

- كذلك لم يشمل التنظيم وحدات الجيش فقط، بل شمل قيادة الجيش أيضا، إذ كان للقيادة دورٌ فعال في قيادة الجيش خلال أوقات السلم والحرب ابتداء من الإمبراطور ونزولا إلى قادة المئة وحاملوا الرايات، حيث تميز الرومان بدقة تنظيمهم لقيادة جيوشهم وفق تسلسل هرمي تنازلي متماسك ينفذ فيه كل قائد واجباته بدقة متناهية دون تباطؤ، كما أن ترقية الضباط

المتمتعين بمهارة قيادية ساهمت كثيراً بالحفاظ على أداء الواجب بشكل صحيح، وجعلت جميع القادة يبدون شجاعةً كبيرة في المعارك، والذي بدوره رفع الروح المعنوية للجنود، ولذلك غالباً ما كانت القيادة الرومانية فعالة ومؤثرة في ضمان النجاح العسكري للجيش الروماني.

- ساعد تحول الجيش إلى جيشٍ محترف في بداية الفترة الإمبراطورية في توفير التدريب والانضباط الصارمين، واعتمدت روما على هذين العاملين في حروبها أكثر من اعتمادها على عدد القوة البشرية، وغالبا ما استطاعت بجيشٍ صغير تحقيق النصر الحاسم على أعداء يفوقونها عددا، وذلك نتيجة للتدريب الجيد والانضباط.
- هذا ما دفع الكثير من المؤرخين القدماء إلى القول إن روما استطاعت فتح العالم القديم بفضل تدريباتها وانضباطها ومهاراتها العسكرية، ووفقا لذلك نقول إن التنظيم والانضباط والتدريب والمنهجية الرومانية، بالإضافة إلى المرونة اجتمعت كلها لتعزيز الفاعلية القتالية للجيش الروماني على مدى قرون طويلة .
- من النتائج الأخرى الهامة التي يجب التنويه إليها، والتي شكلت سبباً رئيسياً لسيادة الرومان على العالم بعد أن حاربوا جميع شعوبه وانتصروا عليهم، هي نبذهم لعاداتهم العسكرية عندما وجدوا عادات افضل، وأمثلة عن ذلك تبنيهم لكثير من الأسلحة والتجهيزات التي كان يستخدمها أعدائهم بعد أن أضافوا عليها وحسنوها بما يتوافق مع تنظيمهم و تكتيكاتهم، مثل السف الإسباني والخوذة الغالية ....، وبذلك قدمت المرونة التي تميز بها الجيش الروماني قدرة كبير على التأقلم مع المتغيرات التي تواجه جنود الرومان، أصبحت التجهيزات الرومانية ذات فاعلية تكتيكية كبيرة وبنفس الوقت قدمت الحماية للجندي الروماني، إذ استطاعت التروس القوية والخوذ والدروع المصممة بدقةٍ عالية من تامين الحماية الكافية للجنود وهو أمر لم يكن متوفرا في خصومهم، كما ساعدت تجهيزات الجنود الهجومية مثل السيف والرمح على تحقيق فاعلية كبيرة في المعارك.
- لقد كانت تكتيكات الرومان مثلها مثل أسلحتهم تتغير تبعا للمواقف والحالات المختلفة التي تواجههم، حيث اتصفت بطابع المرونة والتكيف مع ظروف المعركة لتحقيق النصر، وحققت كل من بنية القيادة المتفوقة للرومان والانضباط والتدريب والتجهيزات أفضلية للجيش

الروماني على أي عدو في ذلك الوقت، وغالباً ما مكنته هذه العوامل من تحقيق انتصارات حاسمة على عدو يمتلك أفضلية عددية في ساحة المعركة، وعلاوة على ذلك كان جنود الفرق والوحدات المساعدة متمرسين في الحروب الكبيرة والصغيرة عندما يكون ذلك مطلوبا، وغالباً ما استطاعوا هزيمة أعداء اتبعوا أساليب قتال متعددة نتيجة لانضباطهم وتدريبهم وتنظيمهم، فاستفاد القادة إلى أقصى درجة من المهارات الخاصة التي تميز بها كلاً من جنود الفرق وجنود الوحدات المساعدة الذين كان باستطاعتهم الاستجابة بسرعة للحالة المتطورة في المعركة بدون الحاجة لتلقي الأوامر من ضباطهم .

- إن تبني الرومان للتكتيكات الأفضل ونبذ القديم منها ساهم كثيرا في مرونة هذه التكتيكات، فغالبا ما أدخل الرومان لجيوشهم وحداتٍ جديدة مسلحة بأسلحةٍ تتناسب وطبيعة التهديدات التي تواجهها جيوشهم، فمثلا شكل الرومان وحدات فرسان ثقيلة التدريع ووحدات فرسان نبالة لمواجهة خطر الفرسان البارثيين المدرعين والمسلحين تسليحاً ثقيلاً، وكذلك طوروا تشكيلاتهم الهجومية والدفاعية لتناسب الحالات الطارئة، فانتقلوا من تشكيل المربع المفرغ إلى تشكيل درع السلحفاة ثم استخدموا النبالة ورماة المقاليع لمواجهة الفرسان البارثيين حتى وصلوا إلى تشكيل خط المعركة المتراص المأخوذ عن الكتيبة الإغريقية.
- وكل ذلك يشير إلى مرونة وعدم تحجر في الفكر العسكري الروماني، ودعم فرق الجيش بالوحدات المساعدة المجندة من الأقاليم الحدودية قدم معرفة خاصة بالعدو وتضاريس أرضه على اعتبار أن هذه الوحدات استقرت بنفس المنطقة التي جندت منها ،هذا أعطاها خبرةً في مواجهة أعداء روما المجاورين لها وكذلك ساعد تجنيد هذه الوحدات المسلحة بأسلحة مختصة على التنوع وعدم التجانس في تسليح الجيش، إذ استخدمت الوحدات المساعدة تكتيكات غير مماثلة لتكتيكات الفرق وذلك بشكل يتناسب مع تجهيزاتها، حيث جهزت ودربت الوحدات المساعدة للتعامل مع الأعداء المتواجدين في القطاعات المنتشرة فيه هذه الوحدات، وفي حال انتقلت الوحدات إلى قطاع آخر فانه توجب على القيادة الرومانية إعادة تدريبها وتسليحها للتعامل مع نمط قتال الأعداء الجدد.
- تفوقت روما تفوقاً فنياً وتقنياً على جميع أعدائها بالرغم من أن ذلك لم يساهم كثيرا في نجاحها عسكريا، وقلة فقط من خصومها الذين واجهتهم امتلكوا المجانيق ومطلقات السهام،

ومعظم هؤلاء الذين امتلكوها كانوا قد سلبوها من الرومان كما فعل اليهود في تمردهم بين عامي ٦٧- ٧٤ م، وتجلى الإبداع العسكري الروماني في فنون حرب الحصار، إذ كانت فنون الهندسة الرومانية في مجال ابتكار الآلات الحربية هي الأولى في العالم القديم، ووجود جيشٍ محترفٍ يمتلك أخصائيين بتشغيلها وصيانتها ساعد في استخدام هذه الآلات بنجاح وفعالية كبيرين.

- تميز الجيش الروماني عن أعدائه بتطويره نظام إمدادات لوجستي معقد ومنظم في آنٍ واحد، واستطاع بفضل هذا النظام تامين المؤن وإيصالها إلى الجيوش المنتشرة على الحدود التي تبعد مئات الأميال عن مركز الإمبراطورية، كما أنه ساعد على منح هذه الجيوش القدرة على شن أية حملة مهما كانت بعيدة بدون اللجوء إلى عمليات النهب والسلب من المناطق التي يمر بها هذا الجيش، وتعتبر القدرة على إمداد الجيوش بالمؤن أثناء الحملات من أهم عوامل نجاح الحملة، لأنه غالباً ما يهلك الجيوش في العالم القديم نقص المؤن وليس القتال، ولذلك شكل توفر المؤن للجيوش الرومانية السلاح الأقوى الذي ميز الرومان عن أعدائهم .
- إن نجاح روما عسكرياً خلال الفترة الإمبراطورية يكمن في ضعف أعدائها، فأثناء هذه الفترة نادراً ما واجهت روما عدواً يتمتع بتنظيمها العسكري وقوتها، إذ لم يواجه الرومان خلال الفترة الإمبراطورية خصوماً أشداء كما واجهوا ذلك أثناء الفترة الجمهورية أمثال حنابعل وميثريداتس وأنطيوخس الثالث، ومعظم أعدائها خلال الفترة الإمبراطورية كانوا قبائل بربرية لم يمتلكوا جيشا منظما ودائما، وبالإضافة إلى ذلك استخدموا عند مواجهتهم الرومان تكتيكات الكر والفر بدون الالتقاء معهم في معارك مفتوحة، ولكن حتى في هكذا نوع من الحروب لم يستطع هؤلاء الصمود أمام الرومان لان الرومان غالبا ما كانوا هم المبادرين بالهجوم ولأن تنظيم القوات الرومانية التكتيكية استطاعت مواجهة مختلف أنواع الحروب .
- تميز الجيش الروماني أيضا بنظامٍ داخلي بالغ الدقة، إذ كانت هناك شروط جسدية وأخلاقية لا بد أن تتوفر في الرجال الذين يريدون التطوع فيه، ولم يسمح لأي شخصٍ بذلك إن لم تتوفر فيه هذه الشروط، وكان هذا النظام يجمع بين الترهيب والترغيب وينظم العلاقة بين

ضباط وجنود أقسام الجيش، فكان هناك نظام عقوباتٍ صارم ضد المخالفين وبنفس الوقت منح الجنود الشجعان المكافآت والأوسمة لتعزيز الانضباط والشجاعة بين الجنود، كماأنه قدم لهم الرواتب العالية لضمان استمرار إخلاصهم .

- وقد ساهمت الامتيازات التي حصل عليها الجنود بعد تسريحهم في ضمان استمرار الشبان بالتطوع في هذا الجيش، ومن الأمور الأخرى التي اتسم بها النظام الداخلي للجيش الروماني هي فرضه لنظام صارم فيما يخص سلامة الجنود الصحية، حيث زودت جميع معاقل الفرق وحصون الوحدات المساعدة بكوادر طبية متمرسة ومشافي تمتلك جميع معايير الصحة والنظافة .
- ساعد انتشار الجيش في أقاليم الإمبراطورية على تشكيل ثقافةٍ مشتركة، فتشابهت بيروقراطية الجيش الروماني في كل أنحاء الإمبراطورية إن لم تكن موحدة، وطُبق القانون الروماني على المواطنين الرومان أينما كانوا وبذلك فرضت أدوار اجتماعية على المواطنين الرومان سواء كانوا جنودا أو محاربين قدماء، وهذا دفع الجنود للمشاركة في نشر ثقافة غلب عليها الطابع الروماني، كما سعوا لتقليد العادات الاجتماعية الرومانية التي تمتع بها الضباط الرومان، ومهما كانت أصول الجنود اجبروا على تبني هوية رومانية من خلال أدائهم لدورهم العسكري والسياسي كوكلاء للسلطة الإمبراطورية.
- كذلك كان للجيش دورٌ حضاري أيضاً، إذ ساهم بشكلٍ أو بآخر في تطوير الحياة الاقتصادية والثقافية والاجتماعية للمجتمعات المحلية، فعندما يتمركز الجيش في قطاع ما تقوم الدولة بإنشاء شبكة متكاملة من الخدمات، مثل الطرق وقنوات الري والحمامات لتخدم أغراضا عسكرية لهذا الجيش، ولكن بعد إنشائها ينتفع منها السكان المحليين بقدر ما ينتفع منها الجيش وبذلك تساهم هذه الخدمات في تطوير وتقدم المجتمعات المحلية.

الملاحق

الملحق الأول

قائمة بأسماء الأباطرة الرومان وفترة حكم كل منهم

اسم الإمبراطور	فترة الحكم	ملاحظات
الأسرة الجوليو-كلاودية		
Augustus	٢٧ق.م-١٤م	
Tiberius	١٤-٣٧	
Caligula (Gaius Caesar)	٣٧-٤١	اغتاله الحرس الإمبراطوري
Claudius	٤١-٥٤	قامت زوجته أغريبينا بدس السم له
Nero	٥٤-٦٨	انتحر
الحروب الأهلية		
Galba	٦٨-٦٩	اغتيل لصالح أوتو
Otho	٦٩	انتحر
Vitellius	٦٩	اغتيل لصالح فيسبيسيان
الأسرة الفلافية		
Vespasian	٦٩-٧٩	
Titus	٧٩-٨١	يعتقد أن أخاه دوميتيان قتله بالسم
Domitian	٨١-٩٦	اغتيل
Nerva	٩٦-٩٨	أعلنه مجلس الشيوخ إمبراطوراً، اغتيل
Trajan	٩٨-١١٧	
Hadrian	١١٧-١٣٨	
الأسرة الأنطونية		
Antoninus Pius	١٣٨-١٦١	قُسّم الحكم طوعاً بينه وبين أخيه لوسيوس فيروس
Lucius Verus	١٦١-١٦٩	قُسّم الحكم طوعاً بينه وبين أخيه أنطونيوس بيوس
Marcus Aurelius	١٦١-١٨٠	
Commodus [2]	١٨٠-١٩٢	اغتيل
Pertinax	١٩٣	أعلنه مجلس الشيوخ إمبراطوراً، اغتاله الحرس الإمبراطوري
Didius Julianus	١٩٣	أعلنه الحرس إمبراطوراً، وأعدم بأمر من مجلس الشيوخ
الأسرة السيفيرية		
Septimus Severus	١٩٣-٢١١	أعلنته فرق الدانوب إمبراطوراً وحظي بموافقة مجلس

		الشيوخ
Pescennius Niger	١٩٤-١٩٣	أعلنته فرق سورية إمبراطوراً، وقُتل في المعركة ضد سيفيروس
Clodius Albinus	١٩٧-١٩٣	أعلنته فرق بريطانيا إمبراطوراً، وقتل في المعركة ضد سيفيروس
Geta	٢١٢-٢١١	تقاسم الحكم مع أخيه كركلا واغتيل بأمر منه
Caracalla	٢١٧-٢١١	قتل بأمر من ماكرينوس
Macrinus	٢١٨-٢١٧	أعلن نفسه إمبراطوراً، واغتيل بأمر من إيلاغابالوس
Diadumenianus	٢١٨	تشارك الحكم مع ماكرينوس، أعدم
Elagabalus	٢٢٢-٢١٨	أعلنه الجيش إمبراطوراً واغتيل على يد قواته
Severus Alexander	٢٣٥-٢٢٢	اغتالته قواته
الأباطرة الجنود		
Maximinus Thrax	٢٣٨-٢٣٥	أعلنه الجيش إمبراطوراً، اغتاله الحرس الإمبراطوري
Gordian I	٢٣٨	أعلن نفسه إمبراطوراً في أفريقيا وانتحر بعد موت غورديان الثاني
Gordian II	٢٣٨	أعلن نفسه إمبراطوراً مع غورديان الأول وقُتل في المعركة
Balbinus	٢٣٨	أعلنه مجلس الشيوخ إمبراطوراً شريكاً لبوبينوس
Pupienus	٢٣٨	أعلنه مجلس الشيوخ إمبراطوراً شريكاً لبالبينوس، واغتاله الحرس الإمبراطوري
Gordian III	٢٤٤-٢٣٨	مات لأسباب غامضة
Philip I, the Arab	٢٤٩-٢٤٤	أعلن إمبراطوراً بعد موت غورديان الثالث، وقتل في المعركة ضد ديسيوس
Trajan Decius	٢٥١-٢٤٩	قتل في المعركة
Trebonianus Gallus	٢٥٣-٢٥١	أعلنته قواته إمبراطوراً بعد موت ديسيوس لكنها قتلته لصالح أميليانوس
Volusianus	٢٥٣-٢٥١	تشارك الحكم مع غالوس، اغتاله الجيش
Valerian	٢٦٠-٢٥٣	أعلنته قواته إمبرطوراً، وأُسر في المعركة ضد الفرس ومات في الأسر
Gallienus	٢٦٨-٢٥٣	تشارك الحكم مع فاليريان حتى عام ٢٦٠، وربما اغتيل على يد قادته
Claudius II	٢٧٠-٢٦٨	أعلنه الجيش إمبراطوراً
Quintillus	٢٧٠	أعلن نفسه إمبراطوراً

Aurelian	٢٧٠-٢٧٥	أعلنه الجيش إمبراطوراً واغتيل على يد الحرس الإمبراطوري
Tacitus	٢٧٥-٢٧٦	عينه مجلس الشيوخ إمبراطوراً، وربما اغتيل
Florianus	٢٧٦	أعلنه الجيش الغربي إمبراطوراً لكن قواته قتلته
Probus	٢٧٦-٢٨٢	أعلنه الجيش الشرقي إمبراطوراً، لكن جنوده قتلوه لصالح كاروس
Carus	٢٨٢-٢٨٣	أعلنه الحرس الإمبراطوري إمبراطوراً
Carinus	٢٨٣-٢٨٥	ابن كاروس وتشارك الحكم مع نومريانوس
Numerianus	٢٨٣-٢٨٤	ابن كاروس وتشارك الحكم مع كارينوس، ربما اغتيل

المصدر:

-http://en.wikipedia.org/wiki/Concise_list_of_Roman_Emperor

-Mellor, Ronald J. "Roman Empire." Microsoft® Student 2009 [DVD]. Redmond, WA: Microsoft Corporation, 2008

الملحق الثاني

قائمة بأسماء فرق الجيش الروماني وتاريخ تشكيلها وألقابها وشعاراتها

الفرق التي شكّلت في أواخر الفترة الجمهورية				
اسم الفرقة	شكلت من قبِل	تاريخ تشكيلها	شعارها	أصل اللقب ومعناه
I Germanica	قيصر	٤٨؟ أو ٤٣؟ ق.م	غير معروف	لأنها خدمت في جرمانيا
II Augusta	بانسا	٤٣؟ ق.م	الجدي والحصان المجنح	لأن أغسطس أعاد هيكلتها
III Augusta	قيصر	٤٣؟ ق.م	الحصان المجنح	لأن أغسطس أعاد هيكلتها
III Cyrenaica	ليبيدوس	قبل سنة ٣٠ ق.م	غير معروف	لأنها خدمت في إقليم سرينايكا
III Gallica	قيصر	٤٨؟ ق.م	الثور	لأنها خدمت في بلاد الغال
IV Macedonica	قيصر	٤٨ ق.م	الثور والجدي	لأنها خدمت في مقدونيا
IV Scythica	أنطوني؟	قبل سنة ٣٠ ق.م	الجدي	ربما لأنها انتصرت على السيثيكيين بقيادة كراسوس بين عامي ٢٩-٢٧ ق.م
V Alaudae	قيصر	٥٢ ق.م	الفيل	يعني طائر القبّرة
V Macedonica	أوكتافيان	٤٣ ق.م	الثور	لأنها خدمت في مقدونيا
VI Ferrata	قيصر	٥٢ ق.م	الذئبة والتوأم	يعني الحديدية
VI Victrix	أوكتافيان	٤١-٤٠ ق.م	الثور؟	المظفرة أو المنتصرة
VII Claudia	غير معروف	٥٩؟ ق.م	الثور	بسبب ولائها للإمبراطور كلوديوس
VIII Augusta	قيصر	٥٩؟ ق.م	الثور	بسبب تحقيقها النصر تحت قيادة أوكتافاين
IX Hispana	قيصر أو أوكتافيان	٤٦-٤٠؟ ق.م	غير معروف	لأنها خدمت في إسبانيا
X Fretensis	أوكتافيان	٤١-٤٠؟	الثور والدلفين	نسبة إلى Fretum وهي قناة بين إيطاليا

		ق.م	وسفينة القادس والخنزير البري	وصقلية
X Gemina	أوكتافيان	٥٩؟ ق.م	الثور	يعني التوأم
XI Claudia	قيصر؟	غير معروف	نبتون إله البحر	لولائها للإمبراطور كلوديوس
XII Fulminata	قيصر	٥٨؟ ق.م	الصاعقة	يعني الحاملة للصاعقة
XIII Gemina	قيصر؟	٥٧ ق.م؟	الأسد	التوأم: لأنها ربما دمجت مع فرقة أخرى بعد معركة أكتيوم
XIV Gemina	قيصر	٥٧ ق.م؟	الجدي	التوأم: لأنها ربما دمجت مع فرقة أخرى بعد معركة أكتيوم
XV Apollinaris	أوكتافيان	٤١-٤٠ ق.م	غير معروف	نسبة إلى الإله أبولو
XVI Gallica	أوكتافيان	٤١-٤٠ ق.م	الأسد؟	لأنها خدمت في بلا الغال
XVII	أوكتافيان	٤١-٤٠ ق.م	غير معروف	غير معروف
XVIII	أوكتافيان	٤١-٤٠ ق.م	غير معروف	غير معروف
XIX	أوكتافيان	٤١-٤٠ ق.م	غير معروف	غير معروف
XX Valeria Victrix	أوكتافيان	٤١-٤٠ ق.م	الخنزير البري	الشجاعة والمظفّرة بعد انتصارها على بوديكا في بريطانيا سنة ٦١م
XXI Rapax	أوكتافيان	٤١-٤٠ ق.م	الجدي	شبهت بطائر ينقض على فريسته
XXII Deiotariana	أوكتافيان	٢٥؟ ق.م	غير معروف	اشتق من اسم Deiotarus، وهو ملك غالاتيا الذي ساهم في تشكيلها وتدريبها وتجهيزها على الطريقة الرومانية

الفرق التي شكّلت في الفترة الإمبراطورية				
اسم الفرقة	شكّلت من قبل	تاريخ تشكيلها	شعارها	أصل اللقب ومعناه
XV Primigenia	كلوديوس	٣٩م أو ٤٢م	غير معروف	المشكّلة أولاً: يشير إلى سلالة جديدة من الفرق
XXII Primigenia	كلوديوس	٣٩م أو ٤٢م	غير معروف	المشكّلة أولاً: يشير إلى سلالة جديدة من الفرق
I Italica	نيرون	٦٦ أو ٦٧م	الخنزير البري	لأنها شكلت من الجنود الإيطاليين
I Adiutrix	نيرون	٦٨م	غير معروف	المناصرة أو المساندة
II Adiutrix	فيسبيسيان	٦٩م	الخنزير البري	المناصرة أو المساندة
VII Hispana	غالبا	٦٨م	غير معروف	لأنها شكلت في إسبانيا
IV Flavia firma	فيسبيسيان	٧٠م	غير معروف	نسبة إلى الاسم الثاني للإمبراطور فيسبيسيان، ولقبها الثاني يعني الراسخة
I Minervia	دوميتيان	٨٣م	غير معروف	لأنها كرّست للإلهة مينيرفا
II Traiana	تراجان	١٠١م	غير معروف	نسبة إلى الاسم الثالث للإمبراطور تراجان
XXX Ulpia	تراجان	١٠١م	غير معروف	نسبة إلى الاسم الثاني للإمبراطور تراجان
III Italica concors	ماركوس أورليوس	١٦٥م	غير معروف	يعني الموحّدة
I Parthica	سيفيروس	١٩٣م؟	غير معروف	لأنها انتصرت في الحرب ضد البارثيين
II Parthica	سيفيروس	١٩٣م؟	غير معروف	لأنها انتصرت في الحرب ضد البارثيين
III Parthica	سيفيروس	١٩٣م؟	غير معروف	لأنها انتصرت في الحرب ضد البارثيين

ملاحظة: يفضل قراءة هذا الملحق بالتزامن مع فقرتي "أسماء الفرق وألقابها" و"شعارات الفرق" في الفصل الأول، ذلك لأن بعض الفرق شكّلت من قِبل قائد وحُلّت أو أعيد هيكلتها من قِبل قائد آخر، فتغيرت أسماء بعضها وأُضيفت ألقاب جديدة إلى بعضها الآخر.

الملحق الثالث

قائمة بالتواريخ والأحداث الهامة

العام	الحدث
٣١ ق.م	هزيمة أنطوني وكليوباترا في معركة أكتيوم
٣٠ ق.م	إعلان مصر إقليماً رومانياً
٢٧ ق.م	أوكتافيان يتلقى اللقب "أغسطس" وتقسيم الأقاليم بين الإمبراطور ومجلس الشيوخ
٢٤ ق.م	الحملة على اليمن السعيد
٢٠ ق.م	استعادة الرايات الرومانية من البارثيين
١٦ ق.م	حملات تيبيريوس ودروسوس شمال جبال الألب وإعلان رايتيا ونوريكوم إقليمين جديدين
١٢ ق.م	حملات دروسوس وراء نهر الراين
٩ ق.م	وفاة دروسوس
٦-٩ م	ثورة بانونيا ودلماتيا
٩ م	معركة غابة تيوتيبرغ في جرمانيا وهلاك ثلاثة فرق رومانية بقيادة فاروس
١٤ م	وفاة أغسطس واعتلاء تيبيريوس للعرش، تمرد فرق الراين والدانوب
١٥-١٦ م	حملة جيرمانيكوس على جرمانيا
١٧-٢٤ م	ثورة تكفاريناس في شمال أفريقيا
٣٧ م	كاليغيولا يعتلي العرش
٤١ م	كلوديوس يعتلي العرش
٤٣ م	احتلال بريطانيا
٥٤ م	نيرون يعتلي العرش
٥٨-٦٤ م	الحرب ضد بارثيا من أجل أرمينيا

٦٠-٦١ م	ثورة بوديكا في بريطانيا
٦٦-٧٤ م	التمرد اليهودي الأول
٦٨ م	ثورة بلاد الغال وانتحار نيرون و اعتلاء"غالبا" للعرش
٦٩ م	وفاة نيرون واندلاع الحرب الأهلية، عام الأباطرة الأربعة ("غالبا"، أوتو، فيتيليوس، فيسبيسيان) وانتصار فيسبيسيان
٦٩-٧٠ م	تمرد سيفيليس في باتافيا شمال جرمانيا
٦٩-٩٦ م	فترة حكم الأسرة الفلافية
٧٠ م	سقوط القدس بيد تيتوس
٧٣-٧٤ م	سقوط ماسادا بيد الرومان
٧٩ م	وفاة فيسبيسيان واعتلاء ابنه تيتوس للعرش
٨١ م	دوميتيان يعتلي العرش
٧٨-٨٤ م	حملة أغريكولا في شمال بريطانيا وانتصاره على الكاليدونيين في معركة مونز غربيوس
٨٩ م	تمرد ساتورنينوس حاكم جرمانيا العليا
٨٥-٩٢ م	الحروب ضد داسيا وبانونيا
٩٦	نيرفا يعتلي العرش
٩٨ م	تراجان يعتلي العرش
١٠١-١٠٢ م	حرب داسيا الأولى
١٠٥-١٠٦ م	حرب داسيا الثانية وإنشاء إقليم داسيا
١٠٦ م	ضم مملكة الأنباط وإنشاء إقليم العربية
١١٣-١١٧ م	حرب تراجان على بارثيا
١١٧ م	وفاة تراجان و اعتلاء هدريان للعرش

١١٥-١١٧ م	التمرد اليهودي الثاني
١٢١-١٢٥ م	جولة هدريان الأولى في الأقاليم
١٢٢ م	البدء ببناء سور هدريان في بريطانيا
١٢٨-١٣٢ م	جولة هدريان الثانية في الأقاليم
١٣١-١٣٥ م	التمرد اليهودي الثالث
١٦٢-١٦٦ م	حرب فيروس على بارثيا
١٦٧ م	قبيلتي الماركوماني والكوادي تعبران الدانوب في سلسلة من غارات وصلت إلى أكويليا في شمال ايطاليا.
١٦٨-١٧٥ م	الحروب الشمالية ضد قبائل الماركوماني والكوادي
١٧٥ م	ثورة كاسيوس حاكم سورية
١٧٨-١٨٠ م	الحروب الشمالية
١٨٤ م	تخلي الرومان عن سور أنطونين
١٩٣-١٩٧ م	اغتيال كومودوس ونشوب الحرب الأهلية التي انتصر فيها سيبتيموس سيفيروس
١٩٤ م	هزيمة نيغر حاكم سورية على يد سيبتيموس سيفيروس
١٩٥ م	ضم إقليم أسرهوين الواقع بين نهري دجلة والفرات
١٩٧ م	هزيمة ألبينوس حاكم بريطانيا على يد سيبتيموس سيفيروس
١٩٧-١٩٨ م	الحرب البارثية
١٩٨ م	ضم إقليم بلاد الرافدين
٢٠٥ م	استعادة سور هدريان بعد غارات الكاليدونيين
٢٠٨-٢١١ م	حملات سيفيروس ضد الكاليدونيين في شمال اسكتلنده
٢١٢ م	إصدار كركلا للمرسوم الذي حصل بموجبه كافة قاطني الإمبراطورية الأحرار على المواطنة الرومانية

٢١٣ م	الحرب ضد قبيلة الألاماني في جرمانيا
٢١٤-٢١٧ م	الحرب ضد بارثيا
٢٣١-٢٣٣ م	الحرب ضد الفرس
٢٣٤-٢٣٥ م	الحرب ضد قبيلة الألاماني
٢٦٠ م	هزيمة فاليريان على يد شابور ملك الفرس ووقوعه في الأسر
٢٧٢ م	هزيمة زنوبيا على يد أورليان واستسلام تدمر
٢٧٤ م	هزيمة تيتريكوس إمبراطور إمبراطورية بلاد الغال الانفصالية
٢٧٧-٢٧٨ م	هزيمة قبيلتي الألاماني والفرانكس على يد بروبوس واستعادة الحدود الجرمانية
٢٨٤ م	اعتلاء ديوقلسيان للعرش وانتهاء الفترة الأولى من العصر الإمبراطوري

الملحق الرابع

المصطلحات اللاتينية

الكلمة	المعنى
acies	خط المعركة
aerarium militare	صندوق رواتب الجيش
agmen	رتل، طابور
ala	وحدة خيالة مساعدة
ala milliaria	وحدة خيالة مساعدة تضم حوالي ألف رجل
ala quingenaria	وحدة خيالة مساعدة تضم حوالي خمسمائة رجل
annona militaris	ضريبة نوعية لتأمين المؤن للجيش
aquila	راية النسر، نسر
aquilifer	حامل راية النسر
arcus	قوس (سلاح)
arma	أسلحة
armilla	رباط أو سوار يرتدى على الذراع كوسام عسكري
as	العملة الرومانية الأدنى قيمة وهي مصنوعة من البرونز
aureus	عملة رومانية ذهبية
aurum coronarium	منحة ذهبية يمنحها السيناتورات و عند اعتلاء الأباطرة للعرش وفي الذكرى السنوية لتقلدهم السلطة.
auxilia	قوات مساعدة
auxilia palatina	وحدات مشاة نخبة رومانية من الفترة المتأخرة
ballista	منجنيق يعمل باللي أو الفتل
ballistarius	جندي يعمل على منجنيق أو آلة مطلقة للسهام
barritus	صيحة الحرب
beneficiarius	جندي مكلف بمهمة خاصة، شرطة عسكرية
beneficiarius consularis	جندي ملحق بطاقم الحاكم الإقليمي
beneficiarius legati legionis	جندي ملحق بطاقم قائد الفرقة

beneficiarius praefecti praetorio	جندي يخدم في طاقم قائد الحرس الإمبراطوري
beneficiarius praefecti proconsulis	جندي يخدم في طاقم الحاكم ويكون معيناً من قبل الدولة
beneficiarius praefecti urbis	جندي يخدم في طاقم قائد الوحدات المدنية
beneficiarius procuratoris	جندي يخدم في طاقم مدير المال
beneficiarius tribuni	جندي يخدم في طاقم التريبيون
beneficium	ترقية عسكرية
bracae	بنطال
caliga	حذاء عسكري
campidoctor	مدرب
campus	ساحة لتدريب الخيالة
canabae	مستوطنة مدنية مرفقة ملحقة بقاعدة عسكرية
candidatus	جندي ينتظر الترقية
capitatio	ضريبة الرأس
capsa	إناء أو صندوق توضع فيه الضمادات والأدوات الطبية
capsarius	طبيب
carroballista	آلة مطلقة للسهام تعمل باللي أو الفتل
cassis	خوذة
castra hiberna	قاعدة شتوية
castra praetoria	معسكر الحرس الإمبراطوري في مدينة روما
castra	معسكر
cataphractarius, cataphractus	فارس ثقيل الدروع
catapulta	منجنيق يعمل بالفتل
centenaria	تحصين صغير
centuria	مئينة، وحدة عسكرية تضم ما بين ثلاثين إلى مائتي راجل
centurio	قائد المائة، ضابط يترأس مئينة

centurio alti ordinis	قائد مائة ذو رتبة عالية
centurio deputatus	قائد مائة مكلف بمهمة مؤقتة
centurio exercitator	ضابط مسؤول عن تدريب الخيالة
centurio legionarius	قائد مائة في الفرقة
centurio posterior	نائب قائد السرية
cibarium	حصة من الطعام
cingulum	نطاق عسكري من الفترة المتأخرة
circumvallatio	طوق أو سور حصار
civis Romanus	مواطن روماني
classis/classes	أسطول
cohors	وحدة عسكرية
cohors equitata	وحدة مساعدة مختلطة من خيالة ومشاة
cohors peditata	وحدة مشاة
cohors milliaria	وحدة ألفية، وحدة تضم ألف جندي
cohors praetoria	وحدة من الحرس الإمبراطوري
cohors quingenaria	وحدة خمسمائية، وحدة تضم خمسمائة رجل
cohors urbana	وحدة مدنية، وحدة من الشرطة العسكرية
collega	جندي من نفس الوحدة
colonia	مستوطنة رومانية
comitatenses	جندي من الجيش الميداني في الفترة المتأخرة
commeatus	إجازة، إذن بالمغادرة
commilitio	جندي رفيق في السلاح
commoda	مكافآت التسريح أو إنهاء الخدمة
conductor	مقاول أو متعهد لتأمين المؤن
constitutio antoniniana	مرسوم سنه الإمبراطور كركلا سنة ٢١٢ ميلادي وبموجبه حصل كافة قاطني الإمبراطورية الرومانية الأحرار على المواطنة الرومانية
consul ordinarius	قنصل منتخب رسمياً يشغل المنصب شهر أو اثنان

قنص يشغل المنصب ويأخذ محل القنصل المنتخب رسمياً	consul suffectus
وحدات خيالة في أواخر الفترة الإمبراطورية تسلح فرسانه بالرمح الطويل	contarii
جماعة، جماعة من الجنود يتشاركون في خيمة	contubernium
رمح الخيالة الطويل الذي يستخدم للطعن ويحمل بكلتا اليدين	contus
زواج قانوني	conubium
نافخ البوق	cornicen
ضابط صف يتولى مهام إدارية	cornicularius
بوق	cornu
إكليل أو تاج يمنح كمافأة عسكرية	corona
تاج ذهبي	corona aurea
تاج الأسطول	corona classica
تاج يمنح للكشافة	corona exploratoria
أكليل من العشب يمنح لقاء إنقاذ جيش كامل	corona graminea/obsidionalis
تاج السور، تاج يمنح لأول جندي يصل إلى قمة أسوار الأعداء	corona muralis
تاج بحري يمنح لجنود الأسطول	corona navalis
تاج المتراس، تاج يمنح لأول رجل يتسلق متراس الأعداء	corona vallaris
تشكيل الإسفين، تشكيل على شكل إسفين يستخدم لاختراق صفوف الأعداء	cuneus
أعضاء مجلس المدينة	curiales
نظام البريد الإمبراطوري	cursus publicus
جندي مكلف بتسجيل وحفظ الأسلحة والتجهيزات	custos armorum
ضابط خيالة، ضابط يقود مابين عشرة إلى ثلاثين رجل في أوائل الفترة الجمهورية، ضابط يترأس سرية فرسان من القوات المساعدة	decurio
ضابط مسؤول عن إدارة الوحدة	decurio princeps
فار أو هارب من الخدمة العسكرية	defector
عملة رومانية فضية تعادل أربعة سيسترتيس	denarius, denarii

المدخرات أو المال المدخر	deposita
مساعد طبيب	deputatus
شهادة التسريح من الجيش	diploma
موجه أو مشرف	doctor
فأس	dolabra
مدرب يدرب الجنود على استخدام الأسلحة	doctor armorum
مدرب النبالة، مدرب يدرب الجنود على استخدام القوس والنشاب	doctor sagittariorum
أوسمة عسكرية	dona militaria
منحة نقدية	donativum
راية على شكل تنين	draco
حامل راية التنين	draconarius
قوات تمتطي الجمال	dromedarius
ضابط صف يتقاضى راتباً مضاعفاً	duplicarius
قائد	dux
نائب قائد القطاع الحدودي	dux ripae
فارس	eques
جندي من الوحدات المختلطة	eques cohortalis
فارس في الفرقة	eques legionis
فارس مرفق بوحدة من الحرس الإمبراطوري	eques praetorianus
نبال فارس	eques sagittarius
جندي من القوات المساعدة يخدم في حرس الحاكم، فارس من الفرق يخدم كحارس شخصي للضباط الكبار	eques singularis
فارس مهمته الاستطلاع أو التجسس	eques speculator
محارب قديم أعيد تجنيده	evocatus
جيش	exercitus
حملة ميدانية يقودها الإمبراطور	expeditio
رائد أو كشاف، جندي مهمته الاستطلاع	explorator

fabrica	ورشة
fabrica ballistaria	ورشة مجانيق ومطلقات سهام
fabrica cohortis	ورشة للوحدة
fabrica legionis	ورشة خاصة بالفرقة
fascia	جوارب
fiscus	الخزينة الإمبراطورية
focale	وشاح
foederatus	حليف
foedus	معاهدة
fossa	خندق
funditor	رامي مقلاع
gladius	مصطلح عام يطلق على السيف
gradus militaris	خطوة عسكرية خلال المسير
hasta	مصطلح عام يطلق على الرمح متعدد الأحجام
hastarius	جندي مسلح بالرمح، رمّاح
hastatus centurio	قائد مائة مسؤول عن رماحي الوحدة
hastatus posterior	نائب قائد المائة المسؤول عن كتيبة من الرماحين
hastatus prior	قائد مائة مسؤول عن كتيبة من الرماحين
hiberna	مقرات عسكرية شتوية
hippika gymnasia	الألعاب الرياضية، ألعاب الفرسان وهي مناورات واستعراضات يؤديها الفرسان
honesta missio	تسريح مشرف
honesta missio ex causa	تسريح مشرف يمنح للجنود المرضى أو الجرحى
horrea	مخازن الحبوب
imaginifer	حامل راية يحمل صورة أو تمثالاً صغيراً للإمبراطور
imago	راية عليها صورة الإمبراطور
immunis	جندي معفي من واجبات معينة

impedimenta	الأمتعة التي يحملها الجيش خلال المسير
Imperator	رئيس الأركان، الإمبراطور
imperium	الحق بالحصول على الطاعة والولاء المطلقين
impetus	هجوم
in numeros referre	يدخل اسم الجندي في سجلات الجيش
intervallum	مسافة بين السور والمقرات داخل المعسكر
iumenta	حيوانات الحمل
laeti	رجال القبائل المستوطنة داخل الإمبراطورية بموجب معاهدة تلزمهم بتقديم الرجال للجيش الروماني
lancea	رمح خفيف
lancearius	جندي مسلح بالرمح الخفيف
lanciarii	جنود الفرق من القرن الثالث الميلادي المتسلحين بالرمح الخفيف (lancea) بدلاً من الرمح الثقيل (pilum)
legatus legionis	قائد فرقة برتبة سيناتور
legio	فرقة
legio classica	فرقة بحرية، فرقة تقوم بالواجبات على متن السفينة
legio palatina	فرقة القصر وهي فرقة من الجيش الميداني النخبة
legio urbana	فرقة المدينة، فرقة شكلت للدفاع عن مدينة روما
legionarius	جندي من الفرق
limes	طريق حدودي
limitanei	وحدة عسكرية حدودية
lixa	خادم في الجيش أو عامل في المعسكر
lorica	درع جسدي أو صدري
lorica hamata	درع زردي
lorica segmentata	درع مصفح
lorica squamata	درع حرشفي
magister	ضابط، ضابط صف

magister equitum	قائد الخيالة: ضابط كبير في الفترة المتأخرة
magister militum	قائد الجنود: ضابط كبير في الفترة المتأخرة
magister peditum	قائد المشاة: ضابط كبير في الفترة المتأخرة
medicus	طبيب
medicus castrorum	طبيب المعسكر
medicus chirurgus	طبيب جراح
medicus duplicarius	ضابط صف يتقاضى راتباً مضاعفاً ويخدم في الخدمات الطبية
medicus ordinarius	ضابط طبيب
medicus pecuarius	طبيب بيطري
medimnus	مصطلح إغريقي استخدمه المؤرخ بوليبيوس لزين الحبوب
miles	جندي
miles classiarius	جندي من الأسطول أو قوات البحرية
miles cohortis	جندي ينتمي إلى وحدة مشاة مساعدة
miles legionis	جندي يخدم في الفرقة
miles medicus	مساعد طبيب
miles missiciuas	جندي مسرح
missio causaria	تسريح مشرف لأسباب طبية
missio ignominiosa	تسريح مشين أو مخزي
modius	وحدة وزن لزين الذرة
numerus	وحدة عسكرية
officium	هيئة أو طاقم
onager	حمار الوحش، منجنيق يعمل باللي أو الفتل
optio	ضابط صف، نائب قائد المئة
paenula	عباءة
peditatus	مشاة
phalanx	تشكيل متراص من مشاة ثقيلي التسليح مسلحين برماح وتروس دائرية
phalerae	قرص للزينة يوضع على الصدر

رمح ثقيل له ساق معدنية طويلة	pilum
ضابط كبير	praefectus
قائد وحدة خيالة	praefectus ala
قائد المعسكر	praefectus castrorum
قائد الأسطول	praefectus classis
قائد كتيبة	praefectus cohortis
قائد خيالة	praefectus equitatus
قائد خيالة	praefectus equitum
ضابط مسؤول عن الحرفيين والصناعيين	praefectus fabrum
قائد فرسان في الفرقة	praefectus legionis
قائد في مقر القيادة: قائد من طبقة الفرسان	praefectus praetorio
ضابط مسؤول عن الشرطة العسكرية	praefectus statorum
ضابط مسؤول عن المجندين الجدد	praefectus tironum
قائد المدينة	praefectus urbanus
أول مرحلة من القسَم العسكري	praeiuratio
مكافآت التسريح	praemia militiae
الجزء الأمامي في المعسكر أمام مقر سكن القائد	praetentura
قاضي روماني كبير وخلال الفترة الجمهورية قائد لقوات عسكرية صغيرة	praetor
مقر سكن القائد في مقر القيادة داخل المعسكر	praetorium
الرماح الأول: قائد المائة الأعلى رتبة في الفرقة	primus pilus
ضابط صف	principalis
جندي راجل ثقيل التسلح من الفرقة، قائد مائة مسؤول عن الأعمال الإدارية في الوحدة	principes
مبنى مقر القيادة داخل المعسكر	principia
فحص طبي	probatio
جندي اجتاز الفحص اللازم للانضمام إلى الجيش	probatus

proconsul	قنصل سابق يتمتع بسلطة أو حق مماثل بعد انقضاء فترة ولايته، حاكم إقليم
procurator	موظف مسؤول عن الشؤون الإدارية المتعلقة بالإمبراطور
protectores	حارس شخصي
provincia	إقليم
pseudo-comitatenses	قوات رومانية من أواخر الفترة الإمبراطورية تشكل من الجيوش الحدودية لتخدم في الجيش الميداني
pteruges	شرائط جلدية تثبت بالدرع
publican	متعاقد أو مقاول خصوصي
pugio	خنجر
ripenses	قوات عسكرية متمركزة عند الحدود النهرية في أواخر الفترة الإمبراطوري
sacellum	غرفة صغيرة في مقر القيادة في الحصن توضع فيها رايات الجيش
sacramentum	القسَم العسكري
sagitta	سهم
sagittarius	نبّال، صانع السهام
sagum	عباءة
scorpio	العقرب: منجنيق يعمل باللي أو الفتل
scutum	ترس جنود الفرق
sesquiplicarius	ضابط صف يتقاضى راتباً ونصف الراتب
sestertius, sestertii	عملة رومانية فضية
signatus	جندي تم قبوله للخدمة في الجيش
signifer	حامل الراية
signifer princeps	حامل راية رفيع الرتبة
signum	راية أو علم، وشم لتحديد الهوية يضعه الجنود
simplaris	جندي يتقاضى راتباً أساسياً
singularis	جندي منتقى أو مختار

spatha	سيف طويل على الأغلب
spolia	الغنائم
stipendium	قسط أو دفعة من الراتب
strategicon	أطروحة أو مقالة في الشؤون العسكرية
tacticon/tactica	أطروحة أو أطروحات عن المسائل العسكرية
territorium legionis	منطقة تمركز الفرقة
tesserarius	ضابط صف مسؤول عن نقل كلمة السر
testudo	درع السلحفاة، تشكيل عسكري دفاعي يستخدمه جنود الفرق أثناء الحصار
tribunus	ضابط كبير
tribunus angusticlavius	ضابط في الفرقة من طبقة الفرسان
tribunus cohortis	قائد وحدة مساعدة
tribunus laticlavius	ضابط في الفرقة من طبقة السيناتورات
tribunus militum	الضباط الستة الأعلى مرتبة في الفرقة قبل تعيينهم كقادة للفرق وكانوا من طبقة الفرسان
tributum	ضريبة رومانية تفرض لسد مصاريف الجيش
triplex acies	تشكيل المعركة المؤلف من ثلاثة خطوط
tunica	التونك وهو رداء عسكري قصير
turma	سرية خيالة
valetudinarium	مستشفى
vehiculatio	نظام البريد الإمبراطوري
veteranus	محارب قديم
veterinarius	طبيب بيطري
vexillarius	حامل راية المقتطعات أو الوحدات المساعدة، جندي من المقتطعات المشكلة من الفرق
vexillatio, vexillationes	مقتطع أو مقتطعات من فرق الجيش توكل إليها مهمة منفصلة
vexillifer	حامل راية المقتطعات

vexillum	راية لها علم يتدلى من قضيب مستعرض
via	طريق
via decumana	طريق في المعسكر يؤدي إلى البوابة الخلفية
via praetoria	طريق في المعسكر يؤدي إلى البوابة المواجهة للعدو
viaticum	نقود السفر وهي دفعة مالية يتلقاها المجند عند بداية انضمامه للجيش
vicarius	البديل وهو مجند يقدمه المجند الإلزامي كبديل عنه في حال لم يرغب بالخدمة العسكرية
victoria	نصر
victrix	منتصر أو ظافر
vicus, vici	مستوطنة، مستوطنات مدنية صغيرة قرب حصون الوحدات المساعدة
vigiles	وحدات عسكرية أنشأها أغسطس لتعمل كفرق إطفاء في مدينة روما
vigilia	حرس أو حراس
virtus	الميزة أو الفضيلة وهي الروح القتالية الراسخة التي افتخر بها الرومان
voluntarius	جندي متطوع

ثبت المصادر والمراجع

قائمة المصادر الأجنبية

1. Arrian: Tactica Vol. 42.2-4, Translated by Philip A. Stadter, The University of Chicago Press, 1978.
2. Dio Cassius: Roman History, Epitome 50.4, Translated by Earnest Cary Herbert B.Foster, 1917.
3. Josephus: The Jewish War, Vol 7.13–16. Translated by H. St. J. Thackeray, LOEB Classical Library, 1927.
4. Onasander: Strategikos Vol. 10.4-6, Translated by Nicolaus Schwebelius & Beat Fidel Zurlauben, Impensis Georgii Lichtenstegeri & ex officina Christiani de Lavnoy, 1762.
5. Tacitus: Agricola, Vol. 2.35-6, Translated by M. Hutton & W. Peterson, LOEB Classical Library, 1914.
6. Tacitus: Annals Vol. 14.25, Translated by John Jackson, LOEB Classical Library, 1937.
7. Tacitus: Annals, 1.17, Translated by Moore Clifford H & Jackson, John, LOEB Classical Library.
8. Tacitus: Histories, 3.65, Translated by Moore, Clifford H, LOEB Classcial Library, 1925
9. Vegetius: Epitome Vol. 3.1-3, Translated by N. P. Milner, Liverpool University Press, 1996.
10. Vegetius: Epitome Vol.1.3, Translated by N. P. Milner, Liverpool University Press, 1996.

المراجع الأجنبية:

1. Bishop M.C & Coulston, J.C.N: Roman Military Equipment from the Punic Wars to the Fall of Rome, Batsford, London. 1993.

2. Bingham, Sandra J: The Praetorian Guard in the Political and Social Life of Julio-Claudian Rome, The University of British Columbia, 1997.
3. Bradford, Alfred: With Arrow, Sword and Spear, Greenwood Publishing, 2001.
4. Burns, Thomas: Barbarians within the Gates of Rome, Indiana University Press, 1994.
5. Butcher, Kevin: Roman Syria and the Near East, London, 2003.
6. Campbell, Brian: The Emperor and the Roman Army 31 BC-AD 235, Routledge, London and New York, 1984.
7. Campbell, Brian: The Roman Army 31 BC-AD 337, Routledge, London and New York, 1994.
8. Campbell, Brian: War and Society in Imperial Rome31 BC–AD284 Routledge, London and New York, 2002.
9. Campbell, Duncan: Greek and Roman Artillery 399 BC-AD 363, Osprey Publishing, 2003.
10. Campbell, Duncan: Greek and Roman Siege Machinery 399 BC-AD 363, Osprey Publishing, 2003.
11. Campbell, Duncan: Siege Warfare in the Roman World 146 BC-AD 378, Osprey Publishing, 2005.
12. Cheesman, G .L: The Auxilia of The Roman Imperial Army, L'Erma di Bretschneider, Rome, 1968.
13. Chrissanthos, Stefan: Warfare in the Ancient World "from the Bronze Age to the Fall of Rome", London, Praeger, 2008.
14. Connolly, Peter: The Cavalryman, Oxford, 2003.
15. Coulston, J.C.N: Three Legionaries at Croy Hill, Military Equipment and the Identity of Roman soldiers, Oxford, 1988.
16. Cowan, Ross: Roman Battle Tactics 109 BC–AD 313, Osprey Publishing, 2007.
17. Cowan, Ross: Roman Legionary 58 BC-AD 69, Osprey Publishing, 2003.

18. Davies, Roy: Service in the Roman Army, Columbia University Press, New York, 1989.
19. Duncan-Jones, Richard: Money and Government in the Roman Empire, Cambridge University Press,
20. Elise Phang, Sara: Roman Military Service, Cambridge University Press, 2008.
21. Elise Phang, Sara: The Marriage of Roman Soldiers 13 BC-AD 235: Law and Family in the Imperial Army, Columbia University Press, 2001.
22. Fields, Nic: Hadrian's Wall AD 122-410, Osprey Publishing, 2003.
23. Fields, Nic: Roman Auxiliary Cavalryman AD 14-193, Osprey Publishing, 2006.
24. Fields, Nic. Rome's Northern Frontier AD 70-23, Osprey Publishing, 2005.
25. Fields, Nic: The Roman Army of the Principate 27 BC-AD 117, Osprey Publishing, 2009.
26. Fields, Nic: The Walls of Rome, Osprey Publishing, 2008.
27. Gilliver, Catherine M: Battle, CHGRW, vol II, Cambridge University Press, 2007.
28. Goldsworthy, Adrian: Roman Warfare, Cassell, London, 2000.
29. Goldsworthy, Adrian: The Complete Roman Army, Thames & Hudson Ltd. London, 2003.
30. Goldsworthy, Adrian: The Roman Army at War, Oxford University Press, 1996.
31. Goodman, Martin: The Roman World, 44 BC- AD 180, Routledge, London and New York, 1997.
32. Hanel Norbert: Military Camps, Canabae and Vici: ACRA, Blackwell Publishing, 2007
33. Holder, Paul: The Auxilia from Augustus to Trajan, B.A.R International Series, 1980.
34. Holder, Paul: The Roman Army in Britain, London, 1982.
35. Isaac, Benjamin: The Near East under Roman Rule, Leiden, New York, 1998.

36. Kebne, Peter: War and Peacetime Logistics: Supplying Imperial Armies in the East and West, ACRA, Blackwell Publishing, 2007.

37. Keppie, Lawrence: Legions and Veterans, Roman Army Papers, 1971-2000, Franz Steiner Verlag, 2000.

38. Keppie, Lawrence: The Making of the Roman Army, Batsford, London, 1984.

39. Le Bohec, Yann: The Imperial Roman Army, Batsford, London, 1994.

40. Levick, Barbara: The Government of the Roman Empire, Routledge, 2002.

41. Luttwak, Edward: The Grand Strategy of the Roman Empire, Baltimore, Johns Hopkins UP, 1976.

42. Marsden, E.W: Greek and Roman Artillery "Historical Development", Oxford at the Clarendon Press, 1969.

43. Marsden, E.W: Greek and Roman Artillery "Technical Treatises", Oxford, 1971.

44. Mattern, Susan: Rome and the Enemy, University of California Press, 1999.

45. Mattingly, David: Britain in the Roman Empire, Penguin, 2008.

46. Maxfield, Valerie: The Military Decorations of the Roman Army, University of California Press, 1981.

47. McCallum, Jack Edward: Military Medicine from Ancient Times to the 21st Century, ABC-CLIO, 2008.

48. Mellor, Ronald: The Roman Historians, Routledge, London and New York, 1999.

49. Miller, M. A: The Army and the Imperial House, CAH, Vol XII, Cambridge University Press, 1965.

50. Mommsen, Theodor: A History of Rome under the Emperors, Routledge, London & New York, 1996.

51. Nelson, Eric: The Complete Idiot's Guide to the Roman Empire, Alpha Publishing, 2002.

52. Parker, S. Thoms: Roman and Saracens, Eisenbrauns, Winona Lake, 1986.

53. Pollard, Nigel: Soldiers, Cities and Civilians in Roman Syria, ANN Arbor, 2000.

54. Pollard, Nigel: The Roman Army: A Companion to the Roman Empire, Blackwell Publishing, 2006.

55. R. Dixon, Karen & Southern, Pat: The Roman Cavalry, Routledge, London and New York, 1992.

56. Rankov, Boris: Military Forces: CHGRW, Vol II, Cambridge University Press, 2007.

57. Rathbone, Dominic: Military Finance and Supply, CHGRW, Vol II. Cambridge University Press, 2007.

58. Rosse, Lino: Trajan's Column and the Dacian Wars, London, Thames & Hudson, 1971.

59. Roth, Jonathan: The Logistics of the Roman Army at War (264 B.C. - A.D. 235), Columbia University Press, 1999.

60. Roxan, Margaret & Holder, Paul: The Roman Military Diplomas, vol IV, 1994.

61. Scheidel Walter: Marriage, Families, and Survival in the Roman Imperial Army, Stanford University, 2005.

62. Scheidel, Walter: Marriage, Families and Survival in the Roman Army: ACRA, Blackwell Publishing, 2007.

63. Simkins, Michael: The Roman Army from Caesar to Trajan, Osprey Publishing, 1984.

64. Simkins, Michael: The Roman Army from Hadrian to Constantine, Osprey Publishing, 1979.

65. Southern, Pat: The Roman Army: A Social and Institutional History, ABC-CLIO, Inc. California, 2006.

66. Speidel, Michael: Guards of the Roman Armies, Bonn, 1978.

67. Speidel, Michael: Roman Army Studies. vol I, Amsterdam, 1984.

68. Stevenson, G. H: The Army and Navy, CAH, vol X, Cambridge University Press, 1964.

69. Strobel, Karl: Strategy and Army Structure between Septimius Severus and Constantine, ACRA, Blackwell Publishing, 2007.
70. Summer, Graham: Roman Military Clothing 100 BC-AD 200, vol I, Osprey Publishing, 2002.
71. Summer, Graham: Roman Military Clothing AD 200-400, vol II, Osprey Publishing, 2003.
72. Thorne, James: Battle, Tactics and the Emergence of the *limites* in the West, ACRA, Blackwell Publishing, 2007.
73. Warwick, Ball: Rome in the East, Routledge, London and New York, 2000.
74. Watson, Alaric: Aurelian and the Third Century, London & New York, Routledge, 1999.
75. Webster, Graham: The Roman Imperial Army, University of Oklahoma Press, 1985.
76. Wesch-Klein: Gabriele, Recruits and Veterans: ACRA, Blackwell Publishing, 2007.
77. Wheeler, Everett: The Army and the Limes in the East: ACRA, Blackwell Publishing, 2007.
78. Wise, Marsh: The Man Inside the Lorica, Osprey Publishing, 2005.

المجلات الأجنبية:

1. Alston, R: Roman Military Pay from Caesar to Diocletian, JRS, vol LXXXIV, 1994.
2. Breeze, D.J: The Organization of the Legion, the First Cohort and the Equites Legionis, JRS LIX, 1969.
3. Campbell, Brian: Teach Yourself How To Be A General, JRS, Vol LXXVII.
4. Speidel, Alexander: Roman Army Pay Scales, JRS, Vol LXXXII, 1992.

الموسوعات الألكترونية:

1. Microsoft ® Student 2009 [DVD]. Redmond, WA: Microsoft Corporation, 2008.
2. Encyclopedia Britannica Inc, 2007

المواقع الألكترونية:

1. www.en.wikipedia.org
2. www.romancoins.com
3. www.tripod.com
4. www.roman-empire.net
5. www.pvv.ntn.no
6. www.redrampant.com

- المراجع العربية:

١- أحمد على الناصري، سيد: الحرب والمجتمع القديم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٢م.

٢-احمد علي، عبد اللطيف: التاريخ الروماني «عصر الثورة»، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٣م.

٣-أحمد علي، عبد اللطيف: مصادر التاريخ الروماني، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٠.

٤-أحمد علي، عبد اللطيف: مصر والإمبراطورية الرومانية في ضوء الأوراق البردية، دار النهضة العربية، القاهرة، طبعة منقحة، ١٩٩٣م.

٥-الروبي، آمال: مصر في عصر الرومان، دار البيان، جدة، ط٢، ١٩٨٤م.

٦-السيد محمد عبد الغني، محمد: التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية، ج١، المكتب الجامع الحديث، الأسكندرية، ٢٠٠٥م.

٧-الشيخ، حسين: الرومان، الأسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ٢٠٠٤م.

٨-العبادي ، مصطفى : الامبراطورية الرومانية " النظام الامبراطوري ومصر الرومانية " ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ب.ت .

٩-باشا، زكريا مهران: موجز النقود والسياسة النقدية، مطبعة مصر، القاهرة، ١٩٤٤م.

١٠- حاطوم نور الدين، وآخرون: موجز تاريخ الحضارة، ج١، ١٩٦٥م.

١١-رستم، أسد: عصر أوغوسطوس قيصر وخلفائه (٤٤ ق.م-٦٩ م)،ج٢، بيروت، ١٩٦٥م.

١٢-ريحانا، سامي: المجتمعات العسكرية عبر التاريخ، دار الحداثة، بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

١٣-عادل عبد الحق، سليم: روما والشرق الروماني «العهد الجمهوري حتى نهاية قيصر»، مطبوعات المديرية العامة للآثار والمتاحف، دمشق، ١٩٥٩م.

١٤-عبد الغني ، محمد السيد محمد : لمحات من تاريخ مصر تحت حكم اليونان ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، ٢٠٠٦م.

١٥-قاسم، عبير عبد المحسن: العمارة الرومانية بين الواقع والخيال، المكتب الجامعي الحديث، الأسكندرية، ٢٠٠٧م.

١٦-لمى دقماق: النقود البيزنطية في سورية (٣٣٠-٦٤٣م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، بأشراف د. عبد المجيد حمدان، جامعة دمشق، ٢٠٠٩م.

١٧-محفل محمد، الزين محمد: دراسات في تاريخ الرومان، منشورات جامعة دمشق، دمشق ، ١٩٩٥-١٩٩٦م.

١٨-محمود حسين، عبد الله: دراسات في التاريخ العسكري، دار المنارة، دمشق، ٢٠٠٠م.

١٩-نصحي، إبراهيم: تاريخ الرومان، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،١٩٨٣م.

المراجع المعربة:

١-إيمار أندريه، أوبوايه جانين: تاريخ الحضارات العام (روما وإمبراطوريتها)، ترجمة فريد داغر ويوسف داغر، م٢، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٦٤م.

٢-تشارلز ورث: الامبراطورية الرومانية، ترجمة رمزي عبده جرجس، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦١م.

٣-حتي، فيليب: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة د. عبد الكريم رافق - د. جورج حداد، ج١، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٢م.

٤-ددلي، دونالد: حضارة روما، ترجمة جميل يواكيم الذهبي وفاروق فريد، دار نهضة مصر، القاهرة

٥-دياكوف، كوفاليف: الحضارات القديمة، ج٢، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٠م.

٦-رستو فتزف: تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعي والاقتصادي، ترجمة زكي علي - محمد سليم سالم، ج١، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

٧-لورو ، باتريك : الإمبراطورية الرومانية ، ت : جورج كتوره ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بيروت ، ط١ ٢٠٠٨ م.

٨-هنري براستد، جايمس: العصور القديمة، ترجمة داوود قربان، مؤسسة عز الدين، بيروت، ١٩٨٣م.

٩-ستروكوف: تاريخ فن الحرب، ج١، ترجمة صباح الدين الأتاسي، إصدار وزارة الدفاع في الجمهورية العربية السورية، ط١، ١٩٦٨م.

المجلات العربية:

١-الزين، محمد: الحلف المكابي - الروماني "فصل من تاريخ فلسطين في العصر الهلنستي"، مجلة دراسات تاريخية، العددان ٦٧-٦٨، ١٩٩٩م.

٢-الصالح، ابراهيم: صفحات مطوية من تاريخ دورا يوروبوس، الحوليات الأثرية، مج ٣٤، ١٩٨٣م.

ملخص البحث باللغة العربية

يتناول البحث دراسة الجيش الروماني البري في الفترة الإمبراطورية بين عامي ٣١ ق.م و٢٨٤م، وهي فترة مثلت فترة تحول بالنسبة للجيش الروماني، فسنة ٣١ ق.م تحول الجيش الروماني إلى جيش محترف قائم وخضع إلى تغييرات جوهرية في المجالات كافة، وسنة ٢٨٤م تغيرت بنية الجيش الروماني كلياً بواسطة الإمبراطور دقلوسيان، ولهذا السبب وقع اختياري على هذه الفترة التي تعرف ب"الفترة الأولى من العصر الإمبراطوري".

وتقع الدراسة في تمهيد وأربعة فصول:

التمهيد:

ويتضمن الحديث عن الوسط الجغرافي ودوره الكبير في نشأة روما، كما يتحدث عن مراحل توسع روما زمنياً و جغرافياً مقسِماً إِيَاها إلى مرحلتين:

- المرحلة الأولى: السيطرة على شبه الجزيرة الإيطالية (٥٠٩– ٢٦٤ ق.م)
- المرحلة الثانية : التوسع خارج أراضي شبه الجزيرة الإيطالية (٢٦٤–٣١ ق.م)

وكذلك يتحدث عن دوافع روما التوسعية موضحاً طبيعة هذه الدوافع ،والمراحل التي مرَ بها تشكَل الجيش منذ تأسيس روما حتى العصر الإمبراطوري.

الفصل الأول:

يتضمن الحديث عن بنية وتنظيم الجيش الروماني الإمبراطوري والتطورات والتعديلات التي طرأت عليه في بداية تنظيمه، وذلك من خلال دراسة نظام تجنيده ونشر وتوزيع قواته ودراسة التسلسل الهرمي لقيادته وكذلك راياته وشعاراته.

الفصل الثاني:

ويتضمن الحديث عن لباس الجنود وتجهيزاتهم ، موضحاً دور هذه التجهيزات تكتيكياً والتغيرات والتأثيرات التي طرأت عليها خلال القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الإمبراطورية، كما تضمن البحث دراسة المجانيق ومطلقات السهام الرومانية ومعدات حرب الحصار محاولاً تقديم وصف تاريخي لها، إضافة إلى التعديلات التي أدخلها الرومان عليها للتناسب وطبيعة تركيبة جيوشهم .

الفصل الثالث:

ويتضمن دراسة المعركة البرية للجيش الروماني وأنواع التكتيكات التي استخدمها وطورها الجيش وفقاً للحالة التي واجهها ، وكذلك محاولة إيضاح طريقة تنظيم القوات في خط المعركة والأسس التي اعتمد عليها الرومان في شن عملياتهم الحربية، ودور كل عنصر من عناصر الجيش في نجاح تكتيك ما. وكذلك تحدثنا عن فن حرب الحصار عند الرومان وطريقة ممارسته وأسلوبهم فيه، محاولين من خلال ذكر الأمثلة تقديم صورة وصفية شبه واقعية لسير عمليات الحصار عند الرومان. كما تطرقنا في هذا الفصل إلى دراسة الإمدادات اللوجستية للجيش الروماني في الحرب وطريقة تنظيم هذه الإمدادات وآلية عملها مبينين دورها الكبير في نجاح الجيش الروماني سواء في الحملة أو الحصار.

الفصل الرابع:

يتضمن الحديث عن النظام الداخلي الناظم لهذا الجيش، وذلك من خلال دراسة المعايير التي انتهجها الرومان في اختيار المجندين في فروع الجيش المختلفة، وكذلك من خلال دراسة مراحل التدريب التي مر بها المجند منذ تطوعه في الجيش وحتى تسريحه، كما أننا تكلمنا في هذا الفصل عن رواتب الجنود محاولين إظهار نسبة الزيادات التي طرأت عليها خلال حكم الأباطرة المتلاحقين للإمبراطورية، وكذلك قدمنا صورة عن النظام الضابط للجيش من خلال دراستنا عن نظام العقوبات والمكافآت للجنود. ومن ثم انتقلنا إلى دراسة المرافق الصحية والخدمات الطبية التي تميز بها الجيش الروماني. وفي نهاية الفصل تحدثنا عن آلية تسريح الجنود في مختلف فروع الجيش والامتيازات التي حصل عليها جنود هذه الفروع وفقاً لطبيعة الفرع الذي كان يخدم به الجندي.

Summary of the Thesis in English

This treatise studies The Land Roman Imperial Army between the years 31 BC-AD 284, a period that witnessed a transformation of the Roman Army. The army became a professional standing force after 31 BC, while in 284 AD it was reconstructed under Diocletian. This is why I chose this period which also known as the Principate.

The treatise consists of a foreword and four chapters.

The Foreword:

The foreword studies the geography of Rome and the role it played in its rise. It also tracks the two stages of the Roman expansion.

- The first phase: Controlling the Italian Peninsula (509-264 BC).
- The second phase: Rome's Expansion beyond Italy (264-31 BC).

The foreword also briefly investigates the motives of the Roman expansion and the stages of the making of its army up to the Imperial period.

Chapter 1:

The first chapter talks about the army's construction and organization, in addition to the developments and changes it had undergone; that is, its system of recruitment, the disposition of the troops, the hierarchy of command, as well as the standards and the emblems.

Chapter 2:

This chapter studies the Roman military clothing and equipment and the role it played in the army's tactics. Additionally, it keeps track of the changes these had undergone throughout the first three centuries of the Empire's history. The treatise also studies the Roman artillery and the siege machinery, seeking to present a historical study of their development, and to clarify the changes that the Romans introduced so as to suit the nature of their army's construction.

Chapter 3:

This chapter examines Roman land warfare and the types of tactics used and developed according to specific situations. It tries to clarify how the Romans arranged their troops in combat, and the role of each branch of the army in battle. Moreover, the treatise examines the Roman siegcraft, giving examples of some sieges in order to

present a descriptive and a fairly realistic image of the military operations in Roman siege warfare. The chapter also briefly studies the logistics of the Roman Imperial Army at war and the ways they were arranged, as well as their mechanism and the role they played in the Army's success either on campaign or in the siege.

Chapter 4:

The last chapter deals with the internal system of the Roman Imperial Army, which are the standards the Romans followed in recruiting men in the various branches of their army. The chapter also sheds some light on the basic training of the recruits, as well as their training and drill thereafter. Furthermore, the chapter studies the Roman Army's pay scales and the pay increases throughout the Imperial period, besides giving a view of the donatives granted to soldiers in addition to the various forms of punishment. The chapter examines the Roman medical services in which they excelled. Moreover, the chapter studies the discharge of the Roman soldiers, plus the privileges they gained according to the branch in which they served.